

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(وَقَدْ نَالَ قَبَالِحُ)

يوزع مجاناً

سَوَارِدُ الْقُرْآنِ الدُّرُوسُ الرَّسَائِلُ

غُفِّ رَحْمَةً وَكُفِّرَ بَغْيًا وَصُفِّرَ بَدَنًا وَكُنُفٌ وَفُكِّنَ

تَكْنِيفٌ وَتَكْنِيفٌ وَتَكْنِيفٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا هُدَاؤُهُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا هُدَاؤُهُ

الْبَحْرُ الْبَحْرُ
الْبَحْرُ الْبَحْرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة من :

د. عزيز المصطفى السليمان

د. أمال - العربية العصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(وقف لله تعالى)

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ إِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضاً مِنَ
الدُّنْيَا ، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللَّهُ خيراً مَنْ طَبَعَهُ وَقَفّاً لِلَّهِ ، أَوْ
أَعَانَ عَلَى طَبَعِهِ ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبَعِهِ وَتَوَزَّيْعَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ .

مَوَارِدُ الظُّمآنِ لِدُرُوسِ الزَّمَانِ

خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمَّد السَّليمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الثاني

الطبعة التاسعة عشر

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةٍ مِنْ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ فَجَزَاهُ
اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خيراً وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَنْ يُعِيذُ
طِبَاعَتَهُ أَوْ يُعِينُ عَلَيْهَا أَوْ يَتَسَبَّبُ لَهَا أَوْ يُشِيرُ عَلَى مَنْ يُؤْمِلُ فِيهِ
الْخَيْرَ أَنْ يَطَبَعَهُ وَقَفّاً لِلَّهِ تَعَالَى يُوزَّعَ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ

اللهم صلى على محمد وعلى آله وسلم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤١٠ هـ

(فَضْلٌ)

في الوعظ والارشاد

إِغْلِمْ وَفَقَّنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ عَمَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ نُوَابُ عَنْ الْأَنْبِيَاءِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْخَطِيرِ فَهُمْ أَمَنَاءُ اللَّهِ عَلَى شَرْعِهِ وَالْحَافِظُونَ لِدِينِهِ الْقَوِيمِ وَالْقَائِمُونَ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْعَارِفُونَ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ كَمَالٍ وَتَنْزِيهِ .

لِذَلِكَ كَانَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ الْمُخْلِصُونَ فِي أَعْمَالِهِمُ الصَّادِقُونَ فِي أَقْوَالِهِمُ الْبَعِيدُونَ عَنِ الرِّيَاءِ وَحُبِّ الشُّهْرَةِ وَالْمَذْحِ يَسِيرُونَ بِالْخَلْقِ نَحْوَ سَعَادَتِهِمْ بِمَا يُعَلِّمُونَهُمْ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَبِمَا يُرْشِدُونَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ التَّحْلِيِّ بِالْفَضِيلَةِ وَالتَّخْلِيِّ عَنِ الرَّذِيلَةِ وَاعْتَقَدَ النَّاسُ فِيهِمْ ذَلِكَ وَأَمَلَوْهُمْ لَهُ فَأَحْلَوْهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَحَلًّا لَمْ يَبْلُغْهُ سِوَاهُمْ مِنَ الْبَشَرِ حَتَّى اكْتَسَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ مَكَانَةً يُغْبِطُونَ عَلَيْهَا وَرَبِحُوا مَنَزِلَةً تَضْبُوا إِلَيْهَا نَفُوسُ ذَوِي الْهِمَّةِ الْعَالِيَةِ وَالْفَضْلِ .

وَنَاهِيكَ بِقَوْمٍ إِذَا فَعَلُوا لَحَظَّتْهُمْ الْعُيُونُ وَإِذَا قَالُوا أَصْغَتْ الْأَذَانُ وَوَعَتْ الْقُلُوبُ وَحَكَّتِ الْأَلْسُنُ فَهُمْ مَطْمَحُ الْأَنْظَارِ وَمَوْضِعُ الثِّقَةِ وَالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ وَالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ وَالنُّورِ السَّاطِعِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

الْمَعْنَى لَا أَحَدَ أَحْسَنَ كَلَامًا وَطَرِيقَةً وَحَالَةً مِمَّنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَذَلِكَ بِتَعْلِيمِ جَاهِلِهِمْ وَوَعْظِ غَافِلِهِمْ وَنُصْحِ مُعْرِضِهِمْ وَمُجَادَلَةِ مُبْطِلِهِمْ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا وَالْحَثِّ عَلَيْهَا وَتَحْسِينِهَا وَتَحْصِينِهَا مَهْمَا أُمِكنَ وَالزَّجْرُ عَمَّا نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ وَتَقْصِيحِهِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْهُ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ وَطَرِيقَةٍ تُوجِبُ تَرْكَهُ .

وَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ يَقُولُ هَذَا حَيْبُ اللَّهِ ، هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ ، هَذَا صَفْوَةُ اللَّهِ ، هَذَا خَيْرَةُ اللَّهِ ، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ ، أَجَابَ اللَّهُ فِي دَعْوَتِهِ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ .

وَقَالَ فِي هِدَايَةِ الْمُرْشِدِينَ إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَى الدَّاعِي الْعِلْمُ بِالْقُرْآنِ وَالْمُرَادُ بِالنَّظَرِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى كَوْنِهِ هُدًى وَمَوْعِظَةً وَعِبْرَةً .

وَكَذَلِكَ السُّنَّةُ وَمَا صَحَّ مِنْ أَقْوَالِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِيرَتِهِ وَسِيرَةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ وَبِالْقَدْرِ الْكَافِي مِنَ الْأَحْكَامِ وَأَسْرَارِ التَّشْرِيعِ مَعَ الصِّدْقِ فِي نَشْرِهَا فَإِنَّ مَرْتَبَةَ التَّبْلِيغِ عَنِ اللَّهِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِمَنْ اتَّصِفَ بِالْعِلْمِ مَعَ الصِّدْقِ .

وَالْمُرْشِدُ وَارِثٌ لِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ وَلَيَتِمَّكَنُ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ فَلَا يَزِيغُ فِي عَقِيدَتِهِ وَلَا يَعْجُزُ عَنْ اقْتِنَاعِ النُّفُوسِ الْمُتَطَلِّعَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَيَكُونُ الْإِذْعَانُ لَهُ أَتَمَّ وَالْقَبُولُ مِنْهُ أَكْمَلَ .

فَأَمَّا الْجَاهِلُ فَضَالٌ مُضِلٌّ وَضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ، وَمَا يُفْسِدُهُ أَكْثَرُ مِمَّا يُصْلِحُهُ إِذْ لَا تَمَيِّزَ لِجَاهِلٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَلَا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ تُرْشِدُ

إلى إصلاح القلوب وتهذيب النفوس .

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ ، وَفِي الْحِكْمِ مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ ضَلَّ ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِغَيْرِ أَصْلٍ زَلَّ .

وَأَمَّا الْكَاذِبُ فَلَا خَيْرَ فِيهِ وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ، لِهَذَا حَرَّمَ اللَّهُ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِلَا عِلْمٍ ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَفْحَشِ الْكَبَائِرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَالْإِثْمَ ، وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وَهَذَا يَعُمُّ الْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَفِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ .

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ الدَّاعِي الْعَمَلُ بِعِلْمِهِ فَلَا يُكَذِّبُ فِعْلُهُ قَوْلُهُ ، وَلَا يُخَالِفُ ظَاهِرُهُ بَاطِنَهُ ، فَلَا يَأْمُرُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَيَكُونُ أَوَّلَ عَامِلٍ بِهِ ، وَلَا يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكُونُ أَوَّلَ تَارِكٍ لَهُ ، لِيُفِيدَ وَعِظُهُ وَارشَادُهُ . فَمَا إِنْ كَانَ يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا يَفْعَلُهُ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَهُوَ وَاقِعٌ فِيهِ ، فَهُوَ بِحَالِهِ عَقَبَةٌ فِي سَبِيلِ الْإِصْلَاحِ ، وَهِيَئَاتِ أَنْ يُسْتَفْعَ بِهِ ، فَإِنَّهُ فَاقِدُ الرَّشْدِ فِي نَفْسِهِ فَكَيْفَ يُرْشِدَ غَيْرَهُ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ التَّالِينَ لِكِتَابِكَ الْعَامِلِينَ بِهِ الْمُحَلِّلِينَ حَلَالَهُ

المُحَرِّمِينَ حَرَامَهُ الْمُتَمَثِّلِينَ لِأَوَامِرِهِ الْمُجْتَنِبِينَ نَوَاهِيَهُ الْمُتَعِظِينَ بِمَوَاعِظِهِ
الْمُنْزَجِرِينَ بِزَوَاجِرِهِ الْمُتَفَكِّرِينَ فِي مَعَانِيهِ الْمُتَدَبِّرِينَ لِأَلْفَافِهِ الْبَاكِينَ
الْمُقَشِّعِرِينَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنْ
الْقُلُوبِ كَمَا يَزُلُّ الْقَطْرُ عَنْ الصُّفَا فَإِنَّ مَنْ حَثَّ عَلَى التَّحَلِّيِ بِفَضِيلَةٍ ، وَهُوَ
عَاطِلٌ مِنْهَا ، لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ ، كَمَنْ يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى الْحِلْمِ وَالصَّبْرِ
وَالْكَرَمِ وَهُوَ بِضِدِّ ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ مَنْ يَنْهَى عَنِ الْأَخْلَاقِ السَّاقِطَةِ وَالْبِدْعِ وَالْمَلَاهِي وَهُوَ
مُتَلَوِّثٌ بِهَا كَمَنْ يَنْهَى عَنِ الدُّخَانِ أَبِي الْخَبَائِثِ وَالْخَمْرِ أُمَّ الْخَبَائِثِ وَهُوَ
يَشْرِبُهُمَا ، وَكَمَنْ يَأْمُرُ بِالْإِبْتِعَادِ عَنِ التَّلْفِزِيُونِ وَالْمِذْيَاعِ وَالسَّيْنَمَاءِ
وَالْبَكَمَاتِ ، وَهُوَ يَشْتَرِيهَا أَوْ يَحْظَرُهَا .

وَكَمَنْ يَنْهَى عَنِ خَلْقِ اللَّحْيَةِ وَالْخَنَافِسِ وَالتَّشْبِيهِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُرْدِ
وَالْكُفَّارِ وَهُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهَا وَكَمَنْ يَنْهَى عَنِ الْكُورَةِ وَهُوَ يَحْظَرُهَا ، أَوْ يَنْهَى
عَنِ بَيْعِ هَذِهِ الْمَلَاهِي وَشَرَايِهَا وَتَصْلِيحِهَا وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَهَذَا يُقَابِلُ قَوْلَهُ
بِالرُّدِّ ، وَلَا يُعَامَلُ إِلَّا بِالْإِعْرَاضِ ، وَالْإِهْمَالِ ، بَلْ مَحَلُّ سُخْرِيَّةٍ ،
وَاسْتِهْزَاءٍ فِي نَظَرِ الْعُقَلَاءِ

شعراً :

قَوْلُ جَمِيلٍ وَأَفْعَالٌ مُقْبَحَةٌ يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ ذَاكَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

فَإِنْ مَنْ تَنَاوَلَ شَيْئًا فَأَكَلَهُ وَقَالَ لِلنَّاسِ لَا تَتَنَاوَلُوهُ ، فَإِنَّهُ سُمُّ مُهْلِكٌ
سَخِرَ النَّاسُ مِنْهُ ، وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ وَاتَّهَمُوهُ فِي دِينِهِ وَعِلْمِهِ وَوَرَعِهِ ، وَكَانَهُ
يُزَجِّرُهُ وَنَهْيِهِ حَرُصَهُمْ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنَّهُ لَدِيدٌ مَا كَانَ يَسْتَأْذِنُ بِهِ .

كَذَلِكَ الدَّاعِي إِذَا خَالَفَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ ، أَمَّا الْإِثْمَارُ بِمَا سَيَأْمُرُهُمْ بِهِ
أَوَّلًا وَالتَّخَلُّقُ بِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ فَهُوَ وَاقِعٌ فِي نَفُوسِ السَّامِعِينَ ، وَأَقْرَبُ
إِلَى ادِّعَائِ الرَّاغِبِينَ .

فَمَنْ لَمْ يُكَابِدْ قِيَامَ اللَّيْلِ وَسَهْرِهِ ، فَكَيْفَ يُسْمَعُ مِنْهُ فَضْلُ قِيَامِ
الليْلِ ، وَكَمْ مَنْ يَحُثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي الْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ
وَالْمَشَارِيعِ الدِّينِيَّةِ ، وَلَا يُسَاهِمُ فِيهَا أَبَدًا ، فَهَذَا لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ ، وَيَكُونُ
مِمَّنْ يُعِينُ عَلَى سَبِّهِ ، وَغِيْبَتِهِ ، لَمَّا عَرَفَتْ مِنْ أَنَّ الدُّعْوَةَ إِلَى صَالِحِ
الْأَعْمَالِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ تَرْبِيَّةٌ ، وَالتَّوْبَةُ النَّافِعَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْعَمَلِ ،
لَأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْقُدْوَةِ الصَّالِحَةِ وَالْأَسْوَةِ الْحَسَنَةِ ، لَا بِمَجْرَدِ الْقَوْلِ .

يَذُكُّكَ عَلَى ذَلِكَ مَا فِي قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَّةِ عَنِ الْمِسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ
فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قِصَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ
قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ اخْلِقُوا ، فَوَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ
النَّاسِ .

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتَجِبُ ذَلِكَ ، أَخْرُجُ ثُمَّ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا
مِنْهُمْ بِكَلِمَةٍ حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُو خَالِقَكَ فَيَخْلُقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ
أَحَدًا مِنْهُمْ ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ، نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا خَالِقَهُ فَخَلَقَهُ ، فَلَمَّا رَوَا

ذَلِكَ قَامُوا فَتَنَحَرُّوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلِقُ بَعْضًا ، حَتَّى كَادَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا أَوْ إِزْدَحَامًا وَغَمًّا .

وفي حديث أبي سعيد قال أتى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
على نَهْرٍ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ وَالنَّاسُ صِيَامٌ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ مُشَاءَ وَنَبِيُّ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ فَقَالَ اشْرَبُوا أَيُّهَا النَّاسُ ، قَالَ فَأَبَوْا قَالَ
إِنِّي لَسْتُ مِثْلُكُمْ إِنِّي أُيَسِّرُكُمْ إِنِّي رَاكِبٌ فَأَبَوْا ، فَتَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَذَهُ فَتَنَزَلَ فَشَرِبَ وَشَرِبَ النَّاسُ ، وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ
يَشْرَبَ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

قال فإذا لم يكن الداعي إلا ذا قولٍ مُجَرَّدٍ مِنَ الْعَمَلِ لَمْ يَكُنْ
نَصِيبُ الْمَدْعُو مِنْهُ إِلَّا الْقَوْلُ ، وَأَيْضًا فَمِثْلُ الْمُرْشِدِ مِنَ الْمُسْتَرْشِدِ مِثْلُ
الْعُودِ مِنَ الظِّلِّ ، فَكَمَا أَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يَعُوجَّ الْعُودُ وَيَسْتَقِيمَ الظِّلُّ كَذَلِكَ
مُحَالٌ أَنْ يَعُوجَّ الْمُرْشِدُ وَيَسْتَقِيمَ الْمُسْتَرْشِدُ .

قال الغزالي فيما كتبه إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل أما
الوعظ فلست أرى نفسي أهلاً له لأن الواعظ زكاة نصابه الاتعاض فمن لا
نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم
الظل والعود أعوج ولهذا قيل :

يا أيها الرجلُ المُعَلَّمُ غَيْرُهُ
هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ مِنَ الضَّنَا
كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ

مَا زِلْتَ تُلْقِحُ بِالرُّشَادِ عُقُولَنَا
 عِظْتَ وَأَنْتَ مِنَ الرُّشَادِ عَدِيمُ
 إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْتَهَهَا عَنْ غَيْبِهَا
 فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
 فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى
 بِالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
 لَا تَنْهَ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلُهُ
 عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

آخر :

وَكُنْ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ
 وَمُرْهُمْ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَانْهَهُمْ
 وَعِظْهُمْ بِآيَاتِ الْإِلَهِ بِحِكْمَةٍ
 فَإِنْ يَهْدِ مَوْلَانَا بَوْعُظِكَ وَاحِدًا
 وَلَا فَقَدْ أَدَّيْتَ مَا كَانَ وَاجِبًا
 بِأَرْشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ
 عَنِ السُّوءِ وَازْجُرْ ذَا الْخِنَاعِ خَنَائِهِ
 لَعَلَّكَ تُبْرِئَ دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ
 تَنْلُ مِنْهُ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ
 عَلَيْكَ ، وَمَا مَلَكَتْ أَمْرَ اهْتِدَائِهِ

قال وقولُ الله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ
 تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ تَعْجِيبٌ لِلْعُقَلَاءِ مِنْ هَذَا الْمَسْئَلِ الْمَعْيِبِ ،
 وَلِلتَّعْجِيبِ وَجُوهٌ مِنْهَا أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ
 إِرْشَادُ الْغَيْرِ إِلَى الْخَيْرِ وَتَحْذِيرُهُ مِنَ الشَّرِّ وَارْشَادُ النَّفْسِ إِلَيْهِ وَتَحْذِيرُهَا مِنْهُ
 مُقَدِّمٌ بِشَوَاهِدِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ .

أَمَّا الْعَقْلُ فَبِدِيهِي وَأَمَّا النَّقْلُ فَكَثِيرَةٌ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ نُوْحٍ
 ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾ وَعَنْ خَلِيلِ اللَّهِ
 إِبْرَاهِيمَ ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ

لِي وَلِوَالِدَيَّ ، فَمَنْ وَعَظَ غَيْرَهُ وَلَمْ يَتَّعِظْ فَكَأَنَّهُ أَتَى بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ
السُّلِيمُ .

شعراً :

تَمَسَّكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَالْمَرْءُ لَا يَبْقَى
وَكُلُّ أَمْرٍ مَا قَدَّمْتَ يَدَهُ يَلْقَى
وَلَا تَظْلِمَنَّ النَّاسَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ
وَلَا تَذْكُرَنَّ إِفْكَاءَ وَلَا تَحْسِدَنَّ خَلْقًا
وَلَا تَقْرَبَنَّ فِعْلَ الْحَرَامِ فَإِنَّهُ
لَذَاذُتُهُ تَفْنَى وَأَنْتَ بِهِ تَشْقَى
وَعَاشِرُ إِذَا عَاشَرْتَ ذَا الدِّينِ تَنْتَفِعْ
بِعِشْرَتِهِ وَاحْذَرْ مُعَاشِرَةَ الْحَمَقَى
وَدَارِ عَلَى الْإِطْلَاقِ كُلًّا وَلَا تَكُنْ
أَخَا عَجَلٍ فِي الْأَمْرِ وَاسْتَعْمِلِ الرِّفْقَا
وَحَالَفِ حُظُوظَ النَّفْسِ فِيمَا تَرُومُهُ
إِذَا رُمْتَ لِلْعَلْيَا أَخَا اللَّبِّ أَنْ تَرْقَى
تَعَوَّذْ فِعَالِ الْخَيْرِ جَمْعًا فَكُلَّمَا
تَعَوَّذَهُ الْإِنْسَانُ صَارَ لَهُ خُلُقًا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْآخِرَةِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

ومنها أن الواعِظَ الفاعلَ لِلْمُحَرَّمَاتِ الْمُحَذَّرِ عنها يكونُ سَبَبًا لِلْمَعْصِيَةِ
لأنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ لولا أنَّ هَذَا الواعِظَ مُطْلِعٌ على أَنَّهُ لا أَصْلَ لِهَذِهِ التَّخَوُّيفَاتِ
لَمَّا أَقْدَمَ على الْمَنَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ فَيَكُونُ دَاعِيًا إلى التَّهَاقُوتِ بِالذِّينِ وَالْجَرَاءَةِ
على الْمَعَاصِي ، وَهَذَا مُنَافٍ لِلْغَرَضِ مِنَ الْوَعِظِ فَلَا يَلِيقُ بِالْعُقْلَاءِ .

ومنها أَنَّ غَرَضَ الدَّاعِي تَرْوِيجُ كَلَامِهِ وَتَنْفِيزُ أَمْرِهِ ، فَلَوْ خَالَفَ إلى
مَا نَهَى عَنْهُ صَارَ كَلَامُهُ بِمَعْزِلٍ عَنِ الْقَبُولِ وَهَذَا تَنَاقُضٌ لَا يَلِيقُ
بِالْعُقْلَاءِ .

وفي مِثْلِ هَذَا يَقُولُ ابْنُ الْقِيَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عُلَمَاءُ السُّوءِ جَلَسُوا على
بَابِ الْجَنَّةِ يَدْعُونَ إِلَيْهَا النَّاسَ بِأَقْوَالِهِمْ وَيَدْعُونَهُمْ إلى النَّارِ بِأَفْعَالِهِمْ ،
فَكُلُّمَا قَالَتْ أَقْوَالُهُمْ لِلنَّاسِ هَلِمُوا قَالَتْ أَفْعَالُهُمْ لا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ فَلَوْ كَانَ
مَا دَعَوْا إِلَيْهِ حَقًّا كَانُوا أَوَّلَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُ ، فَهَمَّ فِي الصُّورِ أُدِلَّا وَفِي
الْحَقِيقَةِ قُطَاعٌ طَرِيقٍ ، قُلْتُ وَمَا أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ فِي زَمَنَاتِنَا .

وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ سَيَأْتِي
على النَّاسِ زَمَانٌ تَمْلُحُ فِيهِ عُذُوبَةُ الْقُلُوبِ فَلَا يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ يَوْمئِذٍ عَالِمُهُ
وَلَا مُتَعَلِّمُهُ فَتَكُونُ قُلُوبُ عُلَمَائِهِمْ مِثْلَ السَّبَاحِ مِنْ ذَوَاتِ الْمِلْحِ يُنْزَلُ
عَلَيْهَا قَطْرُ السَّمَاءِ فَلَا يُوْجَدُ لَهَا عُذُوبَةٌ .

وَذَلِكَ إِذَا مَالَتْ قُلُوبُ الْعُلَمَاءِ إلى حُبِّ الدُّنْيَا وَإِثَارِهَا على الْآخِرَةِ
فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْلُبُهَا اللَّهُ تَعَالَى يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ وَيُطْفِئُ مَصَابِيحَ الْهُدَى مِنْ
قُلُوبِهِمْ فَيُخْبِرُكَ عَالِمُهُمْ حِينَ تَلْقَاهُ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ بِلِسَانِهِ وَالْفُجُورُ ظَاهِرٌ
فِي عَمَلِهِ . قُلْتُ وَمَا أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ فِي زَمَنَاتِنَا فَتَأَمَّلْ وَدَقِّقِ النَّظَرَ تُصَدِّقُ . وَمِنْ
الْعَجِيبِ مَا حَدَّثَ فِي زَمَنَاتِنَا تَجَدُّ بَعْضُهُمْ يَحْمِلُ شَهَادَةَ الدُّكْتُورَاهِ أَوِ الْمَاجِسْتِيرِ

أوهما ويُعطى فيها شهادةً في الفقه الإسلامي .
وهو ما يُحسِنُ إلا ما كَتَبَ فيه بحثاً إما موضوع الربى أو السرقة أو
الخمر مثلاً .

ولا يجيد غير هذا الموضوع الذي حَصَلَ على هذه الشهادة بسببه .
بل الفرائض التي نصف العلم لا يجيدها فلا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم .

فَمَا أَخْصَبَ الْأَلْسُنَ يَوْمَئِذٍ وَمَا أَجْدَبَ الْقُلُوبَ قَالَ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ مَا ذَلِكَ إِلَّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمِينَ عَلَّمُوا لِغَيْرِ اللَّهِ
وَالْمُتَعَلِّمِينَ تَعَلَّمُوا لِغَيْرِ اللَّهِ .

لَعَمْرُكَ مَا الْأَبْصَارُ تَتَفَعُّ أَهْلَهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُبْصِرِينَ بَصَائِرُ
وَبِالْحَقِيقَةِ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْأَكْثَرِيَّةِ السَّاحِقَةِ مِمَّنْ حَوْلَكَ مِنْ أَسَاتِذَةٍ
وَمُدَرِّسِي وَطَلَابٍ وَجَدْتَ هَيْبَةَ الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالشَّهَامَةِ وَالرُّجُولَةَ
الْإِسْلَامِيَّةَ قَدْ نَزَعَتْ مِنْهُمْ يَخْلِقُونَ لِحَاهِمُ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ .
وَيُوفِرُونَ شَوَارِبَهُمْ وَيَجْعَلُونَ تَوَالِيَتَاتٍ وَرُبَّمَا خَنَفُسُوا وَتَجِدُهُمْ
يُجَالِسُونَ الْفَسَقَةَ وَيَنْدَمِجُونَ مَعَهُمْ وَبَعْضُهُمْ تَجِدُهُ يَشْرَبُ أَمَا الْخَبَائِثُ
الدُّخَانِ وَرُبَّمَا فَعَلَهُ أَمَامَ الطُّلَابِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

ولا تجدُهُ في الغالب يُضَلِّي مَعَ الْجَمَاعَةِ وَيُعَامِلُ الْمُعَامِلَةَ الَّتِي لَا
تَلِيقُ بِمَنْصِبِهِ وَتَجِدُهُ يَجْلِسُ أَمَامَ التَّلَفُزِّيُونِ وَعِنْدَ الْمَذْيَاعِ وَأَغَانِيهِ وَعِنْدَ
السِّيْنِمَاءِ وَالْفِذْيُو وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي قَتَلَتِ الْأَخْلَاقَ .

وَيُحِبُّ الشُّهُرَةَ وَالظُّهُورَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَكَيْفَ يَخْطُرُ بِالْبَالِ أَنَّ مِثْلَ
هَؤُلَاءِ يَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يَنْهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَا يُزِيلُونَ
الْمُنْكَرَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا عَنْ بُيُوتِهِمْ . التي فيها من المنكرات ما يُذهِشُ الْأَسْمَاءَ
عَ وَالْأَبْصَارَ وَالْعُقُولَ .

فَعِلْمٌ هَؤُلَاءِ الْعِلْمُ الَّذِي يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَهُوَ الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا
يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ (فَابْعِدْ عَنْهُمْ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْهُمْ أَيُّهَا الْمُعَافَى).
شعراً :

صَارَ الْأَسَافِلُ بَعْدَ الذَّلِّ أَسِنَّةً
وَصَارَتِ الرُّؤُسُ بَعْدَ الْعِزِّ أَذْنَاباً
لَمْ تَبْقَ مَآثِرُهُ يَعْتَدُهَا رَجُلٌ
إِلَّا التَّكَائُرُ أَوْ رَاقاً وَآذْهَاباً
آخر :

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا
بَدَأَ طَمَعُ صَيَّرْتُهُ لِي سُلْماً
وَلَمْ أُبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُنْهَجَتِي
لِأَخْدِمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَ
أَشْقَى بِهِ غَرْساً وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً
إِذَا فَاتَّبَاعَ الْجَهْلُ قَدْ كَانَ أَحْزَمَ
فَإِنْ قُلْتُ زُنْدَ الْعِلْمِ كَابٌ فَإِنَّمَا
كَبَا جَيْنَ لَمْ تُحْمَى حِمَاهُ وَأُظْلِمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانُهُمْ
وَلَوْ عَظُمُوهُ فِي النُّفُوسِ لِعُظِّمَا
« وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنُّسُوا
مُحْيَاهُ بِالْأُطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا »
وَنَعُودُ إِلَى كَلَامِنَا السَّابِقِ حَوْلَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ :
فَالْآيَةُ كَمَا تَرَى نَاعِيَةً عَلَى كُلِّ مَنْ يَعْظُ غَيْرُهُ وَلَا يَتَّعِظُ بِسُوءِ صَنِيعِهِ

وَعَدَمِ تَأْثِرِهِ ، وَأَنْ فِعْلُهُ فِعْلُ الْجَاهِلِ بِالشَّرْعِ أَوْ الْأَحْمَقِ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْخَيْرِ مَعَ جِرْمَانِ النَّفْسِ مِنْهُ مِمَّا لَا يَتَّفِقُ وَقَضِيَّةُ الْعَقْلِ وَالْمُرَادُ بِهَا حُثُّهُ عَلَى تَرْكِيبَةِ النَّفْسِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهَا بِالتَّكْمِيلِ لِتَقُومَ بِالْحَقِّ فَتُكْمَلَ غَيْرَهَا .

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ فهذا وَعِيدٌ شَدِيدٌ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُقَصِّرٌ كَمَنْ يَكْذِبُ فِي قَوْلِهِ أَوْ يُخْلِفُ مَا وَعَدَ .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ متفق عليه .

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنَ النَّارِ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ فَقَالَ الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ » رواه ابن حبان في صحيحه .

وَأِنَّمَا يُضَاعَفُ عَذَابُ الْعَالِمِ فِي مَعْصِيَتِهِ لِأَنَّهُ عَصَى عَنْ عِلْمٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وَلِأَنَّهُ قُدْوَةٌ فَيَزِلُ بِزَلَّتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُونَ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ زَلَّةُ الْعَالِمِ زَلَّةُ الْعَالَمِ وَقِيلَ هُوَ كَالسَّفِينَةِ إِذَا غَرِقَتْ غَرِقَ مَعَهَا أُمَّمٌ مَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ .

وفي الخبرِ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزُرُّهَا وَوَزُرُّ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا ، وَذَلِكَ أَنَّ اتِّبَاعَهُمْ أَقْتَدَوْا بِهِمْ

في السُّوءِ فَيَنَالُهُمْ مِثْلُ عِقَابِ أَتْبَاعِهِمْ قَالَ تَعَالَى ﴿وَلِيَحْمِلُنْ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وقال ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قال : وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ أَنَّ مَنْ فَتَحَ بَابَ الشَّرِّ لِغَيْرِهِ وَسَهَّلَ لَهُ الدُّخُولَ فِيهِ فَقَدْ عَظَّمَ عَذَابَهُ وَكَذَلِكَ مَنْ دَعَا إِلَى خَيْرٍ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَسَهَّلَ لَهُ طَرِيقَهُ فَقَدْ عَظَّمَ قَدْرَهُ وَحَسَنَ جَزَاؤُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مِثْلُ الَّذِي يُعَلِّمُ الْخَيْرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ مِثْلُ الْفَتِيلَةِ تُضَيءُ لِلنَّاسِ وَتُحْرِقُ نَفْسَهَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ أَبِي بَرزَةَ بِسَنَدٍ حَسَنِ م .

وقال أَبُو الدَّرْدَاءِ وَبَلَ لِلْجَاهِلِ مَرَّةً وَبَلَ لِلْعَالِمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ فَالْجَاهِلُ يَغُرُّ النَّاسَ بِنُسُكِهِ وَالْعَالِمُ يَغُرُّهُمْ بِتَهْتِكِهِ وَقَالَ حَكِيمٌ أَفْسَدَ النَّاسَ جَاهِلٌ نَاسِكًَ وَعَالِمٌ فَاجِرٌ هَذَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى جَهْلِهِ بِنُسُكِهِ وَهَذَا يُنْفِرُ النَّاسَ عَنْ عِلْمِهِ بِفُسُوقِهِ .

ومنها التَّوَاضُّعُ وَمُجَانَبَةُ الْعُجْبِ فَذَلِكَ بِالْإِدْعَاءِ وَالْمُرْشِدِينَ أَلِيقُوا وَلَهُمُ الزَّمُ لِأَنَّ التَّوَاضُّعَ عَطُوفٌ وَالْعُجْبُ مُنْفَرٌ وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِالْمُرْشِدِينَ أَقْبَحُ لِأَنَّ النَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ ، وَكَثِيرًا مَا يُدَاخِلُهُمُ الْعُجْبُ لِتَوْحِيدِهِمْ بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرِ وَعَمِلُوا بِمُوجِبِ الْعِلْمِ لَكَانَ التَّوَاضُّعُ بِهِمْ أَوْلَى وَمُجَانَبَةُ الْعُجْبِ بِهِمْ أُخْرَى وَأَنْسَبُ ، لِأَنَّ الْعُجْبَ نَقْصٌ يُنَافِي الْفَضْلَ ، فَلَا يَفِي مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ بِمَا لِحَقُّهُمْ مِنْ نَقْصِ الْعُجْبِ .

شعر :
دَعِ الْكِبَرَ وَاجْنَحْ لِلتَّوَاضُّعِ تَشْتَمِلْ وَدَادَ مَنِيعَ الْوُدِّ صَعْبَ مَرَاةُ
وَدَاوِ بِلَيْنِ مَا بَجَرَحْتَ بِغِلْظَةٍ فَطِيبَ كَلَامِ الْمَرْءِ طِبُّ كَلَامِهِ

وقد رَوَى ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلِيلُ الْفَقْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِذَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ، وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُؤْمِنٌ وَجَاهِلٌ فَلَا تُؤْذِ الْمُؤْمِنَ ، وَلَا تُحَاوِرِ الْجَاهِلَ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ثَعْلَبَةَ حِينَ ذَكَرَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا تَوَلَّى إِلَيْهِ مِنَ الْحَوَادِثِ ، إِذَا رَأَيْتَ شُحًا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَاعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ نَفْسُكَ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وقال صلى الله عليه وسلم « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ ، شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَاعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ مَوْضُوعُ التَّوَاضُّعِ ، وَافِيًا بِأَدِلَّتِهِ وَعِلَّةُ اعْجَابِ الْمُعْجَبِ بِعِلْمِهِ ، نَظَرُهُ إِلَى كَثْرَةِ مَنْ دُونَهُ مِنَ الْجُهَالِ وَأَنْصِرَافِ نَظَرِهِ عَنْ مَنْ فَوْقَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، فَإِنَّهُ مَا حَوَى الْعِلْمَ كُلَّهُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ ، فَمَا مِنْ عَالِمٍ إِلَّا وَفَوْقَهُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ فَاللهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وَقَالَ ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ ، وَقَالَ ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ .

وَقَلَّمَا تَجَدُّ مُعْجَبًا بِعِلْمِهِ شَامِخًا بَأَنفِهِ إِلَّا وَهُوَ قَلِيلُ الْعِلْمِ ضَعِيفُ الْعَقْلِ لِأَنَّهُ يَجْهَلُ قُدْرَهُ وَيَحْسِبُ أَنَّهُ نَالَ مِنْهُ أَكْثَرَهُ ، وَاللَّهُ يَقُولُ ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قَالَ : وَمِنْهَا أَنْ لَا يَبْخُلَ بِتَعْلِيمِ مَا يَحْسُنُ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ إِفَادَةِ مَا يَعْلَمُ فَإِنَّ الْبُخْلَ بِهِ ظُلْمٌ وَلُؤْمٌ وَالْمَنَعُ مِنْهُ إِثْمٌ .

قال تعالى ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا
 تَكْتُمُونَهُ﴾ ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تَمْنَعُوا
 الْعِلْمَ أَهْلَهُ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ فَسَادَ دِينِكُمْ وَالتَّبَاسُ بِصَائِرِكُمْ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿إِنَّ
 الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي
 الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا
 وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ .
 قال ابن كثير على هذه الآية هذا وعيدٌ شديدٌ لِمَنْ كَتَمَ مَا جَاءَتْ بِهِ
 الرُّسُلُ مِنَ الدَّلَالَاتِ الْبَيِّنَةِ عَلَى الْمَقَاصِدِ الصَّحِيحَةِ وَالْهُدَى النَّافِعِ
 لِلْقُلُوبِ مِمَّا بَيَّنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ فِي كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ أَهـ .
 وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ .
 وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ لَوْلَا آيَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا
 حَدَّثْتُ أَحَدًا شَيْئًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾
 الْآيَةُ وَمِمَّا يَحْسُنُ بِالذَّاعِي وَالْمُرْشِدِ ، أَنْ يَتَحَلَّى بِالْوَرَعِ بِاتَّقَاءِ
 الشُّبُهَاتِ ، وَالبُعْدِ مِنْ مَوَاضِعِ الرِّيْبَةِ ، وَمَسَالِكِ التُّهْمَةِ .
 فَإِنَّ ذَلِكَ أَبْرَأُ لِدِينِهِ ، وَأَسْلَمُ لِعَرْضِهِ ، وَأَدْعَى إِلَى الْإِنْقِيَادِ لَهُ لِأَنَّ
 حَالَ الدَّاعِي يُؤَثِّرُ فِي الْقُلُوبِ أَكْثَرَ مِنْ مَقَالِهِ ، فَإِذَا كَانَ وَرِعًا تَقِيًّا مُتَجَنِّبًا
 مَا فِيهِ شُبُهَةٌ اقْتَدَى بِهِ النَّاسُ ، وَأَحْبَبُوهُ وَقَبِلُوا وَعَظَّمُوهُ ، وَإِرْشَادُهُ ، وَهَكَذَا
 كَانَتْ صِفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَصْحَابِهِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ
 وَاحْذَرِ يَا أَخِي كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ احْتِكَارِ الْكُتُبِ الدِّينِيَّةِ الْمُحْتَوِيَةِ عَلَى قَوْلِ
 اللَّهِ قَالَ رَسُولُهُ وَأَخِذْ شَيْءًا مِنَ الدُّنْيَا بِهَا بِاسْمِ تَحْقِيقٍ أَوْ نَشْرِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ
 النَّاسِ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

ففي صحيح البخاري من حديث أنس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بتمرّة ساقطة فقال « لو لا أن تكون من الصدقة لأكلتها ، وقدم على عمر مسك وعنبر من البحرين فقال ، والله لو ددت أني وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا جيده الوزن فانا أزن لك قال لا ، فقالت لم ، قال لأنني أخشى أن تأخذه ، فتجعليه هكذا ، وأدخل أصابعه في صدغيه وتمسحي به في عنقك فأصيب فضلاً من المسلمين .

وكان يؤزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فسد أنفه بيده ، حتى لا تصيبه الرائحة ، وقال وهل ينتفع منه إلا بريجه ، قال ذلك لما استبعد ذلك منه ، وهذا من ورع المتقين .

قلت ومما ينبغي أن يتصف به أيضا قطع العلائق حتى لا يكثر خوفه ، ويقطع الطمع عن الخلائق فلا يكون له عندهم حاجة تدله لهم ، وتدعوه إلى المداينة ، والاغضاء عن أعمالهم القبيحة ، وهذه طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قال الله تعالى ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ .

وروي عن بعض الحذاق أنه كان له كلب وله صديق قصاب يأخذ منه لكلبه بعض السواقط ، فرأى على القصاب منكراً يتعاطاه ، وقال لا بد أن أبرني ذمتي وأنصحته ، ولكن أبداً أولاً بقطع الطمع فدخل البستان وأخرج الكلب وطرده ثم جاء واحتسب على القصاب ونصحته وأغلظ عليه فقال له القصاب سوف لا أعطيك لكلبك شيئاً أبداً فقال أنا حاسب لهذا الكلام ما أتيتك إلا بعد أن طردت الكلب عن بستاني .

فَمَنْ لَمْ يَقْطَعْ الطَّمَعُ ، وَيَسُدُّ بَابَهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحِسْبَةِ ، قُلْتُ
وَمِثْلُهُ عِنْدِي فِي الْغَالِبِ مَنْ يُوَالِي الْعَطَاءَ عَلَى انْسَانٍ فَيَبْعُدُ إِذَا رَأَهُ صَدَرَ
مِنْهُ مَعْصِيَةٌ أَوْ مَعْصِيَةٌ أَنَّهُ يَنْصَحُهُ أَوْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يَرْجُوهُ وَيَخَافُهُ يَرْجُو
الصِّلَةَ وَيَخَافُ قَطْعَهَا وَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّهُ أَقْدَمَ عَلَى ذَلِكَ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ فَيَبْعُدُ
أَيْضاً قَبُولُ صَاحِبِ الْفَضْلِ لِلنَّصِيحَةِ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ الْمُنْتَظَرِ لِمَا فِي
يَدِهِ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَصْمَةَ .

وَكَمْ ضَلَّ عَنْ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ أَنْاسٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِسَبَبِ مُدَاهَنَةِ
الْمُدَاهِنِ وَتَغْرِيرِهِ لَهُمْ ، هَذِهِ قِيَمَةُ النَّاصِحِ ، وَالْمُدَاهِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ
الصَّادِقِ الْإِيمَانِ وَلَكِنْ نَرَى النَّاسَ الْيَوْمَ عَكَسُوا الْأَمْرَ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ ، لَا
مُنْتَهَى لِحُبِّهِمْ مَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ ذَنْبًا عَظِيمًا ، وَلَا
غَايَةَ لِبُغْضِهِمْ مَنْ أَرَشَدَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَرُبَّمَا هَجَرُوهُ جَزَاءَ نَصِيحِهِ
وَأَمَّا الْمُدَاهِنُ وَالْمُتَمَلِّقُ الْمُنَافِقُ ذُو الْوَجْهَيْنِ فَبِكَلِمَةٍ مِنْ مُدَاهَنَاتِهِ ، أَوْ
وَشَايَاتِهِ أَوْ تَمَلُّقَاتِهِ أَوْ كَذَابَاتِهِ يَمْلِكُ قُلُوبَ الْكَثِيرِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ وَقَدْ
يُرْفَعُ وَيُقَدَّرُ مَنْ اتَّصَفَ بِالصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ كَمَا قِيلَ :

(مَتَى مَا تُدَاهِنُ أَوْ تَكُنْ ذَا تَمَلُّقٍ
وَنَمٍ وَبَهْتٍ تَحْتَطِبُكَ الْمَرَاتِبُ)
(وَأَنْ تَجْمَعَ الْإِحْلَاصَ وَالصِّدْقَ وَالْوَفَا
وَعِلْمًا وَجِلْمًا تَجْتَنِّبُكَ الْمَنَاصِبُ)

آخر :

لَا تُنْكِرِي يَا عَزُّ إِنَّ ذُلَّ الْفَتَى ذُو الْأَصْلِ وَاسْتَوْلَى لَيْمُ الْمُحْتَدِ
إِنَّ الْبُرْزَةَ رُؤُسُهُنَّ عَوَاطِلُ وَالتَّاجُ مَعْقُودٌ بِرَأْسِ الْهُدُ هُدِ

اللهم هَبْ لَنَا مِنْ جَزِيلِ عَطَائِكَ وَوَفِّقْنَا لِلْسَّعَادَةِ بِلِقَائِكَ وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِالزِّيَادَةِ مِنْ نِعَمَائِكَ وَآلَائِكَ وَاجْعَلْ لَنَا نُوراً فِي حَيَاتِنَا وَنُوراً فِي مَمَاتِنَا وَنُوراً فِي قُبُورِنَا وَنُوراً فِي حَشَرِنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَخْصَرِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ عَمَلُهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدِّينُ النَّصِيحَةُ وَمَحَبَّتُهُ لِلنَّاصِحِينَ ، وَكُلَّمَا اجْتَهِدَ الْمُسْلِمُ وَبَالَغَ فِي النَّصِيحَةِ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ قَوِيَتْ مَحَبَّتُهُ فِي قُلُوبِ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ .
وَأَمَّا الْمُدَاهِنُ وَالْمُتَمَلِّقُ الَّذِي يُحَسِّنُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَالَهُ ، وَلَوْ كَانَتْ حَالُهُ أَجْرَامٍ وَفَسَادٍ ، فَهَذَا يَنْفَرُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَا يُحِبُّونَهُ وَيَرَوْنَ صِدَاقَتَهُ مُصِيبَةً ، وَبَلِيَّةً ، فَلِذَا يَبْتَغِدُونَ عَنْهُ كُلَّ الْبُعْدِ .

لِأَنَّهُ إِنْ صَحِبَ مُسْتَقِيمًا أُدْخِلَ عَلَيْهِ الْعُجْبَ فِي عَمَلِهِ ، وَخِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ صَفْوَةِ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ ، فَيَغُرُّهُ بِنَفْسِهِ وَالْمَرْءُ إِذَا اغْتَرَّ هَوِيَّ فِي هَوَاةِ الْأَشْقِيَاءِ وَإِذَا صَحِبَ الْمُدَاهِنُ الْمُتَمَلِّقُ مُعَوَّجًا زَادَ اعْوَجَاجَهُ حَيْثُ أَنَّهُ يُفْهِمُهُ بِمُدَاهَنَتِهِ أَنَّهُ مِنْ خِيَارِ الْفُضَلَاءِ وَمِنْ الْأَجْلَاءِ النَّبَلَاءِ .

وَمَتَى فَهِمَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ اسْتَمَرَّ وَتَمَادَى فِي اعْوَجَاجِهِ ، وَقَوِيَتْ وَتَمَكَّنَتْ مِنْهُ الْأَخْلَاقُ الْفَاسِدَةُ ، وَمَاتَ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الشَّيْئَةِ ،
وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ النَّاصِحُ الْمُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَيُفْهِمُ الْمُتَهَذَّبَ الْمُتَنَوِّرَ أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ كَمَالُهُ أَنَّهُ مُقَصَّرٌ فِي شُكْرِ مَوْلَاهُ الَّذِي جَعَلَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ وَلَمْ

يَجْعَلُهُ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَوَفَّقَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالْحَوَاسِ
الْخَمْسِ وَغَيْرِهَا وَوَهَبَهُ الْعَقْلَ ، وَسَائِرَ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ ، وَلَا تُحْصَى .

وَمَتَى فَهِمَ أَنَّهُ مُقَصِّرٌ ، حَمِدَ مَوْلَاهُ وَشَكَرَهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ ، وَجَدَّ
وَاجْتَهَدَ فِيمَا بِهِ رُقِيَّتُهُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ وَإِنْ رَأَى مُعْوجًا أَفْهَمَهُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ
نَقْصٍ وَوَضَّحَ لَهُ عُيُوبَهُ ، وَمَا بَعْدَهُ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَحَثَّهُ عَلَى
الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ وَالسَّعْيِ إِلَى مَعَالِي الْأَخْلَاقِ .

وَمَتَى عَرَفَ الْعَاقِلُ نَقْصَهُ ، وَأَنَّ الضَّرَرَ عَائِدٌ إِلَيْهِ ، أَقْلَعَ عَنْهُ ،
وَأَصْبَحَ مِنَ الْمُهَذَّبِينَ الْمُتَنَوِّرِينَ ، الصَّاعِدِينَ إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ ، فَكَمْ
اهْتَدَى بِإِذْنِ اللَّهِ بِسَبَبِ الْمُؤْمِنِ النَّاصِحِ مِنْ أَنْاسٍ قَدْ تَاهَوْا وَتَمَادَوْا فِي
الضَّلَالِ .

وَاسْمَعْ إِلَى قَوْلِ الْإِمَامِ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا ذَكَرَ نُفَاةَ الصِّفَاتِ
أَهْلَ الْبِدْعِ وَخَيْرَتَهُمْ وَشُبُهَاتِهِمْ وَشُكُوكَهُمْ وَأَنَّهُ جَرَّبَ ذَلِكَ وَأَنَّهُ وَقَعَ فِي
بَعْضِ تِلْكَ الشِّبَاكِ وَالْمَصَايِدِ حَتَّى أَتَاكَ لَهُ الْمَوْلَى بِفَضْلِهِ مَنْ نَشَلَهُ
وَأَوْضَحَ لَهُ تِلْكَ الشُّبُهَةَ وَازَاخَ عَنْهُ تِلْكَ الشُّكُوكَ وَهُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِنِ
تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ فِي النُّوْبَةِ :

يَا قَوْمُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ نَصِيحَةٌ
مِنْ مُشْفِقٍ وَأَخٍ لَكُمْ مِعْوَانٍ
جَرَّبْتُ هَذَا كُلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي
تِلْكَ الشِّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيْرَانٍ
حَتَّى أَتَاكَ إِلَيَّ الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ
مَنْ لَيْسَ تَجْزِيهِ يَدَيَّ وَلِسَانِي

حَبْرًا أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فِيهَا
 أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَّانٍ
 فَالِلَّهِ يَجْزِيهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ
 مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ
 أَخَذَتْ يَدَاهُ يَدَيَّ وَسَارَ فَلَمْ يَرَمْ
 حَتَّى أَرَانِي مَطْلَعِ الْإِيمَانِ
 وَرَأَيْتُ أَعْلَامَ الْمَدِينَةِ حَوْلَهَا
 نَزَلَ الْهُدَى وَعَسَاكِرَ الْقُرْآنِ
 وَرَأَيْتُ أَثَارًا عَظِيمًا شَأْنُهَا
 مَحْجُوبَةً عَنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
 وَوَرَدَتْ رَأْسَ الْمَاءِ أُبَيْضَ أَفْيَا
 حَضْبَاؤُهُ كَلَالِيءِ التَّيْجَانِ
 وَرَأَيْتُ أَكْوَابًا هُنَاكَ كَثِيرَةً
 مِثْلَ النُّجُومِ لِوَارِدِ ظُمَانِ
 وَرَأَيْتُ حَوْضَ الْكَوْثَرِ الصَّافِي الَّذِي
 لَا زَالَ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ
 مِيزَابُ سِنِّيهِ وَقَوْلُ إِلَهِهِ
 وَهُمَا مَدَى الْأَزْمَانِ لَا يَنْيَانِ
 وَالنَّاسُ لَا يَرُدُّونَهُ إِلَّا مِنْ أَلِ
 آلَافٍ أَفْرَادُ ذَوُوا إِيْمَانِ

اللهم أرزقنا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى

حُبِّكَ اللَّهُمَّ أَهْمُنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفْقُنَا لِامْتِثَالِ أَمْرِكَ واجْتِنَابِ نَهْيِكَ
وَإِغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي ذِكْرِ نَمَازِجٍ مِنْ صَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

وَمِنْ تَحْمُلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلشَّدَائِدِ وَالْأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى
اللَّهِ مَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَقَدْ أُؤْذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ ، وَأَخِيفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ
أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أَتْتُ عَلِيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَمَالِي وَلِبْلَالٍ مَا يَأْكُلُهُ
ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا يُوَارِي إِبْطُ بِلَالٍ خَرَجَهُ أَحْمَدُ .

وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا ابْنَ
أَخِي إِنْ قَوْمَكَ قَدْ جَاؤُنِي وَقَالُوا كَذًا وَكَذًا فَأَبْقِ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا
تَحْمِلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أَطِيقُ أَنَا وَلَا أَنْتَ ، فَاكْتَفَفْتُ عَنْ قَوْمِكَ مَا يَكْرَهُونَ
مِنْ قَوْلِكَ ، فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ قَدْ بَدَأَ لِعَمِّهِ فِيهِ ،
وَأَنَّهُ خَاذِلُهُ ، وَمُسَلِّمُهُ ، وَضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ مَعَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَمُّ لَوْ وُضِعَتِ الشَّمْسُ
فِي يَمِينِي وَالْقَمَرُ فِي يَسَارِي ، مَا تَرَكْتُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ ، أَوْ
أَهْلِكَ فِي طَلَبِهِ ، ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَكَى ،
فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لَهُ حِينَ رَأَى مَا بَلَغَ الْأَمْرُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يا ابن أخي فأقبل عليه فقال امض لأمرِكَ وافعل ما أَحَبَّبتَ فوالله لا
أَسَلِّمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا .

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن جعفر ، قال لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَفِيَّةٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ فَأَلْقَى
عَلَيْهِ تُرَابًا ، فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ تَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ
وَتَبْكِي ، فَجَعَلَ يَقُولُ أَيُّ بُنْيَةٍ لَا تَبْكِينَ فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ أَبَاكَ ، ويقولُ مَا بَيْنَ
ذَلِكَ مَا نَالَتْ قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ثُمَّ شَرَعُوا .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة قال لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
تَجَهَّمُوا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ يَا عَمُّ مَا أَسْرَعَ مَا وَجَدْتُ
فَقَدْكَ ، وأخرج الطبراني عن الحارث بن الحارث قُلْتُ لِأَبِي مَا هَذِهِ
الْجَمَاعَةُ قَالَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ اجْتَمَعُوا عَلَى صَابِيٍّ لَهُمْ فَتَنَّا فإِذَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِيمَانِ بِهِ
وَهُمْ يَرُدُّونَ عَلَيْهِ وَيُؤْذُونَهُ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ ، وَأَنْصَدَعَ النَّاسُ عَنْهُ
أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ قَدْ بَدَأَ نَحْرُهَا تَحْمِلُ قَدْحًا وَمِنْدِيلًا فَتَنَاوَلَهُ مِنْهَا فَشَرِبَ ،
وَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ يَا بُنْيَّةَ خَمِرِي عَلَيْكَ نَحْرُكَ وَلَا تَخَافِينَ عَلَى
أَبْنِكَ ، قُلْنَا مَنْ هَذِهِ قَالُوا هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ عَنْهَا قَالَ الْهَيْثَمِيُّ
رِجَالَهُ ثَقَاتٌ .

وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو رضي
الله عنه قال قُلْتُ لَهُ مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا كَانَتْ تُظْهَرُ مِنْ عَدَوَاتِهِ قَالَ حَضَرْتُهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ
أَشْرَافُهُمْ فِي الْحِجْرِ .

فَقَالُوا مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ ، سَفَّهُ
أَحْلَامَنَا ، وَشَتَمَ آبَاءَنَا ، وَعَابَ دِينَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَاتِنَا ، وَسَبَّ آلِهَتَنَا ، لَقَدْ
صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ ، أَوْ كَمَا قَالُوا .

قَالَ فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَقْبَلَ الرُّكْنَ ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ ، فَلَمَّا مَرَّ
بِهِمْ غَمَزُوهُ : - أَيِ أَشَارُوا إِلَيْهِ - يَبْغُضُ مَا يَقُولُ قَالَ ، فَتَرَفْتُ ذَلِكَ فِي
وَجْهِهِ .

ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ بِمِثْلِهَا فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ مَضَى
فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّلَاثَةَ فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَقَالَ أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَمَّا
وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ ، فَأَخَذْتُ الْقَوْمَ كَلِمَتَهُ ،
حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانَ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ
وَضَاءَةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرَفُوهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى لَيَقُولُ انْصَرِفْ يَا
أَبَا الْقَاسِمِ ، انْصَرِفْ رَاشِدًا فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ جَهُولًا .

فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ
اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ
وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ حَتَّى إِذَا بَادَاكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ
إِذَا طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَثَبَةً رَجُلٍ
وَاحِدٍ فَأَطَافُوا بِهِ يَقُولُونَ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ مِنْ
غَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ .

قَالَ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ

ذَلِكَ ، قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَهُ يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ لِأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ .

وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَعَلَ يُنَادِي وَيَلْكُمُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ، فَقَالُوا مَنْ هَذَا فَقَالُوا أَبُو بَكْرٍ الْمَجْنُونُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَهَوَ بِأَبِي بَكْرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ قَالَتْ فَرَجَعَ إِلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ لَا يَمَسُّ شَيْئًا مِنْ غَدَائِرِهِ - أَيِ جَدَائِلِهِ إِلَّا جَاءَ مَعَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

وَأَخْرَجَ الْبَزَارُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ خَطَبَهُمْ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ ، فَقَالُوا أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ أَمَّا أَنَا مَا بَارَزَنِي أَحَدٌ إِلَّا أَتَتْصَفْتُ مِنْهُ ، وَلَكِنْ هُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّا جَعَلْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشًا فَقُلْنَا مَنْ يَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِئَلَّا يَهْوِيَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَاهِرًا بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَهْوَى إِلَيْهِ فَهَذَا أَشْجَعُ النَّاسِ .

قَالَ وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَتْهُ قُرَيْشُ

فَهَذَا يُحَادُّهُ وَهَذَا يُتَلْتِلُهُ وَيَقُولُونَ أَنْتَ جَعَلْتَ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ يَضْرِبُ هَذَا وَيُجَاهِدُ هَذَا وَيُتَلْتِلُ هَذَا ، وَهُوَ يَقُولُ وَيَلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا يَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ .

ثُمَّ رَفَعَ عَلَى بُرْدَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ فَبَكَى حَتَّى اخْضَلَ لِحْيَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ أَنْشِدُكُمْ اللَّهَ أُمُومِنُ آلِ فِرْعَوْنَ خَيْرٌ أَمْ هُوَ ، فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَوَاللَّهِ لَسَاعَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ ، ذَاكَ رَجُلٌ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، وَهَذَا رَجُلٌ أَعْلَنَ إِيمَانَهُ الْحَدِيثُ ، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو مُحَجَّجٍ الثَّقَفِيُّ :

وَسُمِّيتَ صِدِّيقًا وَكُنْتَ مُهَاجِرًا سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرُ مُنْكَرٍ
وَبِالْغَارِ إِذْ سُمِّيتَ بِالْغَارِ صَاحِبًا وَكُنْتَ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ
سَبَقْتَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ شَاهِدٌ وَكُنْتَ جَلِيسًا بِالْعَرِيشِ الْمُشَهَّرِ
اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا سَبِيلَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا
وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ الْعُظْمَى لَنَا سَنَدًا وَاحْشُرْنَا إِذَا تَوَفَّيْتَنَا مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ أَبِي
الْعَاصِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ
بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُصَلِّي فِي جَبْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى
عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا .

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ

صلى الله عليه وسلم ، وقال أَتُقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم الآية .

وعند ابن أبي شيبه عن عروة بن العاص رضي الله عنه قال : ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم إلا يوماً ائتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام ، فقام إليه عقبه بن أبي معيط فجعل رداءه في عنقه ثم جذبته حتى وجب لركبته ساقطاً ، وتصايح الناس فظنوا أنه مقتول .

فأقبل أبو بكر رضي الله عنه يشتد حتى أخذ بضبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه وهو يقول « أَتُقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي الله » الحديث .

وأخرج البراز والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وأبو جهل وشيبة وعقبة أبناء ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأميه ابن خلف ورجلان آخران كانوا سبعة ؛ وهم في الحجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سجد أطل السجود .

فقال أبو جهل أيكم يأتي جزور بني فلان فيأتينا بفرثها فنكفئه على محمد صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت أشقاها عقبة ابن أبي معيط فأتى به فآلقاه على كتفيه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد قال ابن مسعود وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلّم ، ليس عندي منعة تمنعني ، إذ سمعت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت حتى ألقّت ذلك عن

عَاتِقَهُ .

ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ قُرَيْشًا تَسُبُّهُمْ فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا شَيْئًا ، وَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ كَمَا كَانَ يَرْفَعُ عِنْدَ تَمَامِ السُّجُودِ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ ، قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثًا ، عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ ، وَعُقْبَةَ ، وَأَبِي جَهْلٍ وَشَيْبَةَ .

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِيَهُ أَبُو الْبُخْتَرِيُّ بِسُوطٍ يَتَخَصَّرُ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْكَرَ وَجْهَهُ فَقَالَ مَا لَكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَّ عَنِّي قَالَ عَلِمَ اللَّهُ لَا أُخْلِي عَنْكَ ، أَوْ تُخْبِرُنِي مَا شَأْنُكَ ، فَلَقَدْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ غَيْرُ حَمَلٍ عَنْهُ أَخْبَرَهُ .

فَقَالَ إِنَّ أَبَا جَهْلٍ أَمَرَ فَطْرِحَ عَلَيَّ الْفَرْتِ ، فَقَالَ أَبُو الْبُخْتَرِيُّ هَلُمَّ إِلَى الْمَسْجِدِ فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو الْبُخْتَرِيُّ فَدَخَلَا الْمَسْجِدَ .

ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو الْبُخْتَرِيُّ إِلَى أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَكَمِ أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَ بِمُحَمَّدٍ فَطْرِحَ عَلَيْهِ الْفَرْتِ ، قَالَ نَعَمْ قَالَ فَرَفَعَ السُّوطَ فَضْرَبَ بِهِ رَأْسَهُ قَالَ فَثَارَ الرِّجَالُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ وَصَاحَ أَبُو جَهْلٍ وَيَحْكُمُ هِيَ لَهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُلْقِيَ بَيْنَنَا الْعَدَاوَةَ ، وَيَنْجُو هَوَ وَأَصْحَابُهُ الْحَدِيثَ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ حَلِيفِ بَنِي زُهْرَةَ مُرْسَلًا ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ اعْتَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّفَا فَاذَاهُ .

وَكَانَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبَ قَنْصٍ ، وَصَيْدٍ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ فِي قَنْصِهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَا أَبَا عِمَارَةَ لَوْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ تَعْنِي أَبَا جَهْلٍ بَابِنِ أَخِيكَ ، فَغَضِبَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَضَى كَمَا هُوَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ .

وَهُوَ مُعَلِّقٌ قَوْسَهُ فِي عُنُقِهِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَ أَبَا جَهْلٍ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ فَلَمْ يُكَلِّمَهُ حَتَّى عَلَا رَأْسُهُ بِقَوْسِهِ ، فَشَجَّهُ فَقَامَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى حَمْزَةَ يُمَسِّكُونَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ حَمْزَةُ دِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَتْنِي عَنْ ذَلِكَ ، فَاْمْنَعُونِي مِنْ ذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَزَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَثَبَتَ لَهُمْ بَعْضُ أَمْرِهِمْ ، وَهَابَتْ قُرَيْشٌ وَعَلِمُوا أَنَّ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيَمْنَعُهُ ، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ وَرِجَالَهُ ثَقَاتٌ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ وَمَاتَ أَبُو طَالِبٍ وَازْدَادَ مِنَ الْبَلَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِدَّةٍ ، فَعَمِدَ إِلَى ثَقِيفٍ يَرْجُو أَنْ يُؤْوُوهُ وَيَنْصُرُوهُ ، فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ ، سَادَةً ثَقِيفٍ ، وَهُمْ أَخُوَةُ عَبْدِ يَالِيلٍ بْنِ عَمْرٍو ، وَحَبِيبُ ابْنِ عَمْرٍو ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، وَشَكَا إِلَيْهِمُ الْبَلَاءَ ، وَمَا انْتَهَكَ قَوْمُهُ مِنْهُ .

فَقَالَ أَحَدُهُمْ أَنَا أُسْرِقُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ بِعَثْكَ بِشَيْءٍ قَطُّ ،
وَقَالَ آخَرُ وَاللَّهِ لَا أَكَلِمَكَ بَعْدَ مَجْلِسِكَ هَذَا كَلِمَةً وَاحِدَةً أَبَدًا لِأَنَّ كُنْتَ
رَسُولًا لَأَنْتَ أَعْظَمُ شَرَفًا وَحَقًّا مِنْ أَنَّ أَكَلِمَكَ . وَقَالَ الْآخَرُ أَعْجَزَ اللَّهُ أَنْ
يُرْسِلَ غَيْرَكَ .

وَأَفْشَوْا ذَلِكَ فِي ثِقِيفِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ ، وَاجْتَمَعُوا يَسْتَهْزِؤْنَ بِرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَعَدُوا لَهُ صَفَيْنَ عَلَى طَرِيقَةٍ ، فَأَخَذُوا
بِأَيْدِيهِمُ الْحِجَارَةَ فَجَعَلَ لَا يَرْفَعُ رِجْلَهُ وَلَا يَضَعُهَا إِلَّا رَضَخُوهَا بِالْحِجَارَةِ ،
وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَهْزِؤْنَ وَيَسْخَرُونَ .

فَلَمَّا خَلَصَ مِنْ صَفْيِهِمْ وَقَدَمَاهُ تَسِيلَانِ بِالدَّمَاءِ ، عَمِدَ إِلَى حَائِطٍ
مِنْ كُرُومِهِمْ فَأَتَى حَبْلَةً مِنَ الْكُرْمِ فَجَلَسَ فِي أَصْلِهَا مَكْرُوبًا مُوجَعًا تَسِيلُ
قَدَمَاهُ الدَّمَاءَ فَإِذَا فِي الْكُرْمِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةُ ابْنُ رَبِيعَةَ فَلَمَّا أَبْصَرَهُمَا
كَرِهَ أَنْ يَأْتِيَهُمَا لِمَا عَلِمَ مِنْ عَدَاوَتِهِمَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَبِهِ الَّذِي بِهِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ
غُلَامَهُمَا عَدَّاسًا بَعْنَبٍ وَهُوَ نَصْرَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى ، فَلَمَّا أَتَاهُ وَضَعَ
الْعِنَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسْمِ اللَّهِ فَعَجِبَ عَدَّاسُ ،
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ
قَالَ أَنَا مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ
يُونُسُ بْنُ مَتَّى ، فَقَالَ لَهُ عَدَّاسُ وَمَا يُدْرِيكَ مَنْ يُونُسُ بْنُ مَتَّى ، فَأَخْبَرَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَأْنِ يُونُسَ مَا عَرَفَ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحْقِرُ أَحَدًا يُبَلِّغُهُ رِسَالَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي خَيْرَ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَأْنِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ خَرَّ سَاجِدًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ جَعَلَ يَقْبَلُ قَدَمَيْهِ وَهُمَا تَسِيلَانِ الدَّمَاءَ . فَلَمَّا أَبْصَرَ عُتْبَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةَ مَا فَعَلَ غُلَامُهُمَا سَكَنًا ، فَلَمَّا أَتَاهُمَا قَالَا لَهُ مَا شَأْنُكَ سَجَدْتَ لِمُحَمَّدٍ وَقَبَّلْتَ قَدَمَيْهِ ، وَلَمْ نَرَكَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَحَدِنَا .

قَالَ هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ حَدَّثَنِي عَنْ أَشْيَاءَ عَرَفْتُهَا مِنْ شَأْنِ رَسُولِ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْنَا يُدْعَى يُونُسُ بْنُ مَتَّى فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَضَجَّكَ وَقَالَ لَا يَفْتِنُكَ عَنْ نَصْرَانِيَّتِكَ إِنَّهُ رَجُلٌ يَخْدَعُ ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ انْتَهَى .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ لَوْ رَأَيْتُنِي وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ صَعَدَ الْغَارَ فَأَمَّا قَدَمَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَقَطَّرَتَا ، وَأَمَّا قَدَمَايَ فَعَادَتْ كَأَنَّهُمَا صَفْوَانٌ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَعَوَّذْ الْحُفْيَةَ .

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ فَجَعَلَ يَسِيلُ الدَّمُ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ، فَتَزَلُ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الْآيَةُ .

وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَصِيبَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَاسْتَقْبَلَهُ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ فَمَضَى جُرْحَهُ ثُمَّ ازْدَرَدَهُ - أَيِ ابْتَلَعَهُ ! قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ خَالَطَ دَمَهُ دَمِي فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ .

وَأَخْرَجَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا ذَكَرَ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ ذَاكَ يَوْمٌ كُتِلَ لِبَطْلِحَةٍ ثُمَّ أُنْشَأَ يُحَدِّثُ قَالَ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَأَ يَوْمَ أُحُدٍ فَرَأَيْتُ رَجُلًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُونَهُ ، وَارَاهُ قَالَ حَمِيَّةً ، قَالَ فَقُلْتُ كُنْ طَلْحَةَ حَيْثُ فَاتَنِي مَا فَاتَنِي فَقُلْتُ يَكُونُ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي أَحَبُّ إِلَيَّ . وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ رَجُلًا لَا أَعْرِفُهُ وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ وَهُوَ يَخْطِفُ الْمَشْيَ خَطْفًا لَا أَخْطِفُهُ .

فَإِذَا هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ ، وَقَدْ دَخَلَ فِي وَجْنَتِهِ حَلَقَتَا مِنْ حَلْقِ الْمَغْفَرِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمَا صَاحِبُكُمَا يُرِيدُ طَلْحَةَ ، وَقَدْ نَزَفَ فَلَمْ نَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ ، قَالَ وَذَهَبْتُ لِأَنْزِعَ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِهِ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَّا تَرَكَتَنِي فَتَرَكْتُهُ . فَكَرَهُ تَنَاوُلَهَا بِيَدِهِ فَيُوْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَزَمَ عَلَيْهَا

بفيه أي عَضُّ عليها ، فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيتُهُ مع الحلقة
وذهبتُ لأصنع ما صنع فقال أقسمتُ عليك بحقي لِمَا تركتني قال ففعلَ مثلَ ما
فعلَ في المرَّة الأولى فوقعت ثنيتُهُ الأخرى مع الحلقة .

فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ هَتَمًا فَأُصْلَحْنَا مِنْ
شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَتَيْنَا طَلْحَةَ فِي بَعْضِ
الْجِفَارِ ، فَإِذَا بِهِ بِضْعُ وَسَبْعُونَ طَعْنَةً وَرَمِيَّةً وَضَرْبَةً وَإِذَا قَدْ قُطِعَتْ أَصْبُعُهُ
فَأُصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِهِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا ، وَارْزُقْنَا مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ
وَأَصْفِيَائِكَ واجْمَعْنا وإياهم في دَارِ كَرَامَتِكَ ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَصَّهُ بِمَزَايَا
لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا خَيْرَ النَّاسِ مِنْ خَلْقِهِ ،
وَخَصَّهُمْ بِمَزَايَا لَمْ تَكُنْ لِسُوءَاهُمْ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، حَاشَا الْأَنْبِيَاءَ
وَالْمُرْسَلِينَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ ، سُبْحَانَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَنْبِيْهَا
عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِمْ ، وَعُلُوِّ مَنَزِلَتِهِمْ ، وَعِظَمِ فَضْلِهِمْ ، وَشَرَفِهِمْ . قَالَ تَعَالَى
﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى يَصِفُهُمْ بِشِدَّةِ الرَّحْمَةِ وَلَيْنِ الْجَانِبِ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا
وَشِدَّةِيهِمْ عَلَى الْكُفَّارِ الْمُعَانِدِينَ ، «مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ وَرُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .

وَقَالَ تَعَالَى يَصِفُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِأَفْضَلِ مَا يَصِفُ بِهِ إِنْسَانًا
« لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا
الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ،
وَلَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ أَصْبَرُ النَّاسِ بَعْدَ الرَّسُولِ عَلَى الْأَذَى فِي اللَّهِ فَلَقَدْ
أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَصَبَّ عَلَيْهِمُ الْأَذَى
مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا إِيْمَانًا قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ
النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ .

﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ
يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ ﴾ ا الآية .

وَإِذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَرْفَعَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ
وَالْمُرْسَلِينَ دَرَجَةً وَأَعْلَاهُمْ مَكَانًا بِشَهَادَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَا عَجَبَ أَنْ يُعْلِنَ
الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَضْلِهِمْ وَيُحَذِّرُ مِنْ سَبِّهِمْ وَمَقْتِهِمْ ،
وَيَقُولُ فِيمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ « اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا
بِعَدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ ،
وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ » .

وَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي قَوْلَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ ،
فَأَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَشُكُّ عَاقِلٌ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِي حَازُوا
قَصَبَاتِ السَّبْقِ ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى مَعَالِي الْأُمُورِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ
وَالصِّدْقِ وَالْعِفَّةِ ، وَالكَرَمِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالْقِنَاعَةِ ، وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ،
وَالنِّزَاهَةِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَالتَّقَى وَالتَّوَاضُّعِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

فَالسَّعِيدُ مَنْ اتَّبَعَ طَرِيقَهُمْ ، وَاقْتَفَى مِنْهُمْ الْقَوِيمَ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ
عَدَلَ عَنْ طَرِيقِهِمْ ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ بِتَحْقِيقِهِمْ ، فَأَيُّ خِطَّةٍ رُشِدِهِمْ لَمْ يَسْتَوْلُوا
عَلَيْهَا ، وَأَيُّ خَصْلَةٍ خَيْرٍ لَمْ يَسْبِقُوا إِلَيْهَا ، لَقَدْ وَرَدُوا يَنْبَوَعَ الْحَيَاةِ عَذْبًا
صَافِيًا زُلَالًا . وَوَطَّدُوا قَوَاعِدَ الدِّينِ ، وَالْمَعْرُوفِ فَلَمْ يَدْعُوا لِأَحَدٍ بَعْدَهُمْ
مَقَالًا .

فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْقُرْآنِ ، وَالذِّكْرَ وَالْإِيمَانَ ، وَالْقُرَى بِالسِّيفِ
وَالسِّنَانِ . وَبَذَلُوا النُّفُوسَ النَّفِيسَةَ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ ، فَلَا مَعْرُوفَ إِلَّا مَا
عُرِفَ عَنْهُمْ ، وَلَا بُرْهَانَ إِلَّا مَا بِعُلُومِهِمْ كُشِفَ ، وَلَا سَبِيلَ نَجَاةٍ إِلَّا مَا
سَلَكَوْهُ وَلَا خَيْرَ سَعَادَةٍ إِلَّا مَا حَقَّقُوهُ وَحَلَّوْهُ فِرْضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، مَا تَحَلَّتْ
الْمَجَالِسُ بِنَشْرِ ذِكْرِهِمْ ، وَمَا تَنَمَّقَةَ الطُّرُوسُ بِعَرَفِ مَدَحِهِمْ وَشُكْرِهِمْ :

وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ	بِالْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِصَابَةِ
فَإِنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا الْمُخْتَارَ	وَعَايَنُوا الْأَسْرَارَ وَالْأَنْوَارَ
وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَتَّى بَانَا	دِينَ الْهُدَى وَقَدْ سَمَا الْأَذْيَانَا
وَقَدْ تَلَّى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ	مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي مِنْ غَلِيلِ
وَفِي الْأَحَادِيثِ وَفِي الْأَخْبَارِ	وَفِي كَلَامِ الْقَوْمِ وَالْأَشْعَارِ
مَا قَدَرْنَا مِنْ أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي	بِبَعْضِهِ فَاسْمَعْ وَخُذْ مِنْ عِلْمِي

آخر:

قَوْمٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّ الْعَرْشِ مَنْزِلَةٌ
فَارُؤُوا بِصُحْبَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ وَاتَّصَفُوا
فَفِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَدْ وَرَدَتْ
وَبَعْدَهُ عُمَرُ الْفَارُوقُ صَاحِبُهُ
وَهَكَذَا الْبَرُّ عُثْمَانُ الشَّهِيدُ لَهُ
وَالْإِمَامُ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى مِنْحُ
هُمْ الصَّحَابَةُ لِلْمُخْتَارِ قَدْ وَضَحُوا
وَحُرْمَةً وَبَشَارَاتٍ وَإِكْرَامُ
بِوصْفِهِ فَهُمْ لِلنَّاسِ أَعْلَامُ
آثَارُ فَضْلِهَا فِي الذِّكْرِ أَحْكَامُ
بِهِ تَكْمَلُ بِالْفَارُوقِ إِسْلَامُ
فِي اللَّيْلِ وَرَدَّ وَبِالْقُرْآنِ قَوَامُ
لَهُ أَحْتِرَامٌ وَإِعْزَازٌ وَإِكْرَامُ
طُرُقَ الْهُدَى وَعَلَى الطَّاعَاتِ قَدْ دَامُوا
(فصل)

ذِكْرُ نَمَازِجٍ مِنْ صَبْرِ الصَّحَابَةِ عَلَى الْأَذَى

وَالشَّدَائِدِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ فَأُولَ ذَلِكَ

فِي تَحْمُلِ أَبِي بَكْرٍ

أَخْرَجَ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَطْرَابُلْسِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
قَالَتْ لَمَّا اجْتَمَعَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانُوا ثَمَانِيَةً
وَتِلَاثِينَ رَجُلًا أَلَحَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
الظُّهُورِ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُلِحُّ حَتَّى ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي نَوَاجِي الْمَسْجِدِ كُلِّ رَجُلٍ فِي
عَشِيرَتِهِ .

وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ خَطِيبًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
جَالِسٌ فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيبٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَنَارَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ فَضْرَبُوا فِي نَوَاجِي الْمَسْجِدِ
ضَرْبًا شَدِيدًا ، وَوُطِئَ أَبُو بَكْرٍ وَضُرِبَ ضَرْبًا شَدِيدًا وَدَنَا مِنْهُ الْفَاسِقُ عُتْبَةُ

بُن رَبِيعَةَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ ، وَيُحَرِّفُهُمَا لِوَجْهِهِ وَنَزَا عَلَى بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَا يُعْرِفُ وَجْهَهُ مِنْ أَنْفِهِ .

وَجَاءَ بَنُو تَمِيمٍ يَتَعَادُونَ فَأَجَلَّتِ الْمُشْرِكِينَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَحَمَلَتْ بَنُو تَمِيمٍ أَبَا بَكْرٍ فِي ثَوْبٍ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَنْزِلَهُ وَلَا يَشْكُونَ فِي مَوْتِهِ ، ثُمَّ رَجَعَتْ بَنُو تَمِيمٍ فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَقَالُوا وَاللَّهِ لَئِنْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ فَرَجَعُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَجَعَلَ أَبُو قُحَافَةَ وَبَنُوا تَمِيمٍ يُكَلِّمُونَ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَجَابَ فَتَكَلَّمَ آخِرَ النَّهَارِ فَقَالَ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسُوا مِنْهُ بِالسِّتَةِ وَعَذَلُوهُ ثُمَّ قَامُوا وَقَالُوا لِأُمِّهِ أُمِّ الْخَيْرِ انْظُرِي أَنْ تُطْعِمِيهِ شَيْئًا أَوْ تَسْقِيهِ إِيَّاهُ .

فَلَمَّا خَلَتْ بِهِ أَلَحَتْ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ مَالِي عِلْمٌ بِصَاحِبِكَ فَقَالَ إِذْهَبِي إِلَى أُمِّ جَمِيلِ بِنْتِ الْخَطَّابِ ، فَاسْأَلِيهَا فَخَرَجَتْ حَتَّى جَاءَتْ أُمَّ جَمِيلٍ فَقَالَتْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكَ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

فَقَالَتْ مَا أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ تُحِبِّينَ أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ إِلَى ابْنِكَ قَالَتْ نَعَمْ فَمَضَتْ مَعَهَا حَتَّى وَجَدَتْ أَبَا بَكْرٍ صَرِيحًا دَنِفًا ، فَذَنَبَتْ أُمُّ جَمِيلٍ وَأُعْلَتَتْ بِالصَّبَاحِ ، وَقَالَتْ وَاللَّهِ إِنَّ قَوْمًا نَالُوا هَذَا مِنْكَ لِأَهْلِ فِسْقٍ وَكُفْرٍ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَنْتَقِمَ اللَّهُ لَكَ مِنْهُمْ .

قَالَ فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ هَذِهِ أُمُّكَ تَسْمَعُ قَالَ فَلَا شَيْءَ عَلَيْكَ مِنْهَا قَالَتْ سَالِمٌ صَالِحٌ .

قَالَ أَيْنَ هُوَ قَالَتْ فِي دَارِ ابْنِ الْأَرْقَمِ قَالَ فَإِنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَذُوقَ

طَعَامًا وَلَا أَشْرَبَ شَرَابًا أَوْ آتَى بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّهَلَنَا حَتَّى إِذَا هَدَّأَتِ الرَّجُلُ وَسَكَنَ النَّاسُ خَرَجْنَا بِهِ يَتَكَبَّرُ عَلَيْنَهُمَا حَتَّى أَدْخَلْتَاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَكْبَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَّلَهُ وَأَكْبَّ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَرَقَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِقَّةً شَدِيدَةً .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ بِي بَأْسٌ إِنَّ مَا نَالَ الْفَاسِقُ مِنْ وَجْهِهِ ، وَهَذِهِ أُمِّي بَرَّةٌ بِوَالِدِهَا وَأَنْتَ مُبَارَكٌ فَأَدْعُهَا إِلَى اللَّهِ ، وَادْعُ اللَّهَ لَهَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَسْتَنْقِذَهَا بِكَ مِنَ النَّارِ ، قَالَ فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَعَاَهَا إِلَى اللَّهِ فَأَسْلَمَتْ وَأَقَامُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّارِ شَهْرًا وَهُمْ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا وَقَدْ كَانَ حَمْرَةٌ رَضِيَ عَنْهُ أَسْلَمَ يَوْمَ ضُرِبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ لِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ فَأَصْبَحَ عُمَرُ وَكَانَتْ الدَّعْوَةُ يَوْمَ الْارْبَعَاءِ فَأَسْلَمَ عُمَرُ يَوْمَ الْخَمِيسِ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُ الْبَيْتِ تَكْبِيرَةً سَمِعَتْ بِأَعْلَى مَكَّةَ .

وَخَرَجَ أَبُو الْأَرْقَمِ وَهُوَ أَعْمَى كَافِرٌ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِبَنِي عُبَيْدِ الْأَرْقَمِ فَإِنَّهُ كَفَرَ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَامَ نُخْفِي دِينَنَا وَنَحْنُ عَلَى الْحَقِّ وَيُظْهِرُوا دِينَهُمْ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ يَا عُمَرُ إِنَّا قَلِيلٌ قَدْ رَأَيْنَا مَا لَقِينَا .

فَقَالَ عُمَرُ فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا يَبْقَى مَجْلِسٌ جَلَسْتُ فِيهِ بِالْكَفْرِ

إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيهِ الْإِيمَانَ ثُمَّ خَرَجَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ .

ثُمَّ مَرَّ بِقُرَيْشٍ وَهِيَ تَنْتَظِرُهُ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ يَزْعُمُ فُلَانٌ أَنَّكَ صَبَوْتَ .

فَقَالَ عُمَرُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَوَثَبَ الْمُشْرِكُونَ إِلَيْهِ وَوَثَبَ عَلَى عُتْبَةَ وَبَرَكَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَضْرِبُهُ فَجَعَلَ عُتْبَةُ يَصِيحُ فَتَنَحَّى النَّاسُ ، فَقَامَ عُمَرُ حَتَّى أُعْجَزَ النَّاسُ وَاتَّبَعَ الْمَجَالِسَ الَّتِي كَانَ يُجَالِسُ فِيهَا فَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ .

ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ ، قَالَ مَا عَلَيْكَ يَا أَبِي وَأَيُّيَ وَاللَّهِ مَا بَقِيَ مَجْلِسٌ كُنْتُ أَجْلِسُ فِيهِ بِالْكَفْرِ إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيهِ الْإِيمَانَ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا خَائِفٍ .

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجَ عُمَرُ أَمَامَهُ وَحَمْرَةً ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ حَتَّى طَافَ بِالْبَيْتِ ، وَصَلَّى الظُّهْرَ مُؤَمَّنًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى دَارِ الْأَرْقَمِ وَمَعَهُ عُمَرُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عُمَرُ وَحْدَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمْ أُعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفِي النَّهَارِ بِكَرَّةٍ وَعَشِيَّةً ، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْغَمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَخْرِجْنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أُسَيِّحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ

فَإِنْ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ وَلَا يُخْرَجُ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَصِلُ
الرَّجِمَ وَتَحْمِلُ الْكُلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَأَنَا لَكَ جَارٌ ،
إِرْجِعْ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ فِي بَلَدِكَ .

فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَطَافَ بِنِ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ
قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ إِنْ أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ مِثْلُهُ ، وَلَا يُخْرَجُ أَتَخْرِجُونَ رَجُلًا
يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَيَصِلُ الرَّجِمَ ، وَنَحْمِلُ الْكُلَّ ، وَنَقْرِي الضَّيْفَ وَنُعِينُ
عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، فَلَمْ تَكْذِبْ قُرَيْشٌ بِجَوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ .

وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ مَرَّ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيَصِلْ فِيهَا
وَالْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِنَا بِذَلِكَ ، وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ
نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ .

فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ
فِي غَيْرِ دَارِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَّا مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ
وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَتَقَدَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ - أَيْ يَزْدَحْمُونَ عَلَيْهِ - وَأَبْنَاؤُهُمْ
وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءَ لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ
أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأُرْسِلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ ، فَقَدَّمُوا عَلَيْهِمْ
فَقَالُوا إِنَّا كُنَّا أَجْرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَقَدْ جَاوَزَ
ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا
أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فَانْهَ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي
دَارِهِ فَعَلْ ، وَإِنْ أَبِي إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ فَسَلُهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ ، فإِنَّا قَدْ

كَرِهْنَا أَنْ نَخْفِرَكَ ، وَلَسْنَا مُقَرَّرِينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْاسْتِعْلَانِ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُكَ عَلَيْهِ ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تُرْجَعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي .

فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفَرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضِي بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، هَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ تَحْمِلُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفَرْدَوْسِ مَثْوَانًا وَمَثْوَاهُ فَلَهُ مِنَ الْفَضْلِ وَالسَّابِقَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ وَلَقَدْ قَدَّمَهُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ قَالَ فِي النُّونِيَّةِ مَا قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ :

وَيَقُولُ فِي مَرَضٍ الْوَفَاةِ يَوْمُكُمْ
عَبِيَّ أَبُو بَكْرٍ بِلا رَوَّغَانِ
وَيَظَلُّ يَمْنَعُ مِنْ إِمَامَةٍ غَيْرِهِ
حَتَّى يُرَى فِي صُورَةٍ مَيَّلَانِ
وَيَقُولُ لَوْ كُنْتُ الْخَلِيلَ لِوَاحِدٍ
فِي النَّاسِ كَانَ هُوَ الْخَلِيلُ الدَّانِ
لَكِنَّهُ الْأَخُ وَالرَّفِيقُ وَصَاحِبِي
وَلَهُ عَلَيْنَا مِنْهُ الْإِحْسَانِ
وَيَقُولُ لِلصِّدِّيقِ يَوْمَ الْغَارِ لَا
تَحْزَنْ فَتَحْنُ ثَلَاثَةً لَا اثْنَانِ

اللَّهُ ثَالِثُنَا وَتِلْكَ فَضِيلَةُ
مَا حَازَهَا إِلَّا فَتَى عُثْمَانَ

اللهم سلمنا من شرور أنفسنا التي هي أقرب أعدائنا وأعدنا من
عدوك واغصمنا من الهوى ومن فتنه الدنيا ومكن محبتك في قلوبنا وقوها
والهمنا ذكرك وشكرك وفرح قلوبنا بالنظر إلى وجهك الكريم في جنات
النعيم واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

أَخْرَجَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا أَسْلَمَ
عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَيُّ قُرَيْشٍ أُنْقِلُ لِلْحَدِيثِ فَقِيلَ لَهُ جَمِيلُ بْنُ
مَعْمَرٍ فَعَدَا عَلَيْهِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَغَدَوْتُ أَتَّبِعُ أثره وَأَنْظُرُ مَا يَفْعَلُ وَأَنَا غُلَامٌ
أَعْقِلُ كُلَّمَا رَأَيْتُ حَتَّى جَاءَهُ فَقَالَ أَعْلِمْتُ يَا جَمِيلُ أَنِّي أَسْلَمْتُ وَدَخَلْتُ
فِي دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَوَ اللَّهُ مَا رَاجَعَهُ حَتَّى قَامَ يَجُرُّ
رِدَاءَهُ وَاتَّبَعَهُ عُمَرُ وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا حَتَّى قَامَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَصَرَخَ بِأَعْلَى
صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَهُمْ أُنْدِيَتُهُمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ أَلَا إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ
صَبَأَ .

قَالَ يَقُولُ عُمَرُ مِنْ خَلْفِهِ : كَذَبَ وَلَكِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَثَارُوا إِلَيْهِ ، فَمَا بَرِحَ يُقَاتِلُونَهُ حَتَّى
قَامَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، قَالَ وَطَلَحَ : - أَيُّ أَغْيَا - فَقَعَدَ وَقَامُوا عَلَى
رَأْسِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ افْعَلُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ فَأَخْلِفْتُ بِاللَّهِ أَنْ لَوْ قَدْ كُنَّا ثَلَاثُمَائِهِ

رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ أَوْ تَرَكَتُمُوهَا لَنَا .

قال فَبَيْنَمَا عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَبْرَةٌ وَقَمِيصٌ مُوَشَّى حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ فَقَالُوا صَبَأٌ عُمُرٌ ، قَالَ فَمَنْ ، رَجُلٌ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَمْرًا ، فَمَاذَا تُرِيدُونَ أَتُرُونَ بَنِي عَدِي يُسْلِمُونَ لَكُمْ صَاحِبَهُمْ هَكَذَا ، خَلُّوا عَنِ الرَّجُلِ .

قال فَوَاللَّهِ لَكَانَمَا كَانُوا ثَوْبًا كُشِطَ - أَيُ كُشِفَ عَنْهُ ، قَالَ فَقُلْتُ لِأَبِي - بَعْدَ أَنْ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، يَا أَبَتِ مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي زَجَرَ الْقَوْمَ عَنْكَ بِمَكَّةَ يَوْمَ أُسْلِمْتَ وَهُمْ يُقَاتِلُونَكَ ، قَالَ وَذَاكَ أَيُّ بَنِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ وَهَذَا اسِنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ .

أَخْرَجَ ابْنُ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ ، قَالَ لَمَّا أُسْلِمَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخَذَهُ عَمُّهُ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ فَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا ، قَالَ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ آبَائِكَ إِلَى دِينٍ مُخْدَبٍ ، وَاللَّهِ لَا أُحِلُّكَ أَبَدًا حَتَّى تَدَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ ، فَقَالَ عُثْمَانُ وَاللَّهِ لَا أَدَعُهُ أَبَدًا وَلَا أَفَارِقُهُ ، فَلَمَّا رَأَى الْحَكَمُ صَلَابَتَهُ فِي دِينِهِ تَرَكَهُ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ عَنْ مَسْعُودِ بْنِ خِرَاشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ نَطُوفُ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرْوَةِ إِذَا أَنْاسُ كَثِيرٌ يَتَّبِعُونَ شَابًا مُوَثَّقًا بِيَدِهِ فِي عُنُقِهِ ، قُلْتُ مَا شَأْنُهُ قَالُوا هَذَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - صَبَأٌ وَامْرَأَةٌ وَرَاءَهُ تُدَمِّدُ وَتَسْبُهُ قُلْتُ مَنْ هَذِهِ قَالُوا الصِّمَّةُ بِنْتُ الْحَضَرَمِيِّ أُمُّهُ .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ

قال : قال لي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم أفيهم واجد من أهل الحرم .

قال طلحة رضي الله عنه قلت نعم أنا فقال هل ظهر أحمد بعد قال قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ، ومهاجرة إلى نخل وحره وسبخ ، فإياك أن تسبق إليه .

قال طلحة فوقع في قلبي ما قال ، فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حديث قالوا نعم ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الأمين تنبأ ، وقد تبعه بن أبي قحافة قال فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقلت اتبعت هذا الرجل قال نعم فانطلق فدخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق فآخبره طلحة بما قال الراهب فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم طلحة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال الراهب فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العذوية ، فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تميم وكان نوفل بن خويلد يدعى « أسد قريش » فلذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين فذكر الحديث وأخرجه البيهقي وفي حديثه ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا شر بن العذوية .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي الاسود قال أسلم الزبير بن العوام رضي الله عنه وهو ابن ثمان سنين ، وهاجر وهو ابن ثمان عشرة

سَنَةً وَكَانَ عَمُّ الزُّبَيْرِ يُعَلِّقُ الزُّبَيْرَ فِي حَصِيرٍ وَيُدْخِنُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ وَهُوَ يَقُولُ
ارْجِعْ إِلَى الْكُفْرِ فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ لَا أَكْفُرُ أَبَدًا .

وَأُخْرِجَ أَبُو نَعِيمٍ أَيْضًا عَنْ حَفْصِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ حَدَّثَنِي شَيْخٌ قَدِيمٌ
عَلَيْنَا مِنَ الْمُوصِلِ قَالَ صَحَبْتُ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَأَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ بِأَرْضِ قَفْرِ فَقَالَ اسْتُرْنِي فِستَرْتُهُ فَحَانَتْ مِنِّي
التِّفَافَةُ فَرَأَيْتُهُ مُجَدِّعًا بِالسُّيُوفِ قُلْتُ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ بِكَ آثَارًا مَا رَأَيْتُهَا بِأَحَدٍ
قَطُ .

قَالَ وَقَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ مَا مِنَهَا جِرَاحَةٌ إِلَّا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَعِنْدَ أَبِي نَعِيمٍ عَنْ
عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى الزُّبَيْرَ وَإِنْ فِي صَدْرِهِ لَأَمْثَالُ الْعُيُونِ مِنَ
الطُّغْيَانِ وَالرَّمْيِ .

أُخْرِجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ سَبْعَةُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ
وَعُمَارُ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَالْمِقْدَادُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بَعْمَهُ ، وَأَمَّا أَبُو
بَكْرٍ فَمَنْعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسَوْهُمْ أَذْرُعَ
الْحَدِيدِ وَصَهْرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ أَتَاهُمْ عَلَى مَا
أَرَادُوا إِلَّا بِلَالٌ فَانْتَهَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ
فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ .

وَأُخْرِجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْجِلْيَةِ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ

وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ بِبِلَالٍ وَهُوَ يُعَذِّبُ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ فَيَقُولُ أَحَدٌ
أَحَدٌ ، اللَّهُ يَا بِلَالُ ثُمَّ يَقْبَلُ وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلٍ عَلَى أُمِّيَّةَ ابْنِ خَلْفٍ وَهُوَ يَصْنَعُ
ذَلِكَ بِبِلَالٍ فَيَقُولُ أَحْلِفْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذِهِ لَا تُخَذِّنَهُ
حَنَانًا .

حَتَّى مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَوْمًا وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَقَالَ لِأُمِّيَّةَ الْا
تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمَسْكِينِ حَتَّى مَتَى قَالَ أَنْتِ أَفْسَدْتَهُ فَأَنْقِذِيهِ مِمَّا تَرَى
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَفْعَلْ عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدُ أَجَلَدُ مِنِّي وَأَقْوَى عَلَى دِينِكَ أُعْطِيكَهُ
بِهِ قَالَ قَدْ قَبِلْتُ قَالَ هُوَ لَكَ فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ غُلَامَهُ ذَلِكَ وَأَخَذَ بِبِلَالٍ
فَأَعْتَقَهُ .

ثُمَّ أَعْتَقَ مَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ مِنْ مَكَّةَ سِتَ رِقَابٍ بِبِلَالٍ
سَابِعُهُمْ . وَذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ ابْنِ اسْحَاقٍ كَانَ أُمِّيَّةُ يُخْرِجُهُ إِذَا
حَمِيَّتِ الشَّمْسُ فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصُّخْرَةِ
الْعَظِيمَةِ فَيُضَعُّ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ
بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى .

وَهُوَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ أَحَدٌ أَحَدٌ قَالَ عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ وَهُوَ يَذْكُرُ
بِلَالًا وَأَصْحَابَهُ وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَاعْتَقَى أَبَا بَكْرٍ إِيَّاهُ وَكَانَ اسْمُ أَبِي
بَكْرٍ عَتِيقًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عَنْ بِلَالٍ وَصَحْبِهِ
عَتِيقًا وَأَخْزَى فَاكِهًا وَأَبَا جَهْلٍ
عَشِيَّةً هَمًّا فِي بِلَالٍ بِسُوءَةٍ
وَلَمْ يَحْذَرَا مَا يَحْذَرُ الْمَرْءُ ذُو عَقْلٍ

بِتَوْجِيدِهِ رَبِّ الْأَنَامِ وَقَوْلِهِ
 وَلَمْ يَحْذَرَا مَا يَحْذَرُ الْمَرْءُ ذُو عَقْلٍ
 فَإِنْ يَقْتُلُونِي يَقْتُلُونِي فَلَمْ أَكُنْ
 لِأَشْرِكِ بِالرَّحْمَنِ مِنْ خِيفَةِ الْقَتْلِ
 فَيَا رَبُّ إِبْرَاهِيمَ وَالْعَبْدِ يُونُسَ
 وَمُوسَى وَعِيسَى نَجِّنِي ثُمَّ لَا تُبَلِّ
 لِمَنْ ظَلَّ يَهْوَى الْغَيَّ مِنْ آلٍ غَالِبٍ
 عَلَى غَيْرِ بِرْكَانٍ مِنْهُ وَلَا عَدَلٍ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاجْعَلِ الْإِيمَانَ لَنَا سِرَاجاً وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا اسْتِذْراجاً
 وَاجْعَلْهُ لَنَا سُلْماً إِلَى جَنَّتِكَ وَلَا تَجْعَلْهُ لَنَا مَكْراً مِنْ مَشِيئَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ
 الْحَلِيمُ الْغَفُورُ الشُّكُورُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ عَسَاكِرُ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرُّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ وَهُمْ يُعَذِّبُونَ
 فَقَالَ : أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ قَالَ الْهَيْثَمِيُّ رَجُلُ
 الطَّبْرَانِيِّ رَجُلُ الصُّحَيْحِ غَيْرَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَقُومِ وَهُوَ ثِقَةٌ .

وَأَخْرَجَ أَبُو أَحْمَدُ الْحَاكِمُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
 قَالَ مَرُّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَاسِرٍ وَعَمَّارٍ وَأُمِّ عَمَّارٍ وَهُمْ
 يُؤَذِّنُونَ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ لَهُمْ صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ

الجنة رواه ابن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه وزاد وعبد الله بن ياسر وزاد وطعن أبو جهل سمية في قبلها فماتت ومات ياسر في العذاب ورُمي عبد الله فسقط .

وعند أحمد عن مجاهد قال أول شهيد كان في أول الإسلام استشهد أم عمار سمية طعنها أبو جهل بحربة في قبلها وعن عمرو بن ميمون قال : أحرق المشركون عمار بن ياسر بالأزار قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به ويمر يده على رأسه فيقول : يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم عليه السلام تقتلك الفئة الباغية . فقتله أحد المقاتلين مع معاوية .

شعر :

ولا غرو بالأشراف إن ظفرت بهم
فحرته وخشي سقت حمزة الردى
كلاب الأعداء من فصيح وأعجمي
وموت علي من حسام ابن ملجم

وعند الحاكم في الكنى وابن عساكر عن عثمان رضي الله عنه قال بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء إذ بعمار وأبيه وأمه يعذبون في الشمس ليرتدوا عن الإسلام، فقال أبو عمار يا رسول الله الدهر هكذا فقال صبراً يا آل ياسر ، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت .

وأخرج أبو نعيم في الحلية ج (١) ص (١٤٠) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال أخذ المشركون عمارة رضي الله عنه فلم يتركوه حتى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر آلهم بخير ، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما وراءك قال شر يا رسول الله

ما تُرِكَتَ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ ، وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ قَالَ أَجِدُ قَلْبِي مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، قَالَ فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ ، وَأَخْرَجَ بَنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ نَحْوَهُ .

أَخْرَجَ بَنُ سَعْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ دَخَلَ خُبَّابُ بْنُ الْآرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاجْلَسَهُ عَلَى مُتَكِّئِهِ فَقَالَ : مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ قَالَ لَهُ خُبَّابُ مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : بِلَالٌ : فَقَالَ خُبَّابُ مَا هُوَ أَحَقُّ مِنِّي إِنْ بِلَالًا كَانَ لَهُ فِي الْمَشْرِكِينَ مَنْ يَمْنَعُهُ اللَّهُ بِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ يَمْنَعُنِي فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمًا أَخَذُونِي فَأَوْقَدُوا لِي نَارًا ، ثُمَّ سَلَقُونِي فِيهَا ثُمَّ وَضَعَ رَجُلٌ رِجْلَهُ عَلَى صَدْرِي فَمَا اتَّقَيْتُ الْأَرْضَ أَوْ قَالَ بَرْدَ الْأَرْضِ إِلَّا يَظْهَرِي ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرَصَ ، أَيُّ مِنْ أَثَرِ التَّعْذِيبِ بِالنَّارِ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ خُبَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ رَجُلًا قَيْنًا وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَقْضِيَنَّكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ لَا وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تَبْعَثُ قَالَ فَاثْنِي إِذَا مِتُّ ثُمَّ جِئْتَنِي وَلِي ثُمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ فَأَعْطَيْتُكَ .

فَأَنْزَلَ (اللَّهُ أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَا أُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا) إِلَى قَوْلِهِ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ، وَعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ فِي الْجَلِيلَةِ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ سَأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِلَالًا عَمَّا لَقِيَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ فَقَالَ خُبَّابُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ انْظُرْ إِلَى ظَهْرِي فَقَالَ عُمَرُ مَا رَأَيْتَ كَالْيَوْمِ قَالَ أَوْقَدُوا لِي نَارًا فَمَا أَطْفَأَهَا إِلَّا وَدَكَ ظَهْرِي .

إِنَّ الشَّدَائِدَ قَدْ تَغَشَى الْكَرِيمَ لِأَنَّ تَبِينَ فَضْلَ سَجِيَّاهُ وَتَوْضِيحَهُ كَمُبَرَّدِ الْقَيْنِ إِذْ يَغْلُو الْحَدِيدَ بِهِ وَلَيْسَ يَأْكُلُهُ إِلَّا لِيُضْلِحَهُ

قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مُجَالَسَةً قَالُوا بلى يَا رُوحَ اللَّهِ قَالَ مَنْ تَذَكَّرُكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيَتْهُ وَزِيدُكُمْ فِي عَمَلِكُمْ مِنْطَقُهُ وَيُسَوِّقُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ عَمَلُهُ ، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَوَارِيِّينَ وَيْلَكُمْ ، يَا عَبِيدَ الدُّنْيَا كَيْفَ تُخَالِفُ فُرُوعَكُمْ أَصُولَكُمْ وَأَهْوَاؤَكُمْ عُقُولَكُمْ قَوْلَكُمْ شِفَاءً يُبْرِئُ الدَّاءَ وَفِعْلِكُمْ دَاءٌ لَا يَقْبَلُ الدَّوَاءَ لَسْتُمْ كَالْكَرْمَةِ الَّتِي حَسُنَ وَرَقُهَا وَطَابَ ثَمَرُهَا وَسَهَّلَ مُرْتَقَاهَا وَلَكِنَّكُمْ كَالسَّمَرَةِ الَّتِي قَلَّ وَرَقُهَا وَكَثُرَ شَوْكُهَا وَصَعَبَ مُرْتَقَاهَا .

وَيْلَكُمْ يَا عَبِيدَ الدُّنْيَا جَعَلْتُمْ الْعَمَلَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ مَنْ شَاءَ أَخَذَهُ وَجَعَلْتُمْ الدُّنْيَا فَوْقَ رُؤُسِكُمْ لَا يُمَكِّنُ تَنَاوُلُهَا فَلَا أَنْتُمْ عَبِيدٌ نَصَحًا وَلَا أَحْرَارٌ كِرَامٌ وَيْلَكُمْ يَا أَجْرَاءَ السُّوءِ الْأَجْرُ تَأْخُذُونَ وَالْعَمَلُ تُفْسِدُونَ سَوْفَ تَلْقَوْنَ مَا تَحْذَرُونَ إِذَا نَظَرَ رَبُّ الْعَمَلِ فِي عَمَلِهِ الَّذِي أَفْسَدْتُمْ وَأَجْرُهُ الَّذِي أَخَذْتُمْ .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتًا وَالْبُيُوتَ مَنَازِلَ وَكُلُوا بِقُلِّ الْبَرِّيَّةِ وَاشْرَبُوا الْمَاءَ الْقَرَّاحَ وَانْجُوا مِنَ الدُّنْيَا سَالِمِينَ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَوَارِيِّينَ لَا تَنْظُرُوا فِي أَعْمَالِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ وَانْظُرُوا فِي أَعْمَالِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ فَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُبْتَلَى وَمَعَا فِي فَارَحُمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ وَقَالَ : عَجَبًا لَكُمْ تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا وَأَنْتُمْ تُرْزَقُونَ فِيهَا بِلا عَمَلٍ وَلَا تَعْلَمُونَ لِلْآخِرَةِ وَأَنْتُمْ لَا تُرْزَقُونَ فِيهَا بِلا عَمَلٍ .

اللَّهُمَّ سَلِّمْنا مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ وَعَافِنَا مِنْ أَسْبَابِ الْمِحَنِ وَالْبَلِيَّاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَارْفَعْ لَنَا فِي مَرْضَاتِكَ الدَّرَجَاتِ وَامْتِنَّا بِالنُّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي فَسِيحِ الْجَنَّاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَخِيهِ ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَأَعْلَمْ عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ وَاسْمِعْ قَوْلَهُ ، ثُمَّ إِنِّي ، فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ رَأَيْتُهُ ، يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَلَاماً مَا هُوَ بِالشَّعْرِ فَقَالَ شَفِيتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ .

فَتَزَوَّدَ جَمَلُ شَنَّةٍ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَعْرِفُهُ وَكِرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَذْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ اضْطَجَعَ فَرَأَاهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ فَلَمَّا رَأَاهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ .

ثُمَّ اخْتَمَلَ قَرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمُ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَمْسَى ، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ أَمَا أَنْ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ ، فَأَقَامَهُ ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ ، لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ ، فَعَادَ عَلِيٌّ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَقَامَ مَعَهُ .

ثُمَّ قَالَ أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ قَالَ إِنْ أُعْطِيتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِي فَفَعَلْتُ فَفَعَلَ ، فَأُخْبِرُهُ قَالَ فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أَرِيقُ الْمَاءَ فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلَ ، فَانْطَلَقَ

يَقْفُوهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِرْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي .

قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُضْرَخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ، فَبَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضْرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ ، وَاتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ : وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غَفَّارٍ وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارَتِكُمْ إِلَى الشَّامِ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ .

ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا ، فَضْرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ يَا مَعْشَرَ فُرَيْشٍ ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَقَالُوا قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِيِّ فَقَامُوا فَضْرَبَتْ لَأُمُوتَ .

فَأَذْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غَفَّارٍ وَتُشْجِرُكُمْ وَمَمْرُكُمْ عَلَى غَفَّارٍ فَأَقْلَعُوا عَنِّي .

فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ ، فَقَالُوا قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِيِّ فَصَنَعَ بِي مِثْلَ مَا صَنَعَ بِالْأَمْسِ فَأَذْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ .

طَالَعِ تَوَارِيخَ مَنْ فِي الدَّهْرِ قَدْ وَجِدُوا	تَجِدُ خُطُوبًا تُسَلِّي عَنْكَ مَا تَجِدُ
تَجِدُ أَكَابِرَهُمْ قَدْ جُرْعُوا غُصَصًا	مِنَ الرِّزَايَا بِهَا قَدْ فُتِنْتَ كُبْدُ
عَزْلٌ وَنَهَبٌ وَضَرْبٌ بِالسَّيَاطِ يَلِي	حَبْسٌ وَقَتْلٌ وَتَشْرِيدٌ لِمَنْ زَهَدُوا
وَلَا وَقِيَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ شِرَّتَهُمْ	فَلْتَحْمَدِ اللَّهَ فِي الْعُقَبَى كَمَنْ حَمَدُوا

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم يقول أبو ذر فرماني الناس حتى
كأنني نَصَبُ أَحْمَرٍ فَاخْتَبَأْتُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَاسْتَارَهَا وَلَبِثْتُ فِيهَا خَمْسَ عَشْرَةَ مِنْ
يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَا لِي طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ إِلَّا مَاءٌ زَمْزَمَ .

قَالَ وَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، وَقَدْ دَخَلَا الْمَسْجِدَ فَقَالَ اللَّهُ إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ
فَقُلْتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، مَنْ
أَنْتَ فَقُلْتُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ فَقَالَ صَاحِبُهُ إِذْذَنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي
ضِيَاةِ اللَّيْلَةِ ، فَاَنْطَلَقَ بِي إِلَى دَارٍ فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَقَبَضَ لِي قَبْضَاتٍ مِنْ
زَيْبٍ ، قَالَ فَقَدِمْتُ عَلَى أَخِي فَاخْبَرْتُهُ أَنِّي أَسْلَمْتُ قَالَ فَأَنِّي عَلَى
دِينِكَ ، فَاَنْطَلَقْنَا إِلَى أُمِّنا فَقَالَتْ إِنِّي عَلَى دِينِكُمَا ، قَالَ وَأَتَيْتُ قَوْمِي
فَدَعَوْتُهُمْ فَتَبِعَنِي بَعْضُهُمْ .

وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَعَلَّمَنِي الْإِسْلَامَ وَقَرَأْتُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَظْهَرَ دِينِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تُقْتَلَ قُلْتُ لَا بَدَّ مِنْهُ وَإِنْ قُتِلْتُ قَالَ فَسَكَتَ عَنِّي فَجِئْتُ
وَقُرَيْشُ جُلُوسًا يَتَحَدَّثُونَ فِي الْمَسْجِدِ فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

فَانْتَفَضَتِ الْجُلُوسُ فَقَامُوا فَضَرَبُونِي حَتَّى تَرَكَُونِي كَأَنِّي نَصَبُ أَحْمَرٍ ،
وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُونِي ، فَأَقَمْتُ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَأَى مَا بِي مِنَ الْحَالِ ، فَقَالَ أَلَمْ أَنْهَكَ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ كَانَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِي فَقَضَيْتُهَا ، فَأَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ الْحَقُّ بِقَوْمِكَ فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورِي فَأْتِنِي .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أُتِيتُ مَكَّةَ فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي.
بِكُلِّ مَدْرَةٍ ، وَعَظُمَ فَخْرُوتُ مَغْشِيَا عَلَيَّ ، فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ كَأَنِّي
نُصِبْتُ أَحْمَرُ .

تَسْطُوا الْكِلَابُ عَلَى أُسْدِ الشَّرِّ سَفْهًا وَالْبَارُ الْأَشْهَبُ يَخْشَى صَوْلَةَ الْحَجَلِ
وَالْقِرْدُ يَضْحَكُ مِنْ نِمْرِ عَلَى هُزْءٍ وَالْكَلْبُ يُوعِدُ لَيْثَ الْغَيْلِ بِالْغَيْلِ

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ تَزَوَّدُوا لِلرَّجِيلِ فَقَدْ دَنَتْ الْأَجَالُ واجتهدوا واستعدوا
لِلرَّجِيلِ فَقَدْ قَرُبَ الْارْتِحَالُ وَمَهَّدُوا لَأَنْفُسِكُمْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ
أَذْنَتْ بِالْفِرَاقِ وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَشْرَفَتْ لِلتَّلَاقِ فَتَزَوَّدُوا مِنْ دَارِ الْإِنْتِقَالِ إِلَى
دَارِ الْقَرَارِ .

وَاسْتَشْعِرُوا التَّقْوَى فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَأَحْذَرُوا التَّفَاخُرَ وَالتَّكَاثُرَ
فِي الدُّنْيَا بِجَمْعِ الْحُطَامِ وَانْتِسَابِ الْآثَامِ وَإِيَاكُمْ وَالْإِغْتِرَارَ بِالْأَمَالِ
فَوَرَاءَكُمْ الْمَقَابِرُ ذَاتُ الْوَحْشَةِ وَالْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْكُرْبَاتِ وَتَضَائِقِ
الْأَنْفَاسِ وَالْأَهْوَالِ الْمُفْضِعَاتِ .

فَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي حِسَابٍ إِذَا نُودِيتُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ
حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي وَتَعَلَّقُ الْمَظْلُومُونَ بِالظَّالِمِينَ وَوَقَفْتُمْ
بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحُلَّ بِكُمْ كَرْبُ الْمَقَامِ وَاشْتَدَّ بِالْخَلْقِ فِي ذَلِكَ
الْمَوْقِفِ الزُّحَامُ وَأُخِذَ الْمَجْرِمُونَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ وَبَرَزَتْ جَهَنَّمُ تُقَادُ
بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجُرونها وَالْخَزَنَةُ
حَوْلَهَا غِلَاطٌ شِدَادٌ .

وَيُنَادِي عِنْدَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ الْجَبَّارُ فَيَقُولُ هَلْ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ
هَلْ مِنْ مَزِيدٍ هُنَالِكَ يَنْخَلِيعُ قَلْبُكَ وَتَتَذَكَّرُ مَا فَرَّطْتَ فِيهِ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَتَنْدِمُ
وَلَا تَسَاعَةُ مَنْدِمٍ وَتَتَمَنَّى أَنْ لَوْ زِيدَ فِي الْحَسَنَاتِ وَخُفِّفَ مِنَ السُّيِّئَاتِ
وَلَكِنْ أَنَّى لَكَ بِهَذَا وَهَيْهَاتَ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى
اللَّهِ مُوَلَّاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْاِسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَانَا ، اللَّهُمَّ وَقِّوِي إِيمَانَنَا بِكَ
وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، اللَّهُمَّ
نُورِ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ
وَأَعِزَّنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

مَا أَصَابَ سَعِيدَ بْنِ زَيْدٍ وَزَوْجَتَهُ فَاطِمَةَ أُخْتِ عُمَرَ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجَ عُمَرُ مُتَقَلِّدًا السَّيْفَ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
زُهْرَةَ قَالَ أَيْنَ تَعْمِدُ يَا عُمَرُ فَقَالَ إِرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ مُحَمَّدًا قَالَ وَكَيْفَ تَأْمَنُ مِنْ
بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي زُهْرَةَ إِذَا قَتَلْتَ مُحَمَّدًا قَالَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ
صَبَّاتَ وَتَرَكْتَ دِينَكَ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ أَعْجَبُ
مِنْ ذَلِكَ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ أُخْتُكَ وَخَتَنُكَ قَدْ صَبَّوْا وَتَرَكََا دِينَكَ الَّذِي أَنْتَ
عَلَيْهِ .

قَالَ فَمَشِيَ عُمَرُ ذَائِمًا حَتَّى أَتَاهُمَا وَعِنْدَهُمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
يُقَالُ خَبَّابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فَسَمِعَ خَبَابُ جِسَّ عُمَرَ فَتَوَارَى فَدَخَلَ
عَلَيْهِمَا فَقَالَ مَا هَذِهِ الْهَيْمَنَةُ الَّتِي سَمِعْتُهَا عِنْدَكُمْ قَالَ وَكَانُوا يَقْرَأُونَ (طه)

فَقَالَا مَا عَدَا حَدِيثًا تَحَدَّثْنَاهُ بَيْنَنَا قَالَ فَلَعَلَّكُمَا قَدْ صَبَوْتُمَا .

قال فقال له ختنه أَرَأَيْتَ يَا عُمَرُ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ فَوَثَبَ عُمَرُ عَلَى خَتَنِهِ فَوَطَّأَهُ وَطْأً شَدِيدًا فَجَاءَتْ أُخْتُهُ فَدَفَعَتْهُ عَنْ زَوْجِهَا فَتَفَحَّهَا بِيَدِهِ - أَيْ لَطَمَهَا - فَذَمَّتْ وَجْهَهَا فَقَالَتْ وَهِيَ غَضْبَى يَا عُمَرُ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

فَلَمَّا يَتَسَّ عُمَرُ قَالَ أَعْطُونِي الْكِتَابَ هَذَا الَّذِي عِنْدَكُمْ فَأَقْرَأَهُ قَالَ وَكَانَ عُمَرُ يَقْرَأُ الْكِتَابَ فَقَالَتْ أُخْتُهُ: إِنَّكَ رَجَسٌ وَلَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ فَاغْتَسِلْ وَتَوَضَّأْ قَالَ فَقَامَ وَتَوَضَّأَ ثُمَّ أَخَذَ الْكِتَابَ فَقَرَأَ طَهَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ «أَنْبِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» قَالَ فَقَالَ عُمَرُ ذُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ فَلَمَّا سَمِعَ خَبَابُ قَوْلَ عُمَرَ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ فَقَالَ أَبْشِرْ يَا عُمَرُ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ .

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْأِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ هِشَامٍ قَالَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّارِ الَّتِي فِي أَصْلِ الصَّفا فَاَنْطَلَقَ عُمَرُ حَتَّى أَتَى الدَّارَ .

قال وعلى باب الدارِ حَمْزَةٌ وَطَلْحَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَنَاسُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَى حَمْزَةَ وَجَلَ الْقَوْمُ مِنْ عُمَرَ قَالَ حَمْزَةُ . نَعَمْ فَهَذَا عُمَرُ فَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِعُمَرَ خَيْرًا يُسَلِّمَ وَيَتَّبِعِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ غَيْرَ ذَلِكَ يَكُنْ قَتْلُهُ عَلَيْنَا هَبْنَا .

قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم داخلٌ يُوحِي إِلَيْهِ قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى عُمَرَ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ

وَحَمَائِلِ السَّيْفِ وَقَالَ مَا أَنْتَ بِمُتِّهِ يَا عُمَرُ حَتَّى يُنَزِّلَ اللَّهُ بِكَ مِنَ الْخِزْيِ
وَالنُّكَالِ مَا أَنْزَلَ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اللَّهُمَّ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ اللَّهُمَّ أَعِزُّ
الدِّينِ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ فَقَالَ عُمَرُ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَاسْلَمَ وَقَالَ
أُخْرِجْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

أَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْجَلِيَّةِ عَنْ عُثْمَانَ قَالَ لَمَّا رَأَى ابْنُ مُطْعُونٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَلَاءِ
وَهُوَ يَغْدُو وَيَرُوحُ فِي أَمَانٍ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ وَاللَّهِ إِنَّ غُدُوِّي
وَرَوْاحِي آمِنَا بِجَوَارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَأَصْحَابِي وَأَهْلُ دِينِي يَلْقَوْنَ
مِنْ الْأَذَى وَالْبَلَاءِ مَا لَا يُصِيبُنِي لَنَقْصُ كَثِيرٌ فِي نَفْسِي .

فَمَشَى إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ وَفَتْ ذِمَّتُكَ
قَدْ رَدَدْتُ إِلَيْكَ جَوَارِكَ قَالَ لِمَ يَا ابْنَ أَخِي لَعَلَّهُ آذَاكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِي قَالَ لَا
وَلَكِنِّي أَرْضَى بِجَوَارِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَسْتَجِيرَ بغيرِهِ قَالَ فَانْطَلَقَ
إِلَى الْمَسْجِدِ فَارْدَّدَ عَلَيَّ جَوَارِي عِلَانِيَةً كَمَا أَجَرْتُكَ عِلَانِيَةً .

قَالَ فَانْطَلَقَا ثُمَّ خَرَجَا حَتَّى أَتَيَا الْمَسْجِدَ فَقَالَ لَهُمُ الْوَلِيدُ هَذَا عُثْمَانُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ جَاءَ يَرُدُّ عَلَيَّ جَوَارِي قَالَ لَهُمُ قَدْ صَدَقَ قَدْ وَجَدْتُهُ وَفِيَا
كَرِيمَ الْجَوَارِ وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَسْتَجِيرَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِ
جَوَارَهُ .

ثُمَّ انْصَرَفَ عُثْمَانُ وَلَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنُ مَالِكِ بْنِ كِلَابِ الْقَيْسِيِّ فِي
الْمَجْلِسِ مِنْ قُرَيْشٍ يُنْشِدُهُمْ فَجَلَسَ مَعَهُمُ عُثْمَانُ فَقَالَ لَبِيدُ وَهُوَ
يُنْشِدُهُمْ : الْآ كُلُّ شَيْءٍ مِاخَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ .

فَقَالَ عُثْمَانُ صَدَقْتَ فَقَالَ : وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ ، فَقَالَ
عُثْمَانُ كَذَبْتَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ لَا يَزُولُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ
مَا كَانَ يُؤْذِي جَلِيسُكُمْ فَمَتَى حَدَثَ فِيكُمْ هَذَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ إِنَّ
هَذَا سَفِيهٌ فِي سَفَهَاءٍ مَعَهُ قَدْ فَارَقُوا دِينَنَا فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ مِنْ قَوْلِهِ فَرْدٌ
عَلَيْهِ عُثْمَانُ حَتَّى سَرَى - أَيُّ عَظُمَ أَمْرُهُمَا فَقَامَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَلَطَمَ عَيْنَهُ
فَحَظَرَهَا وَالْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ قَرِيبٌ يَرَى مَا بَلَغَ مِنْ عُثْمَانَ .

فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخِي إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَصَابَهَا لَغِيثَةٌ لَقَدْ
كُنْتُ فِي ذِمَّةٍ مَنِيعَةٍ فَقَالَ عُثْمَانُ بَلَى وَاللَّهِ إِنْ عَيْنِي الصَّحِيحَةُ لَفَقِيرَةٌ إِلَى
مَا أَصَابَ أُخْتَهَا فِي اللَّهِ وَإِنِّي لَفِي جَوَارٍ مَنْ هُوَ أَعَزُّ مِنْكَ وَأَقْدَرُ يَا أَبَا عَبْدِ
شَمْسٍ وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِيمَا أَصِيبُ مِنْ عَيْنِهِ :

فَإِنْ تَكَ عَيْنِي فِي رِضَى اللَّهِ نَالَهَا
يَدَا مُلْجِدٍ فِي الدِّينِ لَيْسَ بِمُهْتَدٍ
فَقَدْ عَرُضَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا ثَوَابَهُ
وَمَنْ يُرْضِهِ الرَّحْمَنُ يَا قَوْمُ يَسْعَدُ
فَلِنَايَ وَقَدْ قُلْتُمْ غَوِيٌّ مُظْلَلٌ
سَفِيهٌ عَلَى دِينِ الرُّسُولِ مُحَمَّدٍ
أُرِيدُ بِذَاكَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ دِينُنَا
عَلَى رَحْمٍ مَنْ يَتَّبِعِي عَلَيْنَا وَيَعْتَدِي

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ
بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّظَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبَدْعِ
وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ
تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى

(فصل)

أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدٍ الْعَبْدَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ فَتَى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا وَكَانَ لَبَوَّاهُ يُجَبِّئُهُ وَكَانَتْ أُمُّهُ مَلِيئَةً - أَيِ غَنِيَّةٍ كَثِيرَةٌ الْمَالِ - تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ ، وَأَرْقَهُ ، وَكَانَ اعْطَرَ أَهْلَ مَكَّةَ ، يَلْبَسُ الْحَضْرَمِيُّ مِنَ النِّعَالِ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُهُ وَيَقُولُ ، مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحْسَنَ لِمَةً ، وَلَا أَرْقَ حُلَةً ، وَلَا أَنْعَمَ نِعْمَةً مِنْ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ .

فَبَلَغَهُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ فِي دَارِ أَرْقَمَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، وَصَدَّقَ بِهِ ، وَخَرَجَ فَكَتَمَ اسْلَامَهُ ، خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ وَقَوْمِهِ ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرًّا ، فَبَصَرَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي فَأَخْبَرَ أُمُّهُ وَقَوْمُهُ ، فَأَخَذُوهُ فَحَبَسُوهُ فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا ، حَتَّى خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَى ، ثُمَّ رَجَعَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ رَجَعُوا ، فَرَجَعَ مُتَغَيِّرَ الْحَالِ قَدْ خَرَجَ فَكَفَّتْ أُمُّهُ عَنْهُ مِنَ الْعَذْلِ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ إِهَابُ كَبْشٍ - أَيِ جِلْدِ كَبْشٍ - (قَدْ تَنَطَّقُ بِهِ) - أَيِ شِدَّةٍ فِي وَسْطِهِ ، فَقَالَ « أَنْظَرُوا إِلَيَّ هَذَا الَّذِي نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَبَوَيْنِ يَغْذُوَانِهِ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَيْهِ حُلَةً شَرَاهَا - أَوْ شَرِيَتْ - بِمِائَةِ دِرْهَمٍ فَدَعَاهُ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى مَا تَرَوْنَ .

وأخرج الترمذي وحسنه أبو يعلى وابن راهوية عن علي رضي الله عنه ، قال خَرَجْتُ فِي غَدَاةٍ شَاتِيَةٍ مِنْ بَيْتِي جَائِعاً حَرِصاً قَدْ أَذْلَقَنِي الْبَرْدُ ، فَأَخَذْتُ إِهَاباً مَعْطُوناً كَانَ عِنْدَنَا فَجَبَّيْتُهُ .

ثُمَّ أَدْخَلْتُهُ فِي عُنُقِي ثُمَّ حَزَمْتُهُ عَلَى صَدْرِي أَسْتَدْفِيءُ بِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا فِي بَيْتِي شَيْءٌ أَكَلُ مِنْهُ ، وَلَوْ كَانَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَلَّغَنِي ، فَخَرَجْتُ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ ، فَاطْلَعْتُ إِلَى يَهُودِي فِي حَائِطٍ مِنْ ثَغَرَةِ جِدَارِهِ ، فَقَالَ مَالِكُ يَا أَعْرَابِي هَلْ لَكَ فِي كُلِّ ذَلْوٍ بِتَمْرَةٍ ، فَقُلْتُ نَعَمْ فَافْتَحَ الْحَائِطَ فَفَتَحَ لِي فَدَخَلْتُ فَجَعَلْتُ أَنْزِعُ ذُلُواً وَيُعْطِينِي تَمْرَةً حَتَّى امْتَلَأْتُ كَفِّي ، قُلْتُ حَسْبِي مِنْكَ الْآنَ .

ثُمَّ جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ ، وَهُوَ فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَاطْلَعَ عَلَيْنَا مِصْعَبُ ابْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بُرْدَةٍ لَهُ مَرْقُوعَةٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ النُّعِيمِ وَرَأَى حَالَهُ الَّذِي هُوَ عَلَيْهَا فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ، فَبَكَى ثُمَّ قَالَ كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا غَدَا أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَرَاحَ فِي أُخْرَى ، وَسُيِّرَتْ بُيُوتُكُمْ كَمَا تُسْتَرُّ الْكَعْبَةُ قُلْنَا نَحْنُ يَوْمِيذٍ خَيْرٌ نَكْفَى الْمُؤَنَةَ ، وَتَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ ، قَالَ بَلْ أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمِيذٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

قِصَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ قِصَّتُهُ مَعَ مَلِكِ الْفُرْسِ مشهورةٌ وذلك أنه في السنة السادسة من الهجرة ، حين غَزَمَ النَّبِيُّ صَلَّى

الله عليه وسلم أن يبعث بعض أصحابه بكتب إلى ملوك الأعاجم ،
يدعوهم إلى الاسلام .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يُقدِّرُ خطورة هذه المهمة فهؤلاء
الرسل سيذهبون إلى بلاد نائية لا عهد لهم بها من قبل ، يجهلون لغاتهم
ولا يعرفون شيئاً عن أخلاق ملوكهم ، ثم إنهم سيدعون هؤلاء إلى ترك
ما عليه آباؤهم والدخول في دين الإسلام الذي هو ضد ما هم عليه من
الإلحاد والكفر .

إنها رحلة خطيرة الذهاب إليها مفقود ، والعائد منها مولود ، لذلك
جمع المصطفى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقام فيهم خطيباً ، فحمد
الله وأثنى عليه ، وتشهد ثم قال أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى
ملوك الأعاجم ، فلا تختلفوا علي ، كما اختلفت بنو إسرائيل على
عيسى بن مريم .

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن يا رسول الله
نؤدي عنك ما تريد ، فأبعثنا حيث شئت ، انتدب صلى الله عليه وسلم
سبعة من الصحابة ليحملوا كتبه إلى ملوك العرب والعجم ، وكان أحد
هؤلاء الستة ، عبد الله ابن حذافة السهمي ، اختاره لحمل رسالته إلى
كسرى ملك الفرس .

فجهز عبد الله راحلته وودع أهله وولده ، ومضى إلى غايته ترفعه
النجاد وتحطه الوهاد ، حتى بلغ ديار فارس ، فاستأذن بالدخول على
ملكها ، وأخطر أعوان الملك بالرسالة التي يحملها بأنها ذات اهتمام .

عِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ كِسْرَى بِإِيْوَانِهِ فَزَيَّنَ ، وَدَعَا عُظَمَاءَ فَارِسَ لِحُضُورِ
مَجْلِسِهِ ، فَحَضَرُوا ، ثُمَّ أَذِنَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ بِالدُّخُولِ ، فَدَخَلَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ عَلَى سَيِّدِ فَارِسَ ، مُشْتَمِلًا شَمْلَتَهُ ، مُرْتَدِيًا عِبَاءَتَهُ
الصُّفِيْقَةَ ، عَلَيْهِ بَسَاطَةُ الْأَعْرَابِ .

لَكِنَّهُ عَالِي الْهَامَةِ ، مَشْدُودَ الْقَامَةِ ، تَأْجِجُ بَيْنَ جَوَانِحِهِ عِزَّةُ
الْإِسْلَامِ فَلَمَّا رَأَاهُ كِسْرَى مُقْبِلًا أَشَارَ إِلَى أَحَدِ رِجَالِهِ بِأَن يَأْخُذَ مِنْهُ
الْكِتَابَ .

فَقَالَ لَا : إِنَّمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْفَعَهُ
لَكَ يَدًا بِيَدٍ ، لَا أَخَالَفُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ
كِسْرَى لِرِجَالِهِ أَتُرْكُوهُ يَذْنُو مِنِّي ، فَذَنَّا مِنْ كِسْرَى ، فَتَنَاوَلَهُ كِتَابَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ .

ثُمَّ دَعَا كِسْرَى كَاتِبًا عَرَبِيًّا مِنْ أَهْلِ الْحِيزَةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْضِيَ الْكِتَابَ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ ، فَاذَا فِيهِ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ
مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ ، سَلَامٌ ، عَلَى مَنْ اتَّبَعَ
الْهُدَى » .

وَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى هَذَا الْمِقْدَارَ مِنَ الرِّسَالَةِ اشْتَعَلَ غَضَبُهُ فِي صَدْرِهِ
فَاخْمَرُ وَجْهُهُ ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدَأَ
بِنَفْسِهِ ، فَجَذَبَ الرِّسَالَةَ مِنْ يَدِ كَاتِبِهِ ، وَجَعَلَ يُمَزِّقُهَا ، ذُوْنَ أَنْ يَعْلَمَ مَا
فِيهَا ، وَيَقُولُ أَيْكُتُبُ لِي بِهَذَا وَهُوَ عَبْدِي .

ثُمَّ أَمَرَ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَأَخْرَجَ مِنْ

الْمَجْلِس ، وَهُوَ لَا يَذْرِي مَاذَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ ، لَكِنَّهُ مَا لَبِثَ أَنْ قَالَ
وَاللَّهِ مَا أَبَالِي عَلَى أَيِّ حَالٍ أَكُونُ بَعْدَ أَنْ أُدِيتُ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَانْطَلَقَ .

وَلَمَّا سَكَتَ غَضَبُ كِسْرَى ، أَمَرَ أَنْ يَرُدُّوهَ إِلَيْهِ ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ
يَجِدُوهُ ، فَارْسَلُوا فِي أَثَرِهِ ، وَطَلَبُوهُ فِي الطَّرِيقِ ، فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ كِسْرَى ،
وَتَمَرِيقِهِ الْكِتَابَ ، فَمَا زَادَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَنْ قَالَ « مَزَّقَ اللَّهُ
مُلْكَهُ » .

أَمَّا كِسْرَى فَكَتَبَ إِلَى بَاذَانَ نَائِبَهُ عَلَى الْيَمَنِ ، أَنْ أُبْعَثَ إِلَى هَذَا
الرَّجُلِ الَّذِي ظَهَرَ بِالْحِجَازِ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ مِنْ عِنْدِكَ . وَمُرَّهُمَا أَنْ يَأْتِيَانِ
بِهِ ، فَبَعَثَ بَاذَانُ رَجُلَيْنِ مِنْ خَيْرَةِ رِجَالِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَحَمَلَهُمَا رِسَالَةً لَهُ يَأْمُرُهُمَا بِإِدَائِهَا لَهُ ، وَيَأْمُرُهُ فِيهَا بِأَنْ يَنْصَرِفَ
مَعَهُمَا إِلَى لِقَاءِ كِسْرَى دُونَ إِبْطَاءٍ .

وَطَلَبَ إِلَى الرَّجُلَيْنِ أَنْ يَقِفَانِ عَلَى خَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنْ يَسْتَقْصِيَا أَمْرَهُ ، وَأَنْ يَأْتِيَاهُ بِمَا يَقِفَانِ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ مِنْ مَعْلُومَاتٍ .

فَخَرَجَ الرَّجُلَانِ حَتَّى بَلَغَا الطَّائِفَ ، فَوَجَدَا رَجُلًا تُجَّارًا مِنْ قُرَيْشٍ
فَسَأَلَاهُمَا عَنْ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالُوا هُوَ فِي يَثْرِبَ ، ثُمَّ مَضَى التُّجَّارُ
إِلَى مَكَّةَ فَرَجَحَيْنِ مُسْتَبْشِرَيْنِ ، وَجَعَلُوا يَهْنُونَ قُرَيْشًا ، وَيَقُولُونَ قُرُؤًا عَيْنًا
فَإِنَّ كِسْرَى تَصَدَّى لِمُحَمَّدٍ وَكَفَاكُمْ شَرًّا .

أَمَّا الرَّجُلَانِ فَيَمَّمَا وَجْهَيْهِمَا شَطْرَ الْمَدِينَةِ ، حَتَّى إِذَا وَصَلَا إِلَيْهَا ،

لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَفَعَا إِلَيْهِ رِسَالَةً بِأَذَانٍ ، وَقَالَ لَهُ إِنَّ مَلِكَ
الْمُلُوكِ كِسْرَى كَتَبَ إِلَى مَلِكِنَا بِأَذَانٍ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْكَ مَنْ يَأْتِيهِ بِكَ .

وَقَدْ أَتَيْنَاكَ لِتَنْطَلِقَ مَعَنَا فَإِنْ أَجَبْتَنَا كَلَّمْنَا كِسْرَى بِمَا يَنْفَعُكَ ، وَيَكْفِ
أَذَاهُ عَنْكَ ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَهُوَ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ سَطَوَتَهُ ، وَبَطْشَهُ ، وَقُدْرَتَهُ عَلَى
إِهْلَاكِكَ ، وَاهْلَاكِ قَوْمِكَ .

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ لَهُمَا إِرْجِعَا إِلَى
رِجَالِكُمَا الْيَوْمَ ، وَأْتِيَا غَدًا ، فَلَمَّا غَدَوْا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي الْيَوْمِ التَّالِي ، أَخْبَرَهُمَا أَنَّ اللَّهَ قَتَلَ كِسْرَى حَيْثُ سَلَطَ عَلَيْهِ ابْنَهُ
« شَيْرَوِيهِ » فِي لَيْلَةٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا .

فَحَدَّثَا فِي وَجْهِهِ وَبَدَتْ الدَّهْشَةُ عَلَى وَجْهَيْهِمَا ، وَقَالَ أُتَذَرِي مَا
تَقُولُ أَنْكُتُبُ بِذَلِكَ لِأَذَانٍ ، قَالَ نَعَمْ وَقُولَا لَهُ إِنَّ دِينِي سَيَبْلُغُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ
مُلْكُ كِسْرَى ، وَإِنَّكَ إِنْ أَسَلَمْتَ ، أُعْطَيْتَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ ، وَمَلَكَتَكَ
عَلَى قَوْمِكَ وَخَرَجَ الرَّجُلَانِ مِنَ عِنْدِ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ
وَقَدِمَا عَلَى بِأَذَانٍ وَأَخْبَرَاهُ الْخَبَرَ .

فَقَالَ لَئِنْ كَانَ مَا قَالَهُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَهُوَ نَبِيٌّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ
فَسَنَرَى فِيهِ رَأْيًا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَدِمَ عَلَى بِأَذَانٍ كِتَابُ شَيْرَوِيهِ .

وَفِيهِ يَقُولُ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَتَلْتُ كِسْرَى وَلَمْ أَقْتُلْهُ إِلَّا انْتِقَامًا لِقَوْمِنَا فَقَدْ
اسْتَحَلَّ قَتْلَ أَشْرَافِهِمْ وَمَسْبِي نِسَائِهِمْ وَانْتَهَبَ أَمْوَالَهُمْ فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا
فَخُذْ لِي الطَّاعَةَ مِنْ عِنْدِكَ .

فَلَمَّا قَرَأَ بَاذَانُ الْكِتَابَ كِتَابَ شَيْرَوِيهِ طَرَحَهُ جَانِبًا وَأَعْلَنَ دُخُولَهُ فِي
الْإِسْلَامِ وَأَسْلَمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْفُرْسِ بِالْيَمَنِ انْتَهَى .

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْآخِيَارِ وَانْظُمْنَا فِي سِلْكِ الْمُقَرَّبِينَ
وَالْأَبْرَارِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ وَقِصَّتُهُ مَعَ مَلِكِ الرُّومِ

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ وَجَّهَ عُمَرُ ابْنُ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَيْشًا إِلَى الرُّومِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
حُذَافَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْرَهُ الرُّومُ فَذَهَبُوا بِهِ
إِلَى مَلِكِهِمْ فَقَالُوا لَهُ إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ هَلْ لَكَ أَنْ تَنْصَرَ وَأَشْرُكَكَ فِي مُلْكِي وَسُلْطَانِي .

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ أُعْطِيتَنِي مَا تَمْلِكُ وَجَمِيعَ مَا مَلَكَتُهُ الْعَرَبُ عَلَى
أَنْ أَرْجِعَ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَةَ عَيْنٍ مَا فَعَلْتُ ، قَالَ
إِذَا أَقْتَلَكَ قَالَ أَنْتَ وَذَاكَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ ، وَقَالَ لِلرُّمَّةِ أَرْمُوهُ قَرِيبًا مِنْ
بَدَنِهِ قَرِيبًا ، مِنْ رِجْلَيْهِ ، وَهُوَ يَغْرَضُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَأْبَى .

ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأَنْزَلَ ثُمَّ دَعَا بِقَدِيرٍ فَصَبَّ فِيهِ حَتَّى احْتَرَقَ ، ثُمَّ دَعَا
بِأَسِيرَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَمَرَ بِأَحْدِهِمَا فَأُلْقِيَ فِيهَا ، وَهُوَ يَغْرَضُ عَلَيْهِ
النُّصْرَانِيَّةَ ، وَهُوَ يَأْبَى ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِيهَا ، فَلَمَّا ذَهَبَ بِهِ بَكَى ،

فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ قَدْ بَكَى فَظَنَّ أَنَّهُ جَزِعَ ، فَقَالَ رُدُّوهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ النُّصْرَانِيَّةَ
فَأَبَى فَقَالَ مَا أَبْكََاكَ إِذَا .

قَالَ أَبْكَانِي أَنِّي قُلْتُ فِي نَفْسِي تُلْقَى السَّاعَةُ فِي هَذَا الْقَدْرِ فَتَذْهَبَ
فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ كُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِي نَفْسٌ تُلْقَى فِي اللَّهِ
قَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ هَلْ لَكَ أَنْ تُقْبَلَ رَأْسِي وَأَخْلِي مِنْكَ ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَعَنْ
جَمِيعِ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ وَعَنْ جَمِيعِ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي عَدُوٌّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، أَقْبَلُ رَأْسَهُ
يُخْلِي عَنِّي وَعَنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، لَا أَبَالِي فَدَنَّا مِنْهُ فَقَبِلَ رَأْسَهُ ، فَدَفَعَ
إِلَيْهِ الْأَسَارَى ، فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ عُمَرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ
مُسْلِمٍ أَنْ يُقْبَلَ رَأْسَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ ، وَأَنَا أَبْدَأُ فَقَامَ عُمَرُ فَقَبِلَ
رَأْسَهُ .

شعرا :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ يَفْرَعُ
يَخَافُ وَيَرْجُو الْفَضْلَ فَالْفَضْلُ أَوْسَعُ
مَقَرٌّ بِأَثْقَالِ الذُّنُوبِ وَمُكْثِرُ
وَيَرْجُوكَ فِي غُفْرَانِهَا فَهُوَ يَطْمَعُ
فَإِنَّكَ ذُو الْإِحْسَانِ وَالْجُودِ وَالْعَطَا
لَكَ الْمَجْدُ وَالْإِفْضَالُ وَالْمَنْ أَجْمَعُ
فَكُنْ مِنْ قَبِيحٍ قَدْ سَتَرْتَ عَنِ الْوَرَى
وَكُنْ نِعَمٌ تَسْرَى عَلَيْنَا وَتَشْبَعُ

وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى
وَأَنْتَ إِلَهُ الْخَلْقِ مَا شِئْتَ تَصْنَعُ
فَيَا مَنْ هُوَ الْقُدُّوسُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ
تَبَارَكْتَ أَنْتَ اللَّهُ لِلْخَلْقِ مَرْجِعُ
وَيَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فَوْقَ خَلْقِهِ
تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتُمْنَعُ
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَأَوْصَافِكَ الْعُلَى
تَوْسَلُ عَبْدٌ بِأَيْسٍ يَتَضَرَّعُ
أَعْيَنِي عَلَى الْمَوْتِ الْمَرِيرَةِ كَأْسُهُ
إِذَا الرُّوحُ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ تُزْرَعُ
وَكُنْ مُؤَيِّسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا
يُرْكَمُ مَنْ فَوْقِي الشَّرَابُ وَأُودَعُ
وَتَبَّتْ جَنَانِي لِسُؤَالٍ وَحُجَّتِي
إِذَا قِيلَ مَنْ رَبُّ وَمَنْ كُنْتَ تَتَّبِعُ
وَمِنْ هَؤُلَاءِ يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْكَرْبِ نَجِّنِي
إِذَا الرُّسُلُ وَالْأَمْلَاقُ وَالنَّاسُ خُشِعُ
وَيَا سَيِّدِي لَا تُحْزِنِي فِي صَحِيفَتِي
إِذَا الصُّحُفُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ تُوزَعُ
وَهَبْ لِي كِتَابِي بِالْيَمِينِ وَثَقُلْنِ
لِمِيزَانِ عَبْدٍ فِي رَجَائِكَ يَطْمَعُ
وَيَارِبِّ خَلِّصْنِي مِنَ النَّارِ إِنَّهَا
لَبِئْسَ مَقَرٌّ لِلْغَوَاةِ وَمَرْجِعُ

أَجِرْنِي أَجِرْنِي يَا إِلَهِي فَلَيْسَ لِي
سِوَاكَ مَفْرُؤٌ أَوْ مَلَاذٌ وَمَفْرَعٌ
وَهَبْ لِي شِفَاءَ مِنْكَ رَبِّي وَسَيِّدِي
فَمَنْ ذَا الَّذِي لِلضَّرِّ غَيْرُكَ يَذْفَعُ
فَأَنْتَ الَّذِي تُرَجِّي لِكَشْفِ مُلَمَّةٍ
وَتَسْمَعُ مُضْطَرًّا لِيَابِكَ يَقْرَعُ
فَقَدْ أُغْيِتِ الْأَسْبَابُ وَانْقَطَعَ الرَّجَا
سِوَى مِنْكَ يَا مَنْ لِلْخَلَائِقِ مَفْرَعٌ
إِلَيْكَ إِلَهِي قَدْ رَفَعْتُ شِكَايَتِي
وَأَنْتَ بِمَا أَلْقَاهُ تَذَرِي وَتَسْمَعُ
فَفَرِّجْ لَنَا خَطْبًا عَظِيمًا وَمُعْضِلًا
وَكَرِبًا يَكَادُ الْقَلْبُ مِنْهُ يُصَدِّعُ
وَمَاذَا عَلَى رَبِّي عَزِيزٌ وَفَضْلُهُ
عَلَيْنَا مَدَى الْأَنْفَاسِ يَهْمِي وَهَمُّهُ
فَكَمْ مَنَحَ أُعْطَى وَكَمْ مَحَنٍ كَفَى
لَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرَانُ وَالْمَنُّ أَجْمَعُ
وَأَزْكَى صَلَاةِ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
عَلَى الْمُصْطَلَى مَنْ فِي الْقِيَامَةِ يَشْفَعُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

« سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ الْجُمَحِيُّ وَخُبَيْبٌ »

خُبَيْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ أَحَدُ الْمُعَذِّبِينَ فِي اللَّهِ الثَّابِتِينَ عَلَى
الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ وَمِمَّنْ حَضَرَهُ يَوْمَ قَتْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ الْجُمَحِيُّ خَرَجَ إِلَى التَّعْنِيمِ فِي ظَاهِرَةِ مَكَّةَ بِدَعْوَةٍ مِنْ
رُعَمَاءِ قُرَيْشٍ لِيَشْهَدَ مَعَهُمْ مَضْرَعُ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ أَحَدِ صَحَابَةِ مُحَمَّدٍ
بَعْدَ أَنْ ظَفِرَ بِهِ الْأَعْدَاءُ الْمُشْرِكُونَ غَدْرًا .

وَقَدْ أَقْدَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَتِمَّكَنَ مِنْ رُؤْيَا أَسِيرِ قُرَيْشٍ مُكْبَلًا بِقِيُودِهِ يُسَاقُ
إِلَى الْمَوْتِ ، فَوَقَفَ سَعِيدُ يُطْلُ عَلَى خُبَيْبٍ وَهُوَ يُقَدِّمُ إِلَى خَشَبَةِ الصُّلْبِ
وَسَمِعَ صَوْتَ خُبَيْبِ الثَّابِتِ الْهَادِيءِ يَقُولُ إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَتْرُكُونِي أَصْلِي
رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ مَضْرَعِي فافعلوا .

ثُمَّ نَظَرَ سَعِيدُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ يَا لِحُسْنِهِمَا
وَيَا لِتَمَامِهِمَا وَسَمِعَهُ وَهُوَ يَقُولُ لَوْلَا أَنْ تَنْظُرُوا أَنِّي أَطَلْتُ الصَّلَاةَ جَزَعًا مِنَ
الْمَوْتِ لَا اسْتَكْثَرْتُ مِنَ الصَّلَاةِ .

ثُمَّ رَأَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يُمَثِّلُونَ بِخُبَيْبٍ حَيًّا وَيَقْطَعُونَ مِنْهُ الْقِطْعَةَ يَلَوُ
الْقِطْعَةَ وَيَقُولُونَ لَهُ أَتُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ مَكَانَكَ وَأَنْتَ نَاجٍ ، فَيَقُولُ
وَالدَّمَاءُ تَنْزِفُ مِنْهُ وَالرُّوحُ تَتَسَلَّلُ مِنْ بَدَنِهِ ، وَاللَّهُ مَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ آمِنًا
وَادِعًا فِي أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنْ مُحَمَّدًا يُؤَخَّرُ بِشَوْكَةٍ .

وَلَا غُرُوبًا بِالشَّرَافِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِمْ كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
فَحَرَبَةٌ وَخَشْيَةٌ سَقَتْ حَمَزَةَ الرَّدَى وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلْجِمٍ

ثُمَّ أَبْصَرَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ خُبَيْبًا وَهُوَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِ
خَشَبَةِ الصُّلْبِ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ احْصِهِمْ عَدَدًا وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا وَلَا تَبْقِ مِنْهُمْ
أَحَدًا ثُمَّ خَرَجَ رُوحُهُ الطَّيِّبُ وَبِهِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ مِنْ ضَرْبَاتِ السُّيُوفِ
وَطَعَنَاتِ الرَّمَاكِ .

ثُمَّ إِنْ سَعِيدًا أَخَذَ دَرَسًا ، فَعَلِمَ إِنْ الْحَيَاةَ الْحَقَّةَ عَقِيدَةً ، وَجِهَادًا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى الْمَوْتِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْإِيمَانَ الثَّابِتَ لَا يُزْلِزُهُ شَيْءٌ
الْبُتَّةُ .

وَعَلِمَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي تَبْلُغُ مَحَبَّتُهُ وَالذُّبُّ عَنْهُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ إِنَّمَا
هُوَ رَسُولٌ مُؤَيَّدٌ مِنَ السَّمَاءِ ، عِنْدَ ذَلِكَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ
لِلْإِسْلَامِ ، فَقَامَ فِي مَجْمَعِ مِنَ النَّاسِ وَأَعْلَنَ بَرَاءَتَهُ مِمَّا عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ
عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَهَاجَرَ سَعِيدُ ابْنُ عَامِرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَزِمَ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدَ مَعَهُ خَيْرَ ، وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْغَزَوَاتِ .

وَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَلَّ سَيْفًا ، مَسْلُولًا فِي
يَدَيِ خَلِيفَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَكَانَا يَعْرِفَانِ
لَهُ صِدْقَهُ وَتَقْوَاهُ .

وَلَمَّا آلَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَاهُ سَعِيدُ فَقَالَ لَهُ ، يَا
عُمَرُ أَوْصِيكَ أَنْ تَخْشَى اللَّهَ فِي النَّاسِ ، وَلَا تَخْشَى النَّاسَ فِي اللَّهِ ،
وَأَنْ لَا يُخَالِفَ قَوْلُكَ فِعْلُكَ ، فَإِنْ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا صَدَّقَهُ الْفِعْلُ .

يَا عُمَرُ أَقِمْ وَجْهَكَ لِمَنْ وَلَاكَ اللَّهُ أَمْرُهُ مِنْ بَعِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَقَرِيبِهِمْ
وَأَحَبُّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ ، وَأَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ
وَأَهْلِ بَيْتِكَ ، وَخُضْ الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ وَلَا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا تُؤْمَرُ .

فَقَالَ عُمَرُ ، وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَا سَعِيدُ ، فَقَالَ يَسْتَطِيعُهُ مِثْلُكَ مِنْ
وَلَا هُمْ اللَّهُ أَمْرَ أُمَةٍ مُحَمَّدٍ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، عِنْدَ ذَلِكَ دَعَا
عُمَرُ سَعِيداً إِلَى مُسَاعَدَتِهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّا مُؤَلَّوْكَ جِحْمَصَ .

فَقَالَ يَا عُمَرُ نَشَدْتُكَ اللَّهَ أَنْ لَا تَفْتِنَنِي فَغَضِبَ عُمَرُ وَقَالَ وَنَحْكُمُ
وَضَعْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ فِي عُنُقِي ثُمَّ تَخَلَّيْتُمْ عَنِّي ، وَاللَّهِ لَا أَدْعُكَ ثُمَّ أَلْزَمَهُ
بِحِمْنَصٍ وَقَالَ أَلَا تَفَرِّضُ لَكَ رِزْقاً قَالَ وَمَا أَفْعَلُ بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ
عَطَايِي مِنْ بَيْتِ الْمَالِ يَزِيدُ عَنْ حَاجَّتِي .

ثُمَّ مَضَى وَإِلَيْهَا عَلَى جِحْمَصٍ وَمَا مَضَى إِلَّا زَمَنٌ يَسِيرٌ حَتَّى جَاءَ بَعْضُ
أَهْلِ جِحْمَصٍ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ اكْتُبُوا أَسْمَاءَ الْفُقَرَاءِ عِنْدَكُمْ بِحِمْنَصٍ حَتَّى أَسُدَّ
حَاجَّتَهُمْ ، فَرَفَعُوا لَهُ كِتَاباً فِيهِ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ الْمَوْجُودِينَ بِحِمْنَصٍ وَمِنْ
جَمَلَةِ الْفُقَرَاءِ الْمَكْتُوبِينَ ، سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ الْجَمْعِي .

فَقَالَ عُمَرُ مَنْ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ، فَقَالُوا أَمِيرُنَا قَالَ أَمِيرُكُمْ فَقِيرٌ ، قَالُوا
نَعَمْ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَمُرُّ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ الطَّوَالُ ، وَلَا يَوْقِدُ فِي بَيْتِهِ نَاراً ، فَبَكَى
عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَكَاءً شَدِيداً ، حَتَّى بَلَّتْ دُمُوعُهُ لِحْيَتَهُ .

ثُمَّ عَمَدَ إِلَى أَلْفِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي صُرَّةٍ وَقَالَ اقْرَؤُوا عَلَيْهِ السَّلَامَ
وَقُولُوا لَهُ يَسْتَعِينُ بِهَذَا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ فَجَاؤُهُ بِهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا
وَأَخْبَرُوهُ ، جَعَلَ يُبْعِدُهَا عَنْهُ ، وَيَسْتَرْجِعُ .

فَجَاءَتْ زَوْجَتُهُ وَقَالَتْ لَهُ مَا شَأْنُكَ ، أَمَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ بَلْ
أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَتْ وَمَا ذَاكَ ، قَالَ دَخَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا لِتُفْسِدَ آخِرَتِي
وَحَلَّتِ الْفِتْنَةُ فِي بَيْتِي ، قَالَتْ تَخْلُصُ مِنْهَا ، قَالَ هَلْ تُعِينُنِي عَلَى

ذَلِكَ ، قَالَتْ نَعَمْ فَوَزَعَهَا عَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ لَمْ يَمْضِ إِلَّا مُدَّةُ يَسِيرَةٍ حَتَّى أَتَى عُمَرُ إِلَى حِمَاصٍ يَتَفَقَّدُهَا وَيَسْأَلُ عَنْ أَمِيرِهِمْ وَسِيرَتِهِ مَعَهُمْ ، وَهَلْ نَقِمُوا عَلَيْهِ بَشْيَءٌ ، فَذَكَرُوا أَرْبَعَ مَسَائِلَ .

أَحَدُهَا قَالُوا إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّى يَتَعَالَى النَّهَارُ ، فَسَأَلَ عُمَرُ سَعِيداً لِمَاذَا فَقَالَ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَوْضِيحِهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَهْلِي خَادِمٌ فَأَقُومُ الصَّبْحَ فَأُعْجِزُ لَهُمْ عَجِيزَتَهُمْ ، ثُمَّ أَنْتَظِرُهُ يَخْتَمِرُ ، ثُمَّ أَقُومُ فَأَخْبِرُهُ لَهُمْ ، ثُمَّ أَتَوَضَّأُ وَأَخْرُجُ إِلَيْهِمْ .

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُجِيبُ أَحَدًا بِاللَّيْلِ ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَذْكُرَهُ ، وَلَكِنْ لِمَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ النَّهَارَ لَهُمْ ، وَلِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَ .

قَالَ عُمَرُ وَمَا هِيَ الثَّلَاثَةُ قَالُوا إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ يَوْماً مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ لِي خَادِمٌ ، وَلَيْسَ عِنْدِي ثِيَابٌ غَيْرَ الَّتِي عَلَيَّ فَأَنَا أُغْسِلُهَا فِي الشَّهْرِ مَرَّةً ، وَأَنْتَظَرُهَا حَتَّى تَجِفَّ ، ثُمَّ أَخْرُجُ إِلَيْهِمْ آخِرَ النَّهَارِ .

وَأَمَّا الرَّابِعَةُ فَقَالُوا إِنَّهُ تُصَيِّبُهُ غَشِيَّةٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ فَيَغِيبُ عَمَّنْ فِي الْمَجْلِسِ ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْهَا فَقَالَ إِنِّي خَضَرْتُ مَضْرَعَ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ ، وَأَنَا مُشْرِكٌ وَرَأَيْتُ قُرَيْشاً تُقَطِّعُ جَسَدَهُ وَهِيَ تَقُولُ أَتُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَكَانَكَ مُحَمَّدًا ، فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ آمِناً وَأَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنْ مُحَمَّدًا تَشُوكُهُ شَوْكَةً .

فإذا ذَكَرْتُ ذَلكَ المَشهدَ وأني لَم أنصُرهُ ظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ لي
 فَتُصِيبُنِي يَلكَ الغَشِيَةُ ، ثم بَعَثَ لَهُ عُمَرُ بِألفِ دِينَارٍ يَسْتَعِينُ بِهَا على
 حَوَائِجِهِ ، فَلَمَّا عَلِمَتْ زَوْجَتُهُ قَالَتْ الحمدُ لِلّهِ الَّذي أَغْنَانَا عَن خِدمَتِكَ
 اشْتَرَى لَنَا مَوْنَةً واستأجَرَ لَنَا خَادِمًا فَقَالَ لَهَا وَهَلْ لَكَ فِيمَا هُوَ خَيْرٌ مِن ذَلكَ
 قَالَتْ وَمَا ذَاكَ قَالَ نَذْفَعُهَا إلى مَنْ يَأْتِينَا بِهَا وَنَحْنُ أَحوجُ مَا نَكُونُ إِلَيْهَا
 قَالَتْ وَمَا ذَاكَ قَالَ نُقْرِضُهَا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا قَالَتْ نَعَمْ وَجُرِيتُ خَيْرًا فَمَا
 قَامَ مِن مَجْلِسِهِ حَتَّى وَرَّعَهَا عَلَى الأَيْتَامِ والأَرَامِلِ والمَسَاكِينِ فَرَضِيَ اللهُ
 عَنْهُ وأَرْضَاهُ لَقَدْ كَانَ مِنَ الَّذِينَ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَهـ باختصار .

شعرا :

وما الناسُ إِلَّا راجِلُونَ وَبَيْنَهُمْ
 رِجَالٌ ثَوَتْ آثَارُهُم كَالْمَعَالِمِ
 بِعِزَّةِ بَأْسٍ وَأُطْلَاعِ بَصِيرَةٍ
 وَهَزَّةِ نَفْسٍ وَأُتْسَاعِ مَرَاجِمِ
 حُظُوظُ كَمَالٍ أَظْهَرَتْ مِنْ عَجَائِبِ
 بِمِرَاتِ شَخْصٍ مَا اخْتَقَى فِي الْعَوَالِمِ
 وَمَا يَسْتَطِيعُ المَرءُ يَخْتَصُّ نَفْسَهُ
 إِلَّا إِنَّمَا التُّخْصِيصُ قِسْمُهُ رَاجِمِ
 وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا تَيَقَّنَ أَنَّهَا
 مَطِيَّةٌ يَقْظَانِ وَطَيْفَةٌ حَالِمِ
 فَلِلَّهِ سَاعٌ فِي مَنَاجِرِ طَاعَةٍ
 لِإِبْلَافٍ عَذَلٍ أَوْ لِإِتْلَافٍ ظَالِمِ

اللهم طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَأَخْلَصْ عَمَلَنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَمَكْسَبَنَا مِنَ
الرِّبَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى طَاعَتِكَ وَاعْفُ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

* * *

قصة

لِلْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ

لِلْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ أَخُو أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْبَرَاءُ شَجَاعًا قَتَلَ مِائَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَبَارَزَةً
وَهُوَ وَحْدَهُ غَيْرَ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ فِي غِمَارِ الْمَعَارِكِ مَعَ الْمُحَارِبِينَ .

وَبَعْدَ أَنْ التَّحَقَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّفِيقِ الْأَعْلَى إِرْتَدَّ
قَبَائِلُ مِنَ الْعَرَبِ وَخَرَجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَهْلُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ،
وَجَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٌ هُنَا وَهُنَا ، مِمَّنْ ثَبَّتَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ .

وَصَمَّمَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِهَذِهِ الْفِتْنَةِ الْمُدْمِرَةِ الْعَمِيَاءَ صُمُودَ
الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ ، وَجَهَّزَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَحَدَ عَشَرَ جَيْشًا .

وَعَقَدَ لِقَادَةَ هَذِهِ الْجُيُوشِ أَحَدَ عَشَرَ لِيَاءً ، وَدَفَعَ بِهِمْ فِي أَرْجَاءِ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ لِيُعِيدُوا الْمُرْتَدِّينَ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَالْحَقِّ .

وَكَانَ أَقْوَى الْمُرْتَدِّينَ بَأْسًا وَأَكْثَرُهُمْ عَدَدًا بَنُو حَنِيفَةَ ، أَصْحَابُ
مُسَيْلَمَةَ الْكَذَابِ فَقَدْ اجْتَمَعَ مَعَ مُسَيْلَمَةَ مِنْ قَوْمِهِ وَحُلَفَائِهِ أَرْبَعُونَ أَلْفًا

وكان أكثرهم قد اتبعوا مسيلمة عصبية لا إيماناً به .

فلذلك صرخ بعضهم وقال أشهد أن مسيلمة كذاب ومحمداً صادق
لكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر : قدر الله أن جيش مسيلمة
يَهْزِمُ أول جيش خرج إليه من جيوش المسلمين بقيادة عكرمة بن أبي
جَهْل .

فأرسل الصديق رضي الله عنه جيشاً ثانياً بقيادة خالد ابن الوليد
حشد فيه وجوه الصحابة من المهاجرين والأنصار .

وكان في طليعة هؤلاء وهؤلاء البراء بن مالك الأنصاري ونفر من
كُماة المسلمين ، والتقا الجيشان في أرض اليمامة ، فما هو إلا أن
رَجَحَتْ كفة مسيلمة وأصحابه وزُلْزِلَت الأرض تحت أقدام المسلمين
وطَفِقُوا يَتَرَاَجِعُونَ عن مواقعهم حتى اقتحم قوم مسيلمة ومن معهم فسطاد
خالد بن الوليد واقتلعه من أصوله .

عند ذلك شعر المسلمون بالخطر الداهم وأدركوا أنهم إن يَهْزَمُوا
أمام مسيلمة فلن تقوم للإسلام قائمة ، وهب خالد إلى جيشه فأعاد
تنظيمه فميز المهاجرين عن الأنصار ، وميز أبناء البوادي عن هؤلاء
وهؤلاء ، وجمع أبناء كل أب تحت راية واحدة ليعرف بلاء كل فريق
منهم ، وليعلم من أين أتى المسلمون .

ثم دارت رحى الحرب معركة ضروس لم يعرف لها نظير ، وثبت
قوم مسيلمة في ساحات الوغى ثبوت الجبال الرأسيات ولم يبالوا بكثرة ما
قُتِلَ منهم ، وأبدى المسلمون من الشجاعة والبطولة ما لو جمع لكان

مَلَحَمَةٌ مِنْ رَوَائِعِ الْمَلَا حِمٍ .

فَهَذَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ حَامِلُ لَوَاءِ الْأَنْصَارِ يَتَحَنُّطُ وَيَتَكَفَّنُ وَيَخْفِرُ لِنَفْسِهِ
حُفْرَةً فِي الْأَرْضِ فَيَنْزِلُ فِيهَا إِلَى نِصْفِ سَاقِهِ وَيَبْقَى ثَابِتًا يُجَالِدُ عَنْ رَايَةِ
قَوْمِهِ حَتَّى خَرَّ صَرِيعًا شَهِيدًا .

وَهَذَا زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ أَخُو عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُنَادِي فِي
الْمُسْلِمِينَ أَيُّهَا النَّاسُ عُضُّوا عَلَى أَضْرَاسِكُمْ وَاضْرِبُوا فِي عَدُوِّكُمْ وَامْضُوا
قُدُمًا أَيُّهَا النَّاسُ وَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَبَدًا حَتَّى يُهْزَمَ مُسَيْلَمَةُ أَوْ
أَلْقَى اللَّهُ ، فَأَذِلِّي إِلَيْهِ بِحُجَّتِي ، ثُمَّ كَرَّ عَلَى قَوْمِهِ فَمَا زَالَ يُقَاتِلُ حَتَّى
قُتِلَ .

وَهَذَا سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ يَحْمِلُ رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ فَيَخْشَى عَلَيْهِ
قَوْمُهُ أَنْ يَضْعُفَ أَوْ يَتَزَعَّزِعَ فَقَالُوا لَهُ إِنَّا لَنَخْشَى أَنْ نُؤْتَى مِنْ قِبَلِكَ فَقَالَ
إِنْ أُتِيتُمْ مِنْ قِبَلِي فَيُسْ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَكُونُ ، ثُمَّ كَرَّ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ كَرَّةً
بَاسِلَةً حَتَّى أُصِيبَ .

فَلَمَّا رَأَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَنَّ الْوَطِيسَ حَمِيَّ وَاشْتَدَّ التَّفَتُّ إِلَى الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ
وَقَالَ إِلَيْهِمْ يَا فَتَى الْأَنْصَارِ ، فَالتَفَتَ الْبَرَاءُ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَا
يُفَكِّرَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى يَثْرِبَ ، فَلَا مَدِينَةَ لَكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ ،
وَلَا نَمَّا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ ، ثُمَّ الْجَنَّةُ .

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَحَمَلُوا مَعَهُ وَانْتَبَرَى يَشُقُّ الصُّفُوفَ ، وَيُعْمِلُ
السَّيْفَ فِي رِقَابِ أَعْدَاءِ اللَّهِ حَتَّى زُلْزِلَتْ أَقْدَامُ مُسَيْلَمَةَ وَأَصْحَابِهِ ،
فَلَجَّوْا إِلَى الْحَدِيقَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِحَدِيقَةِ الْمَوْتِ لِكَثْرَةِ مَنْ قُتِلَ فِيهَا فِي ذَلِكَ

الْيَوْمَ فَأَغْلَقَ مُسَيْلَمَةُ وَالْآفُ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ الْأَبْوَابَ وَتَحَصَّنُوا بِعَالِي
جُدْرَانِهَا وَجَعَلُوا يُمَطِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ بِنَبَاهِهِمْ مَنْ دَاخِلُهَا فَتَسَاقَطَ عَلَيْهِمْ
تَسَاقُطَ الْمَطَرِ .

عِنْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ وَقَالَ يَا قَوْمُ ضَعُونِي عَلَى تُرْسٍ
وَارْفَعُوا التُّرْسَ عَلَى الرِّمَاحِ ثُمَّ اقْدِفُونِي بِالْحَدِيقَةِ قَرِيباً مِنْ بَابِهَا فَإِنَّمَا أَنُ
أَسْتَشْهَدُ وَإِنَّمَا أَنُ أَفْتَحَ لَكُمْ الْبَابَ وَفِي زَمَنِ يَسِيرٍ جَلَسَ الْبَرَاءُ عَلَى التُّرْسِ
وَرَفَعَتْهُ الرِّمَاحُ وَالْقَتَّةُ فِي حَدِيقَةِ الْمَوْتِ قُرْبَ الْبَابِ بَيْنَ الْآلَافِ الْمُؤَلَّفَةِ
مِنْ جُنْدِ مُسَيْلَمَةَ .

فَنَزَلَ عَلَيْهِمْ نُزُولَ الصَّاعِقَةِ فَجَالَدَهُمْ أَمَامَ بَابِ الْحَدِيقَةِ حَتَّى قَتَلَ
عَشْرَةً مِنْهُمْ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلْمُسْلِمِينَ وَبِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ جِرَاحَةً فَتَدَفَّقَ
الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْحَدِيقَةِ مِنْ حِيطَانِهَا وَأَبْوَابِهَا وَاعْمَلُوا السُّيُوفَ فِي رِقَابِ
الْمُرْتَدِينَ حَتَّى قَتَلُوا مِنْهُمْ قَرِيباً مِنْ عِشْرِينَ أَلْفاً وَوَصَلُوا إِلَى مُسَيْلَمَةَ
الْكَذَابِ فَقَتَلُوهُ .

ثُمَّ حَمَلُوا الْبَرَاءَ بْنَ مَالِكٍ إِلَى رَحْلِهِ لِيُدَاوَى فِيهِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ خَالِدُ
ابْنُ الْوَلِيدِ شَهراً يُعَالِجُهُ حَتَّى أِذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالشِّفَاءِ وَظَلَّ الْبَرَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ
يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ الَّتِي فَاتَتْهُ يَوْمَ الْحَدِيقَةِ حَتَّى كَانَ فَتَحُ تُسْتَرُ مِنْ بِلَادِ الْفُرْسِ
فِي إِحْدَى الْقِلَاعِ الْمُمَرَّدَةِ .

فَحَاصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَأَحَاطُوا بِهِمْ فَلَمَّا طَالَ الْحِصَارُ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ
عَلَى الْفُرْسِ جَعَلُوا يُذَلُّونَ مِنْ فَوْقِ أَسْوَارِ الْقَلْعَةِ سَلَاسِلَ مِنْ حَدِيدٍ عُلِقَتْ
بِهَا كَلَالِيْبُ مِنْ فُولاذٍ حُمِيتَ بِالنَّارِ فَكَانَتْ تَنْشِبُ فِي أَجْسَادِ الْمُسْلِمِينَ

وَتَعْلَقُ بِهِمْ فَيَرْفَعُوهُمْ إِلَيْهِمْ إِمَّا مَوْتِي وَإِلَّا عَلَى وَشَكِّ الْمَوْتِ فَعَلِقَ كُلُّوْبِ
مِنْهَا بِأَنْسِرِ بْنِ مَالِكٍ أَخِي الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ .

فَوَثَّبَ الْبَرَاءُ عَلَى جِدَارِ الْحِصْنِ وَأَمْسَكَ السُّلْسِلَةَ الَّتِي مَسَكَتُ أَخَاهُ
وَجَعَلَ يُعَالِجُ الْكُلَّابَ لِيُخْرِجَهُ مِنْ جَسَدِ أَخِيهِ وَأَخَذَتْ يَدَاهُ تَحْتَرِقُ فَلَمْ
يُبَالِ إِلَى أَنْ خَلَصَ أَخَاهُ وَهَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ يَدُهُ عِظَامًا
لَيْسَ عَلَيْهَا لَحْمٌ ثُمَّ دَعَا الْبَرَاءُ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ فَاجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ
وَأَسْتَشْهَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ أَهـ باختصار مِنْ صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

شعرا :

لَهْفِي عَلَى سُرْجِ الدُّنْيَا الَّتِي طَفِثَتْ
وَلَا يَزَالُ لَهَا فِي النَّاسِ أَنْوَارُ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ رِجَالًا طَالَمَا صَبَرُوا
وَهَكَذَا طَالِبُ الْعِلْيَاءِ صَبَّارُ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ رِجَالًا طَالَمَا عَدَلُوا
بَيْنَ الْأَنَامِ وَمَا حَابَوْا وَلَا مَارُوا
مَالُوا يَمِينًا عَنِ الدُّنْيَا وَزَهَرَتِهَا
لِأَنَّهَا فِي عُيُونِ الْقَوْمِ أَقْدَارُ
وَصَاحِبُوهَا بِأَجْسَادِ قُلُوبِهِمْ
طَيْرٌ لَهَا فِي ظِلَالِ الْعَرْشِ أَوْكَارُ

اللهم قَوِّ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةً مُهْتَدِينَ مِلَّةً لِأَوْلِيَائِكَ حُرَبًا لِأَعْدَائِكَ وَاغْفِرْ لَنَا

ولوالدينا وجميع المسلمين. الأحياء منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الراحمين وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصة

لَأُمِّ سَلَمَةَ وَمَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الْأَذَى

اسْمُهَا هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ سَيِّدٍ مِنْ سَادَاتِ مَخْزُومِ الْمَرْمُوقِينَ
وَجَوَاداً يُقَالُ لَهُ زَادُ الرَّايكِ لِأَنَّهُ إِذَا سَافَرَ لَا يَتْرَكَ أَحَدًا يُرَافِقُهُ وَمَعَهُ زَادٌ بَلْ
يَقُومُ بِرِفْقَتِهِ مِنَ الزَّادِ ، وَزَوْجُ أُمِّ سَلَمَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ أَحَدُ
الْعَشْرَةِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ لَمْ يُسَلِّمْ قَبْلَهُ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَنَفَرٌ قَلِيلٌ .

أُسْلِمَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مَعَ زَوْجِهَا فَكَانَتْ هِيَ الْأُخْرَى مِنَ السَّابِقَاتِ إِلَى
الْإِسْلَامِ ، وَلَمَّا شَاعَ خَبْرُ إِسْلَامِهَا هَاجَتْ قُرَيْشٌ وَجَعَلَتْ تَصُبُّ عَلَيْهِمَا
الْأَذَى الشَّدِيدَ ، فَلَمْ يُؤَثِّرْ بِهِمَا وَلَمْ يُزْلِزْهُمَا وَلَمْ يَتَرَدَّدا .

وَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمَا الْأَذَى وَاذَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ
بِالهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ كَانَا فِي طَلِيعَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَمَضَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَوْجُهَا
إِلَى دِيَارِ الْغُرَبَةِ وَخَلَفَتْ وَرَاءَهَا فِي مَكَّةَ بَيْتَهَا الْفَسِيخَ الْعَالِي ، وَعِزُّهَا
الشَّامِخَ ، وَأَقْرِبَائُهَا وَمَالُهَا ، مُحْتَسِبَةً الْأَجْرَ مِنَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ مُحْتَقِرَةً مَا
تَرَكَتْ فِي جَانِبِ مَرْضَاةِ اللهِ .

وَبِالرُّغْمِ مِمَّا حَصَلَ لِأُمِّ سَلَمَةَ وَمَنْ هَاجَرَ مَعَهَا مِنَ الْحَفَاوَةِ
وَالْأَكْرَامِ وَالتَّقْدِيرِ ، فَقَدْ كَانَ الشُّوقُ يَحْدُوهَا إِلَى مَهَبِطِ الْوَحْيِ وَإِلَى
النَّبِيِّ الْكَرِيمِ .

ثم تَتَابَعَتِ الْأَخْبَارُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ بِأَنَّ
الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ قَدْ كَثُرُوا وَاقْتَتَوْا وَعَزَّوْا ، وَأَنَّ إِسْلَامَ حَمْزَةَ وَعُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ قَدْ شَدَّ إِزْرَهُمْ وَكَفَّفَتْ شَيْئًا مِنْ أَدَى قُرَيْشٍ عَنِ الْمُسْلِمِينَ .

فَعَزَمَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْعُودَةِ إِلَى مَكَّةَ يَحْدُوهُمْ الشُّوقُ
وَيَدْعُوهُمْ الْحَنِينُ ، فَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَوْجُهَا مَعَ الْعَازِمِينَ عَلَى الْعُودَةِ .

لَكِنْ سَرَعَانَ مَا تَبَيَّنَ لِلْعَائِدِينَ أَنَّ مَا نُقِلَ لَهُمْ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ كَانَ
مُبَالِغًا فِيهِ ، وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَابَلُوا زِيَادَةَ الْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ بِالتَّهَوُّرِ وَالتَّفَنُّيِّ فِي
التَّعْذِيبِ وَتَرْوِيْعِهِمْ وَازْعَاجِهِمْ وَأَذَاقُوهُمْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ .

عِنْدَ ذَلِكَ أِذْنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ بِالْهِجْرَةِ
إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَعَزَمَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ، وَزَوْجُهَا عَلَى الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَكِنْ
هِجَرْتُهُمَا لَمْ تَكُنْ كَمَا ظَنَّا أَنَّهَا سَهْلَةٌ بَلْ كَانَتْ صَعْبَةً عَسْرَةً خَلَفَتْ وَرَاءَهَا
مَأْسَاءٌ تَهُونُ دُونَهَا كُلَّ مَأْسَاءٍ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَلَمَّا عَزَمَ أَبُو سَلَمَةَ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَعَدُّ
لِي بَعِيرًا ، ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ وَجَعَلَ طِفْلَنَا سَلَمَةَ فِي حَجْرِي ، وَمَضَى يَقُودُ
بِنَا الْبَعِيرَ ، وَهُوَ لَا يَلُويُّ عَلَى شَيْءٍ ، وَقَبْلَ أَنْ نَفْصِلُ عَنْ مَكَّةَ رَأَى رِجَالٌ
مِنْ قَوْمِي مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَتَصَدَّوْا لَنَا .

وَقَالُوا لِأَبِي سَلَمَةَ إِنْ كُنْتَ قَدْ غَلَبْتَنَا عَلَى نَفْسِكَ فَمَا بَالُ امْرَأَتِكَ
وَهِيَ بِنْتُنَا ، فَعَلَّامُ تَرْكُكَ تَأْخِذَهَا مِنَّا وَتَسِيرُ بِهَا ثُمَّ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَانْتَزَعُونِي ،
وَمَا إِنْ رَأَاهُمْ قَوْمٌ زَوْجِي بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ يَأْخِذُونَنِي أَنَا وَطِفْلِي حَتَّى
غَضِبُوا غَضَبًا شَدِيدًا .

وَقَالُوا لَا وَاللَّهِ لَا نَتْرُكُ الْوَلَدَ عِنْدَ صَاحِبَتِكُمْ بَعْدَ أَنْ انْتَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا انْتِزَاعاً فَهُوَ أَبْنَانَا وَنَحْنُ أَوْلَى بِهِ ، قَالَتْ ثُمَّ طَفِقُوا يَتَجَادَّبُونَ الطِّفْلَ بَيْنَهُمْ حَتَّى ضَرُّوا يَدَهُ وَأَخَذُوهُ .

وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ وَجَدْتُ نَفْسِي مُمَرِّقَةً الشَّمْلِ وَحِيدَةً فَرِيدَةً فَزَوَّجَنِي اتَّجَهَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَرَاراً بِدِينِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدَيَّ اخْتَطَفَهُ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ خَطْفًا مُحْطَمًا مُهَيَّضًا .

أَمَّا أَنَا فَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيَّ بَنُو مَخْزُومٍ قَوْمِي وَجَعَلُونِي عِنْدَهُمْ فُفُّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِي فِي سَاعَةٍ قَالَتْ ، وَمِنْ ذَلِكَ جَعَلْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْأَبْطَحِ فَأَجْلِسُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي شَهِدَ مَأْسَاتِي ، وَأَسْتَعِيدُّ فِيهَا صُورَةَ اللَّحْظَاتِ الَّتِي حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَوَلَدَيَّ فِيهَا .

وَأَظَلُّ أَبْكِي حَتَّى يُخَيِّمَ عَلَيَّ اللَّيْلُ وَبَقِيْتُ عَلَى ذَلِكَ قَرِيباً مِنْ سَنَةٍ ، قَالَتْ إِلَى أَنْ مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي فَرَّقَ لِحَالِي وَرَجَمَنِي ، قَالَ لِبَنِي قَوْمِي أَلَا تُطْلِقُونَ هَذِهِ الْمُسْكِينَةَ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَوَلَدِهَا وَمَا زَالَ بِهِمْ حَتَّى قَالُوا لِي الْحَقِيقِي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتَ .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي أَنْ الْحَقَّ بِزَوْجِي فِي الْمَدِينَةِ وَأَتْرُكُ فَلَذَةَ كِبْدِي وَلَدِي فِي مَكَّةَ عِنْدَ بَنِي عَبْدِ الْأَسَدِ ، قَالَتْ وَرَأَى بَعْضُ النَّاسِ مَا أَعَالَجُ مِنْ أَحْزَانٍ وَأَشْجَانٍ فَرَّقَتْ قُلُوبُهُمْ لِحَالِي وَكَلَمُوا بَنِي عَبْدِ الْأَسَدِ فِي شَأْنِي وَأَسْتَغْطَفُوهُمْ عَلَيَّ فَرَدُّوا لِي وَلَدِي سَلَمَةَ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَأَعَدَدْتُ بَعِيرِي وَوَضَعْتُ وَلَدِي فِي حَجْرِي وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهَةً إِلَى الْمَدِينَةِ أُرِيدُ زَوْجِي وَمَا مَعِيَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ .

قَالَتْ وَمَا وَصَلْتَ التَّعْجِيمَ حَتَّى لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ فَقَالَ إِلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ زَادِ الرَّاكَبِ فَقُلْتُ أُرِيدُ زَوْجِي فِي الْمَدِينَةِ قَالَ أَمَا مَعَكَ أَحَدٌ قُلْتُ لَا وَاللَّهِ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ لَبِيتُ هَذَا قَالَ عُثْمَانُ وَاللَّهِ لَا أَتْرُكُكَ أَبَدًا حَتَّى تَبْلُغِي الْمَدِينَةَ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ثُمَّ أَخَذَ بِخِطَامِ بَعِيرِي وَانْطَلَقَ يَهْوِي بِي قَالَتْ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتَ أَكْرَمَ مِنْهُ وَلَا أَشْرَفَ وَسَارَ مَعِيَ حَتَّى بَلَّغْنَا الْمَدِينَةَ .

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَرْيَةِ بَقْبَاءَ لَبِيتُ عَمْرُو بْنَ عَوْفٍ قَالَ زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ وَنَزَلَتْ عَلَى زَوْجِهَا وَقَرَّتْ عَيْنُهَا بِهِ وَبَوَلَدَهَا .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِدَ أَبُو سَلَمَةَ بَذْرًا وَعَادَ مِنْهَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ انْتَصَرُوا نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، وَشَهِدَ أَحَدًا وَأَبْلَى بِلَاءً حَسَنًا ، لَكِنَّهُ خُرِجَ مِنْهَا وَقَدْ جُرِحَ جُرْحًا بَلِيغًا ، فَمَا زَالَ يُعَالِجُهُ حَتَّى تَوَارَى لَهُ أَنَّهُ قَدْ إِنْدَمَلَ وَالتَّامَ .

لَكِنَّ الْجُرْحَ كَانَ بِنَاوُهُ عَلَى فَسَادٍ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ نَفَرَ وَالزَّمَّ أَبَا سَلَمَةَ الْفِرَاشَ .

وَبَيْنَمَا أَبُو سَلَمَةَ يُعَالِجُ جُرْحَهُ قَالَ لِزَوْجَتِهِ يَا أُمُّ سَلَمَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يُصِيبُ أَحَدًا مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَقُولَ اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي هَذِهِ ، اللَّهُمَّ أَخْلِفْنِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَوَضَعَ أَبُو سَلَمَةَ عَلَى فِرَاشٍ مَرْضِيهِ أَيَّامًا وَفِي ذَاتِ صَبَاحٍ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَيْتِهِ لِيَعُودَهُ ، فَلَمْ يَكْذُ يُجَاوِزُ بَابَ

الدارِ حتَّى فارق أبو سلمة الحَيَاةَ .

فَأَغْمَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا سَلَمَةَ وَقَالَ إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ اتَّبَعَهُ الْبَصَرُ وَرَفَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُقْهُ فِي عُقْبِهِ وَافْسَحْ لَهُ قَبْرَهُ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ مَا كَادَتْ تَخْرُجُ مِنْ جِدَادٍ حَتَّى تَتَابَعَ عَلَيْهَا الْخُطَابُ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهَا يَخْطُبُهَا فَأَبَتْ أَنْ تَسْتَجِيبَ لَهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ عُمَرُ ابْنُ الْخُطَابِ فَرَدَّتْهُ كَمَا رَدَّتْ صَاحِبَهُ .

ثُمَّ تَقَدَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فِيَّ خِلَالًا ثَلَاثًا فَأَنَا امْرَأَةٌ شَدِيدَةُ الْغَيْرَةِ فَأَخَافُ أَنْ تَرَى شَيْئًا مِنِّي يُغْضِبُكَ فَيُعَذِّبُنِي اللَّهُ .

وَأَنَا امْرَأَةٌ قَدْ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ وَأَنَا امْرَأَةٌ ذَاتُ عِيَالٍ .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا مَا ذَكَرْتِ مِنْ غَيْرَتِكَ فَإِنِّي أَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُذَهِّبَهَا عَنْكَ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ فِي السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكَ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكَ عِيَالِي .

ثُمَّ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهَا وَاخْلَفَهَا خَيْرًا مِنْ أَبِي سَلَمَةَ .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ تَكُنْ أُمُّ سَلَمَةَ فَقَطْ بَلْ كَانَتْ أُمًّا لِلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَثْوَانًا وَمَثْوَاهَا أَهـ .

باختصار بسيط من صور من حياة الصحابة .

شعرا :

فَيَاوَيْحَ مَنْ شَبَّتْ عَلَى الزُّيْغِ نَفْسُهُ
إِلَى أَنْ دَهَاهَا الشَّيْبُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَمَاتَ وَمَا لَأَقَى سِوَى الْخِزْيِ وَالشُّقَا
وَوَبَخَهُ بَيْنَ الْقُبُورِ نَكِيرُ
وَلَأَقَى إِلَهَ الْعَرْشِ فِي ثَوْبِ حَسْرَةٍ
وَقَدْ كَانَ فِي ثَوْبِ الْغُرُورِ يَدُورُ
فَقَالَ خُذُوهُ لِلْجَحِيمِ مُكْبَلًا
وَصَلُّوهُ نَارًا إِنَّهُ لَكَفُورُ
وَيَا فَوْزَ مَنْ أَدَّى مَنَاسِكَ دِينِهِ
وَعَاشَ سَلِيمَ الْقَلْبِ وَهُوَ طَهُورُ
وَتَابَعَ دِينَ الْحَقِّ فِقْهًا وَحِكْمَةً
وَلَبَّى نِدَاءَ اللَّهِ وَهُوَ شَكُورُ
فَهَذَا الَّذِي فِي الْخُلْدِ يَنْعَمُ بَالَهُ
وَتَحَظُّوْا بِهِ بَيْنَ الْأَرَائِكِ حُورُ
فَلَا تُهْمِلُوا يَا قَوْمُ آدَابَ دِينِكُمْ
فَهَجِرُ طَرِيقِ الْأَنْبِيَاءِ فُجُورُ
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا غَمُضَةٌ وَالتِّفَافَةُ
وَحُلُوْ أُمَانِي فَوْتُهُنَّ مَرِيرُ

وما المرء إلا طائر وجناحه
مرور ليلي العمر وهو قصير
وما الموت إلا جارح لا يعوقه
إذا انقض بئان علا وقصور
ورامي المنايا لا ترد سهامه
سواء لذيها حاكم وحقير
وإنا وإن عشنا زمانا مطولا
وطاب لذيها العيش وهو نظير
فبطن الثرى حتما مخط رحالنا
وهل ثم حي ما حوته قبور
ويا ليتها كانت نهاية ظعنا
ولكن عقبى الطاعنين نشور
وحشر مهول وازدحام بموقف
على كل إخوان الضياع عسير
ومصرفه سجن لمن عاش لا هيا
به لهب يشوي الحشا وسعير
وخضر جنان للذي مات تائبا
وكان له في الداجيات زفير
فلا تسلموا للنار حر وجوهكم
ولا تغضبوا الرحمن فهو غيور
وتوبوا إليه واسألوه حنانه
فوالله ربي إنه لغفور

وَلَا يَغْتَرِرْ ذُو الْجَاهِ مِنْكُمْ بِجَاهِهِ
 فَأكْبَرُ عَاتٍ فِي الْمَعَادِ حَقِيرُ
 وَعَنْ جَاهِهِ وَالْمَالِ مَنْ مَاتَ خَارِجُ
 وَأَغْنَى غِنًى إِذْ يَمُوتُ فَقِيرُ
 وَلَا تُلْهِكُمْ دُنْيَا أَبَادَتْ وَأَهْلَكَتْ
 مُلُوكَ قُرُونٍ عَدُّهُمْ كَثِيرُ
 وَإِنَّا إِن كَانَتْ أَسَافِلُ قَوْمِنَا
 تَسَاوَى لَدَيْهِمْ مُؤْمِنٌ وَكَفُورُ
 وَبَاعُوا بِدُنْيَاهُمْ فَضَائِلَ دِينِهِمْ
 وَفَاسَقَهُمْ لِلْمَآكِرِينَ نَصِيرُ
 فَقَدْ أَسْخَطُوا الرَّحْمَانَ أَحْتَى أَهَانُهُمْ
 وَلَيْسَ لَهُمْ لِإِلْتِقَامِ شُعُورُ
 فَمِنَّا أَنَاسٌ فِي الدِّيَاجِي نَوَاحُهُمْ
 تَبَيَّنَ لَهُمْ عِنْدَ الْبُكَاءِ صُخُورُ
 يَنَادُونَ يَا رَحْمَنُ لُطْفًا فإِنَّا
 عَهْدُنَاكَ عَطْفًا لِلْهُوفِ تَجِيرُ
 فَيَا مَصْلِحَ الْأَحْوَالِ جَمِّلْ شُؤُنَنَا
 فَأَنْتَ لِإِصْلَاحِ الشُّؤُونِ جَدِيرُ
 وَأَنْتَ إِلَهُ الْعَالَمِينَ بِأَسْرِهِمْ
 وَأَنْتَ سَمِيعُ عَالِمٍ وَبَصِيرُ
 فَلَا يَأْسَ إِذْ أَنْتَ الْقَدِيرُ وَكُلُّ مَنْ
 تَوَلَّاهُ يَأْسٌ مِنْكَ فَهُوَ كَفُورُ

وَصَلِّ وَسَلِّمْ يَا إِلَهِي تَفَضُّلاً
عَلَى مَنْ بِذِكْرَاهُ الْقُلُوبُ تُنِيرُ
مَحَمَّدُ قُطْبُ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ رَحَى
رِسَالَتِهِمْ جَمْعاً عَلَيْهِ تَدُورُ

اللهم يا حيُّ يا قيُّومُ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّنْأِ
مِنَ الْكَذِبِ وَأَعْيُنَنَا مِنَ الْخِيَانَةِ إِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

نَمَازِجٌ مِنْ سِيرَةِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْمُخْلِصِينَ
وَنُصَاحِهِمْ لِرِوَايَةِ الْأُمُورِ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الطَّمَعِ وَالْجَشَعِ
عَكْسُ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ عُلَمَاءِ هَذَا الزَّمَانِ

عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ قَالَ بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ
الْمَنْصُورُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا بِالسَّاحِلِ فَاتَيْتُهُ ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ
عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، رَدَّ عَلَيَّ وَاسْتَجَلَسَنِي ، ثُمَّ قَالَ لِي مَا الَّذِي أَبْطَأَ بِكَ عَنَّا
يَا أَوْزَاعِي .

قَالَ قُلْتُ وَمَا الَّذِي تُرِيدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ أُرِيدُ الْأَخَذَ عَنْكُمْ
وَالْإِقْتِبَاسَ مِنْكُمْ ، قَالَ فَقُلْتُ فَانْظُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تَجْهَلَ شَيْئاً مِمَّا
أَقُولُ لَكَ ، قَالَ كَيْفَ أَجْهَلُهُ وَأَنَا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَفِيهِ وَجْهَتُ إِلَيْكَ وَأَقْدَمْتُكَ
لَهُ .

قَالَ قُلْتُ أَخَافُ أَنْ تَسْمَعَهُ ، ثُمَّ لَا تَعْمَلُ بِهِ ، قَالَ فَصَاحَ بِي الرَّبِيعُ

وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى السَّيْفِ ، فَانْتَهَرَهُ الْمَنْصُورُ وَقَالَ هَذَا مَجْلِسُ مَثُوبَةٍ لَا
مَجْلِسُ عُقُوبَةٍ فَطَابَتْ نَفْسِي ، وَانْبَسَطَتْ فِي الْكَلَامِ .

فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدِّثْنِي مَكْحُولٌ عَنْ عَطِيَّةٍ عَنْ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ اللَّهِ فِي
دِينِهِ ، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سَيَقَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنْ قَبَلَهَا بِشُكْرِ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً
مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِيَزْدَادَ بِهَا إِثْمًا وَيَزْدَادَ اللَّهُ بِهَا سُخْطًا عَلَيْهِ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدِّثْنِي مَكْحُولٌ عَنْ عَطِيَّةٍ ابْنِ يَاسِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَيُّمَا وَالٍ مَاتَ غَاشًا لِرِعِيَّتِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَرِهَ الْحَقُّ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهُ ، إِنْ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ
الْمُبِينُ ، إِنْ الَّذِي لَيْنَ قُلُوبِ أُمَّتِكُمْ لَكُمْ جِئِنَ وَلَاكُمْ أُمُورُهُمْ لِقَرَابَتِكُمْ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ كَانَ بِهِمْ رَوْفًا رَجِيمًا مُوَاسِيًا لَهُمْ
بِنَفْسِهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ مَحْمُودًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ ، فَحَقِيقُ بِكَ أَنْ تَقُومَ
لَهُ فِيهِمْ بِالْحَقِّ ، وَأَنْ تَكُونَ بِالْقَسْطِ لَهُ فِيهِمْ قَائِمًا ، وَلِعَوْرَاتِهِمْ سَائِرًا لَا
تُغْلِقُ عَلَيْكَ دُونَهُمُ الْحِجَابَ ، تَبْتَهِجَ بِالنِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ وَتَبْتَئِسَ بِمَا أَصَابَهُمْ
مِنْ سُوءٍ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ كُنْتُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنْ خَاصَّةِ نَفْسِكَ عَنْ
عَامَّةِ النَّاسِ الَّذِينَ أَصْبَحَتْ تَمْلِكُهُمْ أَحْمَرُهُمْ وَأَسْوَدُهُمْ مُسْلِمِيهِمْ
وَكَافِرُهُمْ وَكُلُّ لَهُ عَلَيْكَ نَصِيبٌ مِنَ الْعَدْلِ ، فَكَيْفَ بِكَ إِذَا انْبَعَثَ مِنْهُمْ
فِتْنَامٌ ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو بَلِيَّةً أَدْخَلَتْهَا عَلَيْهِ أَوْ ظَلَامَةً سَقَتْهَا
إِلَيْهِ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ قَالَ كَانَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيدَةٌ يَسْتَاكُ بِهَا وَيُرَوِّعُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ الَّتِي كَسَرْتَ بِهَا قُلُوبَ أُمَّتِكَ وَمَلَأْتَ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا ، فَكَيْفَ بِمَنْ شَقَّقَ أَسْتَارَهُمْ وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ ، وَأَجْلَاهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ وَغَيَّبَهُمُ الْخَوْفُ مِنْهُ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ عَنْ زِيَادَةَ عَنْ حَارِثَةَ عَنْ حَبِيبِ ابْنِ مَسْلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ فِي خَدَشٍ خَدَشَهُ أَغْرَابِيٌّ لَمْ يَتَعَمَّدْهُ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ جَبَّارًا وَلَا مُتَكَبِّرًا ، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَغْرَابِيَّ فَقَالَ « اقْتَصِرْ مِنِّي » فَقَالَ الْأَغْرَابِيُّ قَدْ أَحْلَلْتُكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، وَمَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَوْ أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِي فَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضُ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَخُذْ لَهَا الْأَمَانَ مِنْ رَبِّكَ ، وَارْغَبْ فِي جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، الَّتِي يَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيدُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْمُلْكَ لَوَبَقِي لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، وَكَذَا لَا يَبْقَى لَكَ كَمَا لَمْ يَبْقَ لِغَيْرِكَ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَذَرُنِي مَا جَاءَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ جَدِّكَ ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ قَالَ الصَّغِيرَةُ التَّبْسُمُ

وَالْكَبِيرَةُ الضَّحِكُ ، فَكَيْفَ بِمَا عَمِلْتَهُ الْإِيْدِي وَحَصَدْتَهُ الْأَلْسُنُ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلَّغْنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَوْ مَاتَتْ سَخْلَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ضُيِّعَتْ لَخَشِيتُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهَا ، فَكَيْفَ مِنْ حُرْمِ عَذْلِكَ وَهُوَ عَلَى بِسَاطِكَ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَدْرِي مَا جَاءَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ جَدِّكَ هُوَ يَا دَاوُدُ أَنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الزُّبُورِ يَا دَاوُدُ إِذَا قَعَدَ الْخَصْمَانُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَكَانَ لَكَ فِي أَحَدِهِمَا هَوَى ، فَلَا تَتَمَنَّيَنَّ فِي نَفْسِكَ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لَهُ فَيُفْلِحَ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَأَمْحُوكَ عَنْ نُبُوتِي ثُمَّ لَا تَكُونَ خَلِيفَتِي ، وَلَا كَرَامَةً ، يَا دَاوُدُ إِنَّمَا جَعَلْتُ رُسُلِي إِلَى عِبَادِي رُعَاةً كَرُعَاةِ الْإِبِلِ ، لِيُعَلِّمَهُم بِالرُّعَايَةِ وَرِفْقِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ لِيَجْبُرُوا الْكَسِيرَ وَيُدْلُّهُوا الْهَزِيلَ عَلَى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ قَدْ بُلِّيتَ بِأَمْرِ لَوْ عُرِضَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ لِأَبَيِّنَ أَنْ يَحْمِلَنَّهُ وَاشْفَقْنَ مِنْهُ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ جَابِرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَرَأَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ مُقِيمًا فَقَالَ لَهُ مَا مَنَعَكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى عَمَلِكَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لَكَ مِثْلَ أَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ لَا ثُمَّ قَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ قَالَ إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ وَالٍ يَلِي شَيْئًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ إِلَّا أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةٌ يَدُهُ إِلَى

عُنُقِهِ ، لَا يَفُكُّهَا إِلَّا عَذْلُهُ ، فَيُوقَفُ عَلَى جَسْرِ مِنَ النَّارِ يَنْتَفِضُ بِهِ ذَلِكَ
 الْجَسْرُ انْتِفَاضَةً تُزِيلُ كُلَّ عُضْوٍ مِنْهُ عَنْ مَوْضِعِهِ ، ثُمَّ يُعَادُ فَيُحَاسَبُ ، فَإِنْ
 كَانَ مُحْسِنًا نَجَا بِإِحْسَانِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْحَرَفَ بِهِ ذَلِكَ الْجَسْرُ ،
 فَتَهْوَى بِهِ فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّنْ سَمِعَتْ
 قَالَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ وَسَلْمَانَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا عُمَرُ فَسَأَلَهُمَا فَقَسَالَا نَعَمْ سَمِعْنَا
 مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عُمَرُ وَاَعْمَرَاهُ مَنْ يَتَوَلَّاهَا بِمَا
 فِيهَا فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ سَلَتَ اللَّهُ أَنْفَهُ ، وَالصَّقَّ خَدَّهُ
 بِالْأَرْضِ قَالَ فَأَخَذَ الْمِنْدِيلَ فَوَضَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ بَكَى وَانْتَحَبَ حَتَّى
 أَبْكَانِي .

ثُمَّ قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ سَأَلَ الْعَبَّاسُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ إِمَارَةَ مَكَّةَ أَوْ الطَّائِفَ أَوْ الْيَمَنَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَا عَبَّاسُ يَا عَمُّ النَّبِيِّ نَفْسُ تُحْيِيهَا خَيْرٌ مِنْ أَمَارَةٍ لَا تُخْصِيهَا ،
 نَصِيحَةٌ مِنْهُ لِعَمِّهِ وَشَفَقَةٌ عَلَيْهِ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِذْ
 أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ، فَقَالَ يَا عَبَّاسُ وَيَا صَفِيَّةُ وَيَا
 فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ إِنِّي لَسْتُ أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ
 عَمَلُكُمْ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَقْسِمُ أَمْرُ النَّاسِ إِلَّا
 حَصِيفُ الْعَقْلِ أَرَيْبُ الْعَقْدِ ، لَا يُطْلَعُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، لَا يُخَافُ مِنْهُ
 عَلَى حُرَّةٍ ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَقَالَ الْأَمْرَاءُ أَرْبَعَةٌ فَأَمِيرٌ قَوِيٌّ
 ظَلَفَ نَفْسَهُ وَعُمَالَهُ ، فَذَلِكَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَدُ اللَّهِ بَاسِطَةٌ عَلَيْهِ
 الرَّحْمَةُ ، وَأَمِيرٌ فِيهِ ضَعْفٌ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَارْتَعَ عُمَالَهُ لِضَعْفِهِ ، فَهُوَ عَلَى
 شَفَاءٍ هَلَاكِ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ ، وَأَمِيرٌ ظَلَفَ عُمَالَهُ لِضَعْفِهِ ، فَهُوَ عَلَى

شَفَاءِ هَلَاكِ إِلَّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ ، وَأَمِيرُ ظَلَفَ عُمَالَهُ وَارْتَعَ نَفْسَهُ فَذَلِكَ
الْحُطْمَةُ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرُّ الرِّعَاءِ
الْحُطْمَةُ فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ ، وَأَمِيرُ ارْتَعَ نَفْسَهُ وَعُمَالَهُ فَهَلَكُوا جَمِيعاً .

وَقَدْ بَلَغَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَتَيْتَكَ حِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِمَنَافِخِ النَّارِ فَوُضِعَتْ عَلَى النَّارِ
تُسَعَّرُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقَالَ لَهُ يَا جِبْرِيلُ صِفْ لِي النَّارَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ
بِهَا فَأَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى
اصْفَرَّتْ ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ،
لَا يُضِيءُ جَمْرُهَا ، وَلَا يَطْفَأُ لَهَبُهَا ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ ثَوْباً مِنْ
ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ أَظْهَرَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ لَمَاتُوا جَمِيعاً وَلَوْ أَنَّ ذُنُوباً مِنْ شَرَابِهَا
صُبَّ فِي مِيَاهِ الْأَرْضِ جَمِيعاً قَتَلَ مَنْ ذَاقَهُ ، وَلَوْ أَنَّ ذِرَاعاً مِنَ السَّلْسِلَةِ
الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ وَضِعَ عَلَى جِبَالِ الْأَرْضِ جَمِيعاً لَذَابَتْ وَمَا اسْتَقَلَّتْ ، وَلَوْ
أَنَّ رَجُلًا أَدْخَلَ النَّارَ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهَا لَمَاتَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ نَتَنِ رِيحِهِ
وَتَشْوِيهِ خَلْقِهِ وَعِظَامِهِ .

فَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَكَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبُكَائِهِ
فَقَالَ أَتَبْكِي يَا مُحَمَّدُ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَقَالَ
أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ، وَلَمْ يَكُنْ يَا جِبْرِيلُ وَأَنْتَ الرُّوحُ الْأَمِينُ أَمِينُ
اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ .

قَالَ أَخَافُ أَنْ أُبْتَلَى بِمَا ابْتُلِيَ بِهِ هَارُوتُ وَمَارُوتُ ، فَهُوَ الَّذِي
مَنْعَنِي مِنْ اتِّكَالِي عَلَى مَنْزِلَتِي عِنْدَ رَبِّي ، فَأَكُونُ قَدْ أَمِنْتُ مَكْرَهُ ، فَلَمْ
يَزَالَا يَبْكِيَانِ حَتَّى نُودِيََا مِنَ السَّمَاءِ ، يَا جِبْرِيلُ ، وَيَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ

أَمْنُكُمْ أَنْ تَعْصِيَاهُ ، فَيُعَذِّبُكُمْ ، وَفَضْلُ مُحَمَّدٍ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ كَفَضْلِ
جِبْرِيلَ عَلَى سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ .

وَقَدْ بَلَغَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَبَالِي إِذَا قَعَدَ الْخَصَمَانِ بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى مَنْ مَالَ
الْحَقُّ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ ، فَلَا تُمَهِّلْنِي طَرْفَةَ عَيْنٍ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَشَدَّ الشَّدَةِ الْقِيَامُ لِلَّهِ بِحَقِّهِ ، وَإِنَّ أَكْرَمَ الْكَرَمِ
عِنْدَ اللَّهِ التَّقْوَى ، وَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ بِطَاعَةِ اللَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَأَعَزَّهُ .

وَمَنْ طَلَبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ أَذَلَّهُ اللَّهُ ، وَوَضَعَهُ ، فَهَذِهِ نَصِيحَتِي إِلَيْكَ
وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ ، ثُمَّ نَهَضْتُ فَقَالَ لِي إِلَى أَيْنَ فَقُلْتُ إِلَى الْوَلَدِ وَالْوَطَنِ ،
يَا ذِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَقَالَ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ ، وَشَكَرْتُ لَكَ نَصِيحَتِكَ ، وَقَبِلْتُهَا ، وَاللَّهُ
الْمُوفِقُ لِلْخَيْرِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ ، وَبِهِ أَسْتَعِينُ ، وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ ، وَهُوَ خَسْبِي
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَلَا تُخْلِنِي بِمُطَالَعَتِكَ آيَايَ ، بِمِثْلِ هَذَا فَإِنَّكَ الْمَقْبُولُ الْقَوْلَ
غَيْرَ الْمُتَّهَمِ فِي النَّصِيحَةِ ، قُلْتُ أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَلَمَّا اسْتَوْلَى الْمَلِكُ الصَّالِحُ عَلَى دِمَشْقَ اسْتَعَانَ بِالْإِنْفَرَجِ ،
وَاضْطَلَحَ مَعَهُمْ عَلَى أَنْ يُسْعِفُوهُ ضِدُّ أَخِيهِ ، مَلِكِ مِصْرَ ، وَيُعْطِيَهُمْ مُقَابِلَ
مَعُونَتِهِمْ صَيْدًا وَقَلْعَةَ الشَّقِيفِ ، وَغَيْرَهَا مِنْ حُصُونِ الْمُسْلِمِينَ .

وَدَخَلَ الصُّلَيْبِيُّونَ دِمَشْقَ ، لِشِرَاءِ السَّلَاحِ فَاسْتَفْظَعَ الشَّيْخُ الْعِزُّ بْنُ

عَبْدِ السَّلَامِ ذَلِكَ ، وَغُمٌ غَمًا شَدِيدًا ، فَأُفْتِيَ بِتَحْرِيمِ بَيْعِ السِّلَاحِ لِلْإِفْرَنْجِ ، وَتَرَكَ الدُّعَاءَ لِلسُّلْطَانِ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ .

وَنَدَّدَ بِخِيَانَةِ السُّلْطَانِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ مِمَّا دَعَا بِهِ فِي خُطْبَةٍ : « اللَّهُمَّ أَتْرَمَ لِهَذِهِ الْأَمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ تُعِزُّ فِيهِ وَلِيَّكَ ، وَتُذِلُّ بِهِ عَدُوَّكَ ، وَيُعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَتِكَ ، وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ مَعْصِيَتِكَ ، وَالنَّاسُ يُؤْمِنُونَ عَلَى دُعَائِهِ ، فَبِمِثْلِ لَحَاقِ الْبَرْقِ بَلَغَ الْجَوَاسِيسُ الْمَلِكَ مَا فَعَلَهُ قَاضِي الْقَضَاةِ .

وَمَا أَكْثَرَ الْمُبْلَغِينَ وَالْمُتَوَدِّدِينَ وَالنَّمَائِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ ، وَمَكَانٍ ، فَغَضِبَ السُّلْطَانُ ، وَعَزَلَ الشَّيْخَ عَنِ الْقَضَاةِ فَرَحَلَ الشَّيْخُ عَنْ دِمَشْقَ إِلَى مِصْرَ ، وَبَيْنَمَا هُوَ فِي الطَّرِيقِ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ فِي أَثَرِهِ ، فَأَذْرَكَهُ رُسُلُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ . وَطَلَبُوا مِنْهُ الرُّجُوعَ ، وَقَالُوا لَهُ إِنَّ السُّلْطَانَ عَفَا عَنْكَ وَسَيَرُّدَكَ إِلَى مَنْصِبِكَ عَلَى أَنْ تَنْكَسِرَ لَهُ وَتَعْتَذِرَ ، وَتُقَبِّلَ يَدَهُ .

فَقَالَ لَهُمُ الشَّيْخُ أَنَا مَا أَرْضَى أَنْ يُقَبِّلَ يَدِي ، فَضَلَّ عَنْ أَنْ أُقَبِّلَ يَدَهُ ، يَا قَوْمُ أَنْتُمْ فِي وَادِي ، وَأَنَا فِي وَادِي ، ثُمَّ مَضَى فِي طَرِيقِهِ حَتَّى وَصَلَ مِصْرَ . هَكَذَا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لُومَةٌ لَا تُؤْمَرُ .

(فَضْلٌ)

وَلَمَّا عَلِمَ مَنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقُرْطَبَةَ ، أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ بَنَى مَدِينَةَ الزُّهْرَاءِ وَوَضَعَ فِيهَا الصَّرْحَ الْمُمَرَّدَ ، وَاتَّخَذَ لِقُبَّتِهِ قَرَامِيدَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

فَغَضِبَ الشَّيْخُ لِذَلِكَ ، وَتَأَلَّمَ لِهَذَا الْبَذْخِ فِي مَالِ الدَّوْلَةِ وَعَلِمَ أَنَّهُ الْمَسْئُولُ الْأَوَّلُ أَمَامَ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْهَى

عَنْ هَذَا السَّرَفِ الْمُضِرِّ بِصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ .

فَجَاءَ إِلَى النَّاصِرِ وَقَبَّحَ عَمَلَهُ هَذَا وَأَنْبَهُ بِقَوْلِهِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَخْزَاهُ اللَّهُ بَلَّغَ بِكَ هَذَا الْمَبْلَغَ ، وَلَا أَنَّ تُمْكُّنَهُ مِنْ قِيَادِكَ هَذَا التَّمَكُّينَ حَتَّى أَنْزَلَكَ اللَّهُ مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ مَعَ مَا آتَاكَ اللَّهُ وَفَضَّلَكَ عَلَى الْعَالَمِينَ .

فَاقْشَعَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ مِنْ قَوْلِ الشَّيْخِ وَقَالَ لَهُ أَنْظِرْ مَاذَا تَقُولُ كَيْفَ أَنْزَلَنِي مَنَازِلَهُمْ قَالَ نَعَمْ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فُضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَيَّفُونَ وَزُخْرَفًا ، وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

فَسَكَتَ النَّاصِرُ وَنَكَّسَ رَأْسَهُ سَاعَةً ، وَاغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْبُكَاءِ وَصَارَتْ دُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ وَلَحْيَتَيْهِ ، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ حَيْثُ وَصَلَتْ الْمَوْعِظَةُ الْخَالِصَةُ إِلَى قَلْبِهِ ، وَتَأَثَّرَ تَأَثَّرًا عَظِيمًا لِأَنَّهَا مِنْ قَلْبٍ إِلَى قَلْبٍ .

ثُمَّ قَالَ لِلشَّيْخِ جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، وَأَكْثَرَ فِينَا مِنْ أَمْثَالِكَ ، فَالَّذِي نَطَقْتَ بِهِ حَقٌّ وَاللَّهِ وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ يَلْهَجُ بِالِاسْتِغْفَارِ ثُمَّ أَمَرَ بِنَقْصِ سَقْفِ الْقُبَّةِ ، وَأَعَادَ قَرَامِيدَهَا تُرَابًا .

فَتَأَمَّلْ يَا أَخِي كَيْفَ أَنَّ سُلْطَانَ الدُّنْيَا وَالْمَادَّةِ وَقَفَ خَاشِعًا أَمَامَ هَذَا الْعَالِمِ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا يَمُومُ الَّذِي أَدَّى وَاجِبَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ مُعْتَمِدًا عَلَى فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا وَلَوْ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ هَذَا الْعَصْرِ الْمُظْلِمِ لَسَمِعْتَ غَيْرَ هَذَا فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورُ مَكَّةَ شَرَفَهَا اللَّهُ حَاجاً فَكَانَ
يَخْرُجُ مِنْ دَارِ النُّدْوَةِ إِلَى الطَّوَافِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ ، يَطُوفُ وَيُصَلِّي وَلَا
يَعْلَمُ بِهِ ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ ، رَجَعَ إِلَى دَارِ النُّدْوَةِ ، وَجَاءَ الْمُؤَذِّنُونَ
فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ .

فَخَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ حِينَ أُسْحَرَ فَبَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ إِذْ سَمِعَ رَجُلًا عِنْدَ
الْمُلْتَزِمِ وَهُوَ يَقُولُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظُهُورَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي
الْأَرْضِ ، وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الظُّلْمِ ، وَالطَّمَعِ ، فَاسْرِعْ
الْمَنْصُورُ فِي مَشْيِهِ ، حَتَّى مَلَأَ مَسَامِعَهُ مِنْ قَوْلِهِ وَفَهِمَ قَوْلَهُ كُلَّهُ .

ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ نَاحِيَةَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَدَعَا ، فَأَتَاهُ
الرَّسُولُ ، وَقَالَ لَهُ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَاسْتَلَّمَ الرُّكْنَ
وَأَقْبَلَ مَعَ الرَّسُولِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : مَا هَذَا الَّذِي سَمِعْتُكَ
تَقُولُ مِنْ ظُهُورِ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ
الطَّمَعِ وَالظُّلْمِ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَشَوْتُ مَسَامِعِي مَا أَمْرَضَنِي وَأَقْلَقَنِي .

فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أُمْتَنَيْتَنِي عَلَى نَفْسِي أَنْبَأْتُكَ بِالْأُمُورِ مِنْ
أُصُولِهَا وَإِلَّا اقْتَصَرْتُ عَلَى نَفْسِي فَفِيهَا لِي شُغْلٌ شَاغِلٌ ، فَقَالَ لَهُ أَنْتَ آمِنٌ
عَلَى نَفْسِكَ فَقَالَ الَّذِي دَخَلَهُ الطَّمَعُ حَتَّى حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَقِّ وَاصْلَاحِ
مَا ظَهَرَ مِنَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ أَنْتَ .

فَقَالَ وَيْحَكَ يَدْخُلُنِي الطَّمَعُ وَالصُّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ فِي يَدَيَّ وَالْحُلُو
وَالْحَامِضُ فِي قُبْضَتِي قَالَ وَهَلْ دَخَلَ أَحَدًا مِنَ الطَّمَعِ مَا دَخَلَكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَرَعَاكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَغْفَلْتَ
أُمُورَهُمْ وَاهْتَمَمْتَ بِجَمْعِ أَمْوَالِهِمْ .

وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَاباً مِنَ الْجِصِّ ، وَالْأَجْرِ وَأَبْوَاباً مِنَ
الْحَدِيدِ وَحِجَبَةً مَعَهُمُ السِّلَاحُ ثُمَّ سَجَنْتَ نَفْسَكَ فِيهَا عَنْهُمْ وَبَعَثْتَ عُمَّالَكَ
فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَجِبَايَتِهَا .

وَاتَّخَذْتَ وُزَرَءَ وَأَعْوَاناً ظَلَمَةً . إِنْ نَسِيتَ لَمْ يُذَكِّرْوكَ وَإِنْ ذَكَرْتَ لَمْ
يُعِينُوكَ وَقَوَّيْتَهُمْ عَلَى ظُلْمِ النَّاسِ بِالْأَمْوَالِ وَالْكُرَاعِ ، وَالسِّلَاحِ وَأَمَرْتَ
بِأَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فُلَانٌ وَفُلَانٌ نَفَرٌ سَمِيتَهُمْ وَلَمْ تَأْمُرْ
بِإِصْصَالِ الْمَظْلُومِ وَالْمَلْهُوفِ وَلَا الْجَائِعِ وَلَا الْعَارِي وَلَا الضَّعِيفِ وَلَا
الْفَقِيرِ وَلَا أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ .

فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَأَثَرَتَهُمْ عَلَى
رَعِيَّتِكَ وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ لَا يُحْجَبُوا عَنْكَ تَجِبِي الْأَمْوَالِ وَلَا تَقْسِمُهَا قَالُوا هَذَا
قَدْ خَانَ اللَّهُ فَمَا لَنَا لَا نَخُونُهُ وَقَدْ سَخِرَ لَنَا .

فَاتَّمَرُوا عَلَى أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ أَخْبَارِ النَّاسِ إِلَّا مَا أَرَادُوا
وَأَنْ لَا يَخْرُجَ لَكَ عَامِلٌ فَيُخَالِفَ لَهُمْ أَمراً إِلَّا أَقْصَوْهُ حَتَّى تَسْقُطَ مَنْزِلَتُهُ
وَيَضْغَرَ قَدْرُهُ .

فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ ، أَعْظَمَهُمُ النَّاسُ - وَهَابُوهُمْ وَكَانَ أَوَّلُ
مَنْ صَانَعَهُمْ عُمَّالَكَ بِالْهَدَايَا وَالْأَمْوَالِ لِيَتَّقَوْا بِهِمْ عَلَى ظُلْمِ رَعِيَّتِكَ .

ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ذَوُو الْقُدْرَةِ وَالثَّرْوَةِ مِنْ رَعِيَّتِكَ لِيَنَالُوا ظُلْمَ مَنْ دُونَهُمْ
مِنَ الرَّعِيَةِ فَامْتَلَأَتْ بِلَادُ اللَّهِ بِالطَّمَعِ بَغِيّاً وَفَسَاداً وَصَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ
شُرَكَاءَكَ فِي سُلْطَانِكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ .

فَإِنْ جَاءَ مُتَظَلِّمٌ جِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدُّخُولِ إِلَيْكَ وَإِنْ أَرَادَ رَفَعَ صَوْتَهُ أَوْ

فَصَبَّهِ إِلَيْكَ عِنْدَ ظُهُورِكَ وَجَدَكَ قَدْ نَهَيْتَ عَنْ ذَلِكَ ، وَقُفْتَ لِلنَّاسِ رَجُلًا
يَنْظُرُ فِي مَظَالِمِهِمْ ، فَإِنْ جَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَبَلَغَ بِطَانَتِكَ سَأَلُوا صَاحِبَ
الْمَظَالِمِ أَنْ لَا يَرْفَعَ مَظْلَمَتَهُ وَإِنْ كَانَتْ لِلْمُتَظَلِّمِ بِهِ حُرْمَةٌ وَإِجَابَةٌ لَمْ يُمْكِنَهُ
مِمَّا يُرِيدُ خَوْفًا مِنْهُمْ .

فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَيَلُودُ بِهِ وَيَشْكُو ، وَيَسْتَعِيثُ وَهُوَ
يُدْفَعُهُ وَيَعْتَلِي عَلَيْهِ ، فَإِذَا جُهِدَ ، وَأُخْرِجَ وَظَهَرَتْ صَرَخَ بَيْنَ يَدَيْكَ
فَيُضْرَبُ ضَرْبًا مُبْرَحًا ، لِيَكُونَ نَكَالًا لِغَيْرِهِ ، وَأَنْتَ تَنْظُرُ ، وَلَا تُتَكَبَّرُ وَلَا
تُغْنِي ، فَمَا بَقَاءُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ عَلَى هَذَا .

وَلَقَدْ كَانَ بَنُو أُمَيَّةَ وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا يَسْتَهِي إِلَيْهِمُ الْمَظْلُومُ إِلَّا رُفِعَتْ
ظِلَامَتُهُ إِلَيْهِمْ ، فَيُنْصَفُ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ حَتَّى يَبْلُغَ
بَابَ سُلْطَانِهِمْ ، فَيُنَادِي يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ فَيَتَدَرَوْنَهُ مَالِكٌ فَيَرْفَعُونَ مَظْلَمَتَهُ
إِلَى سُلْطَانِهِمْ فَيُنْصَفُ .

وَلَقَدْ كُنْتُ أَسَافِرُ إِلَى أَرْضِ الصِّينِ وَبِهَا مَلِكٌ فَقَدِمْتُهَا مَرَّةً وَقَدْ
ذَهَبَ سَمْعُ مَلِكِهِمْ ، فَجَعَلَ يَبْكِي فَقَالَ وَزَرَاؤُهُ مَا لَكَ تَبْكِي لَا بَكَتُ
عَيْنَاكَ .

فَقَالَ أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِي ، وَلَكِنْ
أَبْكِي لِمَظْلُومٍ يَصْرُخُ بِالْبَابِ فَلَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ .

ثُمَّ قَالَ أَمَا إِنْ كَانَ ذَهَبَ سَمْعِي فَإِنَّ بَصَرِي لَمْ يَذْهَبْ ، نَادُوا فِي
النَّاسِ أَلَا لَا يَلْبَسُ ثَوْبًا أَحْمَرَ إِلَّا مَظْلُومًا ، فَكَانَ يَرْكَبُ الْفِيلَ وَيَطُوفُ
طَرَفِي النَّهَارِ هَلْ يَرَى مَظْلُومًا فَيُنْصَفُهُ .

هذا يا أمير المؤمنين مُشْرِكٌ بالله ، قَدْ غَلَبَتْ رَأْفَتُهُ بِالْمُشْرِكِينَ ،
وَرِقَّتُهُ ، عَلَى شُحِّ نَفْسِهِ فِي مُلْكِهِ وَأَنْتَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ ، وَابْنُ عَمِّ نَبِيِّ اللَّهِ
لَا تَغْلِبُكَ رَأْفَتُكَ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَرِقَّتُكَ عَلَى شُحِّ نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَجْمَعُ
الْأَمْوَالَ إِلَّا لِوَاحِدٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ .

إِنْ قُلْتَ أَجْمَعُهَا لَوْلَدِي فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِي الْيَتَامَى الصَّغِيرِ يَسْقُطُ
مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَمَالُهُ عَلَى الْأَرْضِ مَالٌ ، وَمَا مِنْ مَالٍ إِلَّا وَدُونُهُ يَدُ شَجِيحَةٍ
تَحْوِيهِ ، فَمَا يَزَالُ اللَّهُ تَعَالَى يَلْطَفُ بِذَلِكَ الْيَتَامَى حَتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ النَّاسِ
إِلَيْهِ ، وَلَسْتَ الَّذِي تُعْطِي بَلِ اللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ .

وَإِنْ قُلْتَ أَجْمَعُ لِأَشِيْدِ سُلْطَانِي فَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ عِبْرًا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكَ
مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا جَمَعُوهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَمَا أَعْدَوْا مِنَ الرِّجَالِ
وَالسُّلَاحِ وَالْكُرَاعِ وَمَا ضُرُّكَ وَوَلَدَ أَيْبِكَ مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنْ قِلَّةِ الْحِجَّةِ
وَالضُّعْفِ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِكُمْ مَا أَرَادَ .

وَإِنْ قُلْتَ أَجْمَعُ لِطَلَبِ غَايَةٍ هِيَ أَجْسَمُ مِنَ الْغَايَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
فَوَاللَّهِ مَا فَوْقَ مَا أَنْتَ فِيهِ إِلَّا مَنْزِلَةٌ لَا تُذْرِكُ إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ - يُرِيدُ
الْجَنَّةَ وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ - .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ تُعَاقِبُ مَنْ عَصَاكَ مِنْ رَعِيَّتِكَ بِأَشَدِّ مِنَ الْقَتْلِ
قَالَ لَا قَالَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالْمَلِكِ الَّذِي خَوَّلَكَ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِ
الدُّنْيَا .

وَهُوَ تَعَالَى لَا يُعَاقِبُ مَنْ عَصَاهُ بِالْقَتْلِ ، وَلَكِنْ يُعَاقِبُ مَنْ عَصَاهُ
بِالْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، وَهُوَ الَّذِي يَرَى مِنْكَ مَا عَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبُكَ

وَأَضْمَرْتُهُ جَوَارِحُكَ فَمَاذَا تَقُولُ إِذَا انْتَزَعَ الْمَلِكُ الْحَقَّ الْمُبِينُ مُلْكُ الدُّنْيَا
مِنْ يَدِكَ وَدَعَاكَ إِلَى الْحِسَابِ هَلْ يُغْنِي عَنْكَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِمَّا كُنْتَ فِيهِ مِمَّا
شَحَحْتَ عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا .

فَبَكَى الْمَنْصُورُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى نَحَبَ وَارْتَفَعَ صَوْتُهُ ثُمَّ قَالَ كَيْفَ
اِخْتِيَالِي فِيَمَا خُوِلْتُ فِيهِ وَلَمْ أَرَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَائِنًا قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْكَ بِالْأُتَمَّةِ الْأَعْلَامِ الْمُرْشِدِينَ قَالَ وَمَنْ هُمْ ، قَالَ الْعُلَمَاءُ قَالَ قَدْ فَرُّوا
مِنِّْي ، قَالَ هَرَبُوا مِنْكَ مَخَافَةَ أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ طَرِيقَتِكَ مِنْ
قَبْلِ عُمَّالِكَ .

ولكن افْتَحِ الْأَبْوَابَ وَسَهِّلِ الْحِجَابَ ، وَانْتَصِرْ لِلْمَظْلُومِ مِنَ
الظَّالِمِ ، وَامْنَعِ الْمَظَالِمَ وَخُذْ الشَّيْءَ مِمَّا حَلَّ وَطَابَ وَأَقْسِمُهُ بِالْحَقِّ
وَالْعَدْلِ ، وَأَنَا ضَامِنٌ عَلَى أَنْ مَنْ هَرَبَ مِنْكَ أَنْ يَأْتِيكَ ، فَيُعَاوَنَكَ عَلَى
صَلَاحِ أَمْرِكَ ، وَرَعِيَّتِكَ فَقَالَ الْمَنْصُورُ اللَّهُمَّ وَفَّقْنِي أَنْ أَعْمَلَ بِمَا قَالَ هَذَا
الرَّجُلُ وَأَقِيمْتَ الصَّلَاةَ فَخَرَجَ فَصَلَّى بِهِمُ الْخ .
شعرا :

مَا ضَرَّ مَنْ رَهَبَ الْمُلُوكَ لَوَانَهُ	رَهَبَ الَّذِي جَعَلَ الْمُلُوكَ مُلُوكًا
وَإِذَا رَجَوْتَ لِنِعْمَةٍ أَوْ نِقْمَةٍ	فَارْجُ الْمَلِيكَ وَخَاذِرِ الْمَمْلُوكَا
وَإِذَا دَعَوْتَ سِوَى الْإِلَهِ فَإِنَّمَا	صَيَّرْتَ لِلرَّحْمَنِ فِيكَ شَرِيكََا

آخر :

وَاللَّهُ بِالْغَيْبِ ، وَالتَّقْدِيرِ مُنْفَرِدٌ	وَمَا سِوَى حُكْمِهِ غَيٌّ وَتَضْلِيلٌ
فَلَا مُعَجَّلَ لِلْمَقْضِيِّ آجَلُهُ	وَلَيْسَ لِلْعَاجِلِ الْمَقْضِيُّ تَأْجِيلٌ
ثِقْ بِالْعَلِيمِ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ ، وَلَا	يَغْرُرْكَ مَا دُونَهُ ؛ فَالْكُلُّ تَعْلِيلٌ

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرِ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شعراً :

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نَقْصَانُ
وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ
يَا عَامِراً لِخَرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِداً
وَيَا حَرِيصاً عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا
رَاعِي الْفَوَادِ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
وَأَرْعَ سَمْعَكَ أَمْثَالاً أَفْصِلُهَا
أَحْسِنِ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمْ
يَا خَادِمَ الْجَسَمِ كَمْ تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا
وَإِنْ أَسَاءَ مُسِيءٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي
وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مِعْوَاناً لِذِي أَمَلٍ
وَإِشْدُذْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِماً
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحَمَّدْ فِي عَوَاقِبِهِ
مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبٍ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مُنَاعاً فَلَيْسَ لَهُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً
مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْتَلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ
مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانُ عَلَيْهِ غَدَاً
مَنْ مَدَّ طَرَفاً بِفَرْطِ الْجَهْلِ نَحْوَ هَوَى
مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ
مَنْ يَزْرِعُ الشَّرَّ يَحْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ
مَنْ اسْتَنَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
كُنْ رَيْقَ الْبَشَرِ إِنَّ الْحَرْ هِمَّتُهُ

وَرَبْحُهُ غَيْرَ مَحْضٍ الْخَيْرِ خُسْرَانُ
فَإِنْ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فَقَدَانُ
بِاللَّهِ هَلْ لِيْخْرَابِ الدَّهْرِ عُمْرَانُ
أَنْسَيْتَ أَنَّ سُرُورَ الْمَالِ أَحْزَانُ
فَصَفُّوْهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هُجْرَانُ
كَمَا يُفْصَلُ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ
فَطَالَ مَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ
فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجَسَمِ إِنْسَانُ
عُرُوضِ زَلَّتِهِ عَفْوٌ وَغُفْرَانُ
يَرْجُوا نَدَاكَ فَإِنْ الْحَرْ مِعْوَانُ
فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَاطَتْكَ أَرْكَانُ
وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مَنْ عَزَّوَا وَمَنْ هَانُوا
فَإِنْ نَاصِرُهُ عَجَزٌ وَتُحْذَلَانُ
عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأُخْدَانُ
إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ قَتْلَانُ
وَعَاشٌ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْجِرْصِ سُلْطَانُ
أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَزْيَانُ
عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ
نَدَامَةٌ وَلِحَصْدِ الزُّرْعِ إِبْرَانُ
قَمِيصِهِ مِنْهُمْوَا صِلُ وَتُعْبَانُ
صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبَشَرُ عُنوانُ

ورافق الرفق في كُلِّ الأُمُور فَلَمْ
 وَلَا يَغْرُنْكَ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقُ
 أَحْسِنُ إِذَا كَانَ إِمكانٌ وَمَقْدِرَةٌ
 فالروضُ يَزْدَانُ بالأنوار فَاغْمُهُ
 صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ لَا تَهْتِكْ غَلَاتَهُ
 دَعْ التَّكاسُلَ في الخيراتِ تَطْلُبُهَا
 لَا ضِلُّ لِلْمَرْءِ يَغْرَى مِنْ نُهْيٍ وَتُقَى
 والناسُ أَعوانُ مَنْ وَآلَتُهُ دَوْلَتُهُ
 سَخِيانُ مِنْ غَيْرِ مالٍ بِأَقْلٍ حَصْرُ
 لَا تُودِجِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذِلًا
 لَا تَحْسِبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 ما كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لَوَارِدِهِ
 لَا تَخْدِشَنَّ بِمِطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِيرْ غَيْرَ نَذْبٍ حَازِمٍ يَقِظُ
 فَلْتَدَائِرِ فُرْسَانَ إِذَا رَكَضُوا
 وللأُمُورِ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 فلا تَكُنْ عَجِلًا في الأَمْرِ تَطْلُبُهُ
 كَفَى مِنَ العِيشِ ما قَدْ سَدَّ مِنْ عَوْرِ
 وذُوا القَنَاعَةِ راضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ
 حَسْبُ الْفَتَى عَقْلُهُ خِلًا يُعَاشِرُهُ
 هُمَا رَضِيْعًا لِبَابِ حَكْمَةٍ وَتُقَى
 إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنُ فَلَهُ
 يا ظالماً فِرْحًا بِالْعِزِّ سَاعِدُهُ

يَنْدَمُ رِفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُهُ إِنْسَانُ
 فَالْخَرَقُ هَذِمَ وَرِفْقُ الْمَرَاءِ بُنْيَانُ
 فَلَئِنْ يُلُومَ عَلَى الإِحْسَانِ إِمكانُ
 وَالْحُرِّ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ الْوَجْهِ صَوَّانُ
 فَلَيْسَ يَسْتَعْدُّ بِالْخَيْرَاتِ كَسَلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَلَتْهُ أَوْرَاقُ وَأَفْسَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَبِأَقْلٍ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ سَخِيانُ
 فَمَا رَعَى غَنَمًا فِي الدَّوِّ سِرْحَانُ
 غَرَائِزُ لَسْتُ تُخَصِّيهِنَّ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 فَالْبُرِّ يَخْدِشُهُ مِطْلٌ وَلَيَّانُ
 قَدْ اسْتَوَى عِنْدَهُ سِرٌّ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْخَرَبِ فُرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ التُّضْيِجِ بُحْرَانُ
 فَفِيهِ لِلْحُرِّ قُنْيَانُ وَغُنْيَانُ
 وَصَاحِبُ الْجِرْصِ إِنْ أَثَرَى فَعُضْبَانُ
 إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخِلَانُ
 وَمَسَاكِينَا وَطَنُ مَالٍ وَطُغْيَانُ
 وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
 إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ الدَّهْرِ يَقْضَانُ

ما استمرأ الظلم لو أنصفت آكله وهل يلد مذاق المرء خطبان
 يا أيها العالم المرضي سيرته أبشر فأنت بغير الماء ريان
 ويا أبا الجهل لو أصبحت في لجج فأنت ما بينها لا شك ضمآن
 لا تحسبن سروراً دائماً أبداً من سره زمن ساءته أزمان
 يا رافلاً في الشباب الوجف متشياً من كأسه هل أصاب الرشد نثوان
 لا تغترر بشباب زائل خضيل فكم تقدم قبل الشيب شبان
 ويا أبا الشيب لو ناصحت نفسك لم يكن لمثلك في الإسراف إمعان
 هب الشيبة ثبلى عذر صاحبها ما عذر أشيب يستهويه شيطان
 كل الذنوب فإن الله يغفرها إن شيع المرء إخلاص وإيمان
 وكل كسر فإن الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران

نصيحة أبي حازم التابعي لسليمان بن عبد الملك

روي أنه لما حج سليمان بن عبد الملك ودخل المدينة زائراً لقبر رسول
 ﷺ : ومعه ابن شهاب الزهري ورجاء بن حيوة ، فأقام بها ثلاثة أيام ،
 فقال : أما هاهنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ ؟ ف قيل له :
 بلى . هاهنا رجل يقال له أبو حازم .

فبعث إليه فجاءه وهو أقور أعرج ، فوقف منتظراً للإذن ، فلما طال
 عليه الإذن وضع عصيته ثم جلس فلما نظر إليه سليمان إزدرتة عينه ، فقال
 له : يا أبا حازم : ما هذا الجفاء الذي ظهر منك وأنت توصف برؤية
 أصحاب رسول الله ﷺ مع فضل ودين تذكرك به .

فقال أبو حازم : وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين ؟ فقال
 سليمان : إنه أتاني وجوه أهل المدينة وعلمائها وخيارها ، وأنت معدود فيهم
 ولم تأتني . فقال أبو حازم : أعيدك بالله أن تقول ما لم يكن ما جرى بيني
 وبينك معرفة آتاك عليها .

قال سُلَيْمَانُ : صَدَقَ الشَّيْخُ فَقَالَ : يَا أَبَا حَازِمٍ مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ ؟
فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : لِأَنَّكُمْ أَخَّرْتُمْ آخِرَتَكُمْ ، وَعَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ ، فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ
النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمَرَانِ إِلَى الْخَرَابِ !

قال سُلَيْمَانُ : صَدَقْتَ يَا أَبَا حَازِمٍ ؛ فَكَيْفَ الْقُدُومُ عَلَى الْآخِرَةِ ؟
قال : نَعَمْ : أَمَّا الْمُحْسَنُ فَإِنَّهُ يَقْدُمُ عَلَى الْآخِرَةِ كَالْغَائِبِ يَقْدُمُ عَلَى أَهْلِهِ
مِنْ سَفَرٍ بَعِيدٍ .

وَأَمَّا قُدُومُ الْمَسِيئِ فَكَالْعَبْدِ الْآبِقِ يُوْخَذُ فَيُشَدُّ كِتَافُهُ ، فَيُؤْتَى بِهِ إِلَى
سَيِّدٍ فَظٍّ غَلِيظٍ ، فَإِنْ شَاءَ عَفَا وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَ ! فَبَكَى سُلَيْمَانُ بَكَاءً
شَدِيداً ، وَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ .

ثم قال : لَيْتَ شِعْرِي مَا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ يَا أَبَا حَازِمٍ ؟ فَقَالَ : إِعْرَضْ
نَفْسَكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ مَا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ . قال سُلَيْمَانُ : يَا أَبَا
حَازِمٍ وَأَيْنَ أَصِيبُ تِلْكَ الْمَعْرِفَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ قال عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ
الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ .

قال سُلَيْمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ : فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللَّهِ ؟ قال « إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ
قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » قال سُلَيْمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ : مَنْ أَعْقَلَ النَّاسِ ؟ قال
أَبُو حَازِمٍ : أَعْقَلَ النَّاسِ مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهَا النَّاسَ .

قال سُلَيْمَانُ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ ؟ فقال : مَنْ حَطَّ فِي هَوَى رَجُلٍ
وَهُوَ ظَالِمٌ فَبَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ! قال سُلَيْمَانُ : فَمَا أَسْمَعَ الدُّعَاءَ ؟ قال أَبُو
حَازِمٍ : دُعَاءُ الْمُخْبِتِينَ الْخَائِفِينَ .

فَقَالَ سُلَيْمَانُ : فَمَا أَرْكَى الصَّدَقَةَ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قال : جُهْدُ الْمُقِلِّ .
قال : فَمَا تَقُولُ فِيهَا إِبْتِلَانًا بِهِ ؟ قال : قال : إِعْفِنَا عَنْ هَذَا وَعَنِ الْكَلَامِ
فِيهِ أَصْلَحَكَ اللَّهُ . قال سُلَيْمَانُ . نَصِيحَةٌ تُلْقِيهَا .

فقال : ما أقولُ في سُلْطَانٍ إِسْتَوَلَى عَنوَةً بِلَا مَشُورَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا
إِجْتِمَاعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَسُفِكَتِ فِيهِ الدِّمَاءُ الْحَرَامُ ، وَقُطِعَتْ بِهِ الْأَرْحَامُ ،
وَعُظِّلَتْ بِهِ الْحُدُودُ ، وَنُكِشَتْ بِهِ الْعُهُودُ ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى تَنْفِيذِ الطَّيْنَةِ ،
وَالْجَمْعِ وَمَاذَا يُقَالُ لَكُمْ ! .

فقال بعضُ جُلَسَائِهِ : بئسَ ما قُلْتَ يَا أَقْوَرُ !! أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُسْتَقْبَلُ
بِهَذَا ؟ فقال أبو حازمٍ : أَسْكُتْ يَا كَاذِبُ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ فِرْعَوْنُ هَامَانُ .
وهامانُ فرعونُ ! إن الله قد أخذَ على العلماءِ لُبِّيئَةً لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ،
أَي لَا يَنْبَذُونَهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ .

قال سُلَيْمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ : كَيْفَ لَنَا أَنْ نُصْلِحَ مَا فَسَدَ مِنَّا ؟
فقال : الْمَأْخُذُ فِي ذَلِكَ قَرِيبٌ يَسِيرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَاسْتَوَى سُلَيْمَانُ جَالِساً
مِنْ إِتِكَائِهِ فَقَالَ : كَيْفَ ذَلِكَ ؟ فقال : تَأْخُذُ الْمَالَ مِنْ حِلِّهِ ، وَتَضَعُهُ فِي
أَهْلِهِ ، وَتَكْفُفُ الْأَكُفَّ عَمَّا نُهَيْتَ عَنْهُ وَتُمْضِيهَا فِيهَا أَمَرْتَ بِهِ .

قال سُلَيْمَانُ : وَمَنْ يَطِيقُ ذَلِكَ ، فقال أبو حازمٍ : مَنْ هَرَبَ مِنَ النَّارِ
إِلَى الْجَنَّةِ ، وَنَبَذَ سُوءَ الْعَادَةِ إِلَى خَيْرِ الْعِبَادَةِ ، فقال سُلَيْمَانُ : إِصْحَبْنَا يَا أَبَا
حَازِمٍ ، وَتَوَجَّهْ مَعَنَا تُصِيبْ مِنَّا وَنُصِيبْ مِنْكَ . قال أبو حازمٍ : أَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ ذَلِكَ ! .

قال سُلَيْمَانُ : وَلَمْ يَا أَبَا حَازِمٍ ؟ قال : أَخَافُ أَنْ أُرْكَنَ إِلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا فَيُذَيِّقَنِي اللَّهُ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ . فقال سُلَيْمَانُ :
فَتَزُورُنَا ؟

قال أبو حازمٍ : إِنَّا عَهْدُنَا الْمُلُوكَ يَأْتُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْعُلَمَاءُ
يَأْتُونَ الْمُلُوكَ ، فَصَارَ فِي ذَلِكَ صِلَاحُ الْفَرِيقَيْنِ ، ثُمَّ صِرْنَا الْآنَ فِي زَمَانٍ
الْعُلَمَاءُ يَأْتُونَ الْمُلُوكَ ، وَالْمُلُوكُ تَقْعُدُ عَنِ الْعُلَمَاءِ ، فَصَارَ ذَلِكَ فَسَادُ الْفَرِيقَيْنِ
جَمِيعاً .

قال سليمان : فأوصنا يا أبا حازم وأَوْجِزْ . قال إِتَّقِ الله أن لا يَرَاكَ
حَيْثُ نَهَاكَ ، ولا يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ . قال سليمان : إِدْعُ لَنَا بِخَيْر . فقال
أبو حازم : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَلِيًّا لَكَ فَبَشِّرْهُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ
كَانَ عَدُوًّا فَخُذْهُ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِهِ .

قال سليمان : زِدْنِي . قال : قَدْ أَوْجِزْتُ ، فَإِنْ كُنْتَ وَلِيًّا فَاعْتَبِطْ ،
وَإِنْ كُنْتَ عَدُوًّا فَاتَّعِظْ ، فَإِنْ رَحِمْتَهُ فِي الدُّنْيَا مُبَاحَةً وَلَا يَكْتُبُهَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
لِمَنْ إِتَّقَى فِي الدُّنْيَا ؛ فَلَا نَفْعَ فِي قَوْسٍ يُرْمَى بِهَا وَتَرٍ .

فقال سليمان : هَاتِ يَا غَلَامُ أَلْفَ دِينَارٍ . فَأَتَاهَا ، فَقَالَ خُذْهَا يَا
أَبَا حَازِمٍ . فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِهَا ، لِأَنِّي وَغَيْرِي فِي هَذَا الْمَالِ سَوَاءٌ ،
فَإِنْ سَوَّيْتُ بَيْنَنَا وَعَدَلْتُ ، أَخَذْتُ ، وَإِلَّا فَلَا .

لِأَنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ثَمَنًا لِمَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِي ، وَإِنْ مُوسَى بْنُ
عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا هَرَبَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَرَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ الْجَارِيتَيْنِ
تَذُودَانِ ، فَقَالَ : مَا لَكُمَا مُعِينٌ ؟ قَالَتَا : لَا ، فَسَقَى لهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ
فَقَالَ : « رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » وَلَمْ يَسْأَلْ أَجْرًا .

فَلَمَّا أُعْجِلَ بِالْجَارِيتَيْنِ الْأَنْصِرَافَ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَبُوهُمَا ، فَقَالَ لَهُمَا : مَا
أُعْجَلَكُمَا الْيَوْمَ ؟ قَالَتَا : وَجَدْنَا رَجُلًا صَالِحًا قَوِيًّا سَقَى لَنَا . قَالَ : مَا
سَمِعْتُمَاهُ يَقُولُ ؟ قَالَتَا : تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ وَهُوَ يَقُولُ : « رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ
مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » .

فَقَالَ : يَنْبَغِي لِهَذَا أَنْ يَكُونَ جَائِعًا . تَنْطَلِقُ إِحْدَاكُمَا لَهُ ، فَتَقُولُ
لَهُ : إِنْ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ، فَأَتَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى
إِسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ : إِنْ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا .

فَجَزَعَ مُوسَى مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ طَرِيدًا فِي الْفَيَافِي وَالصَّحَارِي ، فَقَالَ

لها : قُولِي لِأَبِيكَ إِنْ الَّذِي سَقَى يَقُولُ لَا أَقْبَلُ أَجْراً عَلَى مَعْرُوفٍ
إِصْطَنَعْتُهُ .

فَانصَرَفَتْ إِلَى أَبِيهَا فَأَخْبَرَتْهُ ، فَقَالَ إِذْهَبِي فَقُولِي لَهُ : أَنْتَ بِالْخِيَارِ
بَيْنَ قَبُولِ مَا يَعْرِضُ عَلَيْكَ أَبِي وَبَيْنَ تَرْكِهِ ، فَأَقْبَلُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ وَيَسْمَعَ
مِنْكَ . فَأَقْبَلُ وَالْجَارِيَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَهَبَّتِ الرِّيحُ ، فَوَصَفَتْهَا لَهُ وَكَانَتْ ذَاتَ
خَلْقٍ كَامِلٍ : فَقَالَ لَهَا كُونِي وَرَائِي وَأَرِنِي سَمْتَ الطَّرِيقِ .

فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ قَالَ : إِسْتَاذْنِي لَنَا . فَدَخَلَتْ عَلَى أَبِيهَا ، فَقَالَتْ :
إِنَّهُ مَعَ قُوَّتِهِ لِأَمِينٍ ، فَقَالَ شُعَيْبٌ : وَبِمَ عَرَفْتَ ذَلِكَ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ مَا كَانَ مِنْ
قَوْلِهِ عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ عَلَيْهَا .

فَقَالَ أَدْخِلِيهِ ، فَدَخَلَ فَإِذَا شُعَيْبٌ قَدْ وَضَعَ الطَّعَامَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ
رَحَّبَ بِهِ وَقَالَ : أَصِيبْ مِنْ طَعَامِنَا يَا فَتَى . فَقَالَ مُوسَى : أَعُوذُ بِاللَّهِ . قَالَ
شُعَيْبٌ : لِمَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي مِنْ بَيْتٍ لَا نَبِيعُ دِينَنَا بِمَلَأِ الْأَرْضِ ذَهَبًا .

قَالَ شُعَيْبٌ : لَا وَاللَّهِ مَا طَعَامِي كَمَا تَظُنُّ وَلَكِنَّهُ عَادَتِي وَعَادَةُ
آبَائِي : نَقْرِي الضَّيْفَ ، وَنُطْعِمُ الطَّعَامَ ؛ فَجَلَسَ مُوسَى فَأَكَلَ . وَهَذِهِ
الدَّنَانِيرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَتْ ثَمَنًا لِمَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِي فَلَيْتَنِّي أَكَلْتُ الْمِيتَةَ
وَالدَّمَ فِي حَالِ الْضَّرُورَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ آخُذَهَا .

فَأَعْجَبَ سَلِيمَانُ بِأَمْرِهِ عَجَبًا شَدِيدًا . فَقَالَ بَعْضُ جَلِيسَائِهِ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ النَّاسَ كُلُّهُمْ مِثْلُهُ ، قَالَ : لَا . قَالَ الزَّهْرِيُّ : إِنَّهُ لَجَارِي
مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا كَلَّمْتُهُ قَطُّ .

فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : صَدَقْتَ لِأَنَّكَ نَسِيتَ اللَّهَ فَنَسِيتَنِي وَلَوْ ذَكَرْتَ اللَّهَ
لَذَكَرْتَنِي . قَالَ الزَّهْرِيُّ : أَتَشْتُمُنِي ؟ قَالَ لَهُ سَلِيمَانُ : بَلْ أَنْتَ شَتَمْتَ
نَفْسَكَ ، أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ لِلْجَارِ عَلَى الْجَارِ حَقًّا ؟

قال أبو حازمٍ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا كَانُوا عَلَى الصَّوَابِ كَانَتِ الْأُمَرَاءُ
تَحْتَاجُ إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَكَانَتِ الْعُلَمَاءُ تَفَرُّ بِدِينِهَا مِنَ الْأُمَرَاءِ .

فَلَمَّا رَأَى قَوْمٌ مِنْ أَرَاذِلِ النَّاسِ تَعْلَمُوا الْعِلْمَ وَأَتُوا بِهِ الْأُمَرَاءَ ،
إِسْتَعْنَتِ الْأُمَرَاءُ عَنِ الْعُلَمَاءِ وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، فَسَقَطُوا
وَهَلَكُوا .

وَلَوْ كَانَ عِلْمًاؤُنَا هَؤُلَاءِ يَصُونُونَ عِلْمَهُمْ لَكَانَتِ الْأُمَرَاءُ تَهَابُهُمْ
وَتُعَظِّمُهُمْ . فَقَالَ الزَّهْرِيُّ : كَأَنَّكَ إِيَّايَ تُرِيدُ وَبِي تُعْرِضُ ؟ قَالَ : هُوَ مَا
تَسْمَعُ .

قَالَ سُلَيْمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ ، عِظْنِي وَأَوْجِزْ : قَالَ : الدُّنْيَا حَلَالُهَا
حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عَذَابٌ ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَآبُ ؛ عَذَابَكَ أَوْدَعُ .

قَالَ : لَقَدْ أَوْجِزْتَ فَأَخْبِرْنِي مَا مَالُكَ ؟ قَالَ الثِّقَةُ بِعَدْلِهِ ، وَالتَّوَكُّلُ
عَلَى كَرَمِهِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ ، وَالصَّبْرُ إِلَى أَجَلِهِ ، وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي
النَّاسِ .

قَالَ : يَا أَبَا حَازِمٍ : اِرْفَعْ إِلَيْنَا حَوَائِجَكَ . قَالَ : رَفَعْتُهَا إِلَى مَنْ
لَا تُخْذِلُ دُونَهُ ، فَمَا أَعْطَانِي مِنْهَا قَبِلْتُ ، وَمَا أَمْسَكَ عَنِّي رَضِيتُ .

مَعَ أَنِّي قَدْ نَظَرْتُ فَوَجَدْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا يُوَوِّلُ إِلَى شَيْئَيْنِ ، أَحَدُهُمَا لِي
وَالْآخَرُ لِغَيْرِي ؛ فَأَمَّا مَا كَانَ لِي فَلَوْ احْتَلْتُ عَلَيْهِ بِكُلِّ حِيلَةٍ مَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ
قَبْلَ أَوَانِهِ وَحِينِهِ الَّذِي قُدِّرَ لِي .

وَأَمَّا الَّذِي لِغَيْرِي فَذَلِكَ لَا أَطْمَعُ فِيهِ ، فَكَمَا مَنَعَنِي رِزْقَ غَيْرِي ،
كَذَلِكَ مَنَعَ غَيْرِي رِزْقِي ، فَعَلَامَ أَقْتُلُ نَفْسِي فِي الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ !

قَالَ سُلَيْمَانُ : لَا بُدَّ أَنْ تَرْفَعَ إِلَيْنَا حَاجَةً نَأْمُرُ بِقَضَائِهَا . قَالَ :
فَتَقْضِيهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلَا تُعْطِنِي شَيْئًا حَتَّى أَسْأَلَكَه ، وَلَا تَرْسُلْ

إِلَيَّ حَتَّى أَتِيكَ ، وَإِنْ مَرَضْتُ فَلَا تُعَذِّنِي ، وَإِنْ مِتَ فَلَا تُشْهِدْنِي . قَالَ
سَلِيمَانُ : أَبَيْتَ يَا أَبَا حَازِمٍ . قَالَ : أَتَأْذُنُ لِي أَصْلَحَكَ اللَّهُ فِي الْقِيَامِ ،
فَإِنِّي شَيْخٌ قَدْ زَمَنْتُ .

قَالَ سَلِيمَانُ : يَا أَبَا حَازِمٍ : مَسْأَلَةٌ مَا تَقُولُ فِيهَا ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ
عِنْدِي عِلْمٌ أَخْبَرْتُكَ بِهِ ، وَإِلَّا فَهَذَا الَّذِي عَنْ يَسَارِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ
يُسْأَلُ عَنْهُ إِلَّا وَعِنْدَهُ عِلْمٌ (يريد الزهري) فَقَالَ لَهُ الزَّهْرِيُّ عَائِذًا بِاللَّهِ مِنْ
شَرِّكَ أَيُّهَا الْمَرْءُ ! قَالَ : أَمَا مِنْ شَرِّ فَقَدْ عُفِيتَ ، وَأَمَا مِنْ لِسَانِي فَلَا .

قَالَ سَلِيمَانُ : مَا تَقُولُ فِي سَلَامِ الْأُئِمَّةِ مِنْ صَلَاتِهِمْ : أَوَّاحِدَةٌ أَمْ
إِثْنَتَانِ ؟ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ لَدَيْنَا قَدْ اِخْتَلَفُوا عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ أَشَدَّ اِلْتِحَافٍ .
قَالَ : عَلَى الْخَيْرِ سَقَطَتْ ؛ أُرْسِيكَ فِي هَذَا بِخَبَرِ شَافٍ .

حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ أَنَّهُ شَهِدَ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يَسْلَمُ فِي الصَّلَاةِ عَنْ يَمِينِهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ خَدِهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يَسْلَمُ
عَنْ يَسَارِهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ خَدِهِ الْأَيْسَرِ ، سَلَامًا يَجْهَرُ بِهِ . قَالَ عَامِرُ :
وَكَانَ أَبِي يَفْعَلُ ذَلِكَ .

وَأَخْبَرَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ أَنَّهُ رَأَى عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ وَإِبْنَ
عُمَرَ يُسَلِّمَانِ مِنَ الصَّلَاةِ كَذَلِكَ . فَقَالَ الزَّهْرِيُّ : إِعْلَمْ مَا تُحَدِّثُ بِهِ أَيُّهَا
الرَّجُلُ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَعْبٌ شَدِيدٌ إِلَّا بِالتَّحَبُّطِ وَالْيَقِينِ .

قَالَ أَبُو حَازِمٍ : قَدْ عَلِمْتُهُ وَرَوَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ أَضْرَاسُكَ فِي
رَأْسِكَ . فَالْتَفَتَ الزُّهْرِيُّ إِلَى سَلِيمَانَ ، قَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، إِنْ هَذَا
الْحَدِيثُ مَا سَمِعْتُ بِهِ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطُّ ، فَضَحَكَ أَبُو
حَازِمٍ .

ثُمَّ قَالَ : يَا زُهْرِيُّ أَحَطْتَ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلِّهِ ؟ قَالَ لَا . قَالَ :

فَثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ فَثُلُثُهُ ؟ فَقَالَ أَرَانِي ذَلِكَ ، قَدْ رَوَيْتُ وَبَلَغَنِي .

فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : فَهَذَا مِنَ الثُّلُثِ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْكَ وَبَقِيَ عَلَيْكَ إِسْمَاعِيلُ . فَقَالَ سَلِيمَانُ : مَا ظَلَمَكَ مَنْ حَاجَّكَ . ثُمَّ قَامَ مَأْذُونًا لَهُ . فَاتَّبَعَهُ سَلِيمَانُ بَصَرَهُ ، يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَعْجَبُ بِهِ .

ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ بَقِيَ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ هَذَا . وَاللَّهِ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . .

نَصِيحَةُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ لِهَارُونَ الرَّشِيدِ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى أَخِيهِ فِي اللَّهِ سُفْيَانَ ابْنِ سَعِيدٍ الثَّوْرِيِّ .

أَمَّا بَعْدُ يَا أَخِي ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ آخِيَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ آخَيْتَكَ فِي اللَّهِ مُؤَاخَاةً لَمْ أَصْرِمُ فِيهَا حَبْلَكَ ، وَلَمْ أَقْطَعْ مِنْهَا وَدَّكَ ، وَإِنِّي مُنْطَوِّلُكَ عَلَى أَفْضَلِ الْمَحَبَّةِ ، وَأَتِمُّ الْإِرَادَةَ .

وَلَوْلَا هَذِهِ الْقِلَادَةُ الَّتِي قَلَّدْنِيهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَتَيْتِكَ وَلَوْ حَبْوًا ، لَمَا أَجَدْتُ لَكَ فِي قَلْبِي مِنَ الْمَحَبَّةِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِي إِلَّا زَارَنِي وَهَنَانِي بِمَا صِرْتُ إِلَيْهِ .

وَقَدْ فَتَحْتُ بُيُوتَ الْأَمْوَالِ ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مِنَ الْمَوَاهِبِ السَّنِيَةِ ، مَا فَرَحْتُ بِهِ نَفْسِي وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنِي وَقَدْ اسْتَبْطَأْتُكَ ، وَقَدْ كَتَبْتُ كِتَابًا مِنِّي إِلَيْكَ أَعْلِمُكَ بِالشَّوْقِ الشَّدِيدِ إِلَيْكَ .

وقد عَلِمْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ زِيَارَةِ الْمُؤْمِنِ وَمُوَاصَلَتِهِ
فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابِي هَذَا فَالْعَجَلِ الْعَجَلِ .

ثُمَّ أُعْطِيَ الْكِتَابَ لِعَبَادِ الطَّالِقَانِ وَأَمَرَهُ بِإِصَالِهِ إِلَيْهِ . وَأَنْ يُحْصَى
عَلَيْهِ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ دَقِيقَ أَمْرِهِ وَجَلِيلَةَ لِيُخْبِرَهُ بِهِ . قَالَ عَبَادُ : فَانْطَلَقْتُ إِلَى
الْكُوفَةِ فَوَجَدْتُ سُفْيَانَ فِي مَسْجِدِهِ ، فَلَمَّا رَأَى عَلِيَّ بَعْدَ قَامٍ وَقَالَ : أَعُوذُ
بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ طَارِقٍ
يَطْرُقُ إِلَّا بِخَيْرٍ .

قَالَ : فَتَزَلْتُ عَنْ فَرَسِي بِبَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقَامَ يُصَلِّي وَلَمْ يَكُنْ وَقْتُ
صَلَاةٍ : فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ فَمَا رَفَعَ أَحَدٌ مِنْ جُلَسَائِهِ رَأْسَهُ إِلَيَّ ، قَالَ :
فَبَقِيتُ وَاقِفًا وَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَعْزِضُ عَلَيَّ الْجُلُوسَ ، وَقَدْ عَلَتْنِي مِنْ هَيْبَتِهِمُ
الرُّعْدَةُ ، فَرَمَيْتُ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا رَأَى الْكِتَابَ ارْتَعَدَ وَتَبَاعَدَ مِنْهُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ عَرَضَتْ لَهُ فِي مَحْرَابِهِ
فَرَكَعَ وَسَجَدَ وَسَلَّمَ وَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي كُمِهِ وَأَخَذَهُ وَقَلْبَهُ بِيَدِهِ ، وَرَمَاهُ إِلَى مَنْ
كَانَ خَلْفَهُ ، وَقَالَ : لِيَقْرَأَهُ بَعْضُكُمْ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَنْ أَمْسَ شَيْئًا مَسَّهُ
ظَلَمٌ بِيَدِهِ .

قَالَ عَبَادُ : فَمَدَّ بَعْضُهُمْ يَدَهُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَرْتَعِدُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ تَنْهَشُهُ ثُمَّ قَرَأَهُ
فَجَعَلَ سُفْيَانُ يَتَسَمَّى تَبَسُّمَ الْمُتَعَجِّبِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ ، قَالَ أَقْلِبُوهُ
وَاكْتُبُوا لِلظَّالِمِ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَقِيلَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنَّهُ خَلِيفَةُ فَلَوْ كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي
بَيَاضٍ نَقَى لَكَانَ أَحْسَنَ .

فَقَالَ : اكْتُبُوا لِلظَّالِمِ فِي ظَهْرِ كِتَابِهِ ، فَإِنْ كَانَ اكْتَسَبَهُ مِنْ حَلَالٍ
فَسَوْفَ يُجْزَى بِهِ وَإِنْ كَانَ اكْتَسَبَهُ مِنْ حَرَامٍ فَسَوْفَ يُصَلَّى بِهِ وَلَا يَبْقَى شَيْءٌ
مَسَّهُ ظَلَمٌ بِيَدِهِ عِنْدَنَا ، فَيَفْسِدُ عَلَيْنَا دِينُنَا ، فَقِيلَ لَهُ مَا نَكْتُبُ إِلَيْهِ ، قَالَ :
اَكْتُبُوا لَهُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنَ الْعَبْدِ الْمَيِّتِ سُفْيَانُ إِلَى الْعَبْدِ الْمَغْرُورِ بِالْأَمَالِ هَارُونَ الَّذِي سَلِبَ
حَلَاوَةَ الْإِيْمَانِ ، وَلَذَّةَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ .

أَمَّا بَعْدُ . . فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ أَعْلَمُكَ أَنِّي قَدْ صَرَمْتُ حَبْلَكَ ،
وَقَطَعْتُ وَدَّكَ ، وَأَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَنِي شَاهِدًا بِإِقْرَارِكَ عَلَى نَفْسِكَ فِي كِتَابِكَ بِمَا
هَجَمْتَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَأَنْفَقْتَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَأَنْفَذْتَهُ بِغَيْرِ
حُكْمِهِ ، وَلَمْ تَرْضَ بِمَا فَعَلْتَ وَأَنْتَ نَاءٍ عَنِّي حَتَّى كَتَبْتَ إِلَيَّ تُشْهِدُنِي عَلَى
نَفْسِكَ .

فَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي قَدْ شَهِدْتُ عَلَيْكَ أَنَا وَإِخْوَانُكَ الَّذِينَ حَضَرُوا قِرَاءَةَ
كِتَابِكَ ، وَسَنُودِي الشَّهَادَةَ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ يَا هَارُونُ
هَجَمْتَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ رِضَاهُمْ .

هَلْ رَضِيَ بِفِعْلِكَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ ، وَالْعَامِلُونَ عَلَيْهَا فِي أَرْضِ اللَّهِ ،
وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنُ السَّبِيلِ ، أَمْ رَضِيَ بِذَلِكَ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ وَأَهْلُ
الْعِلْمِ يَعْنِي الْعَامِلِينَ ، أَمْ رَضِيَ بِفِعْلِكَ الْإِيْتَامَ وَالْأَرَامِلَ ، أَمْ رَضِيَ بِذَلِكَ
خَلْقٌ مِنْ رَعِيَّتِكَ .

فَشُدَّ يَا هَارُونُ مِثْرَكَ ، وَأَعِدَّ لِلْمَسْأَلَةِ جَوَابًا وَلِلْبَلَاءِ جَلَبَابًا ، وَاعْلَمْ
أَنَّكَ سَتَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ إِذْ سُلِبَتْ حَلَاوَةُ
الْعِلْمِ وَالزُّهْدِ وَلَذَّةَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَمُجَالَسَةَ الْأَخْيَارِ ، وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ أَنْ
تَكُونَ ظَالِمًا وَلِلظَّالِمِينَ إِمَامًا .

يَا هَارُونُ . . قَعَدْتَ عَلَى السَّرِيرِ ، وَلَبِسْتَ الْحَرِيرَ ، وَأَسْبَلْتَ سُتُورًا
دُونَ بَابِكَ ، وَتَشَبَّهْتَ بِالْحَجَبَةِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ثُمَّ أَقْعَدْتَ أَجْنَادَكَ دُونَ
بَابِكَ ، وَسِتْرَكَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَلَا يُنْصِفُونَ ، وَيَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَحْدُونَ

الشَّارِبَ ، وَيَزْنُونَ وَيَحْدُونَ الزَّانِيَ ، وَيَسْرِقُونَ وَيَقْطَعُونَ السَّارِقَ ، وَيَقْتُلُونَ
وَيَحْدُونَ الْقَاتِلَ .

أَفَلَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَحْكُمُوا بِهَا عَلَى
النَّاسِ .

فَكَيْفَ بِكَ يَا هَارُونَ غَدًا إِذَا نَادَى الْمُنَادِي مِنْ قَبْلِ اللَّهِ أُحْشَرُوا
الظُّلْمَةَ وَأَعْوَانَهُمْ ، فَتَقَدَّمَتْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَبِذَاكَ مَغْلُوبَتَانِ إِلَى عُنُقِكَ لَا
يُفَكِّهَمَا إِلَّا عَذْلُكَ وَإِنْصَافُكَ ، وَالظَّالِمُونَ حَوْلَكَ وَأَنْتَ لَهُمْ إِمَامٌ أَوْ سَائِقٌ إِلَى
النَّارِ .

وَكَأَنِّي بِكَ يَا هَارُونَ وَقَدْ أَخَذْتَ بِضِيقِ الْخِنَاقِ ، وَوَرَدْتَ الْمَسَاقَ وَأَنْتَ
تَرَى حَسَنَاتِكَ فِي مِيزَانٍ غَيْرِكَ ، وَسَيِّئَاتٍ غَيْرِكَ فِي مِيزَانِكَ عَلَى سَيِّئَاتِكَ ،
بَلَاءٌ عَلَى بَلَاءٍ ، وَظُلْمَةٌ فَوْقَ ظُلْمَةٍ .

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا هَارُونَ فِي رَعِيَّتِكَ ، وَاحْفَظْ مُحَمَّدًا ﷺ فِي أُمَّتِهِ ، وَاعْلَمْ
أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَصِرْ إِلَيْكَ إِلَّا وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى غَيْرِكَ ، وَكَذَلِكَ الدُّنْيَا تَفْعَلُ
بَأَهْلِهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَزَوَّدَ زَادًا نَفَعَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَسِرَ دُنْيَاهُ
وآخِرَتَهُ ، وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ بَعْدَ هَذَا ، فَإِنِّي لَا أَجِيبُكَ وَالسَّلَامُ .

وَلَمَّا وَلَّى ابْنُ هُبَيْرَةَ حُكْمَ الْعِرَاقِ جَمَعَ فُقَهَاءَهَا وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا يَفْعَلُ
إِذَا أَمَرَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَمْرِ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ فِيهِ ظُلْمًا فَلَا أَنْ لَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ
الْقَوْلَ .

وَأَبَى الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَصْدَعَ بِالْحَقِّ وَيُنْقِذَ الشَّعْبَ
مَنْ ظَلَمَ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَيُنْقِذَ ابْنَ هُبَيْرَةَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ أَطَاعَهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ
حَقَّ الرِّعْيَةِ لَازِمٌ لَكَ وَحَقُّ عَلَيْكَ أَنْ تَحُوطَهُمْ بِالنَّصِيحَةِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيَهُ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ .

اعْلَمْ أَنَّ حَقَّ اللَّهِ أَلْزَمَ مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُطَاعَ وَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ يَا ابْنَ هُبَيْرَةَ اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ يُزِيلُكَ عَنْ سَرِيرِكَ وَيُخْرِجُكَ مِنْ سِعَةِ قَصْرِكَ إِلَى ضَيْقِ قَبْرِكَ فَتَدْعُ سُلْطَانَكَ وَدُنْيَاكَ خَلْفَ ظَهْرِكَ وَتَقْدَمَ عَلَى رَبِّكَ وَتَنْزِلَ عَلَى عَمَلِكَ .

يَا ابْنَ هُبَيْرَةَ إِنَّ اللَّهَ لَيَمْنَعُكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَمْنَعُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّ أَمْرَ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ أَمْرٍ وَإِنِّي أَحَذَّرُكَ بَأْسَهُ الَّذِي لَا يَرُدُّ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .

فَقَالَ لَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ إِرْبَعٌ عَلَى ظُلْعِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَاحِبُ الْعِلْمِ وَصَاحِبُ الْحُكْمِ وَصَاحِبُ الْفَضْلِ وَإِنَّمَا وَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِعِلْمِهِ بِهِ وَمَا يَعْلَمُهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنَبِيِّتِهِ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ يَا ابْنَ هُبَيْرَةَ الْجِسَابُ وَرَأْيُكَ سَوَاطِئُ بَسَاطَةٍ وَغَضَبُ بَغْضَبٍ وَاللَّهُ بِالْمِرْصَادِ إِنَّكَ إِنْ تَلَقَى مَنْ يَنْصَحُ لَكَ فِي دِينِكَ وَيَحْمِلُكَ عَلَى أَمْرٍ آخَرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلْقَى رَجُلًا يَغْرُكَ وَيَمْنِيكَ فَقَامَ ابْنُ هُبَيْرَةَ مِنَ الْمَجْلِسِ وَقَدْ اصْفَرَّ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَعَلَيْهِ الْكَآبَةُ وَقَامَ الْحَسَنُ وَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيْهِ وَأَرْضَى رَبَّهُ وَأَخْلَصَ لَهُ وَنَصَحَ لَأُمَّتِهِ وَهَكَذَا الْعُلَمَاءُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا .

شعرا :

لا شيء أبْلغُ من ذلٍ يُجرِعُهُ أَهْلُ الْخَسِيسَةِ أَهْلُ الدِّينِ وَالْحَسَبِ
القَائِمِينَ بما جاء الرسولُ به وَالْمُبْغِضِينَ لِأَهْلِ الزَّيْغِ وَالرِّيبِ

حج أبو جعفر فدعا ابن أبي ذئب فقال : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ أَلَسْتُ أَعْمَلُ
بِالْحَقِّ أَلَسْتُ تَرَانِي أَعْدِلُ .

فقال ابن أبي ذئب أما إذا نَشَدْتَنِي بِاللَّهِ ، فَأَقُول : اللَّهُمَّ لَا أَرَاكَ
تَعْدِلُ ، وَإِنَّكَ لَجَائِرٌ ، وَإِنَّكَ لَتَسْتَعْمِلُ الظُّلْمَةَ وَتَدْعُ أَهْلَ الْخَيْرِ .

قال محمد بن عمر فحدثني محمد بن إبراهيم بن يحيى وأُخْبِرْتُ عَنْ
عِيسَى بْنِ عَلِيٍّ قَالُوا فَظَنَّا أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ سَيُعَاجِلُهُ بِالْعُقُوبَةِ فَجَعَلْنَا نَلْفُ إِلَيْنَا
ثِيَابَنَا مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنَا مِنْ دَمِهِ .

فَجَزَعَ أَبُو جَعْفَرٍ وَاعْتَمَ وَقَالَ لَهُ : قُمْ فَأُخْرِجْ .
تأمل يا أخي هَلْ يُوجَدُ هَذَا الطَّرَازُ مِمَّنْ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لُومَةٌ لَا تُمْ
أُظْنُهُ مَعْدُومٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَا فِيهِ الْيَوْمَ مَنْ يَصْدَعُ بِالْحَقِّ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

دَخَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ عَلَى الْمَنْصُورِ فَقَالَ : إِنْ اللَّهُ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا
بِأَسْرَها فَاشْتَرِ مِنْهُ نَفْسَكَ بِبَعْضِهَا وَإِنِّي لأَحْذَرُكَ لَيْلَةً تَتَمَحَّضُ صَبِيحَتُهَا عَنْ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ عَنْ حَاشِيَتِهِ : إِنْ هَؤُلَاءِ اتَّخَذُوا سُلْمًا لِشَهَوَاتِهِمْ .
فَأَنْتَ الْآخِذُ بِالْقَرْنَيْنِ وَهُمْ يَحْلِبُونَ .
فَاتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَحَدُّكَ وَمُحَاسَبٌ وَحَدُّكَ وَمَبْعُوثٌ وَحَدُّكَ وَلَنْ
يُغْنُوا عَنْكَ هَؤُلَاءِ مِنْ رَبِّكَ شَيْئًا .

فَقَالَ لَهُ : أَعِنِّي بِأَصْحَابِكَ فَاسْتَعِينُ بِهِمْ دُونَ هَؤُلَاءِ فَرَدَّ عَلَيْهِ أَظْهَرَ
الْحَقِّ يَتَّبِعُكَ أَهْلُهُ .

فَقَالَ لَهُ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ قَالَ : نَعَمْ قَالَ . مَا هِيَ قَالَ : أَلَا تَبْعَثُ إِلَيَّ
حَتَّى آتِيكَ قَالَ : إِذَا لَا نَلْتَقِي قَالَ : عَنْ حَاجَتِي سَأَلْتَ ثُمَّ ذَهَبَ .

قال الحجاج لِيَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ : ما تقول في واسط (مدينة بناها الحجاج) فقال له : ما أقول فيها وقد بَنَيْتَهَا مِنْ غَيْرِ مَالِكٍ وَسَيَسْكُنُهَا غَيْرُ أَهْلِكَ .

فقال له الحجاجُ في غَيْظٍ وَغَضَبٍ : ما حَمَلَكَ عَلَى ما قُلْتَ قال : ما أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعُلَمَاءِ مِنَ الْعَهْدِ أَلَّا يَكْتُمُوا النَّاسَ حَدِيثًا .

فقال له : أَلَمْ تَخْشَ سَيْفَ الْحِجَابِ ؟
فقال : لَقَدْ مَلَأْتَنِي خَشْيَةَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَلَمْ تَدَعْ مَكَانًا لَخَشْيَةِ سِوَاهُ .

وقيل إن الحجاج خَطَبَ يَوْمًا فقال : أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله فقام إليه رجل فقال له : وَيْحَكَ يَا حَجَّاجُ ما أَصْفَقَ وَجْهَكَ وَأَقْلَ حَيَاءَكَ تَفْعَلُ ما تَفْعَلُ وتقولُ مثلَ هذا الكلام خَبِثَتْ وَضَلَّ سَعْيُكَ .

فقال للحرس ؛ خُذُوهُ ، فلما فَرَّغَ مِنْ خُطْبَتِهِ قال له : ما الذي جَرَّأَكَ عَلَيَّ ؟ فقال : وَيْحَكَ يا حجاج أَنْتَ تَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ وَلَا أُجْتَرِئُ عَلَيْكَ وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى لَا أُجْتَرِئُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَجْتَرِئُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ؟ فقال : خَلُّوا سَبِيلَهُ فَأُطْلِقَ .

ودخل العِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى السُّلْطَانِ فَوَعَظَهُ وَشَدَّدَ فِي الْمَوْعِظَةِ فَعَاتَبَهُ وَلَدَّهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ : هَذَا إِجْتِمَاعُ اللَّهِ فَلَا أُكَدِّرُهُ بِشَيْءٍ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا .

يَا بُنَيَّ لَقَدْ رَأَيْتُ السُّلْطَانَ فِي تِلْكَ الْعِظَمَةِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَهْيَنَهُ لِثَلَا تَكْبُرَ نَفْسُهُ عَلَيْهِ فَتُؤْذِيهِ .

وَلَقَدْ اسْتَحْضَرْتُ هَيْبَةَ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ أَخَاطَبُهُ .

فَصَارَ السُّلْطَانُ أَقْلًا مِنَ الْقِطِّ عِنْدِي .
ولو كَانَتْ بِنَفْسِي لَدَيْهِ حَاجَةٌ مِنْ حَاجَاتِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُهُ الدُّنْيَا كُلَّهَا .
وَأَجْبَرَ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ عَلَى مَلِكٍ مِصْرَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ
يَلْبَسَ مَلَابِسَ خَاصَّةٍ فَأَبَى .

وقال : كيف أَتَجَمَّلُ لَهُ بلباسٍ لا أَتَجَمَّلُ بِهِ لِرَبِّي فِي الصَّلَاةِ .
دَخَلَ عَبَّادُ الْخَوَاصِّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ صَالِحٍ وَهُوَ أَمِيرُ فَلَسْطِينَ فَقَالَ
لَهُ : يَا شَيْخُ عِظْنِي فَقَالَ : بِمِ اعْظُوكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ بَلَّغْنِي أَنْ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ
تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِهِمْ مِنَ الْمَوْتَى فَاَنْظُرْ مَا يُعْرَضُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ عَمَلِكَ
فَبَكَى حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى لَحْيَتِهِ .

وقال مالك : وَجَّهَ إِلَيَّ الرَّشِيدُ أَنْ أَحَدَّثَهُ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
الْعِلْمُ يُؤْتَى وَلَا يَأْتِي فَصَارَ إِلَى مَنْزِلِي فَاسْتَنْدَ إِلَى الْجِدَارِ مَعِيَ .

فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِجْلَالَ ذِي الشَّيْبَةِ
الْمُسْلِمِ فَقَامَ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيَّ قَالَ فَقَالَ بَعْدَ مُدَّةٍ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَوَاضَعْنَا
لِعِلْمِكَ فَاَنْتَفَعْنَا بِهِ ، وَتَوَاضَعَ لَنَا عِلْمُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فَلَمْ نَنْتَفِعْ بِهِ .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ الْمَهْدِيَّ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَاجًا جَاءَهُ مَالِكُ
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ الْمَهْدِيُّ ابْنَهُ الْهَادِيَّ وَهَارُونَ الرَّشِيدَ أَنْ يَسْمَعَا مِنْهُ
فَطَلَبَاهُ إِلَيْهِمَا فَامْتَنَعَ .

فَعَاتَبَهُ الْمَهْدِيُّ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ لِلْعِلْمِ نِصَارَةٌ ،
يُؤْتَى أَهْلُهُ .

وَفِي رِوَايَةِ الْعِلْمِ أَهْلُ أَنْ يُوقَّرَ وَيُوقَّرَ أَهْلُهُ فَأَمَرَهُمَا وَالذُّهْمَا بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ

فسأله مؤدبهما أن يقرأ عليهما ، فقال : إنَّ أهلَ هذه البلدة يقرءون على العالم كما يقرأ الصبيان على المعلم فإذا أخطوا أفتاهم فرجعوا إلى الخليفة فعاتبه المهدي في ذلك فقال : يا أمير المؤمنين سمعتُ ابنَ شهاب يقول سمعنا هذا العلم من رجال في الروضة سعيد بن المسيب وأبو سلمة وعروة والقاسم بن محمد وسالم بن عبدالله وعد آخرين كل هؤلاء يقرأ عليهم ولا يقرءون فقال المهدي في هؤلاء قدوة صيروا إليه فأقرؤا عليه .

أراد الوليد أن يولي يزيد بن مرثد القضاء فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة وقلبها فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجاً وأخذ بيده رغيف (أي خُبْزَة) وعرقاً (أي عَظْم عليه لحم) وخرج بلا رداء ولا قلنسوة (أي أضلع الرأس) ولا نعل ولا خُفٍ ويمشي في الأسواق ويأكل .

فَقِيلَ لِلْوَلِيدِ إِنَّ يَزِيدَ قَدْ اخْتَلَطَ (أي خَرَّفَ) وأخبر بما فعل فتركه الوليد .

قُلْتُ : وَفِعْلُ يَزِيدَ يَدُلُّ عَلَى وَرَعِهِ وَخَوْفِهِ مِنْ تَبَعَةِ الْقَضَاءِ لِأَنَّ الْقَضَاءَ فِيهِ خَطَرٌ عَظِيمٌ وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ يَحْرُمُ عَلَى مَنْ لَا يُحْسِنُهُ وَلَمْ تُجْتَمِعْ فِيهِ شُرُوطُهُ الدَّخُولُ فِيهِ .

وَقَالَ عليه السلام « الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ » وَقَالَ عليه السلام « مَنْ وُلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذَبَحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ » وَقَالَ عليه السلام « لَيَأْتِينَ عَلَى الْقَاضِي الْعَدْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةً يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطٍ » .

وَفِي لَفْظِ يُدْعَى الْقَاضِي الْعَدْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى مِنْ شِدَّةِ الْحِسَابِ مَا يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي عُمُرِهِ قَطٍ .

تَرَكَ خَلْفَ الْبَزَّازِ الرِّوَايَةَ عَنِ الْكِسَائِيِّ فَلَمْ يَرَوْى عَنْهُ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَسْتَاذَهُ وَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ فِي تَصْنِيفِهِ كِتَابَ الْقِرَاءَاتِ وَلَمَّا أَنَّ ضَايِقُوهُ لَمْ يَرَوْ

قال : لقد سَمِعْتُهُ يَقُول ، قال لي سَيِّدِي الرَّشِيد فَقُلْتُ : إن إنساناً
مِقْدَارُ الدُّنْيَا عِنْدَهُ أَنْ يُجَلَّ أَهْلُهَا هَذَا الْإِجْلَالُ لِحَرِيٍّ أَنْ لَا يُؤْخَذَ عَنْهُ شَيْءٌ
مِنَ الْعِلْمِ .

قُلْتُ : اللَّهُ دَرَّةٌ حَيْثُ لَمْ يَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ لِمَنْ يُعَظِّمُ الدُّنْيَا .
فَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى شِدَّةِ وَرَعِهِمْ وَتَرْفَعِهِمْ وَتَنْزِهِهِمْ عَنْ مُخَالَطَةِ الْمُلُوكِ
وَأَهْلِ الدُّنْيَا .

وَصِيَانَةُ الْعِلْمِ وَإِعْزَازُهُ وَبِمِثْلِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ وَالصِّفَاتِ
الْفَاضِلَةِ عَظَّمَ الْإِسْلَامُ وَأَهْلَهُ .

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الْمَأْمُونِ كَانَ يَمْشِي فِي النَّاسِ فَيَأْمُرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَاهُمُ عَنِ الْمُنْكَرِ دُونَ أَنْ يَكُونَ مَأْمُوراً مِنْ قَبْلِ الْخَلِيفَةِ .
فَاسْتَدَعَاهُ الْمَأْمُونُ وَقَالَ لَهُ لِمَ تَأْمُرُ وَتَنْهَى وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَيْنَا وَنَحْنُ
الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

فَقَالَ الرَّجُلُ صَدَقْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ كَمَا وَصَفْتَ نَفْسَكَ مِنَ
السُّلْطَانِ وَالتَّمَكُّنِ غَيْرَ أَنَا أَوْلِيَاؤُكَ وَأَعْوَانُكَ فِيهِ .

وَلَا يُنْكِرُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ جَهِلَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ جَلَّ
وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ
بَعْضُهُ بَعْضًا » فَأَعْجَبَ الْمَأْمُونُ بِكَلَامِهِ وَسُرَّ بِهِ وَقَالَ مِثْلَكَ يَجُوزُ أَنْ يَأْمُرَ
بِالْمَعْرُوفِ فَإِمُضْ عَلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ بِأَمْرِنَا وَعَنْ رَأْيِنَا وَهَكَذَا حِينَ أَحْسَنَ
الرَّجُلُ الْإِحْتِجَاجَ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ انْقَطَعَتْ حُجَّةُ الْمَأْمُونِ .

وَلَمْ يَجِدْ بُدْأً مِنْ إِقْرَارِ الرَّجُلِ عَلَى طَرِيقَتِهِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ .

وعكس هذا الرجل دخل واعظ على المأمون فوعظه وأغلظ عليه في القول .

فقال له المأمون : يارجل ارفق فإن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني ، وأمره بالرفق .

بعث موسى وهارون إلى فرعون ، فأوصاهما بقوله : « فقولاً له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى .

وهنا كان موقف المأمون هو الأقوى لأن الدليل معه .

بعث الأمير طاهر بن عبدالله إلى محمد بن رافع بخمسة آلاف درهم على يد رسوله ، فدخل عليه بعد صلاة العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل ، فوضع كيس الدراهم بين يديه .

فقال : بعث الأمير طاهر بهذا المال إليك لتنفقه على أهلك فقال خذه خذه لا أحتاج إليه فإن الشمس قد بلغت رؤوس الحيطان وإنما تغرب بعد ساعة وأنا قد جاوزت الثمانين سنة إلى متى أعيش .

فرد المال ولم يقبل فأخذ الرسول المال وذهب ودخل على الشيخ ابنه وقال : يا أبت ليس لنا الليلة خبز . قال فذهب بعض أصحابه خلف الرسول ليرد المال إلى صاحبه خوفاً من أن يذهب ابنه خلف الرسول فيأخذ المال . هذا من رقم واحد في الزهد .

وقال أحد الزهاد للمنصور : أذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت ليلة مثلها ، واذكر ليلة تمخض عن يوم القيامة لا ليلة بعدها .

فأفحم المنصور قوله فأمر له ببال فردّه وقال : لو احتجت إلى مالك ما وعظتكَ . (لله درّه ما أزهده بالحطام الفاني) .

وقال لابنه لما ولّاه العهد : إستدِم النعمة بالشكر ، والقدرة بالعفو ،

والنصر وبالتواضع ، والتألف بالطاعة ، ولا تَنْسَ نصيبك من الدنيا ،
ونصيبك من رحمة الله ، وقال للربيع ويحك لقد رأيت مناماً هالني رأيتُ
قائلاً وقفَ في باب هذا القصر يقول :

كأنني بهذا القصر قد بادَ أهله وأوحشَ منه أهله ومنازلُه
وصارَ رئيسُ القصر من بعدِ بهجةٍ إلى جدثٍ يُبني عليه جنادِلُه
وكان ابن أبي ذئبَ جالساً في المسجد النبوي الشريف في المدينة
فدخل أمير المؤمنين المهدي فلم يبقَ أحدٌ إلا قام .

فلما وصلَ إلى ابن أبي ذئب لم يَقُمْ .
قال المسيبُ بن زهير : قُمْ هذا أمير المؤمنين فقال : إنما يقوم الناس
لِربِّ العالمين .

فقال المهدي دَعُهُ فَلَقَدْ قَامَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِي
فهكذا العلماء المخلصون الذين يحفظ الله بهم الإسلام ويرفع الله
بهم المسلمين

تأمل يا أخي هل يُوجَدُ في زَمَانِنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ مَا أَظُنُّ يُوْجَدُ وَلَا رَقْمُ
ثَلَاثَةِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

فإن قلتُ زِنْدَ الْعِلْمِ كَابٌ فَإِنَّمَا كَبَى حَيْثُ لَمْ تُحْمَى جِمَاهُ وَأُظْلِمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانِهِمْ وَلَوْ عَظُمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظُّمَا
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا مُحْيَاهُ بِالْأُطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

عن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي قال ما رأينا في القراء أحدا
مثل عيسى بن يونس أرسلنا إليه فأتانا بالرقعة فاعتل قبل أن يرجع فقلت

يا أبا عمرو وقد أمر لك بعشرة آلاف فقال هي فقلت خمسون ألفا ، قال لا حاجة لي فيها فقلت لم والله لأهتئتكها هي والله مائة ألف .

قال لا والله لا يتحدّث أهل العلم أني أكلت للسنّة ثمنا ، ألا كان هذا قبل أن ترسلوا إليّ ، فأما على الحديث فلا والله ولا شربة ماء ولا هليلجة .

وقال أبو بكر المرزوي سمعتُ أحمد بن حنبل وذكر ورع عيسى بن يونس ، قال قدم فأمر له بمائة ألف أو قال بهال فلم يقبل ، وتدرى ابن كم كان عيسى أراد أنه كان حدّث السن .

وقال محمد بن المنكدر حج الرشيد فدخل الكوفة فركب الأمين والمأمون إلى عيسى بن يونس فحدثها فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم .

فأبى أن يقبلها فظن أنه استقلها ، فأمر له بعشرين ألفا ، فقال عيسى لا والله ولا إهليلجة ولا شربة ماء على حديث رسول الله ﷺ ، ولو ملأت لي هذا المسجد ذهباً إلى السقف . لله دَرُه هذا من رقم (١) في الزهد .

طلب الخليفة هشام بن عبد الملك ذات يوم أحد العلماء ، فلما دخل عليه قال السلام عليك يا هشام ثم خلع نعليه وجلس بجانبه .

فغضب هشام وهم بقتله ولما تحدّث معه وجدّه عالماً كبيراً . فلما انتهى الحديث عاتبه بقوله له لقد سميتني باسمي ولم تُكنني أو تدعني بالخلافة وخلعت نعليك وجلست بجانبني فلم فعلت ذلك .

فقال له : لم أدعك بالخلافة لأن الناس لم ينتخبوك كلهم . وسميتك ولم أكنك .

لأن الله جلّ وعلا وتقدس نادى الأنبياء بأسمائهم ، فقال يا عيسى ، يا إبراهيم ، يا موسى ، يا نوح ، يا داوود .

وَكُنِّي عَدُوَّهُ فَقَالَ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ ﴾ .
وَخَلَعْتُ نَعْلِي بِجَانِبِكَ وَأَنَا أَخْلَعُهُمَا لَمَّا أَدْخُلُ بَيْتَ رَبِّي .
وَجَلَسْتُ بِجَانِبِكَ لِأَنِّي سَمِعْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ سَرَّهُ أَنْ
يُمَثَلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

فَكَرِهْتُ لَكَ النَّارَ فَأَمَرَ لِي هِشَامُ بِهَا فَلَمْ يَقْبَلْهُ وَأَنْصَرَفَ .
تأمل يا أخي هذا الورع عن أخذ شيء من حطام الدنيا على ما
خَدَثَهُمَا بِهِ وَقَالَ لَا يَتَحَدَّثُ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنِّي أَكَلْتُ لِلْسِّنَةِ ثَمَنًا .

فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يَأْكُلُ بِالْكُتُبِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ
بِاسْمِ تَحْقِيقٍ أَوْ نَشْرٍ وَيَحْتَكِرُهَا نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَمَى الْبَصِيرَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ
حَسَنًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ ﴾ وَأَكْثَرُ يَاخِي مِنْ قَوْلِ الْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاهُمْ اللَّهُ بِإِعْفَائِهِمْ
وَلَا يُبْلَا نَا .

وَيُرَوَّى عَنْ أَبِي عَمْرٍو الزَّاهِدِ صَاحِبِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنَّ بَعْضَ الْوُزَرَاءِ أَرْسَلَ
إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ مَبْلَغَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِقُوَّتِهِ وَقُوَّتِ عِيَالِهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ لِيُجْرِيَ عَلَيْهِ
كَفَايَتَهُ فَقَالَ لِلرَّسُولِ الَّذِي أَرْسَلَهُ أَحَدُ الْوُزَرَاءِ : قُلْ لِصَاحِبِكَ أَنَا فِي جِرَايَةِ
الَّذِي مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا عَلَيْهِ رِزْقُهَا وَإِذَا غَضِبَ عَلَيَّ لَمْ يَقْطَعْ عَنِّي مَا يُجْرِيهِ عَلَيَّ
« اللَّهُ ذَرُّهُ هَذَا مِنْ رَقْمِ (١) فِي الْعَفَافِ وَالزَّهْدِ » .

(قِصَائِدُ تُحْتَوِي عَلَى مَوَاعِظٍ وَنَصَائِحٍ وَعِبَرٍ)

آخِرُ :

قَلَّ الْحُمَاءُ وَمَا فِي الْحَيِّ أَنْصَارُ وَذَبَّرَ الْأَمْرَ أَحْدَاثُ وَأَغْمَارُ

وَأَصْبَحَتْ دَارُنَا تُبْكِي لِفُرْقَتِهَا
سَارُوا جَمِيعاً فَصَارُوا لِلْوَرَى سَمَراً
لَهْفِي عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّ اللَّهْفَ يَنْفَعُنِي
مَا فِي الزَّمَانِ فَتَى نَرْجُوهُ فِي حَدِيثٍ
وَلَا مُعِيناً عَلَى بَلَوَى يُدَافِعُهَا
سِوَى لِقَامٍ لَهُمْ بِالْغَشِّ سَرَبَلَةٌ
وَالْحَقُّدُ وَالْغُلُّ وَالْبَغْضَاءُ بَيْنَهُمْ
وَيَحْسَدُونَ عَلَى النِّعْمَاءِ صَاحِبِهَا
وَاللَّمْزُ فِيهِمْ وَكُلُّ الْقُبْحِ قَدْ جَمَعُوا
لَا خَيْرَ فِيهِمْ وَلَا نُصْحَا نُؤْمَلُهُ
وَأِنْ بَدَا لَكَ أَمْرٌ بِالْمُنَى خَلِّعْ
لَا تَفْرَبَنَّ لَهُمْ لَا زِلْتَ مُدْرِعاً
وَأَطْلُبْ جَلِيساً كَرِيمَ النَّفْسِ مُلْتَمِساً
إِنْ غِيبَتْ حَاطَ وَلَا تُلْفِيهِ مُتَقِصاً
هَذَا هُوَ الْحِلُّ فَأَلْزَمَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ
وَقَلَّ مِثْلًا وَمَا ظَنِّي تَحْصِصُهُ
فَأَنْسَ بِرَبِّكَ قَعَرَ الْبَيْتِ مُلْتَزِماً
وَالصَّلَاةِ فَلَا تَهْمِلْ جَمَاعَتَهَا
وَالصَّدَقَ وَالْبِرَّ لَا تَعْدُوهُمَا أَبَداً
وَأَلْزَمَ عَفَافاً وَلَا تَتَّبِعْ طَرِيقَ هَوَى
وَأَذْكُرْ إِلَهًا لَهُ فِي خَلْقِهِ مِنَّةٌ

كُلُّ الْكِرَامِ الَّذِي بِالْجِدِّ قَدْ سَارُوا
يَتْلُوا لِذِكْرَاهُمْ فِي الْحَيِّ سَمَارُ
جَدَّدْتُ لَهْفِي وَدَمَعُ الْعَيْنِ مِذْرَارُ
وَلَا رِجَالاً لَهُمْ فِي الْمَجْدِ إِخْطَارُ
إِذَا الْغَرِيبُ جَفَاهُ الصَّحْبُ وَالْجَارُ
وَفِي الْقُلُوبِ لَهُمْ بِالضُّغْنِ إِغْصَارُ
لَا يُفْلِحُوا أَبَداً وَالْخَيْرُ يَنْهَارُ
وَيَشْمَتُونَ إِذَا مَا حَلَّ إِغْسَارُ
وَفِي الْقُلُوبِ مِنَ الْأَحْقَادِ أَوْغَارُ
قَدْ فَارَقُوا الرُّشْدَ إِنْ حَلُّوا وَإِنْ سَارُوا
أُولَئِكَ غَدْرًا وَفِي أَفْعَالِهِمْ جَارُوا
ثَوْبَ الْعَفَافِ وَحُطَّتْ عَنْكَ آصَارُ
حُسْنِ الطَّبَاعِ وَلَا تَعْرُوهُ أَغْيَارُ
لِلْعَرَضِ مِنْكَ وَلِلزَّلَاتِ غَفَّارُ
وَمِثْلُ هَذَا لِأَهْلِ اللَّبِّ مُخْتَارُ
قَدْ قَلَّ فِي النَّاسِ هَذَا الْيَوْمَ أَخْرَارُ
إِلَى الْمَمَاتِ فَهَذَا الْيَوْمَ إِبْرَارُ
مَعَ جُمُعَةٍ فَرَضُهَا مَا فِيهِ إِنْكَارُ
مَنْ نَالَ ذَا قَلَّةٍ فِي الْحَمْدِ أَذْكَارُ
إِنَّ الْهَوَى لِلْوَرَى يَا صَاحِبَ غَرَارُ
تَجْرِي عَلَى النَّاسِ مِنْ جَدْوَاهُ أَنْهَارُ

وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ عَنْ لَغْوٍ وَعَنْ رَفَثٍ مَا نَالَ فَضْلًا مَدَى الْأَيَّامِ مِهْذَارُ
وَأَرْحَمْ يَتِيمًا غَدَاً بِالْيَتَمِ مُتَّصِفًا وَأُمْنَحْهُ لُطْفًا تُنَجِّي عَنْكَ أَوْزَارُ
وَصِلْ قَرِيبًا وَلَا تَقْطَعْ لَهُ رَحِمًا إِنَّ الْقَرِيبَ لَهُ بِالْحَقِّ إِيْثَارُ
وَبِرٌّ جَارًا وَلَا تَهْتِكْ مَحَارِمَهُ قَدْ جَاءَ فِيهِ مِنَ الْآثَارِ إِخْبَارُ
وَكُنْ حَلِيمًا وَلَا تَغْضَبْ عَلَى أَحَدٍ فَالْحِلْمُ فِيهِ لِأَهْلِ الْحِلْمِ إِسْرَارُ
وَتَمَّ نَظْمِي وَصَلَّى خَالِقِي أَبَدًا عَلَى الْمُشْفَعِ مَنْ بِالرُّشْدِ أُمَارُ
وَالِيهِ الْغُرُّ مَعَ صَنْبٍ أُولَى كَرَمٍ مَا هَبَّتِ الرِّيحُ أَوْ مَاسَارَ سَيَّارُ
إِنْتَهَى



اللَّهُمَّ قَنَعْنَا مِنَ الدُّنْيَا بِالْيُسْرِ وَسَهَّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَفَّقْنَا لِمَا
تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَسْكِنْنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ
مَلَجُؤُنَا وَمَلَاذُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ
مَخْرَجًا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ اخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وعن أبي قدامة السرخسي قال : قام العمري للخليفة على الطريق
فقال له : فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ . فقال له : ماذا تريد ؟ قال : تَعْمَلُ بِكَذَا
وتعمل بِكَذَا . فقال له هارون : نَعَمْ يَا عَمَّ ، نَعَمْ يَا عَمَّ .

وعن سعيد بن سليمان قال : كنت بمكة في زقاق الشطوى وإلى
جنبى عبد الله بن عبد العزيز العمري وقد حج هارون الرشيد .

فقال له إنسان : يا أبا عبد الرحمن هوذا أمير المؤمنين يسعى قد أخلى

له المسعى . قال العمري للرجل : لا جزاك الله عني خيراً ، كلفتني أمراً كنتُ عنه غنياً . ثم تعلَّقَ نعليه (أي لبسهما) .

وقام فتبعته وأقبلَ هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به : يا هارون ! فلما نظر إليه قال : لبيك يا غم . قال : ارق الصفا . فلما رقيه .

قال : ارم بطرفك إلى البيت . قال : قد فعلت . قال : كم هم ؟ قال : ومن يحصيهم ؟ قال : فكم في الناس مثلهم ؟ قال : خلق لا يحصيهم إلا الله .

قال : اعلم أيها الرجل أن كل واحدٍ منهم يُسأل عن خاصّةٍ نفسه وأنت وحدك تُسأل عنهم كلّهم فانظر كيف تكون ؟ قال : فبكى هارون وجلس وجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدموع .

قال العمري : وأخرى أقولها . قال : قل يا غم . قال : والله إن الرجل لیسرف في ماله فيستحقّ الحجرَ عليه ، فكيف بمن يسرف في مال المسلمين ؟ ثم مضى وهارون يبكي .

قال محمد بن خلف : سمعت محمد بن عبدالرحمن يقول : بلغني أن هارون الرشيد قال : إني لأحب أن أحج كل سنة ما يمنعني إلا رجل من ولدٍ عمر ثم يسمعني ما أكره .

وقد روى لنا من طريق آخر أنه لقيه في المسعى فأخذ بلجام دابته فأهوت إليه الأجناد فكفّهم عنه الرشيد فكلّمه فإذا دموع الرشيد تسيل على معرفة دابته .

ثم انصرف . وأنه لقيه مرّةً فقال : يا هارون فعلت وفعلت .

فَجَعَلَ يَسْمَعُ مِنْهُ وَيَقُولُ : مَقْبُولٌ مِنْكَ يَا عَمَّ ، عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَالِ النَّاسِ كَيْتَ وَكَيْتَ . فَقَالَ : عَنْ غَيْرِ عِلْمِي وَأَمْرِي وَخَرَجَ الْعُمَرِيُّ إِلَى الرَّشِيدِ مَرَّةً لِيَعِظَهُ فَلَمَّا نَزَلَ الْكُوفَةَ زَحَفَ الْعَسْكَرُ حَتَّى لَوْ كَانَ نَزَلَ بِهِمْ مِائَةُ أَلْفٍ مِنَ الْعَدُوِّ مَا زَادُوا عَلَى هَيْبَتِهِ . ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي يَحْيَى الزَّهْرِيِّ قَالَ : قَالَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعُمَرِيُّ عِنْدَ مَوْتِهِ : بِنِعْمَةِ رَبِّي أَحْدَثْتُ أَنِّي لَمْ أَصْبَحْ أَمْلِكُ إِلَّا سَبْعَةَ دِرَاهِمٍ مِنْ لِحَاءِ شَجَرٍ فَتَلَّتُهُ بِيَدِي ، وَبِنِعْمَةِ رَبِّي أَحْدَثْتُ : لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا أَصْبَحَتْ تَحْتَ قَدَمِي مَا يَمْنَعُنِي أَخْذُهَا إِلَّا أَنْ أَزِيلَ قَدَمِي عَنْهَا ؛ مَا أَزَلَّتْهَا .

اسْتَسْقَى مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ فِي النَّاسِ فِي سَنَةِ ٩٣ حِينَ أَقْحَطُوا بِإِفْرِيقِيَّةٍ فَأَمَرَهُمْ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ وَمَيَّزَ أَهْلَ الذِّمَّةِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَفَرَّقَ بَيْنَ الْبَهَائِمِ وَأَوْلَادِهَا ثُمَّ أَمَرَ بِالْبُكَاءِ وَارْتِفَاعِ الضُّجُجِجِ وَهُوَ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارَ ثُمَّ نَزَلَ فَقِيلَ لَهُ أَلَا دَعَوْتَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : هَذَا مَوْطِنٌ لَا يُذَكَّرُ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَسَقَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا قَالَ ذَلِكَ .

كَتَبَ زُرَّ بْنُ حُبَيْشٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كِتَاباً يَعْظُمُ فِيهِ فَكَانَ فِي آخِرِهِ : وَلَا يُطْمَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ مَا يَظْهَرُ مِنْ صِحَّةِ بَدَنِكَ فَإِنَّتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ وَادْكُرْ مَا تَكَلَّمُ بِهِ الْأُولُونَ .

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا وَبَلَيْتَ مِنْ كِبَرِ أَجْسَادُهَا وَجَعَلَتْ أَسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا فَذِي زُوعٍ قَدْ دَنَا خَصَادُهَا

فَلَمَّا قَرَأَ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكِتَابَ بَكَى حَتَّى بَلَ طَرَفَ ثَوْبِهِ بِدُمُوعِهِ ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ زُرٌّ وَلَوْ كَتَبَ إِلَيْنَا بِغَيْرِ هَذَا كَانَ أَرْفَقَ بَنَا .

شِعْرًا :

يَا بَانِي الْقَصْرِ الْكَبِيرِ	بَيْنَ الدَّسَاكِرِ وَالْقُصُورِ
وَمُجَرَّرِ الْجَيْشِ الَّذِي	مَلَأَ الْبَسِيطَةَ وَالصُّدُورِ
وَمُدَوِّخِ الْأَرْضِ الَّتِي	أَعْيَتْ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ
أَمَا فَزَعْتَ فَلَا تَدْعُ	بُنْيَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
وَانْظُرْ إِلَيْهِ تَرَاهُ كَيْ	فَ إِلَيْكَ مُعْتَرِضًا يُشِيرُ
وَإِذْ كُرُرُ قَادَكَ وَسَطَهُ	تَحْتَ الْجَنَادِلِ وَالصُّحُورِ
قَدْ بُدِّدَتْ تِلْكَ الْجُيُوشُ	شُ وَغُيِّرَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ
وَأَعْتَضَتْ مِنْ لَيْلِ الْحَرِبِ	رِخْشُونَةَ الْحَجَرِ الْكَبِيرِ
وَتَرِكْتَ مُرْتَهَنًا بِهِ	لَا مَالَ وَبِكَ وَلَا عَشِيرُ
حَيْرَانَ تُعْلِنُ بِالْأَسَى	لَهْفَانَ تَدْعُو بِالثُّبُورِ
وَدُعِيتَ بِاسْمِكَ بَعْدَمَا	قَدْ كُنْتَ تُدْعَى بِالْأَمِيرِ
وَلَأَنْتَ أَهْوَنُ فِيهِ مِنْ	جُعَلٍ عَلَى نَثْنٍ يَدُورُ
إِنْ لَمْ يَجِدْ بِالْعَفْوِ مَنْ	يَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ
هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْيَقِينُ	نُ وَكُلُّ ذَلِكَ هُوَ الْغُرُورُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوْفَنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقُّنَا بِعِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وعن الفضل بن الربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد فأتاني
فخرجت مسرعاً فقلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك . فقال :

ويحك قد حاك في نفسي شيء فانظري رجلاً أسأله . فقلت : ها هنا سفيان بن عيينة .

فقال : امضي بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيئك . فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله .

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . فقال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، انظري رجلاً أسأله .

فقلت له : ها هنا عبدالرزاق بن همام . قال : امضي بنا إليه فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين .

فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيئك . قال : خذ لما جئناك له .

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . قال : أبا عباس اقض دينه . فلما خرجنا قال : ما أغنى صاحبك شيئاً انظري رجلاً أسأله .

قلت : ها هنا الفضيل بن عياض . قال : امضي بنا إليه . فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها . فقال : اقرع الباب . فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فقال : مالي ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أما عليك طاعة ؟

أليس قد روى عن النبي ﷺ أنه قال « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت .

فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفَّ هارون قبلي إليه .
فقال : يا لها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل .
فقلت في نفسي : ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي . فقال
له : خذ لما جئناك له رحمك الله .

فقال : إن عمر بن عبدالعزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبدالله ،
ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم : إني قد ابتليت بهذا
البلاء فأشيروا عليَّ . فعُدَّ الخلافة بلاء وعددها أنت وأصحابك نعمة .

فقال له سالم بن عبدالله : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فُصِّم
عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت .

وقال له محمد بن كعب القرظي : إن أردت النجاة من عذاب الله ،
فليكن كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم أخاً وأصغرهم عندك ولداً فوقر
أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز
وجل فأحبَّ للمسلمين ما تُحبُّ لنفسك واکره لهم ما تكره لنفسك ثم مُت
إذا شئت .

وإني أقول لك إني أخافه عليك أشدَّ الخوف يوم تزل فيه الأقدام
فهل معك رحمك الله مَنْ يشير عليك بمثل هذا ؟

فَبَكَى هارون بكاء شديداً حتى غُشى عليه فقلت له : ارفق بأمر
المؤمنين . فقال : يا بن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم أفاق
فقال له : زدني رحمك الله .

فقال : يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شكَا
إليه . فكتب إليه عمر : يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع

خلود الأبد وإياك أن يُنصَرَف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء .

قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل .

قال : فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال له : زدني رحمك الله . فقال : يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي فقال : يا رسول الله أمّرني على إمارة فقال له النبي ﷺ « إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل » .

فبكى هارون بكاءً شديداً وقال له : زدني رحمك الله فقال : يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح وتُمسى وفي قلبك غشٌّ لأحد من رعيّتك فإن النبي ﷺ قال : « من أصبح لهم غاشاً لم يرحُ رائحة الجنة » .

فبكى هارون وقال له : عليك دين ؟ قال : نعم دين لربي يحاسبني عليه ، فالويل لي إن سألني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم ألهم حجّتي قال : إنما أعني دين العباد .

قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، أمر ربي أن أوحّده وأطيع أمره ، فقال عز وجل ﴿ وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبّدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

فقال له : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتَقَوِّ بها على عبادتك . فقال : سبحان الله أنا أدلُّك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك

ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال
هارون : أبا عباس إذا دَلَّلْتَنِي على رجل فذُلَّتْني على مثل هذا ، هذا سيد
المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت : يا هذا قد ترى مانحن فيه من
ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به . فقال لها : مثلي ومثلكم كمثلي
قَوْمٍ كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نُحْروه فأكلوا لحمه .

فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم
الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى
جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت
يا هذا قد أتعبت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله فانصرف . تأمل يا
أخي هل يُوجَدُ في زَمَنِنَا مَنْ يَرُدُّ حُطَامَ الدنيا إذا عُرِضَ عليه لا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم . هذا الله أعلم أنه من رقم (١) في الزهد .

بَلِّغْ يا أخي مَنْ يَأْكُلُونَ بِالْكَتَبِ الدِّينِيَّةِ بِاسْمِ تَحْيِيقٍ وَنَشْرِ وَقُلْ لَهُمْ
قال الله تعالى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ واذكر لهم طريقة الرسل وأنهم
لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ أَجْرًا .

إِعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ مُنْفَرِدٌ	وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادٌ
لَا يَطْلُبُونَ وَلَا تُطْلَبُ مَسَاعِيهِمْ	فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قُصَاد
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا لَهُ قَصْدُوا	فَجُلُّهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَادٌ

قيل إن هارون الرشيد خرج في نُزْهَةٍ ومعه سُلَيْمَانُ بْنُ جَعْفَرٍ فقال له
هارون قد كانت لَكَ جَارِيَةٌ تُغْنِي فَتُحْسِنُ الْغِنَا فَأَتِ بِهَا فَجَاءَتْ فَغَنَّتْ فلم
تُحْسِنِ الْغِنَا فقال لها مَا شَأْنُكَ قَالَتْ لَيْسَ هَذَا عُودِي .

فَقَالَ لِلْخَادِمِ جِئْهَا بِعُودِهَا قَالَ فَجَاءَ بِالْعُودِ فَوَافَقَ شَيْخًا يَلْقُطُ

النَّوَى فَقَالَ إِبْعِدْ عَنِ الطَّرِيقِ يَا شَيْخَ فَرَفَعَ الشَّيْخُ رَأْسَهُ فَرَأَى الْعُودَ فَأَخَذَهُ
فَضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ .

فَأَخَذَهُ الْخَادِمُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى صَاحِبِ الرَّبْعِ فَقَالَ احْتَفِظْ بِهَذَا فَإِنَّهُ
سَيَطْلُبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الرَّبْعِ لَيْسَ بِبَغْدَادَ أُعْبَدُ مِنْ هَذَا
فَكَيْفَ يَطْلُبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ لَهُ أَسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ فَقَالَ لَهُ إِنِّي
مَرَرْتُ عَلَى شَيْخٍ يَلْقُطُ النَّوَى فَقُلْتُ تَنَحَّ عَنِ الطَّرِيقِ يَا شَيْخَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى
الْعُودَ « أَيُّ عُودِ الْغِنَا » فَأَخَذَهُ وَضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ .

فَغَضِبَ هَارُونَ وَاسْتَشَاطَ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ جَعْفَرٍ مَا
هَذَا الْغَضَبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِبْعَثْ إِلَى صَاحِبِ الرَّبْعِ يَضْرِبْ عَنْقَهُ وَيَرْمِي
بِهِ فِي دِجْلَةٍ فَقَالَ لَا وَلَكِنْ نَبْعَثْ إِلَيْهِ فَنُظَاهِرُهُ أَوَّلًا .

قَالَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَجَاءَهُ الرَّسُولُ فَقَالَ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ نَعَمْ قَالَ
ارْكَبْ قَالَ لَا فَجَاءَ يَمْشِي حَتَّى أُوقِفَ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ فَقِيلَ لَهُارُونَ قَدْ جَاءَ
الشَّيْخُ .

فَقَالَ لِنَدَامَاهُ أَيُّ شَيْءٍ تَرَوْنَ نَرْفَعُ مِنْ مَا قُدَّامَنَا مِنَ الْمُنْكَرِ حَتَّى
يَدْخُلَ الشَّيْخُ أَوْ نَقُومَ إِلَى مَجْلِسٍ آخَرَ لَيْسَ فِيهِ مُنْكَرٌ فَقَالُوا نَقُومُ إِلَى مَجْلِسٍ
آخَرَ لَيْسَ فِيهِ مُنْكَرٌ فَقَامُوا صَغَرَةً إِلَى مَجْلِسٍ لَيْسَ فِيهِ مُنْكَرٌ .

ثُمَّ طَلَبَ الشَّيْخَ فَأَدْخَلَهُ وَفِي كُمِهِ الْكَيْسُ الَّذِي فِيهِ النَّوَى (أَيِ
الْفَصْمِ) فَقَالَ لَهُ الْخَادِمُ أَخْرِجْ هَذَا وَادْخُلْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ مِنْ هَذَا
عَشَائِي اللَّيْلَةَ قَالَ نَحْنُ نَعَشِيكَ قَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِي عَشَاكُمْ .

فقال له هارون أي شيء تريد منه فقال في كفه نوى فقلت له اطرحه
وادخل على أمير المؤمنين فقال دعه لا تطرحه فدخل على هارون وجلس .
فقال هارون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأي شيء صنعت
وجعل هارون يستحي أن يقول كسرت عودنا .

فلما أكثر عليه فقال الشيخ لهارون إني سمعت آباءك وأجدادك
يقرؤون هذه الآية على المنبر ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي
القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ ورأيت منكرا فغيرته .

قال فغيره قال الراوى فوالله ما قال إلا هذا فلما خرج أعطي هارون
رجلاً بادرةً يعنى عشرة آلاف درهم فقال له اتبع الشيخ فإن رأيتك يقول قلت
لأمير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وأتني به وإن رأيتك لا يكلم أحدا فاعطه
البادرة .

فلما خرج من القصر تبعه ولم يره يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير
المؤمنين خذ هذه البادرة فقال قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها .
فانظر رحمك الله كيف حفظه الله جل وعلا من سطوتهم ورد عنه
كيدهم ببركة الاخلاص والتقوى لرب العالمين وقال النبي ﷺ لابن عباس
« يا غلام احفظ الله يحفظك » .

ولو كان هذا من الجهلة المرائين لخرج وهو يقول اتفق لي مع أمير
المؤمنين كذا وكذا وقال لي وقلت له يتبجح بذلك ولا يقنع بعلم الله جل
وعلا واطلاعه . هذا الله أعلم أنه من رقم (١) في الزهد .

فينبغي التفطن لمثل هذا فإنه دليل على ما في القلب من الداء الدفين
من الرياء وطلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق .

وقد روى النسائي وأبو داود أن النبي ﷺ قال « إن الله لا يقبل من

العمل الا ما كان خالصا ويبتغي به وجهه » .

فإن قلت فما الذي يُمَيِّزُ لنا النيةَ الصالحةَ الخالصةَ من النيةِ الفاسدةِ وما العلامةُ في ذلك والمعيار في صحته .

قلتُ محلُّ الاعتبار في ذلك أن يرى المنكرُ نفسه كالمكره على هذا الفعل وكالمتكلف له والمتجشم المشقة فيه .

ويودُّ لو تصدى لهذا الفعل غيره وكفاه الله به ويحبُّ أن لا يعلم به أحدٌ من الناس اكتفاءً بعلم الله جل وعلا وتقديس وإطلاعه عليه .

ويختار الكلام مع ولي الأمر من سلطان أو غيره في الخلوة على الكلام معه على رؤوس الاشهاد .

بل يودُّ لو كلَّمه سراً وحده ونصحه خفيةً من غير حضور ثالث لهما ويكره أن يقال عنه أو يُحكى ما اتفق له .

ويكره أن يشتهر بذلك بين العامة بل لو أثر كلامه وغير المنكر بقوله ثم اشتهر عند الناس نسبة ذلك إلى غيره لما شقَّ عليه .

ذلك إذ في علم الله بحقيقة الحال كفاية وهو المجازي كل أحد بعمله .

ويكون قصده زوال المنكر على أي وجه كان ولو حصل له مع زواله ازدياء وتنقص وسب وتغليظ كلام وذم بين الناس أو إغراض وهجر ممن عادته المودة له والاقبال عليه ونحو ذلك من الأحوال التي تكرهها النفوس وتنفر منها الطباع .

فهذه كلها من علامات الإخلاص وحسن القصد وابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة .

وأما غَيْرُ الْمُخْلِصِ فبضد ذلك فير عند نفسه نشاطا إلى هذا الفعل وإقبالا عليه وسرورا به ويحب أن يكون جهرا في ملاء من الناس لا سرا ويحب أن يحكى عنه ذلك وأن يشتهر به وأن يُحمد عليه .

حتى إنه لو نُسِبَ إِزَالَةُ المنكر إلى غيره لَقَامَتْ قِيَامَتُهُ بَلْ تَجِدُهُ يَنْقُضِي عُمُرَهُ وهو يحكي ما اتَّفَقَ لَهُ وَمَا قَالَ وَمَا قِيلَ لَهُ مُتَّبِعًا بِذَلِكَ بَيْنَ أَقْرَانِهِ وَزُمَلَائِهِ وَأَبْنَاءِ جَنَسِهِ وَرُبَّمَا زَادَ فِي الْقِصَّةِ وَنَقَصَ .

ولو سَبَقَهُ غَيْرُهُ إِلَى مَا كَانَ هُوَ قَدْ عَزَمَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَرَجَعَ السُّلْطَانُ إِلَى قَوْلِهِ لَثَقُلَ ذَلِكَ وَشَقَّ عَلَيْهِ .

وربما يَقُولُ لِمَنْ يُطْلِعُهُ عَلَى نِيَّتِهِ كُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَدْخُلَ عَلَى السُّلْطَانِ فَأَقُولُ لَهُ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ سَبَقَنِي فَلَانٌ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ كَمَا يَنْبَغِي وَلَوْ دَخَلْتُ عَلَى لَقُلْتُ كَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا فَهَذِهِ عَلَامَاتُ عَلَى فساد النية وسوء القصد وعدم الاخلاص .

هَذِهِ نَمَازِجُ وَأَمْثَلَةٌ سُقْنَاهَا مِنْ سِيَرَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُخْلِصِينَ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِمُ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

سَأَلَ الْمَهْدِيُّ الْإِمَامَ مَالِكًا وَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ دَارٌ ؟ فَقَالَ : لَا . فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : اشتر لك بها دار ، فَأَخَذَ وَأَبْقَاهَا عِنْدَهُ .

فلما أَرَادَ الرَّشِيدُ الرَّحِيلَ إِلَى بَغْدَادٍ قَالَ لِمَالِكٍ : يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَخْرُجَ مَعَنَا فَإِنِّي عَزَمْتُ أَنْ أَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى الْمَوْطَأِ ، كَمَا حَمَلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاسَ عَلَى الْقِرَآنِ . فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : أَمَّا حَمْلُ النَّاسِ عَلَى الْمَوْطَأِ فَلَيْسَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ افْتَرَقُوا بَعْدَهُ فِي الْأَمْصَارِ فَحَدَّثُوا فَعِنْدَ كُلِّ أَهْلِ مِصْرٍ عِلْمٌ .

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ ، وَأَمَّا الْخُرُوجُ مَعَكَ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، وَقَالَ الْمَدِينَةُ تُنْفِي خَبَثَهَا كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ .

وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعني أنك إنما كلفتني مفارقة المدينة بما اسطغنته لدي من أخذ هذه الدنانير ، فالآن أخذها فإني لا أؤثر الدنيا وما فيها على مفارقة المدينة .

هذا من رقم واحد في العفاف والزهد ، لله دَرُه هكذا العلماء العاملون المخلصون البعيدون عن الشهرة والظهور والرياء .
شِعْرًا :

وَتَنْجُو مِنْ يَوْمٍ مَهُولٍ عَصَبَصَبٍ	إِذَا رُمْتَ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ سَالِمًا
وَتَرْفُلَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْمَجْدِ مُعْجَبٍ	وَتُحْطَى بِجَنَاتٍ وَخُورٍ خَرَائِدٍ
عَزِيزًا حَمِيدًا نَائِلًا كُلَّ مَطْلَبٍ	وَفِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَعِيشُ مُنْعَمًا
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِأَهْلِ التَّقَرُّبِ	فَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ فَاسْئَلُكَ سَيِّلَهَا
يُؤَالِي وَأُبْغِضُ فِي الْإِلَهِ وَأُحِبُّ	فَعَادِ الَّذِي عَادَى وَوَالَ الَّذِي لَهُ
يُؤَالِي وَلَمْ يُبْغِضْ وَلَمْ يَتَجَنَّبِ	فَمَنْ لَمْ يُعَادِيَ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ لَهُمْ
وَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ قَوْمٍ مُقَرَّبِ	فَلَيْسَ عَلَى مِنْهَاجِ سُنَّةِ أَحْمَدِ
إِلَيْهِ مُنِيبًا فِي الْعِبَادَةِ مُذِيبِ	وَأُخْلِصْ لِمَوْلَاكَ الْعِبَادَةَ رَاغِبًا
وَلَا مُبْغِضًا أَوْ سَالِكًا مِنْهَجًا وَبِ	مُحِبًّا لِأَهْلِ الْخَيْرِ لَا مُتَكَرِّهًا
كَرِيمًا طَلِيقَ الْوَجْهِ سَامِي التَّطَلُّبِ	وَكُنْ سَلِسًا سَهْلًا لَيْسًا مُهَذَّبًا
فَخَيْرُ الْوَرَى أَهْلُ التُّقَى وَالتَّقَرُّبِ	إِلَى كُلِّ مَنْ يَدُوتُو إِلَى مِنْهَجِ التُّقَى
وَمَوْكِبُهُمْ يَوْمَ اللَّقَا خَيْرُ مَوْكِبِ	وَمِنْهَجُهُمْ خَيْرُ الْمَنْاهِجِ كُلِّهَا
وَهَذَا الَّذِي يُنْجِي يَوْمَ عَصَبَصَبٍ	فَهَذَا الَّذِي يُرْضَى لِكُلِّ مُوَحِّدِ

وَذَلِكَ يَوْمٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ لَبِيتَ لَعَمْرِي سَاهِدًاذَا تَقَلَّبَ
وَلَمْ تَتَلَذَّذْ بِالْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا وَأَصْبَحْتَ فِيهَا خَائِفًاذَا تَرَقَّبَ

اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَنَوِّرْ قُلُوبِنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَأَلْفِ
بَيْنَ قُلُوبِنَا وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

اعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ يَجْبَانِ وَجُوبَ
كَفَائِيٍّ يُخَاطَبُ بِهِ الْجَمِيعُ ، وَيَسْقُطُ بِمَنْ يَقُومُ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ بِهِ وَاحِدًا
تَعَيَّنَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً لَكِنْ لَا يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ إِلَّا بِهِمْ جَمِيعًا تَعَيَّنَ
عَلَيْهِمْ .

وَأَمَّا تَعْرِيفُهُمَا ، فَالْمَعْرُوفُ اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا عُرِفَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ
وَالْتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْمُنْكَرُ ضِدُّهُ وَعَرَفَهُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ
الْمُنْكَرُ اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَنْهَى عَنْهُ وَالْمَعْرُوفُ اسْمُ جَامِعٍ
لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

وَقَدْ حَبَّبَ اللَّهُ إِلَيْنَا الْخَيْرَ وَأَمَرَنَا أَنْ نَدْعُو إِلَيْهِ ، وَكَرَّهَ إِلَيْنَا الْمُنْكَرَ
وَنَهَانَا عَنْهُ ، وَأَمَرَنَا بِمَنْعِ غَيْرِنَا مِنْهُ ، كَمَا أَمَرْنَا بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ

وَالْتَقَوَى . فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وَالْأَصْلُ فِي وَجُوبِهِمَا : الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وَأَبَانَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّنَا بِهِمَا خَيْرُ الْأُمَمِ فَقَالَ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

وَفِي الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ إِذَا سَمِعَ الْعَامِلُ الْخَطِيئَةَ جَاءَهُ النَّاهِي تَعْذِيرًا فَإِذَا كَانَ الْغَدُ جَالَسَهُ وَوَاكَلَهُ وَشَارَبَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ عَلَى خَطِيئَةٍ بِالْأَمْسِ فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَبَ بِقُلُوبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ .

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَرَنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ السَّفِيهِ وَلَتَأْطُرَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ

بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لِيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ اِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرٍو الصَّنَعَانِيِّ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ إِنِّي مُهْلِكٌ مِنْ قَوْمِكَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ خِيَارِهِمْ وَسِتِّينَ أَلْفًا مِنْ شِرَارِهِمْ قَالَ يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ الْاَشْرَارُ فَمَا بَالُ الْاُخْيَارِ قَالَ إِنَّهُمْ لَمْ يَغْضَبُوا لِعَظَمِي وَكَانُوا يُوَاكِلُونَهُمْ وَيُشَارِبُونَهُمْ .

وَذَكَرَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكَينِ إِلَى قَرْيَةٍ أَنْ دَمَّرَاهَا بِمَنْ فِيهَا فَوَجَدُوا فِيهَا رَجُلًا قَائِمًا يُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ فَقَالَا يَا رَبِّ إِنَّ فِيهَا عَبْدَكَ فَلَانًا يُصَلِّي فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَمَّرَاهَا وَدَمَّرَاهُ مَعَهُمْ فَإِنَّهُ مَا تَمَعَّرَ وَجْهَهُ فِي قَطُّ .

وَذَكَرَ الْحُمَيْدِيُّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ حَدَّثَنِي سُفْيَانُ ابْنُ سَعِيدٍ عَنْ مِسْعَرٍ أَنَّ مَلَكًا أَمَرَ أَنْ يَخْسِفَ بِقَرْيَةٍ فَقَالَ يَا رَبِّ إِنَّ فِيهَا فَلَانًا الْعَابِدَ .

فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنْ بِهِ فَابِدًا فَإِنَّهُ لَمْ يَتَمَعَّرَ وَجْهَهُ فِي سَاعَةٍ قَطُّ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ وَهَبِ بْنِ مُنْبِهٍ قَالَ لَمَّا أَصَابَ دَاوُدُ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبِّ اغْفِرْ لِي قَالَ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَأَلْزَمْتُ عَارَهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ وَأَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ لَا تَظْلِمُ أَحَدًا أَنَا أَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ وَتُزِمُ عَارَهَا غَيْرِي .

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّكَ لَمَّا عَمِلْتَ الْخَطِيئَةَ لَمْ يَعْجُلُوا عَلَيْكَ بِالْإِنْكَارِ .

وَأَوْضَحَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْأَجْرَ بِهِمَا عَظِيمٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ، أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ

النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠٠﴾
وَوَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِأَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

وَشَهِدَ اللَّهُ بِالصَّلَاحِ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَضَافُوا إِلَى إِيمَانِهِمُ الْقِيَامَ
بِهِمَا فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ
اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وَبَيَّنَ جَلَّ شَأْنُهُ أَنَّ قَوْمًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَحَقُّوا اللَّعْنَ بِتَرْكِهِمَا
فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ
وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ
مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَبَخَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلَمَاءُهُمْ فِي تَرْكِهِمْ نَهْيَهُمْ
فَقَالَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٠١﴾ .

قَالَ وَدَلَّتْ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ تَارِكَ الْمُنْكَرِ الَّذِي لَا يَنْهَى عَنْهُ كَمُرْتَكِبِهِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ فِي عَهْدِ اسْتِقَامَتِهَا وَتَمَسُّكِهَا بِالسُّنَنِ لَا تَتْرُكُ بَيْنَ
أَظْهَرِهَا عَاصِيًا وَلَا مَعْصِيَةً فَإِذَا رَأَتْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ثَارَتْ ثَوْرَةُ الْأُسُودِ وَلَمْ
تَسْكُنْ حَتَّى تُذِيقَهُ مَا يَسْتَحِقُّ عَلَى مَعْصِيَتِهِ .

كُلُّ ذَلِكَ غَيْرَةٌ عَلَى دِينِهَا وَطَلَبًا لِمَرْضَاةِ رَبِّهَا . وَالْعُصَاةُ وَالْفَسَقَةُ
يَرْتَدُّونَ عِنْدَمَا يَرَوْنَ رَدَّعَ اخْوَانِهِمْ . انْتَهَى كَلَامُهُ .

وَفِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ يُخْبِرُنَا جَلَّ وَعَلَا عَمَّا كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فَيَقُولُ : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهَوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . فَأَفَادَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ صَارُوا إِلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ .

فِرْقَةٌ ارْتَكَبَتْ الْمَحْذُورَ وَاحْتَالُوا عَلَىٰ اضْطِیَادِ الْأَسْمَاكِ يَوْمَ السَّبْتِ الْمُحَرَّمِ فِيهِ الصَّيْدُ ، وَفِرْقَةٌ نَهَتْ عَنْ ذَلِكَ وَاعْتَزَلَتْهُمْ ، وَفِرْقَةٌ سَكَتَتْ فَلَمْ تَفْعَلْ وَلَمْ تَنْهَ وَلَكِنَّهَا قَالَتْ لِلْمُنْكَرَةِ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ، أَيْ لِمَ تَنْهَوْنَ هَؤُلَاءِ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا وَاسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ مِنَ اللَّهِ فَلَا فَايِدَةَ فِي نَهْيِكُمْ إِيَّاهُمْ .

قَالَتْ لَهُمُ الْمُنْكَرَةُ مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ أَيْ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَيْ وَلَعَلَّ لِهَذَا الْإِنْكَارِ يَتَّقُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَيَتْرَكُونَهُ وَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ تَائِبِينَ فَإِذَا تَابُوا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ .

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ (أَيْ فَلَمَّا أَبَى الْفَاعِلُونَ قَبُولَ النَّصِيحَةِ) أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا (أَيْ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا الْمَعْصِيَةَ) بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ، فَنَصَّتْ الْآيَاتُ عَلَى نَجَاةِ النَّاهِيْنَ وَهَلَاكِ الظَّالِمِينَ وَسَكَتَتْ عَنِ السَّاكِتِينَ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانُوا ثَلَاثَةً ثُلُثُ نَهَوْا وَثُلُثُ قَالُوا

لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا وَتُلْتُ أَصْحَابُ
الْخَطِيئَةِ فَمَا نَجَا إِلَّا الَّذِينَ نَهَوْا وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ وَهَذَا اسْنَادُهُ جَيِّدٌ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ .

وَفِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ . أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ .

وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ النَّاسَ
إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ » وَفِي لَفْظٍ
(مِنْ عِنْدِهِ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَابْنُ مَاجَةَ
وَالنَّسَائِيُّ وَلَفْظُهُ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَبِي دَاوُدَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ : « مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ثُمَّ
لَا يُغَيِّرُوا إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ » وَفِي رِوَايَةٍ : « إِنَّ النَّاسَ
إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ
عِنْدِهِ » .

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ وَلَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى حَدِّ مَاتَتْ
فِيهِ الْغَيْرَةُ الدِّينِيَّةُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ يُرْجَى وَيُظَنُّ أَنَّهُمْ حُمَاةُ الْإِسْلَامِ
وَأَبْطَالُ الدِّينِ مِمَّا جَعَلَ الْعُصَاةَ يَمْرُحُونَ فِي مَيَادِينِ شَهَوَاتِهِمْ وَيَفْتَحِرُونَ
بِعِصْيَانِهِمْ بِدُونِ حَسَبٍ وَلَا رَقِيبٍ .

وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ وَلَا أَخْشَى لَا إِيمًا نَحْنُ فِي زَمَنٍ عَلَا فِيهِ وَاعْتَزَّ أَرْبَابُ
الرِّذَائِلِ وَأَصْبَحَتِ الدَّوْلَةُ لَهُمْ وَأَهْلُ الْفَضِيلَةِ الْمُتَمَسِّكُونَ بِأَهْدَابِ دِينِهِمْ
عِنْدَمَا يُنْكِرُونَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ إِجْرَامَهُمْ يَكُونُونَ كَالْمُضْغَةِ فِي الْأَفْوَاهِ الْبَذِيئَةِ
تَرْمِيهِمْ بِكُلِّ نَقِيصَةٍ وَأَقْلُ مَا يَقُولُونَ إِنَّهُمْ مُتَأَخَّرُونَ جَامِدُونَ فِي بَقَايَا قُرُونِ
الْهَمَجِيَّةِ يَسْتَهْزِئُونَ وَيُقَهِّقُهُونَ وَيَغْمِزُونَ بِالْحَوَاجِبِ وَالْعُيُونِ وَيُخْرِجُونَ
أَلْسِنَتَهُمْ سُخْرِيَةً وَاسْتِهْزَاءً بِهِمْ وَيَضْحَكُونَ مِنْ عُقُولِهِمْ لَمَّا رَاجَتْ الرِّذِيلَةُ
هَذَا الرُّوَاجُ وَمَا ذَرَى هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ فِي غَايَةِ مِنَ السُّقُوطِ وَالْهَمَجِيَّةِ لِفَسَادِ
عُقُولِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عَنْ مَعْرِفَةِ أَوَامِرِ دِينِهِمْ .

وَنَاهِيكَ لَوْ قَامَ كُلُّ مِنَّا بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّعْوَةِ لِلْإِسْلَامِ وَالْأَمْرِ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَارْشَادِ النَّاسِ وَعِظَتِهِمْ وَتَذَكِيرِهِمْ بِمَا فِيهِ
صَلَاحُهُمْ وَاسْتِقَامَتُهُمْ لَا اسْتَقَرَّ الْخَيْرُ وَالْمَعْرُوفُ فِينَا وَامْتَنَعَ فُشُو الشَّرِّ
وَالْمُنْكَرِ بَيْنَنَا أَهـ وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

قال بعضهم :

قُمْ يَا مُحَمَّدُ وَاسْتَمِعْ لِي يَا عُمَرُ	وَاسْتَيْقِظْ يَا فَالِدِينَ يَدْعُو لِلنُّصْرِ
وَعِدَا بَنُو الْإِسْلَامِ فِي زَيْغٍ فَمَا	يَسْعَوْنَ إِلَّا لِلْمَلَاهِي وَالْبَطْرِ
تَرَكُوا هُدَى الدِّينِ الْحَنِيفِ الْمُعْتَبَرِ	وَاسْتَبَدُّوا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعَوَرِ
وَنَسُوا أَصُولَ الدِّينِ مِنْ دَهْشٍ وَقَدْ	أَضْحَى نَصِيرُ الشَّرِّعِ فِيهِمْ مُحْتَقِرُ
وَالِدِينَ يَدْعُوهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ	وَقُلُوبُهُمْ ضَلَّتْ وَقَدْ عَمِيَ الْبَصَرُ
حَتَّى تَشَتَّتْ شَمْلُهُ وَاصْدَعَتْ	أَرْكَائُهُ وَأَسَاءَ مَثْوَاهُ الضَّرَرُ
فَالِي مَتَى هَذَا السُّكُوتُ وَقَدْ دَنَا	وَقْتُ الْجِهَادِ وَمَالَنَا عَنْهُ مَفَرُ
عَارٌ وَأَيْمُ اللهِ أَنْ نُلْهُو وَقَدْ	كَادَتْ مَعَالِمُ دِينِنَا أَنْ تَنْدَثِرَ
فَكَفَّاكُمَا زَيْغاً وَهَجْراً فَاْمُدُّوْا	أَيْدِيَ الْخِلَاصِ وَابْتَدُوا الدِّينَ الْأَغْرَ
وَذَرُّوْا جِدَالَ الْمَلْحَدِينَ فَانْهَمِ	فَقَدُّوا الرِّشَادَ وَكَانَ مَاوَاهُمْ سَقَرُ

وَتَكَاتَفُوا فِي السَّعْيِ حَوْلَ نَجَاتِهِ لَا يَثْنِ هَمَّتْكُمْ خُحُولٌ أَوْ ضَجَرٌ
فَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعِبَادِ إِذَا هُمُوسَا نَصَرُوا الْحَنِيفَ وَحَصَّنُوهُ مِنَ الْغَيْرِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ
خَوَارِثُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ » .

ثُمَّ تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا
يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ
مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ
خَرْدَلٍ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ
اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ » رَوَاهُ
الترمذي ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ .

وَرَوَى الترمذي عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بِلَالًا فَقَالَ : « مَا هَذَا
يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ فَقَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : أَفَلَا جَعَلْتَهُ
فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

فَهَذَا نَهْيٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مُنْكَرٍ ، هُوَ غِشُّ النَّاسِ فِي طَعَامِهِمْ وَأَجْمَعَتْ الْأُمَّةُ عَلَى وَجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ أَخَّرَ الصَّلَاةَ مَرَّةً فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَتَوَبَّ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ أَجَاءَكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ فِيمَا فَعَلْتَ أَمْ ابْتَدَعْتَ قَالَ لَمْ يَأْتِنِي أَمْرٌ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ ابْتَدَعْ وَلَكِنْ أَبِي اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَكَ بِصَلَاتِنَا وَأَنْتَ فِي حَاجَتِكَ .

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا . الثَّانِي أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ بِحَالِ الْمَأْمُورِ وَالنَّهْيِ ، وَمِنْ الصَّلَاحِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَهُوَ أَقْرَبُ الطَّرِيقِ إِلَى حُصُولِ الْمَقْصُودِ وَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ مِنَ الرَّفْقِ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا صَبُورًا عَلَى الْأَذَى فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ أَذَى فَإِنْ لَمْ يَحْلَمْ وَيَصْبِرْ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ فَلَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ وَالرَّفْقِ وَالصَّبْرِ ، وَالْعِلْمُ قَبْلَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالرَّفْقُ مَعَهُ وَالصَّبْرُ بَعْدَهُ .

وَقَالَ سُفْيَانُ لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ خِصَالُ ثَلَاثِ رَفِيقٍ بِمَا يَأْمُرُ رَفِيقٌ بِمَا يَنْهَى عَدْلٌ بِمَا يَأْمُرُ عَدْلٌ بِمَا يَنْهَى عَالِمٌ بِمَا يَأْمُرُ عَالِمٌ بِمَا يَنْهَى .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَمْضِيَ لِمَا تُرِيدُ مِنَ الْعَدْلِ فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَبَالِي لَوْ غَلَّتْ بِي وَبِكَ الْقُدُورُ فِي ذَلِكَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي إِنَّمَا أُرِوُّضُ النَّاسَ رِيَاضَةَ الصَّعْبِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجِيءَ الْأَمْرَ مِنَ الْعَدْلِ فَأَوْخِرُ ذَلِكَ حَتَّى أُخْرِجَ مَعَهُ طَسْعًا مِنْ طَمَعِ الدُّنْيَا

فَيَنْفَرُوا مِنْ هَذَا وَيَسْكُنُوا لِهَذِهِ .

وَيُشْتَرَطُ فِي وُجُوبِ الْإِنْكَارِ أَنْ يَأْمَنَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، فَإِنْ خَافَ السَّبَّ أَوْ سَمَاعَ الْكَلَامِ السَّيِّئِ لَمْ يَسْقُطْ عَنْهُ وَالْحَزْمُ أَنْ لَا يُبَالِي لِمَا وَرَدَ « أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ » وَقَوْلُهُ « لَا يَمْنَعُنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ » .

وقال ابن القيم رحمه الله : انكار المنكر له أربع درجات :

(الأولى) أَنْ يَزُولَ وَيَخْلُفَهُ ضِدُّهُ .

(الثانية) أَنْ يَقِلَّ وَإِنْ لَمْ يَزُلْ مِنْ جُمْلَتِهِ .

(الثالثة) أَنْ يَخْلُفَهُ مَا هُوَ مِثْلُهُ .

(الرابعة) أَنْ يَخْلُفَهُ مَا هُوَ شَرُّ مِنْهُ .

فالدرجتان الأولىان مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة ، وليحذر الأمر والنهي من أن يخالف قوله أو أن يأمر بمالا يأتمر به .

فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِبِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ : قَالَ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ » . وَحَتَّى لَا يَتَعَرَّضَ لِسُخْرِيَةِ النَّاسِ بِهِ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِهِ وَحَتَّى تَكُونَ دَعْوَتُهُ مَقْبُولَةً .

فَرَاكَ مِنَ الْأَيَّامِ نَابٌ وَمُخْلَبٌ
فَحْتَامٌ لَا تَنْفُكَ جَامِحٌ هَمَّةٌ
تُسَرُّ بِعَيْشٍ أَنْتَ فِيهِ مُنْغَصٌّ
تُعَذِّيكِ وَالْأَوْقَاتُ جِسْمَكَ تَغْتَذِي
وَتَعْجَبُ مِنْ آفَاتِهَا مُتَلَفَّتًا
وَتَحْسِبُهَا بِالْبَشَرِ تَبْطِنُ خُلَّةً
إِذَا رَضِيتَ أَعْمَتَكَ عَنْ طُرُقِ الْهُدَى
وَفِي سَلْبِهَا ثَوْبَ الشَّبَابِ دَلَالَةٌ
أَتَرْضَى بَأْنَ يُنْهَاكَ شَيْبِكَ وَالْحِجَا
وَحَانَكَ لَوْنُ الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ
بَعِيدَ مَرَامِي النَّفْسِ وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ
وَتَسْتَعَذِّبُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُعَذِّبُ
وَتَسْقِيكَ وَالسَّاعَاتُ رُوحَكَ تَشْرَبُ
إِلَيْهَا، لَعَمْرُ اللَّهِ فِعْلُكَ أَعْجَبُ
فَيُظْهِرُ مِنْهَا غَيْرُ مَا تَتَحَسَّبُ
فَمَا ظَنُّ ذِي لُبٍ بِهَا حِينَ تَغْضَبُ
عَلَى أَنَّهَا تُعْطِي خِدَاعًا وَتَسْلُبُ
وَأَنْتَ مَعَ الْأَيَّامِ تَلْهُو وَتَلْعَبُ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْل)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ بُغْضٌ مَا يُبْغِضُهُ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْمُنْكَرِ الَّذِي حَرَّمَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ، لَمْ يَكُنْ
فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانُ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُبْغِضًا لَشَيْءٍ مِنَ
الْمُحَرَّمَاتِ أَضَلًّا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِيمَانٌ أَضَلًّا .

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْتِي مِنْ ذَلِكَ بِمَا يَسْتَطِيعُ وَلَا يُقْصَرُ فِي نُصْرَةِ
دِينِ اللَّهِ وَلَا يَعْتَذِرُ فِي إِسْقَاطِ ذَلِكَ بِالْأَعْذَارِ الَّتِي لَا تَصِحُّ وَلَا يَسْقُطُ بِهَا مَا
أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَعَلَيْهِ بِالْأَخْذِ بِالرِّفْقِ وَاللُّطْفِ وَإِظْهَارِ
الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ مَدَارٌ كَبِيرٌ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وَمِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَدْعَوْ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى حَسَبِ
حَالِهِ وَفَهْمِهِ وَقَبُولِهِ وَانْقِيَادِهِ .

وَمِنَ الْحِكْمَةِ الدَّعْوَةُ بِالْعِلْمِ وَالْبِدَاءَةُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمُّ ، وَبِالْأَقْرَبِ إِلَى الْأَذْهَانِ وَالْفَهْمِ وَبِهَا يَكُونُ قَبُولُهُ أَتَمًّا ، وَبِالرَّفَقِ وَاللِّينِ ، فَإِنْ انْقَادَ بِالْحِكْمَةِ وَالْإِيتِقَالِ مَعَهُ إِلَى الدَّعْوَةِ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَهُوَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْمَقْرُونُ بِالترغيب والترهيب .

وَلْيَحْذَرِ مِنَ الْمُدَاهَنَةِ فِي الدِّينِ ، وَمَعْنَاهُ أَنْ يَسْكُتَ الْإِنْسَانُ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَعَنْ قَوْلِ الْحَقِّ وَكَلِمَةِ الْعَدْلِ : طَمِعًا فِي النَّاسِ وَتَوَقُّعًا لِمَا يَحْصُلُ مِنْهُمْ مِنْ جَاهٍ أَوْ مَالٍ أَوْ حُظُوظِ الدُّنْيَا .

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِعُمَرَ بْنِ صَالِحٍ يَا أَبَا حَفْصٍ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ بَيْنَهُمْ مِثْلُ الْجَنَفَةِ وَيَكُونُ الْمُنَافِقُ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فَقُلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَكَيْفَ يُشَارُ إِلَى الْمُنَافِقِ بِالْأَصَابِعِ فَقَالَ يَا أَبَا حَفْصٍ صَبِرُوا أَمْرَ اللَّهِ فَضُولًا .

وَقَالَ الْمُؤْمِنُ إِذَا رَأَى أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ نَهْيًا عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَصْبِرْ حَتَّى يَأْمُرَ وَيَنْهَى قَالُوا يَعْنِي هَذَا فَضُولٌ قَالَ وَالْمُنَافِقُ كُلُّ شَيْءٍ يَرَاهُ قَالَ بِيَدِهِ عَلَى فَمِهِ « أَيُّ صَمَتَ فَلَمْ يَنْهَ وَلَمْ يَأْمُرْ فَقَالُوا : نَعَمْ الرَّجُلُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفُضُولِ عَمَلٌ » .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْجَارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَعَلَّقُ بِجَارِهِ وَيَقُولُ ظَلَمَنِي فَيُرَدُّ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مَا ظَلَمَهُ وَلَا خَانَهُ فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ فَيَقُولُ الْجَارُ صَدَقَ إِنَّهُ لَمْ يَخْنِي فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَكِنَّهُ وَجَدَنِي أَغْصِي اللَّهُ فَلَمْ يَنْهَنِي هَذَا الْأَثَرُ بِالْمَعْنَى وَرُوِيَ حَدِيثٌ آخَرٌ وَثِيلٌ لِلْعَالِمِ مِنَ الْجَاهِلِ حَيْثُ لَا يَعْلَمُهُ .

وَقَعْنَا فِي الْخَطَايَا وَالْبَلَايَا	وَفِي زَمَنِ انْتِقَاصِ وَاشْتِبَاهِ
تَفَانِي الْخَيْرِ وَالصُّلَحَاءِ ذُلُّوا	وَعَزَّ بِذُلِّهِمْ أَهْلُ السُّفَاهِ
وَبَاءَ الْأُمُورِ بِكُلِّ عُرْفٍ	فَمَا عَنْ مُنْكَرٍ فِي النَّاسِ نَاهِ
فَصَارَ الْحُرُّ لِلْمَمْلُوكِ عَبْدًا	فَمَا لِلْحُرِّ مِنْ قَدْرِ وَجَاهِ
فَهَذَا شُغْلُهُ طَمَعٌ وَجَمْعٌ	وَهَذَا غَافِلٌ سَكْرَانٌ لَاهِ

اللَّهُمَّ أَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

(فَصْلٌ) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ
وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْ لَا تُنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلُهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا
عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيُّمَا كُنَّا لَا نَخَافُ
فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ إِذَا
رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ : إِنَّكَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُودِّعُ مِنْهُمْ وَلَقَدْ
كَانَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ الْكَرِيمُ لَهُمْ مَوَاقِفُ عَظِيمَةٌ شَرِيفَةٌ وَنَوَادِرُ طَرِيفَةٌ وَقِصَصُ
غَرِيبَةٍ وَحِكَايَاتُ عَجِيبَةٍ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِهِمْ وَقُوَّةِ يَقِينِهِمْ وَشِدَّةِ وَرَعِهِمْ
فَكَانُوا لَا يَخْشَوْنَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً أَوْ كَلِمَةً مُدَاهِنَةً أَوْ فِرْيَةً مُفْتَرَةً أَوْ قُوَّةَ
ظَالِمٍ بَلْ يُجَاهِرُونَ بِالْحَقِّ بِكُلِّ صَرَاحَةٍ وَيَنْطِقُوا بِالصِّدْقِ وَإِنْ غَضِبَ
الْخَلْقُ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ
وَأَخْرَجَهَا .

وَإِلَيْكَ مَا كَانَ مِنْ مَوْقِفِ الصَّحَابِيِّ الْجَرِيِّ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَمِيرٍ مِنْ قَبْلِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ
فَمِنْ السَّنَةِ الْمَأْثُورَةِ وَالطَّرِيقَةِ الْمَعْرُوفَةِ مِنْ فِعْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا
خَرَجَ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةُ .

ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُومُ مُقَابِلَ النَّاسِ وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى صُفُوفِهِمْ
فَيُعْظَمُ وَيُؤْصِيهِمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِحَلَالِ اللَّهِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ حَرَامِهِ ،

ثُمَّ يَنْصَرِفُ ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى خَرَجْتُ مَعَ مَرْوَانَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ فِي عِيدِ الْأَضْحَى أَوْ الْفِطْرِ فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمُصَلَّى إِذَا مِنْبَرٌ بَنَاهُ كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ التَّابِعِي الْكَبِيرُ وَالْمَوْلُودُ فِي الزَّمَنِ النَّبَوِيِّ .
فَإِذَا مَرْوَانُ يُرِيدُ أَنْ يَرْتَقِيَهُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ وَفِيهِ مُخَالَفَةٌ لِلْسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْعَمَلِ الْمَأْثُورِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَذَبْتُ بِثَوْبِهِ لِيَبْدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ فَجَذَبَنِي فَارْتَفَعَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَخَطَبَ قَبْلَ الصَّلَاةِ .

فَقُلْتُ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ غَيْرَتُمْ وَاللَّهِ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُلَفَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُقَدِّمُونَ الصَّلَاةَ عَلَى الْخُطْبَةِ فِي الْعِيدَيْنِ فَقَالَ مَرْوَانُ يَا أبا سَعِيدٍ قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ مِنْ تَقْدِيمِ الصَّلَاةِ عَلَى الْخُطْبَةِ فِي الْعِيدَيْنِ فَقُلْتُ مَا أَعْلَمُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا لَا أَعْلَمُ .

لِأَنَّ الَّذِي أَعْلَمُ طَرِيقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أُمِرْنَا بِاتِّبَاعِهِ وَالتَّأْسِي بِهِ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فَقَالَ مَرْوَانُ مُعْتَذِرًا عَنْ تَرْكِ السُّنَّةِ إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَجَعَلْتُهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ .

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْقِفَ الْمَشْرِيفَ الَّذِي وَقَفَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَيْفَ جَذَبَ مَرْوَانُ بِثَوْبِهِ وَقَالَ لَهُ غَيْرْتُمْ وَاللَّهِ وَلَمْ يَخَفْ صَوْلَةَ الْإِمَارَةِ وَجَاهَ الْحُكْمِ وَجَاهَرَ بِالْحَقِّ وَأَنْكَرَ الْبِدْعَةَ وَأَمَرَ بِالسُّنَّةِ عَلَى رُؤُسِ الْأَشْهَادِ مِنَ النَّاسِ فَحَفِظَهُ اللَّهُ وَنَصَرَهُ وَأَيَّدَهُ وَأَعَزَّهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ حَيْثُ قَالَ ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ .

وَرَوَى أَنَّ ضَبَّةَ بْنَ مِحْصَنِ الْعَنْزِيَّ قَالَ كَانَ عَلَيْنَا أَبُو مُوسَى

الأشعري أميراً بالبصرة فكان إذا خطبنا حمداً لله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال فغاضني ذلك فقمْتُ إليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضُّله عليه فصنع ذلك جُمعاً .

ثم كتَبَ إلى عمر يشكُوني يقولُ إنَّ ضبَّةَ بنَ مِخْصَنِ العَنَزِيَّيَّتَعَرَّضُ لِي فِي خُطْبَتِي فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : أَنَّ أَشْخِصُهُ إِلَيَّ فَأَشْخِصْنِي إِلَيْهِ فَقَدِمْتُ فَضَرَبْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَقَالَ مَنْ أَنْتَ فَقُلْتُ أَنَا ضَبَّةُ فَقَالَ لَا مَرْحَباً وَلَا أَهلاً قُلْتُ أَمَّا الْمَرْحَبُ فَمِنْ اللَّهِ ، وَأَمَّا الْأَهْلُ فَلَا أَهْلَ لِي ، وَلَا مَالٌ فِيمَا اسْتَحَلَلْتُ يَا عُمَرُ إِشْخَاصِي مِنْ مِضْرِي بِلَا ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ ، وَلَا شَيْءٍ أَتَيْتُهُ ، فَقَالَ مَا الَّذِي شَجَرَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَامِلِي ، قَالَ قُلْتُ الْآنَ أَخْبِرْكَ بِهِ ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا خَطَبَنَا حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَدْعُو لَكَ فَغَاطَنِي ذَلِكَ مِنْهُ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَاحِبِهِ ، تَفْضُّلُهُ عَلَيْهِ ، فَصَنَعَ ذَلِكَ جُمْعاً .

ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْكَ يَشْكُونِي ، قَالَ فَأَنْدَفَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَاكِياً ، وَهُوَ يَقُولُ أَنْتَ وَاللَّهِ أَوْفَقُ مِنْهُ وَأَرْشَدُ فَهَلْ أَنْتَ غَافِرٌ لِي ذَنْبِي يَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ . قَالَ فَقُلْتُ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ قَالَ ثُمَّ أَنْدَفَعَ بَاكِياً ، وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لِلَّيْلَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، وَيَوْمٌ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ وَآلِ عُمَرَ ، وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ الظَّالِمَ الْمَشْهُورُ إِلَى الْحَسَنِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَتَلُوا عِبَادَ اللَّهِ عَلَى الدِّرْهَمِ وَالِدَيْنَارِ . قَالَ نَعَمْ قَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا قَالَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمَوَاقِيقِ ﴿ لَيَبَيِّنُهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ﴾ قَالَ يَا حَسَنُ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَإِيَّاكَ أَنْ يَبْلَغَنِي عَنْكَ مَا أَكْرَهُ فَأَفْرِقْ بَيْنَ رَأْسِكَ وَجَسَدِكَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَعْوَانِ الظُّلْمَةِ مِنْ أَمْثَالِ الْحَجَّاجِ .

الظُّلْمُ نَارٌ فَلَا تَخْفِرُ صَغِيرَتُهُ لَعْلَ حَذْوَةَ نَارٍ أُخْرِقَتْ بَلَدًا

ثُمَّ تَطَاوَلَ الزَّمَنُ وَمَضَتْ فِتْرَةٌ مِنْهُ فَاَنْدَرَسَ هَذَا الْوَاجِبُ وَعَفَتْ أَثَارُهُ
وَامَحَتْ مَعَالِمُهُ وَانْطَوَتْ أَخْبَارُهُ وَدَاهَنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَبُنَ النَّاسُ
عَنِ الْمُصَارَحَةِ لِلْوَلَايَةِ فِي الْمُخَالَفَاتِ إِلَّا نَوَادِرُ مَرُوءَا خِلَالَ الْقُرُونِ الْأُولَى
أَمَّا نَحْنُ فَصَارَتْ شَجَاعَتُنَا وَصَلَابَتُنَا وَإِنْكَارَاتُنَا حَوْلَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا أَمَّا مَا
يَتَعَلَّقُ بِالْدِينِ فَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنَ الْإِنْكَارِ إِلَّا التَّلَاوُمُ فِيمَا بَيْنَنَا إِذَا أَمِنَ بَعْضُنَا
مِنْ بَعْضٍ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَلِيمِ الْعَظِيمِ .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

قُلْ لِي مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ
وَالْتَابِعُونَ لَهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ
مِنْ جَاهِلٍ وَمُعَانِدٍ وَمُنَافِقٍ
وَمُحَارِبٍ بِالْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ
وَتَظُنُّ أَنَّكَ وَارِثًا لَهُمْ وَمَا
نَلْتَ الْأَذَى فِي نُصْرَةِ الرَّحْمَانِ
كَلَّا وَلَا جَاهَدْتَ حَقَّ جِهَادِهِ
فِي اللَّهِ لَا بِيَدٍ وَلَا بِلِسَانٍ
مَنْتَكَ وَاللَّهِ الْمُحَالِ النَّفْسُ فَاسِدٌ
تَحْدِثُ سِوَى ذَا الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ
لَوْ كُنْتَ وَارِثُهُ لَأَذَاكَ الْأُولَى
وَرِثُوا عِدَاهُ بِسَائِرِ الْأُلْوَانِ
وقد قيل : إن المُنْكَرَاتِ أَشْبَهَ بِجَرَائِمِ الْأَمْرَاضِ فِي تَنْقُلِهَا

وانتشارها ، والتأثر بها بإذن الله . فان وجدت كفاحاً يحجر عليها في مكانها حتى يقتلها ويبيدها سلم منها موضعها ، وسلم منها ما وراءه ، وإذا لم تجد كفاحاً وتركت شأنها اتسعت دائرتها ، وتفشت في جميع الأرجاء وقضت على عناصر الحياة وعرضتها للفناء والدمار .

ومن هنا كان أثر المنكرات غير خاص بمرتكبيها ، وكان الساكتون عليها عاملين على نشرها وإذاعتها ، وبهذا الموقف السلبي يكونون أهلاً لحلول العقاب بهم وإصابتهم بما يصاب به المباشرون لها .

ومما يدل على هذا قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد في آخر رسالة له تتضمن الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : قفانبك على رسوم علوم الدين والاسلام الذي بدأ يرتحل من بلاده ولكن يا للأسف على منام القلوب وقيام الألسنة بالتقول والتأويل على الإسلام بما لا حقيقة له .

لقد انطمس المعنى وذهب اللب وما بقي إلا قشور ورسوم اكتفى الكثيرون من الإسلام بمجرد الانسياق إليه بدون أن يعملوا به ويقوموا بالدعوة إليه تحذيراً وإنذاراً وأمرأً ونهياً وتبصيراً للناس بدينهم بذكر فضله وعظمته وإيضاح أسرارِهِ وحكمِهِ وغرس العقيدة الحقّة في قلوبهم فهذا واجب المسلمين بعضهم لبعض كل على قدر استطاعته ومقدّراته أهـ . وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث جابر « أوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام أن أقلب مدينة كذا وكذا بأهلها ، قال يا رب إن فيهم فلاناً لم يعصك طرفة عين قال : فقال : اقلبها عليه وعليهم ، فان

وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ فِي سَاعَةٍ قَطَ .

وَذَكَرُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ كَانَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَغْشَى مَنْزِلَهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَيَعِظُهُمْ وَيَذَكِّرُهُمْ بِأَيامِ اللَّهِ فَرَأَى بَعْضُ بَنِيهِ يَغْمِزُ النِّسَاءَ فِي يَوْمٍ فَقَالَ مَهْلًا يَا بُنَيَّ فَسَقَطَ مِنْ سَرِيرِهِ فَأَنْقَطَعَ نُخَاعُهُ وَاسْقَطَتْ امْرَأَتُهُ وَقُتِلَ بَنُوهُ .

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِمْ أَنْ أَخْبِرْ فَلَانًا الْحَبْرَ أَنِّي لَا أَخْرِجُ مِنْ صُلبِكَ صَدِيقًا أَبَدًا مَا كَانَ غَضَبُكَ إِلَّا أَنْ قُلْتَ مَهْلًا يَا بُنَيَّ .

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْتِقَامَ إِذَا وَقَعَ لَيْسَ هُوَ أَخْذًا لِلْبَرِيءِ بِجَرِيمَةِ الْمُذْنِبِ كَمَا يَظُنُّ الْبَعْضُ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَخْذٌ لِلْمُذْنِبِ بِجَرِيمَةِ ذَنْبِهِ ، فَالذَّنْبُ ذَنْبَانِ : ذَنْبٌ يَصْدُرُ عَنْ شَخْصٍ ، وَهُوَ الْفِعْلُ نَفْسُهُ ، وَذَنْبٌ يَصْدُرُ عَنْ مَنْ يَعْلَمُ هَذَا الذَّنْبَ ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى مُكَافَحَتِهِ .

ثُمَّ هُوَ يُبْعِدُ نَفْسَهُ عَنْ مُكَافَحَةِ هَذَا الذَّنْبِ طَمَعًا فِي مَالٍ أَوْ مَكَانَةٍ وَيَذَلِكَ يَكُونُ شَرِيكًا فِي الْعَمَلِ عَلَى نَشْرِهِ أَهـ .

وَفِي السُّنَنِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَكَّمَ بِكُفْرِ أَهْلِ مَسْجِدٍ بِالْكُوفَةِ قَالَ وَاحِدٌ إِنَّمَا مُسَيَّلَمَةٌ عَلَى حَقٍّ فِيمَا قَالَ وَسَكَتَ الْبَاقُونَ فَأَفْتَى بِكُفْرِهِمْ جَمِيعًا أَهـ مِنْ الدَّرَرِ السَّنِيَةِ .

قُلْتُ لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُكَذِّبُوهُ وَيَقُولُوا لَهُ كَذَبْتَ بَلْ هُوَ عَلَى بَاطِلٍ فَالسَّائِكُ شَرِيكَ الْفَاعِلِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى الْإِنْكَارِ بِاللِّسَانِ .

وَقَالَ سُفْيَانُ إِذَا أَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّدْتَ ظَهَرَ الْمُؤْمِنِ وَإِذَا نَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمْتَ أَنْفَ الْمُنَافِقِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ حِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ
أَهْلَتْهُمْ لِعِزَّتِكَ وَجَعَلْتَهُمْ آمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ فَاعِلِينَ لَهُ ، وَنَاهِينَ عَنِ
الْمُنْكَرِ ، وَمُجْتَنِبِينَ لَهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ
الْمُنْكَرُ فِي قَوْمٍ قَطُّ ثُمَّ لَمْ يَنْهَهُمْ أَهْلُ الصَّلَاحِ مِنْهُمْ إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ
بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مَعْصُومِينَ
مِنَ الْعُقُوبَاتِ وَالنَّقَمَاتِ مَا قُمِعَ أَهْلُ الْبَاطِلِ وَاسْتُخْفِيَ فِيهِمُ بِالْمَحَارِمِ .

فَلَا يَظْهَرُ مِنْ أَحَدٍ مُحَرَّمٌ إِلَّا انْتَقَمُوا مِنْ فَعَلِهِ فَإِذَا ظَهَرَتْ فِيهِمُ
الْمَحَارِمُ فَلَمْ يَنْهَهُمْ أَهْلُ الصَّلَاحِ أُنْزِلَتْ الْعُقُوبَاتُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى
الْأَرْضِ وَلَعَلَّ أَهْلَ الْإِذْهَانِ أَنْ يَهْلِكُوا مَعَهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُخَالَفِينَ لَهُمْ ،
فَإِنِّي لَمْ أَسْمَعْ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيمَا نَزَّلَ مِنْ كِتَابِهِ عِنْدَ مُثَلَّةٍ أَهْلَكَ بِهَا
أَحَدًا نَجَّى أَحَدًا مِنْ أَوْلِيكَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ النَّاهِيْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وَيُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ الْمَحَارِمِ إِنْ هُوَ لَمْ يُصِْبْهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ
عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِنَ الْخَوْفِ وَالذُّلِّ وَالنِّقَمِ فَإِنَّهُ رَبُّمَا
انْتَقَمَ بِالْفَاجِرِ مِنَ الْفَاجِرِ وَبِالظَّالِمِ مِنَ الظَّالِمِ ثُمَّ صَارَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ
بِأَعْمَالِهِمَا إِلَى النَّارِ ، فَتَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَجْعَلَنَا ظَالِمِينَ ، أَوْ يَجْعَلَنَا مُدَاهِنِينَ
لِلظَّالِمِينَ .

وَأَنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ الْفُجُورُ فِيكُمْ وَأَمِنَ الْفُسَّاقُ فِي مَدَائِنِكُمْ

وَجَاهَرُوا بِالْمَحَارِمِ بِأَمْرِ لَا يُحِبُّ اللَّهُ مِنْ فَعَلَهُ وَلَا يَرْضَى الْمُدَاهَنَةَ عَلَيْهِ ،
كَانَ لَا يَظْهَرُ مِثْلُهُ فِي عِلَانِيَةِ قَوْمٍ يَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَيَخَافُونَ مِنْهُ غَيْرَ أَنَّهُمْ
الْأَعَزُّونَ الْأَكْثَرُونَ مِنْ أَهْلِ الْفُجُورِ . أَيُّ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ الْفُجُورِ وَأَعَزُّ
مِنْهُمْ .

وَلَيْسَ بِذَلِكَ مَضَى أَمْرٍ سَلَفِكُمْ وَلَا بِذَلِكَ تَمَّتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بَلْ
كَانُوا ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ .

وَلَعَمْرِي إِنَّ مِنَ الْجِهَادِ الْغِلْظَةَ عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ بِالْأَيْدِي وَالْأَلْسُنِ
وَالْمُجَاهِدَةِ لَهُمْ فِيهِ .

وَإِنْ كَانُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ وَالْعَشَائِرَ ، وَإِنَّمَا سَبِيلُ اللَّهِ طَاعَتُهُ .
وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ بَطَّأَ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ ، إِتِّقَاءُ التَّلَاوُمِ أَنْ يُقَالَ فَلَانٌ حَسَنُ الْخُلُقِ ، قَلِيلُ التَّكْلِيفِ ، مُقْبِلٌ
عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ أَوْلَثَكَ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقاً بَلْ أَوْلَثَكَ أَسْوُكُمْ
أَخْلَاقاً .

وَمَا أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ ، بَلْ أَدْبَرَ عَنْهَا ، وَلَا سَلِمَ مِنَ
الْكُلْفَةِ لَهَا ، بَلْ وَقَعَ فِيهَا ، إِذْ رَضِيَ لِنَفْسِهِ مِنَ الْحَالِ غَيْرَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ
أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ، مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وَقَدْ ذَلَّتْ أَلْسِنَةُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِآيَةٍ وَضَعُوهَا غَيْرَ مَوْضِعِهَا ، وَتَأَوَّلُوا
فِيهَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ
ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وَصَدَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَلَا يَضُرُّنا ضَلَالَةُ مَنْ ضَلَّ
إِذَا اهْتَدَيْنَا ، وَلَا يَنْفَعُنَا هَدْيُ مَنْ اهْتَدَى إِذَا ضَلَلْنَا ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَى ﴿ وَإِنَّ مِمَّا عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَنْفُسِ أَوْلَئِكَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَلَا يُظْهِرُوا لِلَّهِ مُحَرِّمًا إِلَّا أَنْتَقِمُوا مِمَّنْ فَعَلَهُ مِنْهُمْ ، مَنْ كُنتُمْ ، وَمَنْ كَانُوا ، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّ لَنَا فِي أَنْفُسِنَا شُغْلًا ، وَلَسْنَا مِنَ النَّاسِ فِي شَيْءٍ .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ رَجَعَ رَأْيُهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، مَا عَمِلَ لِلَّهِ بِطَاعَةٍ ، وَلَا تَنَاهَوْا لَهُ عَنْ مَعْصِيَةٍ ، وَلَقَهَرِ الْمُبْطِلُونَ الْمُحِقِّينَ ، فَصَارَ النَّاسُ كَالْأَنْعَامِ ، أَوْ أَضَلَّ سَبِيلًا ، فَتَسَلَّطُوا عَلَى الْفُسَّاقِ مَنْ كُنتُمْ وَمَنْ كَانُوا فَادْفَعُوا بِحَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ، وَبَيَّضَرِكُمْ عَمَاهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْأَبْرَارِ عَلَى الْفُجَّارِ سُلْطَانًا مُبِينًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا وِلَاةً وَلَا أَيْمَةً .

مَنْ ضَعُفَ عَنْ ذَلِكَ فَلْيَرْفَعْهُ إِلَى إِمَامِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، قَالَ اللَّهُ لِأَهْلِ الْمَعَاصِي : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَاهِمَ بِمُعْجِزِينَ ﴾ .

وَلَيَسْتَنهِنَ الْفُجَّارُ أَوْ لَيُهَيِّنَنَّهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالَ ﴿ لَنُغَرِّبَنَّكَ بِهِمْ ﴾ الْآيَةُ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ هُوَ وَرَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ : يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَدِّثِينَا عَنِ الزَّلْزَلَةِ ، فَقَالَتْ إِذَا اسْتَبَاحُوا الزَّنَا ، وَشَرَبُوا الْخُمُورَ ، وَضَرَبُوا بِالْمَعَارِفِ ، غَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَمَائِهِ ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ تَزْلُزِي بِهِمْ ، فَإِنْ تَابُوا وَنَزَعُوا وَإِلَّا هَدَمَهَا عَلَيْهِمْ .

قَالَ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَعَذَابًا لَهُمْ ؟ قَالَتْ بَلْ مَوْعِظَةٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

وَنَكَالًا وَعَذَابًا وَسُخْطًا عَلَى الْكَافِرِينَ فَقَالَ أَنَسُ مَا سَمِعْتُ حَدِيثًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنِّي بِهَذَا الْحَدِيثِ .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا حَدِيثًا مَرْسَلًا أَنَّ الْأَرْضَ تَزُلْزَلَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوُضِعَ يَدُهُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ اسْكُنِي فَإِنَّهُ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَيَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتَبُوهُ ، ثُمَّ تَزُلْزَلَتْ بِالنَّاسِ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ مَا كَانَتْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ إِلَّا عَلَى شَيْءٍ أَحَدَثْتُمُوهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ عَادَتْ لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا أَبَدًا .

وَفِي مَنَاقِبِ عُمَرَ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّ الْأَرْضَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ تَزُلْزَلَتْ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَيْهَا ، وَقَالَ مَالِكٍ ؟ أَمَا إِنَّهَا لَوْ كَانَتْ الْقِيَامَةُ حَدَّثَتْ أَخْبَارَكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَلَيْسَ فِيهَا ذِرَاعٌ وَلَا شِبْرٌ إِلَّا وَهُوَ يَنْطِقُ .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْأُمْصَارِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا الرَّجْفَ شَيْءٌ يُعَاقِبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْعِبَادَ ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْأُمْصَارِ أَنْ يَخْرُجُوا فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي شَهْرِ كَذَا وَكَذَا فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ وَقُولُوا كَمَا قَالَ آدَمُ ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وَقُولُوا كَمَا قَالَ يُونُسُ ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لَأَمْرِكَ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ فَيَا عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ خَاطَبَهُمْ بِهَذَا الْخِطَابِ الرَّائِعِ وَوَصَفَهُمْ بِهَذَا الْوَصْفِ الْعَظِيمِ ، بِأَنَّهُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، وَأَنَّ مَجْتَمَعَهُمْ أَعْلَى وَأَعَزُّ مُجْتَمَعٍ فِي الْعَالَمِ حَاضِرِهِ وَمَاضِيهِ لِمَا اتَّصَفُوا بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ ، وَالْغَيْرَةِ الصَّادِقَةِ ، عَلَى حُدُودِهِ .

وَهَذَا الْوَصْفُ وَقْتُ إِنْ كَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِتَعَالِيمِ دِينِهِمْ ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ وَبَهَاؤُهُ يَلُوحُ فِي أَعْمَالِهِمْ ، وَمُعَامَلَاتِهِمْ ، وَأَخْلَاقِهِمْ فَلَا غِشٍّ وَلَا خِدَاعٍ وَلَا كَذِبٍ ، وَلَا خِيَانَةٍ وَلَا غَدْرًا ، وَلَا نَمِيمَةٍ ، وَلَا غِيْبَةٍ ، وَلَا ظُلْمٍ وَلَا نِفَاقٍ وَلَا رِشَاءٍ وَلَا مَلَقٍ وَلَا رِيَاءٍ وَلَا بَهْتٍ وَلَا سُخْرِيَّةٍ وَلَا عُقُوقَ وَلَا قَطِيعَةَ

هَدَفَهُمُ الْقَضَاءُ عَلَى الْمُنْكَرَاتِ وَإِمَاتَتِهَا ، وَإِعْزَازُ الْمَعْرُوفِ وَنَشْرُهُ

بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ إِيْمَانِهِمْ ، وَشِدَّةِ تَمَسُّكِهِمْ بِهِ وَرَغْبَةٍ فِي النِّجَاةِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا النَّاهِي عَنْ الشُّوْءِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّوْءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ .

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ تَأَمَّلُوا حَالَتَنَا الْحَاضِرَةَ ، وَحَالَةَ سَلَفِنَا الْكَرَامِ الَّذِينَ كَانُوا كُلُّ مِنْهُمْ يَحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَيَرْحَمُ كَبِيرُهُم الصَّغِيرَ وَيُوقِرُ الصَّغِيرُ الْكَبِيرَ ، يَتَأَمَّرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، يُنْصِفُونَ حَتَّى الْأَعْدَاءِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ .

فَالْقَوِيُّ عِنْدَهُمْ ضَعِيفٌ ، حَتَّى يُسْتَوْفَى مِنْهُ الْحَقُّ ، وَالضَّعِيفُ عِنْدَهُمْ قَوِيٌّ حَتَّى يَتَّخِذَ حَقُّهُ ؛ إِذَا فَقَدُوا أَخَاهُمْ بَحَثُوا عَنْهُ فَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عَادُوهُ وَسَاوَوْهُ وَإِذَا مَاتَ شَيَّعُوهُ ، وَإِنْ احتَاجَ أَقْرَضُوهُ ، وَوَأَسَوْهُ وَإِنْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ أَكْرَمُوهُ .

عَامِلِينَ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى » ، وَحَدِيثِ « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » .

أَمَّا نَحْنُ فَحَالَتُنَا حَالَةٌ مُخِيفَةٌ جِدًّا لِأَنَّنا عَلَى ضِدِّ مَا ذُكِّرْنَا مِنْ حَالَةِ سَلَفِنَا وَلَا حَاجَةَ إِلَى تَكَرُّارٍ ، أَلْقِ سَمْعَكَ وَقَلْبُكَ نَظْرَكَ ، وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ تَرَى ذَلِكَ بِعَيْنِ بَصِيرَتِكَ وَتَرَى مَا يُخِيفُكَ وَيُقْلِقُ رَاحَتَكَ وَيُقْضِضُ مَضْجَعَكَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ فِي الْبُيُوتِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْبُرِّ وَالْبَحْرِ .

وَإِنْ شَكَّكَتَ فَفَتِّشْ عَلَى نَفْسِكَ تَجِدْ ذَلِكَ ، فَالْمُنْكَرُ نَرَاهُ بِأَعْيُنِنَا
وَنَسْمَعُهُ بِأَذَانِنَا بَلْ وَفِي بُيُوتِنَا فَهَلْ بَيْتَكَ خَالٍ مِنْ صُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ هَلْ
هُوَ خَالٍ مِنَ الْمِذْيَاعِ ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ التَّلْفِزِيُونِ ، وَالسَّيْنَمَاءِ
وَالْبَكَمَاتِ وَمُسَجَّلَاتِ الْأَغَانِي ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِنْ شَرَابِ الْمُسْكِرَاتِ ،
هَلْ مَا يَأْتِي لِبَيْتِكَ إِلَّا أَنْاسٌ طَيِّبِينَ طَاهِرِي الْأَخْلَاقِ ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِنْ
حَالِقِي اللَّحَى هَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ الْمُخَنَفِسِينَ وَمِطِيلِي أَظْفَارِهِمْ تَشَبُّهَاً
بِالْيَهُودِ ، وَهَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ الْمُتَشَبِّهِينَ بِالْمَجُوسِ وَالْمُتَشَبِّهِينَ بِالْإِفْرَنْجِ ،
هَلْ هُوَ خَالٍ مِمَّنْ لَا يَشْهَدُونَ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ أَوْ لَا يَصَلُونَ أَبَدًا ، هَلْ هُوَ
خَالٍ مِنَ النِّسَاءِ الْقَاصَّاتِ لِرُؤُسِهِنَّ الْمُطِيلَاتِ لِأَظْفَارِهِنَّ ، هَلْ هُوَ خَالٍ
مِنْ شَرَابِ آبِ الْخَبَائِثِ الدُّخَانِ ، وَنَحْوِهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَأَمَّا فِي الْأَسْوَاقِ
فَحَدِيثٌ عَنْ كَثْرَةِ الْمُنْكَرَاتِ وَلَا حَرَجَ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ

فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا أَلْسِنَةٌ تَنْطِقُ وَلَا قُلُوبٌ تَتَمَعَّرُ إِلَّا النُّوَادِرُ ، الْمَوْجُودُ هُوَ
التَّلَاوُمُ وَالْقِيلُ وَالْقَالَ ، وَالْمَدَاهِنَةُ ، وَالْجُلُوسُ مَعَ أَهْلِ الْمَعَاصِي ،
وَمُحَادَثَتُهُمْ وَمُبَاشَرَتُهُمْ وَإِظْهَارُ الْبِشْرِ لَهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ وَتَقْلِيدُهُمْ فِي الْأَقْوَالِ
وَالْأَفْعَالِ .

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ وَاسْلُكُوا طَرِيقَ سَلَفِكُمْ وَاصْدَعُوا بِالْحَقِّ
وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، قَبْلَ أَنْ يَجِلَّ بِكُمْ مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَكُمْ ،
وَتُضْرَبَ قُلُوبُ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، قَبْلَ فِتْنَةٍ لَا تُصَيِّبُ الَّذِينَ

ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، قَبْلَ أَنْ تُلْعَنُوا كَمَا لُعِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، بِسَبَبِ
عَدَمِ تَنَاهِيهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ
وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ
مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لِمِنْ أَعْظَمِ
الشَّعَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَأَقْوَى الْأُسُسِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا بِنَاءُ الْمَجْتَمَعَاتِ
النَّزِيهَةِ الرَّاقِيَةِ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ أَوْ كَانَ وَلَكِنْ كَالْمَعْدُومِ ،
فَعَلَى الْأَخْلَاقِ وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا السَّلَامُ ، وَيَلُومُ يَوْمئِذٍ لِلْفَضِيلَةِ مِنَ الرَّذِيلَةِ ،
وَالْمُتَدَيِّنِينَ مِنَ الْفَاسِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ تَذَارَكُوا الْأَمْرَ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ الْأَوَانُ وَتَعَضُّوا عَلَى الْبَنَانِ
فَقَدْ قَالَ لَكُمْ سَيِّدُ وَلَدِ عَدْنَانَ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنَكَرًا فَلْيَغْيِرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَوْعَى الْإِيمَانِ .

عِبَادَ اللَّهِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ نَأْمَنُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَى
الدِّينِ مِنَ الْإِضْمَحْلَالِ وَالتَّلَاشِيِّ ، وَنَأْمَنُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ
مِنَ الزُّهْمِ وَالْإِنْجِلَالِ ، وَالْحَذَرِ الْحَذَرِ مِنْ مُخَالَفَةِ الْقَوْلِ لِلْفِعْلِ ،
فَتَأْثِيرُ الدُّعْوَةِ بِالْفِعْلِ أَقْوَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمَجْرَدَةِ مِنَ الْأَفْعَالِ .

وَفِي الْمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ حَفَرَهُ النَّفْسُ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ أَنْ
قَدْ حَفَرَهُ شَيْءٌ ، فَمَا تَكَلَّمَ حَتَّى تَوَضَّأَ وَخَرَجَ فَلَصِقْتُ بِالْحُجْرَةِ ، فَصَعِدَ

الْمُنْبَرِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكُمْ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ ، وَتَسْتَنْصُرُونِي فَلَا أَنْصُرُكُمْ ، وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ .

وقال العُمري الزَّاهدُ إِنَّ مِنْ غَفْلَتِكَ عَنْ نَفْسِكَ وَإِعْرَاضِكَ عَنِ اللَّهِ أَنْ تَرَى مَا يُسْخِطُ اللَّهَ فَتَجَاوِزُهُ ، وَلَا تَنْتَهِي عَنْهُ ، خَوْفًا مِمَّنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، قُلْتُ وَمَا أَكْثَرَ الْمُدْلِسِينَ السَّاكِتِينَ الَّذِينَ يَمْرُونَ بِالْجَالِسِينَ أَمَامَ التَّلْفِيزِيِّونَ وَعِنْدَ الْمَذْيَاعِ وَالْكُورَةِ بَلْ وَلَا يَأْمُرُونَهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ وَيَمْرُونَ بِأَوْلَادِهِمْ فِي فُرُشِهِمْ وَلَا يُوقِضُونَهُمْ لِلصَّلَاةِ وَكَأَنَّ أَمْرَهُمْ أَمْرٌ مُبَاحٌ إِنْ شَاءَ أَنْكَرَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ ، وَقَالَ مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَخَافَةً مِنَ الْمَخْلُوقِينَ نُزِعَتْ مِنْهُ الطَّاعَةُ ، وَلَوْ أَمَرَ وَلَدَهُ أَوْ بَعْضَ مَوَالِيهِ لَا اسْتَخَفَّ بِحَقِّهِ .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ تُوشِكُ الْقُرَى أَنْ تُخْرُبَ وَهِيَ عَامِرَةٌ قِيلَ وَكَيْفَ تُخْرُبُ وَهِيَ عَامِرَةٌ ، قَالَ إِذَا عَلَا فُجَارُهَا أَبْرَارُهَا وَسَادَ الْقَبِيلَةَ مُنَافِقُوهَا قُلْتُ وَمِمَّا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ الْآيَةُ وَإِلَيْكَ هَذَا نَظْمٌ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ فَأَلْقِ لَهَا سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ .

حَمِدْتُ الَّذِي أَغْنَى وَأَقْنَى وَعَلَّمَا
وَصَيَّرَ شُكْرَ الْعَبْدِ لِلْخَيْرِ سُلَّمَا
وَأَهْدَى صَلَاةً تَسْتَمِرُّ عَلَى الرِّضَا
وَأَصْحَابِهِ وَالْآلَ جَمْعًا مُسَلَّمَا

أَعَادَ لَنَا فِي الْبُوحَى وَالسَّنَنِ الَّتِي
أَتَانَا بِهَا نَحْوَ الرَّشَادِ وَعَلَّمَا
أَزَالَ بِهَا الْأَغْلَافَ عَنْ قَلْبِ حَائِرٍ
وَفَتَّحَ آذَانًا أُصِمَّتْ وَأَحْكَمَا
فِي أَيْهَا الْبَاغِيِ اسْتِنَارَةَ عَقْلِهِ
تَدَبَّرُ كِلَا الْوَحْيَيْنِ وَانْقَذَ وَسَلَّمَا
فَعُنُونِ اسْعَادِ الْفَتَى فِي حَيَاتِهِ
مَعَ اللَّهِ إِقْبَالًا عَلَيْهِ مُعَظَّمَا
وَفَاقِدُ ذَا لَا شَكَّ قَدْ مَاتَ قَلْبُهُ
أَوْ اعْتَلَّ بِالْأَمْرَاضِ كَالرَّيْنِ وَالْعَمَا
وَأَيَّةُ سُقْمٍ فِي الْجَوَارِحِ مَنَعَهَا
مَنَافِعَهَا أَوْ نَقَصُ ذَلِكَ مِثْلَمَا
وَصَحَّتْهَا تَدْرِي بِأَيَّانِ نَفْعَهَا
كَنْطَقِي وَبَطْشِي وَالتَّصَرُّفِ وَالنِّمَا
وَعَيْنُ امْتِرَاضِ الْقَلْبِ فَقَدْ الَّذِي لَهُ
أُرِيدَ مِنَ الْأَخْلَاصِ وَالْحُبِّ فَاغْلَمَا
وَمَعْرِفَةُ وَالشُّوقِ إِلَيْهِ انَابَةُ
بِإِثَارِهِ دُونَ الْمَحَبَّاتِ فَاحْكَمَا
وَمُوثِرُ مَحْبُوبٍ سِوَى اللَّهِ قَلْبُهُ
مَرِيضٌ عَلَى جُرْفٍ مِنَ الْمَوْتِ وَالْعَمَا
وَأَعْظَمُ مَحْذُورٍ خَفِيَ مَوْتُ قَلْبِهِ
عَلَيْهِ لِشُغْلٍ عَنْ دَوَاهُ بِصَدِمَا

وآيَةُ ذَا هُوْنُ الْقَبَائِحِ عِنْدَهُ
وَلَوْلَاهُ أَضْحَى نَادِمًا مُتَأَلِّمًا
فَجَامِعَ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ اتِّبَاعُهَا
هَوَاهَا فَخَالَفَهَا تَصِحُّ وَتُسَلِّمًا
وَمِنْ شُؤْمِهِ تَرَكُ اغْتِدَاءِ بِنَافِعِ
وَتَرَكُ الدَّوَا الشَّافِي وَعَجْزُ كِلَاهُمَا
إِذَا صَحَّ قَلْبُ الْعَبْدِ بَانَ ارْتِحَالُهُ
إِلَى دَارِهِ الْآخِرَى فَرَّاحَ مُسَلِّمًا
وَمِنْ ذَاكَ إِحْسَاسُ الْمُحِبِّ لِقَلْبِهِ
بِضَرْبٍ وَتَحْرِيطٍ إِلَى اللَّهِ دَائِمًا
إِلَى أَنْ يُهَنَّا بِالْإِنَابَةِ مُخْبِتًا
فَيَسْكُنُ فِي ذَا مُطْمَئِنًا مُنْعَمًا
وَمِنْهَا دَوَامُ الذِّكْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
يَرَى الْآنَسَ بِالطَّاعَاتِ لِلَّهِ مَغْنَمًا
وَيَصْحَبُ حُرَّادْلَهُ فِي طَرِيقِهِ
وَكَانَ مُعِينًا نَاصِحًا مُتَيَّمًا
وَمِنْهَا إِذَا مَا فَاتَهُ الْوَرْدُ مَرَّةً
تَرَاهُ كَثِيبًا نَادِمًا مُتَأَلِّمًا
وَمِنْهَا اشْتِيَاقُ الْقَلْبِ فِي وَقْتِ خِدْمَةِ
إِلَيْهَا كُمُشْتَدٍّ بِهِ الْجُوعُ وَالظَّمَا
وَمِنْهَا ذَهَابُ الِهَمِّ وَقْتُ صَلَاتِهِ
بِدُنْيَاهُ مُرْتَاحًا بِهَا مُتَنَعَمًا

وَيَشْتَدُّ عَنْهَا بَعْدَهُ لِخُرُوجِهِ
وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْهَمُّ وَالْغَمُّ فَاسْتَمَا
فَأَكْرَمَ بِهِ قَلْبًا سَلِيمًا مُقَرَّبًا
إِلَى اللَّهِ قَدْ أَضْحَى مُجِبًّا مُتِّمًا
وَمِنْهَا اجْتِمَاعُ الْهَمِّ مِنْهُ بِرَبِّهِ
بِمَرْضَاتِهِ يَسْعَى سَرِيعًا مُعْظَمًا
وَمِنْهَا اِهْتِمَامُ يُثْمِرُ الْجِرْصَ رَغْبَةً
بِتَضْجِيحِ أَعْمَالٍ يَكُونُ مُتِّمًا
بِإِخْلَاصٍ قَصْدٍ وَالنَّصِيحَةِ مُحْسِنًا
وَتَقْفِيْدِهِ بِالِاتِّبَاعِ مُلَازِمًا
وَيَشْهَدُ مَعِ ذَا مِنَّةٍ لِلَّهِ عِنْدَهُ
وَتَقْصِيرُهُ فِي حَقِّ مَوْلَاهُ دَائِمًا
فَسِتُّ بِهَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ ارْتِدَاءً
وَيَنْجُو بِهَا مِنْ آفَةِ الْمَوْتِ وَالْعَمَا
فِيَارَبِّ وَفَقْنَا إِلَى مَا نَقُولُهُ
فَمَازِلَتْ يَأْذُ الطُّوْلِ بَرًّا وَمُنْعِمًا
فَإِنِّي وَإِنْ بَلَغْتُ قَوْلَ مُحَقِّقٍ
أَقِرُّ بِتَقْصِيرِي وَجَهْلِي لَعَلُّمَا
وَلَمَّا أَتَى مِثْلِي إِلَى الْجَوِّ خَالِيًا
مِنَ الْعِلْمِ أَضْحَى مُعْلِنًا مُتَكَلِّمًا
كَغَابٍ خَلَا مِنْ أَسَدِهِ فَتَوَاقَبَتْ
تَعَالِبُ مَا كَانَتْ تَطَافِي فَنَا الْحِمَا

يَا سَامِعَ النُّجُوى وَيَا عَالِمَ الْخَفَا
 سَأَلْتُكَ غُفْرَانًا يَكُونُ مَعِي مَا
 فَأَجْرَانِي إِلَّا اضْطِرَارُّ رَأْيَتِهِ
 تَخَوُّفْتُ كَوْنِي إِنْ تَرَقَّيْتُ كَاتِمًا
 فَأُبْدَيْتُ مِنْ جُرْأِهِ مُزْجِي بِضَاعَتِي
 وَأَمَلْتُ عَفْوَاً مِنْ إلهِي وَمَرْحَمًا
 فَمَا خَابَ عَبْدٌ يَسْتَجِيرُ بِرَبِّهِ
 أَلَحَّ وَأَمْسَى طَاهِرَ الْقَلْبِ مُسْلِمًا
 وَصَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْآنَامِ مُحَمَّدٍ
 كَذَا الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا دَامَتْ السَّمَاءُ

(فَضْلٌ)

اعْلَمْ وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَجَعَلَنَا
 وإياك وإياهم من الْمُصَدِّقِينَ لِلَّهِ وَلِرُسُلِهِ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ وَحَيْثُ أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ
 فِي زَمَانِنَا الْمُنْكَرُونَ لِلْجَنِّ وَغَالِبُهُمْ يَسْتَنْدُونَ فِي إنْكَارِهِمْ بِأَنَّ طَرِيقَ مَعْرِفَةِ
 وَجُودِهِمْ هِيَ النَّظَرُ أَوْ السَّمْعُ أَوْ اللَّمَسُ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا جَنًّا وَلَمْ يَسْمَعُوهُمْ
 وَلَمْ يَمَسُّوهُمْ .

وَلَكِنْ عَدَمُ النَّظَرِ أَوْ السَّمْعِ أَوْ اللَّمَسِ أَوْ عَدَمُ وُجُودِ أَحَدِ
 الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ إِلَى وُجُودِ الْجِنِّ لَا يَقُومُ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ وُجُودِهِمْ لَا
 نَقْلًا وَلَا عَقْلًا أَمَّا الْعَقْلُ فَانْه يُجَوِّزُ وُجُودَ كَائِنٍ حَيٍّ غَيْرِ مَرِيٍّ بِالْعَيْنِ بِدُونِ
 وَاسِطَةِ الْمَجْهَرِ الْمَكْتَشَفِ أَخِيرًا فَإِنَّ الْمَكْرُوبَ كَائِنٌ حَيٌّ خَلَقَهُ اللَّهُ وَهُوَ
 كَثِيرٌ فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ وَلَا يُمكن رُؤْيَتُهُ بِالْعَيْنِ .

وَمَنْ لَمْ يُقَرِّ وَيَعْتَقِدْ مَا غَابَ عَنْ سَمْعِهِ وَلَمْسِهِ لَزَمَهُ انْكَارُ الرُّوحِ
وَالْأَلَامِ وَالْعَقْلِ وَالْجُوعِ وَالظَّمَاءِ لَأَنَّهَا لَيْسَتْ مَرِيئَةً وَلَا مَسْمُوعَةً وَلَا
مَلْمُوسَةً وَلَا مَذُوقَةً وَأَمَّا النُّقْلُ فَكَثِيرٌ فَمِنْ الْأَدِلَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرًا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنْ يُخْبِرَ قَوْمَهُ أَنَّ الْجِنَّ اسْتَمَعُوا لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَأَمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوا لِمَا
قَالَ وَتَلَا وَانْقَادُوا لَهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ
مِنَ الْجِنَّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ
بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ الْآيَاتِ . وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنَّ
يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ
مُنْذِرِينَ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ . وَهَذَا
مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ الْبَشَرِ فَلَوْ كَشَفَ لَنَا عَنْ حَقِيقَتِهِمْ وَسَلَّطَ نَظْرَنَا
الْمَحْدُودَ عَلَى ذَوَاتِهِمْ لَمَا أَمْكَنَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ يَعِيشَ الْإِنْسَانُ مَعَهُمْ وَقَالَ
تَعَالَى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾ .

وَقَالَ ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ . وَقَالَ فِي مَنْ سَخَّرَ لِسُلَيْمَانَ ﴿ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ
يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ الْآيَاتِ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ
إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ آكَلَ
الرِّبَا يُنْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يُخْنَقُ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ قَالَ وَرَوَى عَنْ
عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ وَسَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيِّ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ وَقَتَادَةَ وَمَقَاتِلَ
بْنِ حَيَّانَ نَحْوُ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ .

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « إِنْ عَفَرَيْتَا مِنْ الْجَنِّ تَفَلَّتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةُ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةُ فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ .

وَوَرَدَ أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْ تَزُورُهُ وَهُوَ مَعْتَكِفٌ فَقَامَ مَعَهَا مَوْدَعًا حَتَّى بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ فَرَأَاهُ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَيْهِ فَقَالَ عَلَى رِسَالِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُثَيْي فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا .

وَهَذَا صَرِيحٌ وَاضِحٌ فِي أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْتَرِقُ الْجِسْمَ الْبَشَرِيَّ وَيَسْرِي فِيهِ كَمَا يَسْرِي الدَّمُ وَمَعَ خَفَائِهِ فَقَدْ التَزَمَ الشَّيْطَانُ لَعْنَةُ اللَّهِ فِي عِدَاوَتِهِ سَبْعَةَ أُمُورٍ : أَرْبَعَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مُرَنَّهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مُرَنَّهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لَا قُعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا تَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ .

وَهَذَا الْإِلْتِزَامُ يُبَيِّنُ أَنَّهُ عَدُوٌّ مُتَظَاهِرٌ بِالْعِدَاوَةِ وَلِذَلِكَ فَصَّلَ اللَّهُ عِدَاوَتَهُ بِاشْتِمَالِهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : (السُّوءُ) وَهُوَ مُتَنَاولٌ جَمِيعَ الْمَعَاصِي مِنَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ (وَالْفُحْشَاءُ) وَهِيَ مَا عَظَمَ جُرْمُهُ وَذَنْبُهُ كَالْكَبَائِرِ الَّتِي بَلَغَتْ الْغَايَةَ فِي الْفُحْشِ وَذَلِكَ كَالزَّنا وَاللِّوَاطِ . وَالْقَوْلُ .

عَلَى اللَّهِ بِلا عِلْمٍ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَشَرْعِهِ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَنَّ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ قَتَلَ حَيَّةً فِي بَيْتِهِ فَمَاتَ فِي الْحَالِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ فِي الْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَادْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ .

وَهَكَذَا تَكَرَّرَ الرِّوَايَاتُ الصَّحِيحَةُ أَنَّ الْجِنَّ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ أَسْلَمَ بَعْضُهُمْ وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَنَهُ) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ اللَّهُ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنَّ ، فَرَأَى الصَّحَابَةُ أَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامٌّ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِيَّاكَ ، أَيُّ حَتَّى أَنْتَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَإِيَّايَ لَكِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِالْخَيْرِ) .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَفَّتُهُ وَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَلِي عِيَالٌ وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ .

قَالَ فَخَلَيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ) قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ

فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ لَيَالٍ كُلُّ ذَلِكَ وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ .

فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ قُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَاتٍ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ فَقَالَ دَعْنِي أُعَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فَقُلْتُ وَمَا هِيَ قَالَ إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَا قَالَ ذَلِكَ شَيْطَانٌ .

عَنْ أَبِي السَّائِبِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ قَالَ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ فَسَمِعْتُ تَحْرِيكَاً فِي عَرَاجِينِ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ فَالْتَفْتُ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوُتِبْتُ لِاقْتِلَافِهَا فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسَ فَجَلَسْتُ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَيَّ بِتِ فِي الدَّارِ فَقَالَ أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ فَقُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ كَانَ فِيهِ فَتَى مِنَّْا حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُورَسٍ قَالَ فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ .

فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةٌ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ لِيَطْعُنَهَا بِهِ فَأَصَابَتْهُ ، فَقَالَتْ اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمَحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَضَمَهَا بِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَّزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا يُدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمْ

الْفَتَى قَالَ فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ .

ثُمَّ قَالَ إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنَّاً قَدْ أَسْلَمُوا فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئاً فَأَذْنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ بَدَأَ لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ وَفِي رَوَايَةٍ عَنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ لِهَذِهِ الْبُيُوتِ عَوَامِرٌ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئاً مِنْهَا فَحَرِّجُوا عَلَيْهَا ثَلَاثَةً فَإِنْ ذَهَبَ وَإِلَّا فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّهُ كَافِرٌ وَقَالَ لَهُمْ اذْهَبُوا فَأَذْنُوا صَاحِبَكُمْ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأَذِينَ فَإِذَا قُضِيَ النَّدَاءُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثَوَّبَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا وَاذْكُرْ كَذَا - لِمَا لَمْ يَذْكُرْ مِنْ قَبْلُ - حَتَّى يَظُلُّ الرَّجُلُ مَا يَذِرُنِي كَمَا صَلَّى « متفق عليه » التَّثْوِيبُ : الإِقَامَةُ يَخْطُرُ : يُوسْوِسُ .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال ذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ قَالَ : « ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ أَوْ قَالَ فِي أُذُنِهِ / متفق عليه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَرْقَدُ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدُهُ كُلُّهَا فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسِلَانٌ متفق عليه .

وروى مسلم عن ابن مسعود قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسْتَنْجُوا بِالرُّوثِ ، وَلَا بِالْعِظَامِ ، فَإِنَّهُ زَادَ اخْوَانَكُمْ مِنَ الْجِنِّ

وَوَرَدَ فِي السَّنَةِ الصَّحِيحَةِ بِاللَّفْظِ الصَّرِيحِ أَكُلُ الشَّيْطَانِ ، وَشُرْبُهُ فَقَدْ وَرَدَ إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ وَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ ، وَلَا تَأْوِيلٍ لَوْضُوحِهِ .

وَحَدِيثُ الْوَادِي الَّذِي نَامَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ عَرَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً بِطَرِيقِ مَكَّةَ ، وَوَكَّلَ بِلَالًا يُوقِظُهُمُ لِلصَّلَاةِ ، فَرَقَدَ بِلَالٌ وَرَقَدُوا ، حَتَّى اسْتَيْقَظُوا وَقَدْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ ، فَاسْتَيْقَظَ الْقَوْمُ قَدْ فَرَعُوا ، فَأَمَرَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرْكَبُوا ، حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي .

وَقَالَ هَذَا وَادٍ فِيهِ الشَّيْطَانُ ، فَرَكَبُوا حَتَّى خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي ثُمَّ أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْزِلُوا ، وَأَنْ يَتَوَضَّأُوا ، وَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يُنَادِيَ بِالصَّلَاةِ ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ ثُمَّ انْصَرَفَ ، وَقَدْ رَأَى مِنْ فَرَعِهِمْ ، فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا وَلَوْ شَاءَ لَرَدَّهَا إِلَيْنَا فِي حِينٍ غَيْرِ هَذَا ، فَإِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ أَوْ نَسِيَهَا ، ثُمَّ فَرَعَ إِلَيْهَا فَلْيُصَلِّهَا كَمَا كَانَ يُصَلِّيَهَا فِي وَقْتِهَا .

ثُمَّ التَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَقَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى بِلَالًا وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَجْمَعُهُ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُهْدِيهِ كَمَا يُهْدِي الصَّبِيَّ حَتَّى نَامَ ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَالًا فَأَخْبَرَ بِلَالُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ الَّذِي أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشْهَدُ

أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَاءِ مَرْسَلًا .

وعن ابن مسعودٍ قال خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْإِنْسِ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالَ هَلْ لَكَ أَنْ تُصَارِعَنِي ، فَإِنْ صَرَعْتَنِي عَلَّمْتُكَ آيَةً إِذَا قَرَأْتَهَا حِينَ تَدْخُلُ بَيْتَكَ لَمْ يَدْخُلْهُ شَيْطَانٌ ، فَصَارَعَهُ فَصَرَعَهُ ، فَقَالَ إِنِّي أَرَاكَ ضَيِّلاً ، كَأَنَّ ذِرَاعَيْكَ ذِرَاعَا كَلْبٍ ، أَهَكَذَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْجِنُّ ، أَمْ أَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ ، قَالَ إِنِّي فِيهِمْ لَصَلِيعٌ فَعَاوَذَنِي فَعَاوَذَهُ فَصَرَعَهُ الْآنَسِيُّ قَالَ تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْرُؤُهَا أَحَدٌ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ إِلَّا خَرَجَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ خَجِجٌ لَخَجِجِ الْحِمَارِ فَقِيلَ لَابْنِ مَسْعُودٍ أَهُوَ عُمَرُ قَالَ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي مَجِيءِ الشَّيْطَانِ فِي صُورَةِ شَيْخٍ نَجْدِي فِي دَارِ النَّدْوَةِ .

وَمِنْ قِصَّتِهَا أَنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَ قُرَيْشٌ لِلتَّشَاوُرِ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْأَخْبَارِ هَاجَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَابْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَخِيهِ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ ، عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَغَيْرِهِمْ .

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَصْحَابِهِ يَنْتَظِرُ الْإِذْنَ فِي الْهَجْرَةِ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مَعَهُ بِمَكَّةَ أَحَدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، إِلَّا مَنْ حُبِسَ ، أَوْ فُتِنَ ، إِلَّا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ كَثِيرًا مَا يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ لَهُ لَا تَعْجَلْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ

يَجْعَلَ لَكَ صَاحِبًا ، فَيَطْمَعُ أَبُو بَكْرٍ إِنْ يَكُونُ هُوَ .

وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِيعَةً ، وَأَصْحَابًا مِنْ غَيْرِ بِلَدِهِمْ ، وَرَأَوْا خُرُوجَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ ، حَذَرُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ لِحَرْبِهِمْ فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، وَهِيَ دَارُ قُصَيٍّ ابْنِ كِلَابٍ ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تَقْضِي أَمْرًا إِلَّا فِيهَا يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا يَصْنَعُونَ ، بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَافُوهُ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا خَرَجُوا فِي الْيَوْمِ الَّذِي اتَّعَدُوا لَهُ ، كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يُسَمَّى يَوْمَ الرَّحْمَةِ ، فَاعْتَرَضَ إِبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ ، عَلَيْهِ بَتْلَةٌ أَيْ كِسَاءٌ غَلِيظٌ ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدَّارِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا مِنَ الشَّيْخِ ، قَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، سَمِعَ بِالَّذِي اتَّعَدْتُمْ لَهُ ، فَجَاءَ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ ، وَعَسَى أَنْ لَا يَعْدِيَكُمْ مِنْهُ رَأْيًا ، وَنُصْحًا ، قَالُوا فَأَدْخُلْ .

وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُهُ عَنِ الْوُثُوبِ عَلَيْنَا ، فَاجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا ، فَقَالَ قَائِلٌ احْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا ، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَمْثَالَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنَ الْمَوْتِ ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ ، وَاللَّهِ لَنْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لِيَخْرُجَنَّ أَمْرُهُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَيُثْبِتُوا عَلَيْكُمْ فَيَنْزِعُوهُ مِنْكُمْ ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ فَانْظُرُوا فِي غَيْرِهِ .

فَتَشَاوَرُوا ، ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ نُخْرِجُهُ عَنْ بِلَادِنَا ، ثُمَّ إِذَا خَرَجَ فَوَاللَّهِ لَا نُبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ

بِرَأْيٍ أَلَمْ تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ ، وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ ، وَغَلَبَتَهُ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ بِمَا يَأْتِي بِهِ ، وَاللَّهِ مَا هُوَ رَأْيِي .

فَقَالَ : أَبُو جَهْلٍ وَاللَّهِ إِنَّ لِي رَأْيًا ، قَالُوا وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْحَكَمِ قَالَ أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًا ، ثُمَّ نَعْطِي كُلَّ فَتًى سَيْفًا ، ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَيْهِ فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَيَقْتُلُوهُ فَتَسْتَرِيحُوا مِنْهُ فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ جَمِيعًا ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا ، فَرَضُوا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَا لَهُمْ .

فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ هَذَا هُوَ الرَّأْيُ الَّذِي لَا أَرَى غَيْرَهُ ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَا تَبِيتَ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ ، فَلَمَّا كَانَ عَتَمَةٌ مِنَ اللَّيْلِ ، اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْقُبُونَهُ حَتَّى يَنَامَ فَيَثْبُوتَ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَهُمْ قَالَ لِغُلَامٍ مِنْ أَبِي طَالِبٍ نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِرِدَائِي الْأَخْضَرِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ قَالَ أَبُو جَهْلٍ إِنْ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مُلُوكَ الْعَرَبِ ، وَالْعَجَمِ ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ وَجُعِلَتْ لَكُمْ جَنَّتٌ كَجَنَّتِ الْأَرْدُنِ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ فِيكُمْ ذُبْحٌ ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ، ثُمَّ جُعِلَتْ لَكُمْ نَارٌ تُحْرَقُونَ فِيهَا .

قَالَ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ أَنْتَ أَحَدُهُمْ فَأَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرَوْنَهُ وَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَهُوَ يَتْلُو عَلَيْهِمْ يَسْنَ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِلَى قَوْلِهِ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ، وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ

رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا .

ثم انصرفت فأتاهم آتٍ فقال ما تنتظرون ههنا ، قالوا مُحَمَّدًا قال خيِّبكم الله ، والله خرج عليكم مُحَمَّدٌ ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا ، وانطلق لحاجته .

قال فَوَضَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ تُرَابٌ ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَلَّعُونَ ، فَيَرُونَ عَلِيًّا عَلَى الْفِرَاشِ مُسَجًى بِبُرْدٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُونَ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَمُحَمَّدٌ نَائِمًا فِي بُرْدِهِ ، فلم يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا .

فَقَامَ عَلِيٌّ عَنِ الْفِرَاشِ فَقَالُوا وَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْنَا الَّذِي كَانَ حَدَّثَنَا وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ وَالشَّاهِدُ هُوَ مَجِيءُ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَاهُ وَكَلَامُهُ وَهُوَ أَبُو الْجِنِّ لَعَنَهُ اللَّهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ صِيَاخُ ابْلِيسَ يَوْمَ أُحُدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُتِلَ ، فَلَمْ يُشَكَّ فِي ذَلِكَ ، حَتَّى طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ السَّعْدَيْنِ ، قَالَ الرَّأْوِيُّ نَعْرِفُهُ بِكَتِفَيْهِ إِذَا مَشَى قَالَ فَفَرِحْنَا حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يُصِبْنَا مَا أَصَابَنَا ، فَأَوْ مَا نَحْنُوا الْحَدِيثَ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيَسْتَنْشِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خِيَاشِيمِهِ مُتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي شَعْبَةَ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أحنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان أصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فصل : وقال شيخ الإسلام والجن يتصورون في صور الإنس ، والبهائم فيتصورون في صور الحيات ، والعقارب ، وغيرها ، وفي صور الإبل ، والبقر والغنم ، والخيول ، والبغال ، والحمير ، وفي صور الطير ، وفي صور بني آدم ، كما أتى الشيطان قريشاً في صورة سراقه بن مالك بن قشم ، لما أرادوا الخروج إلى بدر ، قال تعالى ﴿ واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ إلى قوله ﴿ والله شديد العقاب ﴾ .

وذكر ابن أبي الدنيا في كتابه مكائد الشيطان أن رجلاً من أهل الشام من أمراء معاوية غضب ذات ليلة على ابنه ، فأخرجه من منزله فخرج الغلام لا يدرى أين يذهب ، فجلس وراء الباب من خارج ، فنام ساعة ثم استيقظ ، وبابه يخمسه هر أسود بري ، فخرج إليه الهر الذي في منزله .

فقال له البري ويحك افتح ، فقال لا أستطيع فقال ويحك اثني بشيء أتبلغ به ، فإني جائع وأنا تعب ، هذا أوان مجيء من الكوفة وقد حدث الليلة حدث عظيم ، قتل علي بن أبي طالب ، قال فقال له الهر الأهلبي والله إنه ليس شيء هاهنا ، إلا وقد ذكر اسم الله عليه ، غير سفود

كَانُوا يَشُوُونَ عَلَيْهِ اللَّحْمَ .

فَقَالَ اثْنَيْنِي بِهِ فَجَاءَهُ بِهِ فَجَعَلَ يُلْحَسُهُ حَتَّى أَخَذَ حَاجَتَهُ وَانْصَرَفَ
وَذَلِكَ بِمَرَأَى مِنَ الْغُلَامِ ، وَسَمِعَ ، فَقَامَ إِلَى الْبَابِ فَطَرَقَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ
أَبُوهُ ، فَقَالَ مَنْ فَقَالَ افْتَحْ ، فَقَالَ وَيْحَكَ مَا لَكَ ، فَقَالَ افْتَحْ فَفَتَحَ فَقَصَّ
عَلَيْهِ خَبَرَ مَا رَأَى .

فَقَالَ وَيْحَكَ أَمْنًا هَذَا ، قَالَ لَا وَاللَّهِ قَالَ وَيْحَكَ ، فَأَصَابَكَ جُنُونٌ
بُعْدِي ، قَالَ لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ كَمَا وَصَفْتَ لَكَ .

فَاذْهَبْ إِلَى مُعَاوِيَةَ الْآنَ فَاتَّخِذْ عِنْدَهُ بِمَا قُلْتُ لَكَ ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ
فَاسْتَأْذَنَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ مَا ذَكَرَ لَهُ ، وَلَدَّهُ ، فَأَرَّخُوا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ
قَبْلَ مَجِيءِ الْبُرْدِ ، وَلَمَّا جَاءَتْ الْبُرْدُ وَجَدُوا مَا أَخْبَرَهُمْ قَبْلَ مَجِيءِ الْبُرْدِ ،
وَلَمَّا جَاءَتْ الْبُرْدُ وَجَدُوا مَا أَخْبَرُوهُمْ بِهِ مُطَابِقًا لِمَا كَانَ خَبَرَ بِهِ الْغُلَامُ .

وَرُوِيَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ بَالَ بِجُحْرِ بِالشَّامِ ثُمَّ اسْتَلْقَى مَيِّتًا فَسَمِعَ
مِنْ بَيْتٍ بِالْمَدِينَةِ قَائِلًا يَقُولُ نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخَرْجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، رَمَيْنَاهُ
بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نُخْطِ فُؤَادَهُ ، فَحَفِظُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ سَعْدُ
فَوَجَدُوهُ الْيَوْمَ الَّذِي سُمِعَ فِيهِ الْخَبَرُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِتَدْبِيرِ كِتَابِكَ وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى
مَعَانِي آيَاتِهِ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِنَا وَشَيِّدْ فِيهَا بُنْيَانَهُ وَوِطِّدْ
فِيهَا أَرْكَانَهُ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ولا ريب أنَّ الأوثانَ
يَحْصُلُ عِنْدَهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ ، وَخِطَابِهِمْ ، وَتَصَرُّفِهِمْ مَا هُوَ مِنْ أَسْبَابِ
ضَلَالِ بَنِي آدَمَ ، وَجَعَلَ الْقُبُورَ أَوْثَانًا ، هُوَ أَوَّلُ الشِّرْكِ ، وَلِهَذَا يَحْصُلُ
عِنْدَ الْقُبُورِ لِبَعْضِ النَّاسِ مِنْ خِطَابٍ يَسْمَعُهُ ، وَشَخْصٍ يَرَاهُ ، وَتَصَرُّفٍ
عَجِيبٍ ، مَا يَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ الْمَيِّتِ .

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ ، مِثْلُ أَنْ يَرَى الْقَبْرَ قَدْ انْشَقَّ ،
وَخَرَجَ مِنْهُ الْمَيِّتُ ، وَكَلَّمَهُ وَعَانَقَهُ وَهَذَا يُرَى عِنْدَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ
وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَصَوَّرُ بِصُورِ الْإِنْسِ ، وَيَدَّعِي أَحَدَهُمْ أَنَّهُ
النَّبِيُّ فَلَانُ أَوْ الشَّيْخُ فَلَانُ وَيَكُونُ كَاذِبًا فِي ذَلِكَ .

وفي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْوَقَائِعِ مَا يَصِيقُ هَذَا الْمَوْضِعَ عَنْ ذِكْرِهِ وَهِيَ
كَثِيرَةٌ جِدًّا ، وَالْجَاهِلُ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي رَأَاهُ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ وَعَانَقَهُ أَوْ
كَلَّمَهُ هُوَ الْمَقْبُورُ أَوْ النَّبِيُّ ، أَوْ الصَّالِحُ ، أَوْ غَيْرُهُمَا ، وَالْمُؤْمِنُ الْعَظِيمُ
يَعْلَمُ أَنَّهُ شَيْطَانٌ ، وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ بِأُمُورٍ .

أَحَدُهَا أَنْ يَقْرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ بِصِدْقٍ ، فَإِذَا قَرَأَهَا تَغَيَّبَ ذَلِكَ
الشَّخْصُ ، أَوْ سَاخَ فِي الْأَرْضِ ، أَوْ احْتَجَبَ ، وَلَوْ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا أَوْ
مَلَكًا أَوْ جَنِيًّا مُؤْمِنًا لَمْ تَضُرَّهُ آيَةُ الْكُرْسِيِّ ، وَإِنَّمَا تَضُرُّ الشَّيَاطِينَ كَمَا ثَبَتَ
فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ إِقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ إِذَا أَوَيْتَ فِرَاشَكَ ،
فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ، فَقَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ .

وَمِنْهَا أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ .

وَمِنْهَا أَنْ يَسْتَعِيذَ بِالْعُودَةِ الشَّرْعِيَّةِ ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ تَعْرِضُ
لِلْأَنْبِيَاءِ فِي حَيَاتِهِمْ ، وَتُرِيدُ أَنْ تُؤْذِيَهُمْ ، وَتُفْسِدُ عِبَادَتَهُمْ كَمَا جَاءَتْ الْجَنُّ
إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشُعْلَةٍ مِنْ نَارٍ تُرِيدُ أَنْ تَحْرِقَهُ ، فَأَتَاهُ
جِبْرِيلُ بِالْعُودَةِ الْمَعْرُوفَةِ ، الَّتِي تَضُمُّنَهَا الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ
أَنَّهُ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حُبَيْشٍ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَدْرَكَ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حِينَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ ، قَالَ تَحَدَّرْتُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّعَابِ ، وَالْأُودِيَةِ ، وَفِيهِمْ
شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

قَالَ فَرُعَيْبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ قُلْ قَالَ مَا أَقُولُ قَالَ قُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ
الَّتَامَاتِ ، الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ
وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ
مِنَ الْأَرْضِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ
شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُقُ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ .

قَالَ فَطَفِئَتْ نَارُهُمْ ، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ
عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي ،
فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، ثُمَّ قَالَ أَلْعَنَكَ بَلْعَنَةُ اللَّهِ ثَلَاثًا ، وَبَسَطَ

يَدُهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ شَيْئًا فِي الصَّلَاةِ لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ .

قَالَ إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشَهَابٍ مِنْ نَارٍ ، لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي ، فَقُلْتُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قُلْتُ أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ فَاسْتَأْخَرَ ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَخْذَهُ ، وَلَوْلَا دَعْوَةُ أَخِيْنَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلَدَانِ الْمَدِينَةِ .

وَكَثِيرًا مِنَ الْعِبَادِ يَرَى الْكَعْبَةَ تَطُوفُ بِهِ وَيَرَى عَرْشًا عَظِيمًا ، وَعَلَيْهِ صُورَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَيَرَى أَشْخَاصًا تَصْعَدُ ، وَتَنْزِلُ فَيُظَنُّهَا الْمَلَائِكَةُ وَيُظَنُّ أَنَّ تِلْكَ الصُّورَةُ هِيَ اللَّهُ ، تَعَالَى ، وَتَقَدَّسَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ شَيْطَانًا .

وَقَدْ جَرَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ وَعَرَفَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ ، كَالشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ فِي حِكَايَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، حَيْثُ قَالَ كُنْتُ مَرَّةً فِي الْعِبَادَةِ فَرَأَيْتُ عَرْشًا عَظِيمًا ، وَعَلَيْهِ نُورٌ ، فَقَالَ لِي يَا عَبْدَ الْقَادِرِ ، أَنَا رَبُّكَ ، وَقَدْ حَلَلْتُ لَكَ مَا حَرَّمْتُ عَلَى غَيْرِكَ ، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، إِنْخَسَأُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، قَالَ فَتَمَزَّقَ ذَلِكَ النُّورُ ، وَصَارَ ظُلْمَةً ، وَقَالَ يَا عَبْدَ الْقَادِرِ نَجَوْتُ مِنِّي بِفَقْهِكَ فِي دِينِكَ ، وَعِلْمِكَ وَمُنَازِلَتِكَ ، فِي أَحْوَالِكَ ، لَقَدْ فَتَنْتُ بِهِذِهِ الْقِصَّةِ سَبْعِينَ رَجُلًا .

فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ قَالَ بِقَوْلِهِ لِي حَلَلْتُ لَكَ مَا حَرَّمْتُ عَلَى غَيْرِكَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ لَا تُنْسَخُ وَلَا تُبَدَّلُ ، وَلَأنَّهُ قَالَ أَنَا رَبُّكَ ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَقُولَ أَنَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَمِنْ

هَؤُلَاءِ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْمَرِيَّ هُوَ اللَّهُ وَصَارَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى ، فِي الْيَقَظَةِ ، وَمُسْتَنَدُهُمْ مَا شَاهَدُوهُ ، وَهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا يُخْبِرُونَ بِهِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الشَّيْطَانُ .

وَهَذَا قَدْ وَقَعَ كَثِيرًا لِطَوَائِفَ مِنْ جُهَالِ الْعِبَادِ يَظُنُّ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَرَى اللَّهَ تَعَالَى بِعَيْنِهِ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ كَثِيرًا مِنْهُمْ رَأَى مَا ظَنَّ أَنَّهُ اللَّهُ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ .

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ مَنْ رَأَى مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ صَالِحٌ أَوْ الْخَضِرُ وَكَانَ شَيْطَانًا قَالَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ مَلَكٌ وَالْمَلَكُ يَتَمَيَّزُ عَنِ الْجِنِّ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَالْجِنُّ فِيهِمُ الْكُفَّارُ وَالْفُسَّاقُ وَالْجُهَالُ وَفِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّبِعُونَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَثِيرًا مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ هَؤُلَاءِ جِنٌّ وَشَيَاطِينٌ يَعْتَقِدُهُمْ مَلَائِكَةً وَإِنَّمَا هُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ .

قَالَ وَالشَّيَاطِينُ يُؤَالُونَ مَنْ يَفْعَلُ مَا يُحِبُّونَهُ مِنَ الشِّرْكِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ فَتَارَةً يُخْبِرُونَهُ بِبَعْضِ الْأُمُورِ الْغَائِبَةِ ، لِيُكَاشِفَ بِهَا ، وَتَارَةً يُؤْذُونَ مَنْ يُرِيدُ أَذَاهُ ، يَقْتُلُ ، وَتَمْرِئُضُ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَتَارَةً يَجْلِبُونَ لَهُ مَا يُرِيدُ ، مِنَ الْإِنْسِ وَتَارَةً يَسْرِقُونَ لَهُ مَا يَسْرِقُونَهُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ مِنْ نَقْدٍ وَطَعَامٍ ، وَثِيَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَسْرُوقًا .

وَتَارَةً يَحْمِلُونَهُ فِي الْهَوَاءِ فَيَذْهَبُونَ بِهِ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَذْهَبُونَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، وَيَعُودُونَ بِهِ فَيَعْتَقِدُ هَذَا كَرَامَةً ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَحُجَّ حَجَّ الْمُسْلِمِينَ لَا أَحْرَمَ وَلَا لَبَى وَلَا طَافَ بِالْبَيْتِ وَلَا بَيْنَ الصُّفَا وَالْمَرَوَةِ وَمَعَ أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الضَّلَالِ انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« مَوْعِظَةٌ فِي التَّحْذِيرِ عَنِ الْإِنْهَمَاكِ »

« فِي الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مَنْ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ أَيْقَنَ أَنَّ نَعِيمَهَا
إِبْتِلَاءٌ ، وَحَيَاتُهَا عَنَاءٌ وَعَيْشُهَا نَكَدٌ ، وَصَفْوَهَا كَدْرٌ وَأَهْلُهَا مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ
إِمَّا بِنِعْمَةٍ زَائِلَةٍ ، أَوْ بِبَلِيَّةٍ نَازِلَةٍ أَوْ مَنِيَّةٍ قَاضِيَةٍ .

مُسْكِينٌ مَنْ أَطْمَأَنَّ وَرَضِيَ بِدَارِ حَلَالِهَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ،
إِنْ أَخَذَهُ مِنْ حَلَالٍ حُوسِبَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَخَذَهُ مِنْ حَرَامٍ عُذِّبَ بِهِ ، مَنْ
اسْتَعْنَى فِي الدُّنْيَا فُتِنَ ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ، مَنْ أَحَبَّهَا أَذَلَّتْهُ ، وَمَنْ
الْتَفَتَ إِلَيْهَا وَنَظَرَهَا أَعْمَتَتْهُ .

« لَوْ كُنْتُ رَائِدَ قَوْمٍ ظَاعِنِينَ إِلَى

دُنْيَاكَ هَذِي لَمَا أُلْفَيْتَ كَذَابًا »

« لَقُلْتَ تِلْكَ بَلَاءٌ نَبَتْهَا سَقَمٌ

وَمَاؤُهَا الْعَذْبُ سُمٌّ لِفَتَى ذَابَا »

وَكَمْ كُشِفَ لِلْسَّامِعِينَ عَنْ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَبَيَّنَ لَهُمْ قِصَرَ مُدَّتِهَا
وَانْقِضَاءَ لَذَّتِهَا بِمَا يُضْرَبُ مِنَ الْأَمْثَالِ الْحِسِّيَّةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ اْعْلَمُوا
أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ
حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

شَرَحَ لَنَا الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حَالَ الدُّنْيَا الَّتِي افْتَنَ النَّاسُ

بِهَا الَّذِينَ قَصُرَ نَظَرُهُمْ وَبَيَّنَّ أَنَّهَا مِنْ مُحَقَّرَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَرْكَنُ إِلَيْهَا الْعُقَلَاءُ فَضْلاً عَنْ الْاِفْتِتَانِ بِهَا وَالْاِنْهَمَاكِ فِي طَلِبِهَا وَقَتْلِ الْوَقْتِ فِي تَحْصِيلِهَا بِأَنَّهَا لَعِبٌ لَا ثَمَرَةَ فِيهِ سِوَى التَّعَبِ ، وَلَهُوَ تَشْغُلُ صَاحِبِهَا وَتُلْهِيهِ عَمَّا يَنْفَعُهُ فِي آخِرَتِهِ ، وَزِينَةٌ لَا تُفِيدُ الْمَفْتُونِ بِهَا شَرْفاً ذَاتِياً كَالْمَلَابِسِ الْجَمِيلَةِ وَالْمَرَاكِبِ الْبَهِيَّةِ وَالْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ الْوَاسِعَةِ ، وَتَفَاخُرٌ بِالْأَنْسَابِ وَالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ وَمُبَاهَاتٌ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِظَمِ الْجَاهِ .

ثُمَّ أَشَارَ جَلَّ شَأْنُهُ إِلَى أَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ ، قَرِيبَةُ الْاضْمِحْلَالِ ، كَمَثَلِ غَيْثِ رَاقِ الزُّرَّاعِ نَبَاتُهُ الْناشِئُ بِهِ ، ثُمَّ يَهْبِجُ وَيَتَحَرَّكُ وَيَنْمُو إِلَى أَقْصَى مَا قَدَرَهُ اللَّهُ لَهُ فَسَرْعَانَ مَا تَرَاهُ مُصْفِراً مُتَغَيِّراً ذَابِلاً بَعْدَ مَا رَأَيْتَهُ أَخْضَرَ نَاضِراً ، ثُمَّ يَصِيرُ مِنَ الْيُسْرِ هَشِيماً مُتَكْسِراً ، فَفِيهِ تَشْبِيهُ جَمِيعِ مَا فِي الدُّنْيَا مِنَ السِّنِينَ الْكَثِيرَةِ بِمُدَّةِ نَبَاتِ غَيْثٍ وَاحِدٍ يَفْنَى وَيَضْمَحِلُ وَيَتَلَاشَى فِي أَقَلِّ مِنْ سَنَةٍ .

إِشَارَةٌ إِلَى سُرْعَةِ زَوَالِهَا وَقُرْبِ فَنَائِهَا وَبَعْدِ ، مَا بَيَّنَّ جَلَّ وَعَلَا حَقَارَةَ الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ زَوَالِهَا تَرْهِيذاً فِيهَا ، وَتَنْفِيراً وَتَحْذِيراً مِنَ الْاِنْهَمَاكِ فِي طَلِبِهَا أَشَارَ إِلَى فَخَامَةِ شَأْنِ الْآخِرَةِ وَفُظَاةِ مَا فِيهَا مِنَ الْآلَامِ وَعِظَمِ مَا فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ تَرْهِيباً مِنْ عَذَابِهَا الْأَلِيمِ ، وَتَرْغِيباً فِي تَحْصِيلِ النِّعَمِ الْمُقِيمِ وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ مِمَّا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ .

وَالنَّاسُ فِيهَا قِسْمَانِ فُطْنَاءٌ قَدْ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا ظِلٌّ زَائِلٌ وَنَعِيمٌ حَائِلٌ وَأَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، بَلْ فَهِمُوا أَنَّهَا نِعَمٌ فِي طَيْهَا نِقَمٌ ، وَعَرَفُوا أَنَّهَا حَيَاةٌ فَانِيَةٌ ، وَأَنَّهَا مَعْبَرٌ وَطَرِيقٌ إِلَى الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ، فَرَضُوا مِنْهَا بِالْيَسِيرِ ،

وَقِنَعُوا مِنْهَا بِالْقَلِيلِ ، فَاسْتَرَاخَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ هَمِّهَا وَأَحْزَانِهَا وَاسْتَرَاخَتْ
أَبْدَانُهُمْ مِنْ نَصَبِهَا ، وَعَنَائِهَا ، وَسَلِمَ لَهُمْ دِينُهُمْ ، وَكَانُوا عِنْدَ اللَّهِ هُمُ
الْمَحْمُودِينَ ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ دُنْيَاهُمْ عَنْ طَاعَةِ مَوْلَاهُمْ .

جَعَلُوا النَّفْسَ الْأَخِيرَ وَمَا وَرَاءَهُ نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ ، وَتَدَبَّرُوا مَاذَا يَكُونُ
مَصِيرُهُمْ ، وَفَكَّرُوا كَيْفَ يَخْرُجُونَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِيمَانُهُمْ سَالِمٌ لَهُمْ وَمَا
الَّذِي يَبْقَى مَعَهُمْ مِنْهَا فِي قُبُورِهِمْ ، وَمَا الَّذِي يَتْرُكُونَهُ لِأَعْدَائِهِمْ فِي
الدُّنْيَا ، وَمَنْ لَا يُغْنِيهِمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ،
﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًا عَنْ مَوْلَا شَيْئاً ﴾ ، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ
وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ وَيَبْقَى عَلَيْهِمْ وَبَالَ مَا جَمَعُوا وَمَا عَمَرُوا فِي غَيْرِ
طَاعَةِ اللَّهِ .

أَذْرَكُوا كُلَّ هَذَا فَتَاهَبُوا لِلسَّفَرِ الطَّوِيلِ وَأَعَدُّوا الْجَوَابَ لِلْحِسَابِ ،
وَقَدَّمُوا الزَّادَ لِلْمَعَادِ وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى ، فَطُوبَى لَهُمْ خَافُوا فَأَمِنُوا وَأَحْسَنُوا
فَفَازُوا وَأَفْلَحُوا وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَذُمُ الدُّنْيَا وَيُحَذِّرُ عَنْهَا .

شعرا :

وَلَمْ يَطْلُبْ عُلوَّ الْقَدْرِ فِيهَا	وَعِزَّ النَّفْسِ إِلَّا كُلُّ طَاغٍ
وَأِنْ نَالَ النُّفُوسَ مِنَ الْمَعَالِي	فَلَيْسَ لِتَيْلِهَا طِيبُ الْمَسَاغِ
إِذَا بَلَغَ الْمُرَادَ عُلاً وَعِزًّا	تَوَلَّى وَاضْمَحَلَّ مَعَ الْبَلَاغِ
كَقَصْرِ قَدْ تَهَدَّمَ حَافَتَاهُ	إِذَا صَارَ الْبِنَاءُ إِلَى الْفَرَاغِ
أَقُولُ وَقَدْرَأَيْتُ مُلُوكَ عَصْرِي	أَلَا لَا يَبْغِيَنَّ الْمُلُوكَ بَاغِ

آخر :

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ سَكَنَّا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفْنَا

آخر :

دَجَّ الْحِرْصَ عَلَى الدُّنْيَا فِي الْعَيْشِ فَلَا تَطْمَعُ
وَلَا تَجْمَعُ مِنَ الْمَالِ فَلَا تَذَرِي لِمَنْ تَجْمَعُ
فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ وَسُوءُ الظَّنِّ لَا يَنْفَعُ
فَقِيرٌ كُلُّ ذِي حِرْصٍ غَنِيٌّ كُلُّ مَنْ يَقْنَعُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَعِزَّنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَأَيُّسُهُ مِنَّا
كَمَا أَيَّسْتَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ يَا رَحْمَانُ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ النَّاسِ جُهَّالٌ عُمِّيُّ الْبَصَائِرِ لَمْ يَنْظُرُوا فِي أَمْرِهَا
وَلَمْ يَكْشِفُوا سُوءَ حَالِهَا وَمَالِهَا ، بَرَزَتْ لَهُمْ بِزَيِّتِهَا فَفَتَنَتْهُمْ ، فَالِیْهَا
أَخْلَدُوا ، وَبِهَا رَضُوا ، وَلَهَا اطمأنوا ، حَتَّى أَلْهَتْهُمْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَشَغَلَتْهُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَطَاعَتِهِ ، نَسُوا اللَّهَ فَأَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ .

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ وَاطْمَأْنَأُوا بِهَا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَاوَاهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

نَعَمْ إِنَّهُمْ نَسُوا اللَّهَ وَأَهْمَلُوا حَقُّوقَهُ وَمَا قَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلَمْ
يُرَاعُوا لِأَنَّهُمَا كِهِم فِي الدُّنْيَا وَتَهَالُكِهِمْ عَلَيْهَا مَوَاجِبَ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ حَقَّ
رِعَايَتِهَا ، فَأَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنَسَاهُمْ مَصَالِحَهُمْ وَأَغْفَلَهُمْ عَنْ مَنَافِعِهَا

وَفَوَائِدَهَا فَصَارَ أَمْرُهُمْ فُرْطًا فَرَجَعُوا بِخَسَارَةِ الدَّارَيْنِ ، وَغُبِنُوا غَبْنًا لَا
يُمْكِنُ تَدَارُكُهُ وَلَا يُجْبَرُ كَسْرُهُ ، وَسَيَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ مَا
يُنْسِيهِمْ أَرْوَاحُهُمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ حَيَارَى ذَاهِلِينَ يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنْ مَا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ
بِسُكَارَى وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ .

وفي مثلِ هَذَا يَقُولُ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ اجْتَهِادُكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ مَعَ
تَقْصِيرِكَ فِيمَا طُلِبَ مِنْكَ دَلِيلُ انْطِمَاسِ بَصِيرَتِكَ ، أَقَامُوا الدُّنْيَا
فَهَدَمْتَهُمْ ، وَاعْتَزَّوْا بِهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَذَلَّتْهُمْ ، أَكْثَرُوا فِيهَا مِنَ الْأَمَالِ
وَأَحْبَبُوا طُولَ الْأَجَالِ وَنَسُوا الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الشَّدَائِدِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمُّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ
وَجَمَعَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَأَتَتْ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ .

وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمُّهُ جَعَلَ فَقْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ
يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ ، فَلَا يُمَسِّي إِلَّا فَقِيرًا وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا فَقِيرًا .

وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ تَنْقَادُ إِلَيْهِ
بِالْوِدِّ وَالرَّحْمَةِ ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ خَيْرٍ إِلَيْهِ أَسْرَعَ أَه .

وَقَالَ فِي عِدَّةِ الصَّابِرِينَ ، وَقَدْ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا لَوْ
سَاوَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءٍ ، وَأَنَّهَا أَهْوَنُ
عَلَى اللَّهِ مِنَ السُّخْلَةِ الْمَيْتَةِ عَلَى أَهْلِهَا .

وَأَنَّ مَثَلَهَا فِي الْآخِرَةِ كَمَثَلِ مَا يَعْلَقُ بِأَصْبُعٍ مَنْ أَدْخَلَ أَصْبُعَهُ فِي
الْبَحْرِ وَأَنَّهَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَلَاهُ ، وَعَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ
وَأَنَّهَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِينَ .

وَأَمَرَ الْعَبْدَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا كَأَنَّهُ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَيَعُدُّ نَفْسَهُ مِنْ
أَهْلِ الْقُبُورِ وَإِذَا أَصْبَحَ فَلَا يَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ وَإِذَا أَمْسَى فَلَا يَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ .

وَنَهَى عَنْ اتِّخَاذِ مَا يُرْغَبُ فِيهَا ، وَلَعَنَ عَبْدَ الدِّينَارِ وَعَبْدَ الدِّرْهَمِ
وَدَعَا عَلَيْهِ بِالنَّفْسِ وَالْإِنْتِكَاسِ وَعَدِمَ إِقَالَةَ الْعَثْرَةِ بِالْإِنْتِقَاشِ .

وَأَخْبَرَ أَنَّهَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ أَيْ تَأْخُذُ الْعُيُونَ بِخُضْرَتِهَا وَالْقُلُوبَ
بِحَلَاوَتِهَا ، وَأَمَرَ بِاتَّقَائِهَا وَالْحَذَرِ مِنْهَا كَمَا يُتَّقَى النِّسَاءَ وَيُحْذَرُ مِنْهُنَّ وَأَخْبَرَ
أَنَّ الْحِرْصَ عَلَيْهَا ، وَعَلَى الرِّيَاسَةِ وَالشَّرَفِ يُفْسِدُ الدِّينَ .

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ،
ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا ، وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ حَالُ سُكَّانِ الدُّنْيَا كُلِّهِمْ ، وَلَكِنْ هُوَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِدَ هَذِهِ الْحَالَ ، وَعُمِيَ عَنْهَا بَنُو الدُّنْيَا .

وَمَرَّ بِهِمْ وَهُمْ يُعَالِجُونَ خُصَالَهُمْ قَدْ وَهِيَ ، فَقَالَ مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا
أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِسِتْرِ عَلَى بَابِهِ فَتَزَعَّ وَقَالَ إِنَّهُ يُذَكِّرُنِي الدُّنْيَا ،
وَأَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ حَقٌّ فِي سِوَى بَيْتٍ يَسْكُنُهُ ، وَثَوْبٍ
يُوَارِي عَوْرَتَهُ وَقَوِيٍّ يُقِيمُ صَلْبَهُ .

وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمِيتَ يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَمَلُهُ فِيرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ
وَيَبْقَى عَمَلُهُ ، وَكَانَ يَقُولُ : الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ ،
وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا تُطِيلُ الْهُمُومَ ، وَالْحَزَنُ ، وَكَانَ يَقُولُ مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ

كُلُّهَا هَمًّا وَاحِدًا ، كَفَاهُ اللَّهُ سَائِرَ هُمُومِهِ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي
أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ .

وَأَخْبَرَ أَنَّ بَذَلَ الْعَبْدِ مَا فَضَلَ عَنْ حَاجَتِهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَامْسَاكُهُ شَرٌّ لَهُ
وَأَنَّهُ لَا يُلَامُ عَلَى الْكَفَافِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيُسَوُّوا بِالْمَتَنَعِمِينَ فِيهَا فَإِنَّ
أَمَامَهُمْ دَارَ النِّعَمِ فَهُمْ لَا يَرْضُونَ بِنِعِيمِهِمْ فِي الدُّنْيَا عِوَضًا مِنْ ذَلِكَ
النِّعَمِ .

وَفِي حَدِيثٍ مَنَاجَاةِ مُوسَى : وَلَا تُعْجِبَنَّكُمْ زِينَتُهُ وَلَا مَا مُتِّعَ بِهِ وَلَا
تَمُدَّانِ إِلَى ذَلِكَ أَغْيُنُكُمْ ، فَإِنَّهَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا ، وَزِينَةُ الْمَتَرَفِينَ وَإِنِّي لَوْ
شِئْتُ أَنْ أُزَيِّنُكُمْ مِنَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ يَعْلَمُ فِرْعَوْنُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَنَّ مَقْدِرَتَهُ
تَعْجَزُ عَنْ مِثْلِ مَا أُوتِيْتُمْمَا فَعَلْتُ .

وَلَكِنْ أَرْغَبُ بِكُمْ عَنْ نَعِيمِهَا ذَلِكَ ، وَأَزْوِيهِ عَنْكُمْ ، وَكَذَلِكَ أَفْعَلُ
بِأَوْلِيَائِي ، وَقَدِيمًا مَا أَخَّرْتُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ فَإِنِّي لَأَذُودُهُمْ عَنْ نَعِيمِهَا
وَرَحَائِهَا كَمَا يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ عَنْ مَرَاعِي الْهَلَكَةِ وَإِنِّي لَأُجَنِّبُهُمْ
سَلَوَتَهَا ، وَعَيْشَهَا كَمَا يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ إِبِلَهُ عَنْ مَبَارِكِ الْغَرَّةِ .

وَمَا ذَلِكَ لِهَوَانِهِمْ عَلَيَّ ، وَلَكِنْ لِيَسْتَكْمِلُوا نَصِيْبَهُمْ مِنْ كَرَامَتِي
سَالِمًا مُوَفَّرًا لَمْ تَكْلِمُهُ الدُّنْيَا وَلَمْ يُطْعِهِ الْهَوَى .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَتَزَيَّنْ لِي الْعِبَادُ بِزِينَةٍ هِيَ أَبْلَغُ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا
فَإِنَّهَا زِينَةُ الْمُتَّقِينَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا لِبَاسٌ يُعْرَفُونَ بِهِ مِنَ السَّكِينَةِ ، وَالْخُشُوعِ
سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .

أُولَئِكَ أَوْلِيَائِي حَقًّا فَإِذَا لَقِيْتَهُمْ فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، وَذَلِّلْ لَهُمْ
قَلْبُكَ ، وَلِسَانَكَ ، وَقَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ؟ .

قَالَ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا ، حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى عَاجِلِهَا
فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا يَخْشَوْنَ أَنْ يُمِيتَهُمْ ، وَتَرَكُوا مَا عَلِمُوا أَنْ سَيَتْرُكُهُمْ ، فَصَارَ
اسْتِكْثَارُهُمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا ، وَذِكْرُهُمْ إِيَّاهَا فَوَاتًا ، وَفَرَحُهُمْ بِمَا أَصَابُوا مِنْهَا
حَزْنًا ، فَمَا عَارَضَهُمْ مِنْ نَائِلِهَا رَفَضُوهُ ، وَمَا عَارَضَهُمْ مِنْ رَفْعَتِهَا بَغِيرِ
الْحَقِّ وَضَعُوهُ .

خَلَقَتِ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ فَلْيُسُوا يُجَدِّدُونَهَا ، وَخَرِبَتْ بَيْنَهُمْ فَلْيُسُوا
يَعْمُرُونَهَا ، وَمَاتَتْ فِي صُدُورِهِمْ ، فَلْيُسُوا يُحْيُونَهَا ، يَهْدِمُونَهَا فَيَبْنُونَ بِهَا
آخِرَتَهُمْ ، وَيَبْنِعُونَهَا ، فَيَشْتَرُونَ بِهَا مَا يَبْقَى لَهُمْ .

رَفَضُوهَا فَكَانُوا بِهَا هُمْ الْفَرِحِينَ ، وَنَظَرُوا إِلَى أَهْلِهَا صَرَغَى قَدْ
حَلَّتْ بِهِمُ الْمَثَلَاتُ ، فَأَحْيُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ وَأَمَاتُوا ذِكْرَ الْحَيَاةِ .

يُحِبُّونَ لِلَّهِ ، وَيُحِبُّونَ ذِكْرَهُ ، وَيَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ ، وَيُضِيئُونَ بِهِ لَهُمْ
خَبْرٌ عَجِيبٌ وَعِنْدَهُمُ الْخَبْرُ الْعَجِيبُ ، بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ ، وَبِهِ قَامُوا وَبِهِمْ
نَطَقَ الْكِتَابُ ، وَبِهِ نَطَقُوا ، وَبِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ ، وَبِهِ عَمِلُوا لِيُسُوا يَرُونَ
نَائِلًا مَعَ مَا نَالُوا ، وَلَا أَمَانًا دُونَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ .

وَقَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ كَمَنَازِلِ الْأَضْيَافِ فَمَا لَكُمْ
فِي الْعَالَمِ مِنْ مَنْزِلٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ .

وَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ أَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْنِيَ فَوْقَ مَوْجِ الْبَحْرِ
دَارًا ، قَالُوا يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْدُّنْيَا فَلَا
تَتَّخِذُوهَا قَرَارًا .

وَقَالَ حَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ ، وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا ، حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ .

وَقَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ تَهَاجَرُوا بِالْدُّنْيَا ، تَهْنُ عَلَيْكُمْ ، وَأَهْيِنُوا الدُّنْيَا
تَكْرُمَ عَلَيْكُمْ الْآخِرَةَ ، وَلَا تُكْرِمُوا الدُّنْيَا ، تَهْنُ عَلَيْكُمْ الْآخِرَةَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا
لَيْسَتْ بِأَهْلٍ لِلْكَرَامَةِ ، وَكُلُّ يَوْمٍ تَدْعُوا إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْخَسَارَةِ .

قَالُوا وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا رَأْسُ الْخَطَايَا ، وَأَصْلُهَا
وَقِيلَ إِنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ رَأْسُ الْخَطِيئَةِ حُبُّ الدُّنْيَا ،
وَالنِّسَاءُ حُبَالَةُ الشَّيْطَانِ ، وَالخَمْرُ جَمَاعُ كُلِّ شَرٍّ .

شعراً : قال الإمام الشافعي رحمه الله :

خَبْتُ نَارَ نَفْسِي بِاشْتِعَالِ مَفَارِقِي
وَأَظْلَمَ لَيْلِي إِذْ أَضَاءَ شَهَابُهَا
أَيَا بُؤْمَةً قَدْ عَشَّشْتُ فَوْقَ هَامَتِي
عَلَى الرَّغْمِ مِنِّي جِئِنَ طَارَ غُرَابُهَا
رَأَيْتُ خَرَابَ الْعُمْرِ مِنِّي فَزُرْتِنِي
وَمَاوَاكِ مِنْ كُلِّ الدِّيَارِ خَرَابُهَا
أَأْنَعَمَ عَيْشاً بَعْدَ مَا حَلَّ عَارِضِي
طَلَائِعُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغْنِي خِضَابُهَا
إِذَا اصْفَرَ لَوْنُ الْمَرْءِ وَابْيَضَّ شَعْرُهُ
تَنْغُصُ مِنْ أَيَّامِهِ مُسْتَطَابُهَا
وَعِزَّةُ عُمْرِ الْمَرْءِ قَبْلَ مَشْيِهِ
وَقَدْ فَنِيَتْ نَفْسٌ تَوَلَّى شَبَابُهَا
فَدَعِ عَنْكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا
حَرَامٌ عَلَى نَفْسِ التَّقِيِّ ارْتِكَابُهَا

وَأَدِّ زَكَاةَ الْجَاهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا
كَمِثْلِ زَكَاةِ الْمَالِ تَمْ نَصَابُهَا
وَأَحْسِنْ إِلَى الْأَحْرَارِ تَمْلِكُ رِقَابَهُمْ
فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الرِّجَالِ اكْتِسَابُهَا
وَلَا تَمْشِينَ فِي مَنْكِبِ الْأَرْضِ فَاخِرًا
فَعَمَّا قَلِيلٍ يَحْتَوِيكَ ثَرَابُهَا
وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَاثِي طَعْمَتُهَا
وَسِيقَ إِلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا
فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا
كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْفَلَاةِ سَرَابُهَا
وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ
عَلَيْهَا كِلَابٌ هُمُحٌ اجْتَذَابُهَا
فَإِنْ تَجْتَنِبُهَا كُنْتَ سَلَامًا لِأَهْلِهَا
وَإِنْ تَجْتَذِبُهَا نَازَعَتِكَ كِلَابُهَا
إِذَا انْسَدَّ بَابُ عَنْكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ
فَدَعُهَا لِأُخْرَى يَنْفَتِحُ لَكَ بَابُهَا
فَإِنْ قُرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْؤُهُ
وَيَكْفِيكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
فَطُوبَى لِنَفْسٍ أَوْطَنْتْ قَعْرَ بَيْتِهَا
مُغْلَقَةً الْأَبْوَابِ مُرْخِي حِجَابُهَا
فَيَارِبِّ هَبْ لِي تَوْبَةً قَبْلَ مَهْلِكِ
أَبَادِرُهَا مِنْ قَبْلِ إِغْلَاقِ بَابِهَا

فَمَا تَخَرَّبَ الدُّنْيَا بِمَوْتِ شِرَارِهَا
وَلَكِنْ بِمَوْتِ الْأَكْرَمِينَ خَرَابُهَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ
وَأَيِّدْنَا بِنَصْرِكَ وَأَرْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّم .

(فَضْلٌ)

وَعَنْ سُفْيَانَ قَالَ كَانَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَقُولُ حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ
خَطِيئَةٍ وَالْمَالُ فِيهِ دَاءٌ كَثِيرٌ ، قَالُوا وَمَا دَاوُّهُ قَالَ لَا يَسْلَمُ مِنَ الْفَخْرِ
وَالْخِيَلَاءِ ، قَالُوا فَإِنْ سَلِمَ ، قَالَ يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالُوا وَذَلِكَ مَعْلُومٌ بِالتَّجَرُّبَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ ، فَإِنَّ حُبَّهَا يَدْعُو إِلَى خَطِيئَةٍ
ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ ، وَلَا سِيَّمَا خَطِيئَةً يَتَوَقَّفُ تَحْصِيلُهَا عَلَيْهَا ، فَيُسَكِّرُ عَاشِقُهَا
حُبَّهَا عَنْ عِلْمِهِ بِتِلْكَ الْخَطِيئَةِ ، وَقُبْحِهَا وَعَنْ كَرَاهَتِهَا وَاجْتِنَابِهَا .

وَحُبُّهَا يُوقِعُ فِي الشُّبُهَاتِ ، ثُمَّ فِي الْمَكْرُوهَاتِ ، ثُمَّ فِي
الْمُحَرَّمَاتِ ، وَطَالَمَا أَوْقَعَ فِي الْكُفْرِ ، بَلْ جَمِيعُ الْأَمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لَأَنْبِيَائِهِمْ
إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ حُبُّ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الرِّسْلَ لَمَّا نَهَوْهُمْ
عَنِ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي كَانُوا يَكْتَسِبُونَ بِهَا الدُّنْيَا ، حَمَلَهُمْ حُبُّهَا عَلَى
مُخَالَفَتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ .

فَكُلُّ خَطِيئَةٍ فِي الْعَالَمِ أَصْلُهَا حُبُّ الدُّنْيَا ، وَلَا تَنْسَ خَطِيئَةَ الْأَبْوَيْنِ
قَدِيمًا ، فَإِنَّمَا كَانَ سَبَبُهَا حُبُّ الْخُلُودِ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا تَنْسَ ذَنْبَ ابْلِيسَ

وَسَبَبُهُ حُبُّ الرِّيَاسَةِ ، التي مَحَبَّتُهَا شَرُّ مِنْ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا .

وَبِسَبَبِهَا كَفَرَ فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَجُنُودُهُمَا ، وَأَبُو جَهْلٍ وَقَوْمُهُ ،
وَالْيَهُودُ ، فَحُبُّ الدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ هُوَ الَّذِي عَمَرَ النَّارَ بِأَهْلِهَا .

وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَالزُّهْدُ فِي الرِّيَاسَةِ هُوَ الَّذِي عَمَرَ الْجَنَّةَ بِأَهْلِهَا .

وَالسُّكْرُ بِحُبِّ الدُّنْيَا أَعْظَمُ مِنَ السُّكْرِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ بِكَثِيرٍ ،
وَصَاحِبُ هَذَا السُّكْرِ لَا يُفِيقُ مِنْهُ ، إِلَّا فِي ظُلْمَةِ اللَّحْدِ ، وَلَوْ انْكَشَفَ عَنْهُ
غِطَاؤُهُ فِي الدُّنْيَا لَعَلِمَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ السُّكْرِ ، وَأَنَّهُ أَشَدُّ مِنْ سُكْرِ الْخَمْرِ
وَالدُّنْيَا تَسْحَرُ الْعُقُولَ أَعْظَمَ سِحْرِ .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا سَيَّارُ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ قَالَ سَمِعْتُ مَالِكََ ابْنَ
دِينَارٍ يَقُولُ اتَّقُوا السَّحَارَةَ ، اتَّقُوا السَّحَارَةَ ، فَإِنَّهَا تَسْحَرُ قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَأَقْلُ مَا فِي حُبِّهَا أَنَّهُ يُلْهَى عَنْ حُبِّ اللَّهِ ، وَذَكَرَهُ ، وَمَنْ أَهْلَاهُ مَا لَهُ عَنْ
ذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، قَالُوا وَإِنَّمَا كَانَ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ الْخَطَايَا وَمُفْسِدًا
لِلدِّينِ مِنْ وَجْهِهِ ، أَحَدُهَا أَنَّهُ يَقْتَضِي تَعْظِيمَهَا وَهِيَ حَقِيرَةٌ عِنْدَ اللَّهِ .

وَمِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ تَعْظِيمُ مَا حَقَّرَهُ اللَّهُ ، وَثَانِيهَا أَنَّ اللَّهَ لَعَنَهَا ،
وَمَقَّتَهَا ، وَأَبْغَضَهَا إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِيهَا ، وَمَنْ أَحَبَّ مَا لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَمَقَّتَهُ
وَأَبْغَضَهُ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْفِتْنَةِ ، وَمَقَّتِهِ وَغَضَبِهِ .

وثَالِثُهَا أَنَّهُ إِذَا أَحَبَّهَا صَيَّرَهَا غَايَتَهُ ، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهَا بِالْأَعْمَالِ الَّتِي

جَعَلَهَا اللَّهُ وَسَائِلَ إِلَيْهِ ، وَإِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ ، فَعَكَسَ الْأَمْرَ وَقَلَبَ الْحِكْمَةَ
فَانْتَكَسَ قَلْبُهُ ، وَانْعَكَسَ سَيْرُهُ إِلَى وَرَاءَ .

فَهَا هُنَا أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا جَعَلَ الْوَسِيلَةَ غَايَةً ، وَالثَّانِي التَّوَسَّلَ
بِأَعْمَالِ الْآخِرَةِ إِلَى الدُّنْيَا ، وَهَذَا شَرٌّ مَعْكُوسٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، وَقَلْبٌ
مَعْكُوسٌ غَايَةَ الْإِنْتِكَاسِ .

وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُنْطَبِقُ عَلَيْهِ حَدُّو الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ مَنْ كَانَ
يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَقَوْلُهُ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ .

فهذه ثلاث آيات يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ،
وَهُوَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا دُونَ اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ ، فَحَظُّهُ مَا
أَرَادَ ، وَهُوَ نَصِيبُهُ ، لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ غَيْرُهُ .

وَالْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُطَابِقَةٌ لِذَلِكَ
مُفَسَّرَةٌ لَهُ ، كَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ
مَنْ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ ، الْغَازِي وَالْمُتَصَدِّقُ ، وَالْقَارِيءُ الَّذِينَ أَرَادُوا بِذَلِكَ
الدُّنْيَا وَالنَّصِيبَ وَهُوَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ .

وَمَا تَحْسُنُ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ لَمْ تُعْنِ بِآخِرَةِ حَسَنَاءَ يَبْقَى نَعِيمُهَا

وفي سنن النسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله: رجل غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء له ثم قال إن الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه .

فهذا قد بطل أجره وحبط عمله مع أنه قصد حصول الأجر لما ضم إليه قصد الذكر بين الناس فلم يخلص عمله لله فبطل كُله ، قال ورابعها أن محبتها تعترض بين العبد ، وبين فعل ما يعود عليه نفعه في الآخرة ، لاشتغاله عنه بمحبوبه والناس هاهنا مراتب .

فمنهم من يشغله محبوبه عن الإيمان ، وشرائعه .

ومنهم من يشغله عن الواجبات التي تجب عليه لله ولخلقه فلا يقوم بها ظاهراً ولا باطناً .

ومنهم من يشغله حبها عن كثير من الواجبات .

ومنهم من يشغله عن واجب يعارض تحصيلها وإن قام بغيره .

ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي فيقرط في وقته ، وفي حقوقه .

ومنهم من يشغله عن عبودية قلبه في الواجب ، وتفرغه لله عند أدائه ، فيؤديه ظاهراً لا باطناً ، وأين هذا من عشاق الدنيا ومحبيها هذا من أندريهم ، وأقل درجات حبها أن يشغل عن سعادة العبد وهو تفرغ

خُلُودٍ دَائِمٍ ثُمَّ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ وَهِيَ مَا بَعْدَ وَجُودِهِ وَمَا قَبْلَ مَوْتِهِ حَالَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ ، وَهِيَ أَيَّامُ حَيَاتِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مِقْدَارِ زَمَانِهَا ، وَيَنْسِبِهِ إِلَى الْحَالَتَيْنِ ، يَعْلَمُ أَنَّهُ أَقَلُّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ فِي مِقْدَارِ عُمرِ الدُّنْيَا .

وَمَنْ رَأَى الدُّنْيَا بِهَذِهِ الْعَيْنِ لَمْ يَرْكُنْ إِلَيْهَا ، وَلَمْ يُبَالِ كَيْفَ تَقَضَّتْ أَيَّامُهُ فِيهَا فِي ضُرٍّ وَضِيقٍ أَوْ فِي سَعَةٍ وَرَفَاهِيَّةٍ وَلِهَذَا لَمْ يَضَعِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ ، وَقَالَ مَالِي وَلِلدُّنْيَا ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَائِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا .

وَالِى هَذَا أَشَارَ الْمَسِيحُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَاعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا » ، وَهَذَا مَثَلٌ صَحِيحٌ فَإِنَّ الْحَيَاةَ مَعْبُرٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَالْمَهْدُ هُوَ الرُّكْنُ الْأَوَّلُ ، عَلَى أَوَّلِ الْقَنْطَرَةِ ، وَاللُّحْدُ هُوَ الرُّكْنُ الثَّانِي عَلَى آخِرِهَا .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَطَعَ نِصْفَ الْقَنْطَرَةِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ ثُلُثَيْهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَتَّقِ لَهُ إِلَّا خُطْوَةً وَاحِدَةً ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهَا وَكَيْفَمَا كَانَ فَلَا بُدَّ مِنَ الْعُبُورِ ، فَمَنْ وَقَفَ يَتَنَبَّهَ عَلَى الْقَنْطَرَةِ ، وَيُزَيِّنُهَا بِأَصْنَافِ الزَّيْنَةِ ، وَهُوَ يُسْتَحْتَشُّ عَلَى الْعُبُورِ فَهُوَ فِي غَايَةِ الْجَهْلِ وَالْحُمَقِ . الْمِثَالُ الثَّانِي شَهَوَاتُ الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ كَشَهَوَاتِ الْأَطْعِمَةِ فِي الْمَعِدَةِ ، وَسَوْفَ يَجِدُ الْعَبْدُ عِنْدَ الْمَوْتِ لِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْكَرَاهَةِ وَالتَّنُّ وَالْقُبْحِ مَا يَجِدُهُ لِلْأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ إِذَا انْتَهَتْ فِي الْمَعِدَةِ ، غَايَتُهَا ، وَكَمَا أَنَّ الْأَطْعِمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَلَذَّ طَعْمًا وَأَكْثَرَ دَسْمًا وَأَكْثَرَ حَلَاوَةً كَانَ رَجِيئُهَا أَقْدَرُ ، فَكَذَلِكَ كُلُّ شَهْوَةٍ كَانَتْ فِي النَّفْسِ أَلَذَّ وَأَقْوَى فَالتَّأَذِّي بِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَشَدُّ ، كَمَا أَنَّ تَفْجُعَ الْإِنْسَانِ بِمَحْبُوبِهِ إِذَا فَقَدَهُ يَقْوَى بِقَدْرِ مَحَبَّةِ الْمَحْبُوبِ .

الْقَلْبِ لِحُبِّ اللَّهِ ، وَلِسَانِهِ لِذِكْرِهِ وَجَمَعَ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَجَمَعَ لِسَانِهِ
وَقَلْبِهِ عَلَى رَبِّهِ ، فَعِشْقُهَا وَمَحَبَّتُهَا تُضِرُّ بِالْآخِرَةِ ، وَلَا بُدَّ ، كَمَا أَنَّ مَحَبَّةَ
الْآخِرَةِ تُضِرُّ بِالدُّنْيَا .

وَحَامِسُهَا أَنَّ مَحَبَّتَهَا تَجْعَلُهَا أَكْثَرَ هَمِّ الْعَبْدِ .

وَسَادِسُهَا أَنَّ مُحِبَّهَا أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا بِهَا ، وَهُوَ مُعَذَّبٌ فِي دُورِهِ
الثَّلَاثِ ، يُعَذَّبُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْصِيلِهَا ، وَفِي السَّعْيِ فِيهَا وَمُنَازَعَةِ أَهْلِهَا
وَفِي دَارِ الْبَرْزَخِ أَيَّ فِي الْقَبْرِ بِفَوَاتِهَا ، وَالْحَسْرَةِ عَلَيْهَا ، وَكَوْنِهِ قَدْ جِيلَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ عَلَى وَجْهِ لَا يَرْجُو اجْتِمَاعَهُ بِهِ أَبَدًا وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ هُنَاكَ
مَحْبُوبٌ يُعَوِّضُهُ عَنْهُ .

فَهَذَا أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا فِي قَبْرِهِ ، يَعْمَلُ الْهَمُّ ، وَالْغَمُّ ، وَالْحَزَنُ
وَالْحَسْرَةُ ، فِي رُوحِهِ مَا تَعْمَلُ الدِّيدَانُ وَهَوَامُّ الْأَرْضِ فِي جَسْمِهِ .

وَسَابِعُهَا أَنَّ عَاشِقُهَا وَمُحِبَّهَا الَّذِي يُؤْثِرُهَا عَلَى الْآخِرَةِ مِنْ أَسْفِهِ
الْخَلْقِ وَأَقْلَبِهِمْ عَقْلًا ، إِذْ آثَرَ الْخَيَالَ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَالْمَنَامَ عَلَى الْيَقَظَةِ
وَالظِّلَّ الزَائِلَ عَلَى النَّعِيمِ الدَّائِمِ وَالْدَّارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ إِنَّ
الْلَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ .

ثُمَّ عَقَدَ فَضْلًا وَذَكَرَ فِيهِ أَمْثِلَةً تُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا : الْمَثَالُ الْأَوَّلُ :
لِلْعَبْدِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ ، حَالَةٌ لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْئًا ، وَهِيَ مَا قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ ،
وَحَالَةٌ أُخْرَى وَهِيَ مِنْ سَاعَةِ مَوْتِهِ ، إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فِي الْبَقَاءِ السَّرْمَدِيِّ
فَلِنَفْسِهِ وَجُودٌ بَعْدَ خُرُوجِهَا مِنَ الْبَدَنِ ، إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا فِي النَّارِ .

ثُمَّ تَعَادَ إِلَى بَدَنِهِ ، فَيُجَاوِزُ بِعَمَلِهِ ، وَيَسْكُنُ إِحْدَى الدَّارَيْنِ فِي

شعراً قال بعضهم يُخَاطَبُ نَفْسَهُ :

إِلَى مَ أَرَى يَا قَلْبُ مِنْكَ التَّارَخِيَا
وَقَدْ حَلَّ وَخَطُّ الشَّيْبِ بِالرَّأْسِ ثَاوِيَا
وَأُخْبِرَ عَنْ قُرْبِ الرَّجِيلِ نَصِيحَةً
فَدُونَكَ طَاعَاتٍ وَخَلَّ الْمَسَاوِيَا
وَعُضُّ عَلَى مَا فَاتَ مِنْكَ أَنَامِيلاً
وَفَجَّرَ مِنَ الْعَيْنِ الدَّمْعَ الْهَوَامِيَا
فَكَمْ مَرَّةً وَافَقْتَ نَفْساً مَرِيئَةً
فَقَدْ حَمَلْتَ شِراً عَلَيْكَ الرُّوَاسِيَا
وَكَمْ مَرَّةً أَحْدَثْتَ بِدَعَا لِسَهْوَةٍ
وَعَادَرْتَ هَذِيأَ مُسْتَقِيماً تَوَانِيَا
وَكَمْ مَرَّةً أَمَرَ الْإِلَهَ نَبَذَتَهُ
وَطَاوَعْتَ شَيْطَاناً عَدُوّاً مُدَاجِيَا
وَكَمْ مَرَّةً قَدْ خُضْتَ بَحْرَ غَوَايَةٍ
وَأَسَخَطْتَ رَبّاً بِاِكْتِسَابِ الْمَعَاصِيَا
وَكَمْ مَرَّةً بِرَّ الْإِلَهَ غَمَضْتَهُ
وَقَدْ صِرْتَ فِي كُفْرَانِهِ مُتَمَادِيَا
وَلَا زِلْتَ بِالدُّنْيَا حَرِيصاً وَمُؤْلِعاً
وَقَدْ كُنْتَ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ سَاهِيَا
فَمَا لَكَ فِي بَيْتِ الْبَلَاءِ إِذْ نَزَلَتْهُ
عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ وَالْمَالِ نَائِيَا

فَتُسْأَلُ عَنْ رَبِّ وَدِينِ مُحَمَّدٍ
فَإِنْ قُلْتَ هَاهُ فَادِرْ أَنْ كُنْتَ هَبَاوِيَا
وَيَأْتِيكَ مِنْ نَارٍ سَمُومٌ أَلِيمَةٌ
وَتُبْصَرُ فِيهَا عَقْرِبَاءٌ وَأَفَاعِيَا
وَيَأْتِي شِعْرِي كَيْفَ حَالُكَ إِذْ نُصِبَ
صِرَاطٌ وَمِيزَانٌ يُبَيِّنُ الْمَطَاوِيَا
فَمَنْ نَاقَشَ الرَّحْمَنُ نُوقِشَ بَشَّةً
وَأُلْقِيَ فِي نَارٍ وَإِنْ كَانَ وَالِيَا
هُنَالِكَ لَا تَجْزِيهِ نَفْسٌ عَنِ الرَّدَى
فَكُلُّ أَمْرٍ فِي غَمٍّ كَانَ جَائِيَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاخْتِمْ لَنَا
بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

المثالُ الثالثُ لَهَا وَلِأَهْلِهَا فِي اسْتِغَاثِهِمْ بِنَعِيمِهَا عَنْ الْآخِرَةِ وَمَا
يُعْقِبُهُمْ مِنَ الْحَسَرَاتِ مَثَلُ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي غَفْلَتِهِمْ مَثَلُ قَوْمٍ رَكَبُوا سَفِينَةً
فَانْتَهَتْ بِهِمْ إِلَى جَزِيرَةٍ فَأَمَرَهُمُ الْمَلَأُ بِالْخُرُوجِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ وَحَذَّرَهُمُ
الْإِبْطَاءَ ، وَخَوَّفَهُمْ مُرُورَ السَّفِينَةِ .

فَتَفَرَّقُوا فِي نَوَاجِي الْجَزِيرَةِ ، فَقَضَى بَعْضُهُمْ حَاجَتَهُ وَبَادَرَ إِلَى
السَّفِينَةِ فَصَادَفَ الْمَكَانَ خَالِيًا ، فَأَخَذَ أَوْسَعَ الْأَمَاكِنِ وَأَلْيَنَهَا .

وَوَقَّفَ بَعْضُهُمْ فِي الْجَزِيرَةِ ، يَنْظُرُ إِلَى أَزْهَارِهَا وَأَنْوَارِهَا الْعَجِيبَةِ
وَيَسْمَعُ نَغَمَاتِ طُيُورِهَا ، وَيُعْجِبُهُ حُسْنُ أَحْجَارِهَا ، ثُمَّ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِفَوَاتِ
السَّفِينَةِ ، وَسُرْعَةِ مُرُورِهَا ، وَخَطَرِ ذَهَابِهَا فَلَمْ يُصَادِفْ إِلَّا مَكَانًا ضَيِّقًا
فَجَلَسَ فِيهِ .

وَأَكْبَّ بَعْضُهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحِجَارَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ، وَالْأَزْهَارِ الْفَائِقَةِ
فَحَمَلَ مِنْهَا حِمْلَهُ فَلَمَّا جَاءَ لَمْ يَجِدْ فِي السَّفِينَةِ إِلَّا مَكَانًا ضَيِّقًا ، وَزَادَهُ حِمْلُهُ
ضَيِّقًا ، فَصَارَ مَحْمُولُهُ ثَقَلًا عَلَيْهِ ، وَوَبَالًا وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى نَبْذِهِ بَلْ لَمْ يَجِدْ
مِنْ حَمْلِهِ بُدًّا وَلَمْ يَجِدْ لَهُ فِي السَّفِينَةِ مَوْضِعًا ، فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ وَنَدِمَ
عَلَى أَخْذِهِ ، فَلَمْ تَنْفَعُهُ النَّدَامَةُ ، ثُمَّ ذَبَلَتْ الْأَزْهَارُ ، وَتَغَيَّرَتْ أَرَائِيجُهَا
وَأَذَاهُ نَتْنُهَا .

وَتَوَلَّجَ بَعْضُهُمْ فِي تِلْكَ الْغِيَاضِ ، وَنَسِيَ السَّفِينَةَ ، وَأَبْعَدَ فِي
نُزْهِتِهِ ، حَتَّى إِنْ الْمَلَّاحَ نَادَى بِالنَّاسِ ، عِنْدَ دَفْعِ السَّفِينَةِ ، فَلَمْ يَبْلُغْهُ
صَوْتُهُ ، لاشتِغَالِهِ بِمَلَاهِيهِ ، فَهُوَ تَارَةً يَتَنَاوَلُ مِنَ الثَّمَرِ وَتَارَةً يَشُمُّ تِلْكَ
الْأَزْهَارِ وَتَارَةً يُعْجَبُ مِنْ حُسْنِ الْأَشْجَارِ .

وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ خَائِفٌ مِنْ سَبْعٍ يَخْرُجُ عَلَيْهِ ، غَيْرَ مُنْفَكٍّ مِنْ شَوْكٍ
يَتَشَبَّثُ فِي ثِيَابِهِ ، وَيَدْخُلُ فِي قَدَمَيْهِ أَوْ غُصْنٍ يَجْرَحُ بَدَنَهُ أَوْ عَوْسَجٍ
يُخْرِقُ ثِيَابَهُ ، وَيَهْتِكُ عَوْرَتَهُ ، أَوْ صَوْتٍ هَائِلٍ يُفْزَعُهُ .

ثُمَّ مَنْ هُوَ لَا مَنْ لَحِقَ بِالسَّفِينَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا مَوْضِعٌ ، فَمَاتَ
عَلَى السَّاحِلِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَغَلَهُ لَهْوُهُ ، فَافْتَرَسَتْهُ السَّبَاعُ وَنَهَشَتْهُ الْحَيَّاتُ
وَمِنْهُمْ مَنْ تَاهَ فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى هَلَكَ ، فَهَذَا مِثَالُ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي

اشْتَغَالِهِمْ بِحُظُوظِهِمِ الْعَاجِلَةِ ، وَنَسْيَانِهِمْ مَوْرَدَهُمْ وَعَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ ، وَمَا أَقْبَحَ بِالْعَاقِلِ أَنْ تَغُرَّهُ أَحْجَارٌ ، وَنَبَاتٌ يَصِيرُ هَشِيمًا .

المثال الرابع لا غترار الناس بالدُّنيا ، وَضَعْفُ إِيمَانِهِمْ بِالْآخِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكَوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَذَرُوا مَا سَلَكَوا مِنْهَا أَكْثَرَ أَمْ مَا بَقِيَ ، أَنْفَدُوا الزَّادَ ، وَحَسَرُوا الظَّهْرَ ، وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَفَازَةِ ، لَا زَادَ وَلَا حُمُولَةَ ، فَأَيَقُنُوا بِالْهَلَكَةِ .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ يَقْطُرُ رَأْسُهُ ، فَقَالُوا إِنَّ هَذَا قَرِيبُ عَهْدٍ بَرِيفٍ ، وَمَا جَاءَكُمْ هَذَا إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ ، قَالَ يَا هَؤُلَاءِ عَلَامَ أَنْتُمْ ، قَالُوا عَلَى مَا تَرَى ، قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُكُمْ عَلَى مَاءٍ رَوَاءَ وَرِيَاضٍ خَضِرٍ مَا تَجْعَلُونَ لِي ؟ .

قَالُوا لَا نَعْصِيكَ شَيْئًا ، قَالَ عُهْدُكُمْ ، وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ ، قَالَ فَأَعْطَوْهُ عُهْدَهُمْ ، وَمَوَائِقَهُمْ بِاللَّهِ لَا يَعْصُونَهُ شَيْئًا قَالَ فَأَوْرَدَهُمْ مَاءً وَرِيَاضًا خَضِرًا قَالَ فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ الرَّحِيلَ ، قَالُوا إِلَى أَيْنَ ، قَالَ إِلَى مَاءٍ لَيْسَ كَمَايُكُمْ وَرِيَاضٍ لَيْسَتْ كَرِيَاضِكُمْ ، قَالَ فَقَالَ جُلُّ الْقَوْمِ ، وَهُمْ أَكْثَرُهُمْ وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا هَذَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَجِدَهُ ، وَمَا نَصْنَعُ بِعَيْشٍ هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا ؟ .

قَالَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ وَهُمْ أَقَلُّهُمْ ، أَلَمْ تُعْطُوا هَذَا الرَّجُلَ عُهْدَكُمْ ، وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ ، لَا تَعْصُونَهُ شَيْئًا ، وَقَدْ صَدَقَكُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ ، فَوَاللَّهِ

لِيُصَدِّقَنَّكُمْ فِي آخِرِهِ ، فَرَّاحَ يَمَنْ أَتْبَعَهُ ، وَتَخَلَّفَ بَقِيَّتُهُمْ ، فَبَادَرَهُمْ
عَدُوَّهُمْ ، فَأَصْبَحُوا بَيْنَ أَسِيرٍ وَقَتِيلٍ .

شعرا :

إِذَا عَاجَلَ الدُّنْيَا أَلَمَ بِمَفْرَحِ
فَمِنْ خَلْفِهِ فَجَعُ سَيِّئُلُوهُ آجِلُ
وَكَانَتْ حَيَاةُ الْحَيِّ سَوْقًا إِلَى الرَّدَى
وَأَيَّامُهُ دُونَ الْمَمَاتِ مَرَّاجِلُ
وَمَا لُبْتُ مَنْ يَغْدُو وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ
لَهُ أَجَلٌ فِي مُدَّةِ الْعُمُرِ قَاتِلُ
وَلِلْمَرءِ يَوْمٌ لَا مَحَالَةَ مَا لَهُ
غَدٌ وَسَطَ عَامٍ مَالَهُ الدَّهْرُ قَابِلُ
كَفَانَا اعْتِرَافًا بِالْفَنَاءِ وَرُقْبَةً
لِمَكْرُوهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْخُلْدِ آمِلُ

آخر :

أَرَانِي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْمَالِ زَاهِدًا	وَفِي شَرَفِ الدُّنْيَا وَفِي الْعِزِّ أَرْهَدًا
تَخَلَّيْتُ عَنْ دُنْيَايَ إِلَّا ثَلَاثَةً	دَفَاتِرَ مَنْ عِلْمٍ وَبَيْتًا وَمَسْجِدًا
غَنَيْتُ بِهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَوَيْتُهُ	وَكُنْتُ بِهَا أَغْنَى وَأَقْنَى وَأَسْعَدًا
وَكَمْ قَدَّرَ أَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ مُشْرِفٍ	يَبِيتُ مَقْرَأً بِالضَّلَالَةِ مُجْهَدًا
أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَهُوَ فِي حِينٍ غَفْلَةٍ	فَأُضْحَى ذَلِيلًا فِي التُّرَابِ مُوسَّدًا

اللهم ثَبِّتْ مَجَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَثَبِّتْ إِيمَانَنَا وَنَوِّرْ بَصَائِرَنَا وَاهْدِنَا سُبُلَ
السَّلَامِ وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ
وَاعْمُرْ أَوْقَاتَنَا بِتِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَأَرْزُقْنَا التَّدَبُّرَ لَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ
وَاعْفُ رَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

المِثَالُ الْخَامِسُ لِلدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، مَا مَثَّلَهَا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَظِلِّ شَجَرَةٍ ، وَالْمَرْءُ مُسَافِرٌ فِيهَا إِلَى اللَّهِ ، فَاسْتَظَلَّ فِي ظِلِّ تِلْكَ الشَّجَرَةِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا .

فَتَأَمَّلْ حُسْنَ هَذَا الْمِثَالِ ، وَمُطَابَقَتَهُ لِلْوَاقِعِ سَوَاءً ، فَإِنَّهَا فِي خُضْرَتِهَا كَشَجَرَةٍ ، وَفِي سُرْعَةِ انْقِضَائِهَا وَقَبْضِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا كَالظِّلِّ وَالْعَبْدُ مُسَافِرٌ إِلَى رَبِّهِ ، وَالْمُسَافِرُ إِذَا رَأَى شَجَرَةً فِي يَوْمٍ صَائِفٍ لَا يَحْسُنُ بِهِ أَنْ يَبْنِيَ تَحْتَهَا دَارًا ، وَلَا يَتَّخِذَهَا قَرَارًا ، بَلْ يَسْتَظِلُّ بِهَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ ، وَمَتَى زَادَ عَلَى ذَلِكَ انْقِطَاعَ عَنِ الرَّفَاقِ .

المِثَالُ السَّادِسُ تَمْثِيلُهُ لَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمُدْخِلِ أَصْبُعِهِ فِي الْيَمِّ ، فَالَّذِي يَرْجِعُ بِهِ أَصْبُعُهُ مِنَ الْبَحْرِ هُوَ مَثَلُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ .

المِثَالُ السَّابِعُ مَا مَثَّلَهَا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّفِقِ عَلَى صِحَّتِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ ، عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ ، فَقَالَ إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا ، وَزِينَتِهَا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ، فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

ثُمَّ قَالَ كَيْفَ قُلْتَ ؟ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ ، وَإِنَّ مِمَّا

يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبْطًا أَوْ يُلِمُّ ، إِلَّا آكَلَةَ الْخَضِرِ ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا
امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا ، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسُ فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ فَعَادَتْ
فَأَكَلَتْ .

فَمَنْ أَخَذَ مَالًا بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَ مَالًا بِغَيْرِ حَقٍّ ، فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، فَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مِمَّا يَخَافُ
عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا ، وَسَمَاهَا زَهْرَةً ، فَشَبَّهَهَا بِالزَّهْرِ ، فِي طَيِّبِ رَائِحَتِهِ وَحُسْنِ
مَنْظَرِهِ ، وَقِلَّةِ بَقَائِهِ .

فهذه الفقرة اليسيرة ، من جوامعِ كلمةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
حَوَتْ عَلَى إيجازها بَشَارَةَ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ بِمَا سَيَكُونُ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، مِنْ
فَتْحِ الْبِلَادِ ، وَإِخْضَاعِ الْعِبَادِ ، وَجَلْبِ الْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ ، وَالْغَنَائِمِ
الكَثِيرَةِ ، وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الْغُرُورِ ، وَالرُّكُونِ إِلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْفَانِيَةِ ،
وَالْأَعْرَاضِ الزَّائِلَةِ .

وَضَرَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلَيْنِ حَكِيمَيْنِ أَحَدُهُمَا مَثَلُ الْمَفْرِطِ
فِي جَمْعِ الدُّنْيَا ، وَالْآخَرُ مَثَلُ الْمُقْتَصِدِ فِيهَا ، أَمَّا الْأَوَّلُ ، فَمَثَلُهُ مَثَلُ
الرَّبِيعِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ فَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبْطًا أَوْ يُلِمُّ ، بَأَنَّ
يُقَارِبُ الْهَلَكَ .

فهذا المطرُ ماءٌ ينزلهُ لِإِغَاثَةِ الْخَلْقِ وَإِرْوَاءِ كُلِّ ذِي رُوحٍ فَرَّغَمَ
فَوَائِدِهِ الْكَثِيرَةِ وَمَنَافِعِهِ الْغَزِيرَةِ وَمَا يَتَسَبَّبُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ إنبَاتِ الْعُشْبِ
وَالْكَلَاءِ ، يَأْكُلُ مِنْهُ الْحَيَوَانُ فَيُكْثِرُ فَيَنْتَفِخُ بَطْنُهُ ، فَيَهْلِكُ أَوْ يَقَارِبُ
الْهَلَكَ ، وَكَذَلِكَ الَّذِي يُكْثِرُ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ ، وَيَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْجَشَعِ
وَالشَّرِّ ، وَالْحِرْصِ ، مَا يَتَجَاوَزُ بِهِ الْحَدَّ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَمَعَ الْمَالَ مِنْ
غَيْرِ حِلِّهِ ، وَمَنَعَ ذَا الْحَقِّ حَقَّهُ ، فَإِنْ لَمْ يَقْتُلْهُ قَارِبٌ أَنْ يَقْتُلَهُ .

وَلِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَمْوَالِ قَتَلْتَهُمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَنْتُمْ شَرُّهُوا فِي جَمْعِهَا ، وَاحْتِاجَ إِلَيْهَا غَيْرُهُمْ ، فَلَمْ يَصِلُوا إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِقَتْلِهِمْ ، أَوْ مَا يُقَارِبُ ذَلِكَ مِنْ إِذْلَالِهِمْ وَقَهْرِهِمْ وَالضُّغْطِ عَلَيْهِمْ .

وَأَمَّا الْمَثَالُ الثَّانِي : وَهُوَ مَثَالُ الْمُقْتَصِدِ فِي جَمْعِ الدُّنْيَا ، الطَّالِبِ لِحِلِّهَا ، فَقَدْ مَثَّلَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ « إِلَّا آكَلَةِ الْخَضِرِ » ، فَكَأَنَّهُ قَالَ أَلَا انظُرُوا آكَلَةَ الْخَضِرَاءِ ، وَاعْتَبِرُوا بِشَأْنِهَا « أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا » وَعَظُمَ جَنْبَاهَا ، أَقْلَعَتْ سَرِيعاً « اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ » تَسْتَمْرِيءُ بِذَلِكَ مَا أَكَلْتُ وَتَجْتَرُّهُ « فَثَلَطْتُ » أَلَقْتُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنْ أَدَى سَهْلًا رَقِيقًا .

وَفِي قَوْلِهِ « اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطْتُ وَبَالَتْ » ثَلَاثُ فَوَائِدَ أَحَدُهَا أَنَّهَا لَمَّا أَخَذَتْ حَاجَتَهَا مِنَ الْمَرْعَى تَرَكَّتُهُ ، وَبَرَكَتْ مُسْتَقْبِلَةً عَيْنَ الشَّمْسِ ، تَسْتَمْرِيءُ ، الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهَا أَعْرَضَتْ عَمَّا يَضُرُّهَا مِنَ الشَّرِّ فِي الْمَرْعَى ، وَأَقْبَلَتْ عَلَى مَا يَنْفَعُهَا ، مِنْ اسْتِقْبَالِ الشَّمْسِ الَّتِي يَحْصُلُ لَهَا بِحَرَارَتِهَا انْضَاجُ مَا أَكَلَتْهُ وَإِخْرَاجُهُ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّهَا اسْتَفْرَغَتْ بِالْبَوْلِ وَالثَّلْطِ مَا جَمَعَتْهُ مِنَ الْمَرْعَى فِي بَطْنِهَا ، فَاسْتَرَاحَتْ بِإِخْرَاجِهِ وَلَوْ بَقِيَ فِيهَا لَقَتَلَهَا ، هَكَذَا جَامِعُ الْمَالِ مَصْلَحَتُهُ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ كَمَا فَعَلَتْ هَذِهِ الشَّاةُ فَتَنَبَّهَ لِذَلِكَ أَيُّهَا الْمُغْفَلُ الْجَمُوعُ الْمَنُوعُ .

وَإِيَّاكَ وَالْدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ إِنَّهَا
هِيَ السِّحْرُ فِي تَخْيِيلِهِ وَافْتِرَائِهِ
مَتَاعُ غُرُورٍ لَا يَدُومُ سُرُورُهَا
وَأَضْغَاثُ حُلُمٍ خَادِعٍ بِهِبَائِهِ

فَمَنْ أَكْرَمَتْ يَوْمًا أَهَانَتْ لَهُ غَدًا
وَمَنْ أَضْحَكَتْ قَدْ آذَنْتْ بِكُأَيْهِ
وَمَنْ تُسْقِيهِ كَأْسًا مِنَ الشَّهْدِ غُدْوَةً
تُجَرِّعُهُ كَأْسَ الرَّدَى فِي مَسَائِهِ
وَمَنْ تَكْسُ تَاجَ الْمُلْكِ تَنْزَعُهُ عَاجِلًا
بِأَيْدِي الْمَنَايَا أَوْ بِأَيْدِي عِدَائِهِ
أَلَا إِنَّهَا لِلْمَرْءِ مِنْ أَكْبَرِ الْعِذَا
وَيَحْسِبُهَا الْمَغْرُورُ مِنْ أَصْدِقَائِهِ
فَلَذَاتُهَا مَسْمُومَةٌ وَوَعُودُهَا
سَرَابٌ فَمَا الظَّالِمِي رَوَى مِنْ غَنَائِهِ
وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ ذِمَّتِهَا
وَكَمْ ذِمَّتُهَا الْأَخْيَارُ مِنْ أَصْفِيَائِهِ
فَدُونُكَ آيَاتِ الْكِتَابِ تَجِدُ بِهَا
مِنْ الْعِلْمِ مَا يَجْلُوا الصَّدَا بِجَلَائِهِ
وَمَنْ يَكُ جَمْعُ الْمَالِ مَبْلَغَ عِلْمِهِ
فَمَا قَلْبُهُ إِلَّا مَرِيضًا بِدَائِهِ
فَدَعَهَا فَإِنَّ الزُّهْدَ فِيهَا مُحْتَمٌ
وَإِنْ لَمْ يَقُمْ جُلُّ الْوَرَى بِأَدَائِهِ
وَمَنْ لَمْ يَذَرَهَا زَاهِدًا فِي حَيَاتِهِ
سَتَزْهَدُ فِيهِ النَّاسُ بَعْدَ فَنَائِهِ
فَتَشْرُكُهُ يَوْمًا صَرِيْعًا بِقَبْرِهِ
رَهِينًا أَسِيرًا آيسًا مِنْ وَرَائِهِ

وَيَنْسَاهُ أَهْلُوهُ الْمُفْذَى لَدَيْهِمْ
وَتَكْسُوهُ ثَوْبَ الرُّخَصِ بَعْدَ غَلَائِهِ
وَيَنْتَهَبُ الْوَرَاثُ أَمْوَالَهُ الَّتِي
عَلَى جَمْعِهَا قَاسَى عَظِيمَ شَقَائِهِ
وَتُسْكِنُهُ بَعْدَ الشَّوَاهِقِ حُفْرَةً
تَضِيقُ بِهِ بَعْدَ اتِّسَاعِ فَضَائِهِ
يُقِيمُ بِهَا طَوْلَ الزَّمَانِ وَمَالَهُ
أَنْ يَسُودَ سِوَى دَاوُدَ سَعَى فِي حَشَائِهِ
فَوَاهَا لَهَا مِنْ غُرْبَةٍ ثُمَّ كُرْبَةٍ
وَمِنْ تُرْبَةٍ تَحْوِي الْفَتَى لِبَلَائِهِ
وَمِنْ بَعْدِ ذَا يَوْمِ الْحِسَابِ وَهَوْلِهِ
فَيُجْزَى بِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ فِي جَزَائِهِ
وَلَا تَنْسَ ذِكْرَ الْمَوْتِ فَالْمَوْتُ غَائِبٌ
وَلَا بُدَّ يَوْمًا لِلْفَتَى مِنْ لِقَائِهِ
قَضَى اللَّهُ مَوْلَانَا عَلَى الْخَلْقِ بِالْفَنَاءِ
وَلَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ نُفُودِ قَضَائِهِ
فَخُذْ أَهْبَةً لِلْمَوْتِ مِنْ عَمَلِ التَّقَى
لِتَغْنَمَ وَقْتُ الْعُمْرِ قَبْلَ انْقِضَائِهِ
وَإِيَّاكَ وَالْأَمَالَ فَالْعُمُرُ يَنْقُضِي
وَأَسْبَابُهَا مَمْدُودَةٌ مِنْ وَرَائِهِ
وَحَافِظُ عَلَى دِينِ الْهُدَى فَلَعَلَّهُ
يَكُونُ خِتَامَ الْعُمْرِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ

فَدُونُكَ مِنِّي فَاسْتَمِعْهَا نَصِيحَةً
تُضَارِعُ لَوْنَ التَّيْرِ حَالَ صَفَائِهِ
وَصَلِّي عَلَى طُوبَى الزَّمَانِ مُسَلِّمًا
سَلَامًا يَفُوقُ الْمِسْكَ عَرْفُ شِدَائِهِ
عَلَى خَاتَمِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ مُحَمَّدٍ
وَأَصْحَابِهِ وَالْأَلِ أَهْلِ كِسَائِهِ
وَاتَّبَاعِهِمْ فِي الدِّينِ مَا اهْتَزَّ بِالرُّبَا
رِيَاضُ سَقَاهَا طَلَّهَا بِنْدَائِهِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ وَالْإِسْتِنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا
مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ وَأَرْزُقْنَا الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَآيَاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، أَنْ
الْأَلْفَةَ ثَمَرَةً حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَالتَّفَرُّقَ ثَمَرَةً سُوءِ الْخُلُقِ ، فَحُسْنُ الْخُلُقِ
يُوجِبُ التَّحَابَ ، وَالتَّالْفَ وَالتَّوَافُقَ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ يَثْمُرُ التَّبَاغُضَ ،
وَالْتَحَاسُدَ ، وَالتَّدَابُرَ .

وَمَهْمَا كَانَ الْمُثْمِرُ مَحْمُودًا ، كَانَتْ الثَّمَرَةُ مَحْمُودَةً ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ
لَا تَخْفَى فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ
عَظِيمٍ ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ ،
وَحُسْنُ الْخُلُقِ) ، وَقَالَ أُسَامَةُ بْنُ شَرِيكٍ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا خَيْرُ مَا

أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ ؟ فَقَالَ : حُسْنُ الْخَلْقِ (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ خُلُقُ
حَسَنٌ) ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْمُؤْمِنُ أَلْفُ مَالُوفٍ ، وَلَا خَيْرَ
فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ) ، وَلَأَبَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ فِي آدَابِ
الصُّحْبَةِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ : مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِخْوَانٌ
صَالِحِينَ) .

وَالْإِخَاءُ أَرْبَعُ خُصَالٍ : الْأَوَّلَى الْعَقْلُ الْمَوْفُورُ الْهَادِي إِلَى مَرَاشِدِ
الْأُمُورِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْحَقَّ لَا تَثْبُتُ مَعَهُ مَوَدَّةٌ وَلَا تَدْوُمُ مَعَهُ صُحْبَةٌ ،
لِعَدَمِ مُرَاعَاتِهِ حُقُوقَ الْإِخَاءِ .

وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ الدِّينَ الْوَاقِفُ بِصَاحِبِهِ عَلَى الْخَيْرَاتِ ، فَإِنَّ تَارِكَ
الدِّينِ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ يُلْقِيهَا فِي الْمَهَالِكِ ، فَكَيْفَ يُرْجَى مِنْهُ نَفْعٌ وَمَوَدَّةٌ
لِغَيْرِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ اضْطَحَبْ مِنْ الْإِخْوَانِ صَاحِبَ الدِّينِ ،
وَالْحَسَبِ ، وَالرَّأْيِ وَالْأَدَبِ ، فَانْهَ عَوْنُكَ عِنْدَ حَاجَتِكَ ، لِأَنَّ دِينَهُ يُحْتِمُ
عَلَيْهِ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ مِنْ مُقْتَضِيَاتِهِ وَيَدُّ عِنْدَ نَائِبَتِكَ ، وَذَلِكَ مِنْ مُوجِبَاتِ
رَأْيِهِ ، وَحَسَبِهِ ، وَأَنْسُ عِنْدَ وَحْشَتِكَ لِأَدَبِهِ .

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْعَارِفِينَ : الْأَخُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنْ نَفْسِكَ ، لِأَنَّ
النَّفْسَ أَمَارَةً بِالسُّوءِ ، وَالْأَخُ الصَّالِحُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ .

الثَّالِثَةُ : أَنْ يَكُونَ مَحْمُودَ الْأَخْلَاقِ ، مَرْضِيَّ الْأَفْعَالِ ، مُؤَثَرًا

لِلْخَيْرِ ، آمراً به لِخَلِيلِهِ ، كَارهاً لِلشَّرِّ دِيَانَةً ، وَخُلُقاً ، نَاهياً عَنِ الشَّرِّ
مُرُوَّةً وَحَسَباً ، فَإِنَّ مَوَدَّةَ الشَّرِّيرِ تَكْسِبُ الْأَعْدَاءَ ، وَتُفْسِدُ الْأَخْلَاقَ ، وَلَا
خَيْرَ فِي مَوَدَّةِ تَجَلِبُ عَدَاوَةً ، وَتُورِثُ مَذَمَّةً وَمَلَامَةً .

وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلَيْنِ لِلْجَلِيسِ الصَّالِحِ ،
وَالْجَلِيسِ السُّوءِ ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ ، وَالْجَلِيسِ
السُّوءِ ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ ، وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ
يَحْذِيكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ
إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحَةً نَجِيسَةً) ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

هَذَا الْحَدِيثُ يُفِيدُ أَنَّ الْجَلِيسَ الصَّالِحَ جَمِيعُ أَحْوَالِ صَدِيقِهِ مَعَهُ
خَيْرٌ وَبَرَكَهَةٌ وَنَفْعٌ وَمَغْنَمٌ مِثْلُ حَامِلِ الْمِسْكِ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِمَا مَعَهُ مِنْهُ ، وَإِمَّا
بِهَبَّةٍ ، أَوْ بَبَيْعٍ أَوْ أَقْلُ شَيْءٍ مُدَّةَ الْجُلُوسِ مَعَهُ ، وَأَنْتَ قَرِيرُ النَّفْسِ ،
مُنْشَرَحَ الصُّدْرِ ، بِرَائِحَةِ الْمِسْكِ .

وَهَذَا تَقْرِيبٌ ، وَتَشْبِيهُ لَهُ بِذَلِكَ وَإِلَّا فَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي
يُصِيبُهُ الْعَبْدُ مِنْ جَلِيسِهِ الصَّالِحِ أَبْلَغُ وَأَفْضَلُ مِنَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ ، فَانْه إِمَّا
أَنْ يُعَلِّمَكَ أُمُوراً تَنْفَعُكَ فِي دِينِكَ ، وَإِمَّا أَنْ يُعَلِّمَكَ أُمُوراً تَنْفَعُكَ فِي
دُنْيَاكَ ، أَوْ فِيهِمَا جَمِيعاً ، أَوْ يُهْدِي لَكَ نَصِيحَةً تَنْفَعُكَ مُدَّةَ حَيَاتِكَ ، وَبَعْدَ
وَفَاتِكَ أَوْ يَنْهَكَ عَمَّا فِيهِ مَضَرَّةٌ لَكَ .

فَأَنْتَ مَعَهُ دَائِماً فِي مَنْفَعَةٍ ، وَرَبُّحِكَ مَضْمُونٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَتَجِدُهُ
دَائِماً يَرَى أَنَّكَ مُقْصِرٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، فَتَزْدَادُ هِمَّتَكَ فِي الطَّاعَةِ ، وَتَجْتَهِدُ

فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا ، وَتَرَاهُ يُبَصِّرُكَ بِعُيُوبِكَ ، وَيَدْعُوكَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ،
وَمَحَاسِنِهَا بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَحَالِهِ .

فَالْإِنْسَانُ مَجْبُورٌ عَلَى التَّقْلِيدِ ، وَالْاِقْتِدَاءِ بِصَاحِبِهِ ، وَجَلِيسِهِ ،
وَالطَّبَاعِ وَالْأَرْوَاحِ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، يَقُودُ بَعْضُهَا إِلَى الْخَيْرِ ، أَوْ إِلَى الشَّرِّ ،
وَأَقْلُ نَفْعٍ يَحْصُلُ مِنَ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ انْكَفَافُ الْإِنْسَانِ بِسَبَبِهِ عَنِ
السَّيِّئَاتِ ، وَالْمَسَاوِي وَالْمَعَاصِي ، رِعَايَةُ لِلصُّحْبَةِ ، وَمُنَافَسَةٌ فِي الْخَيْرِ
وَتَرْفَعًا عَنِ الشَّرِّ .

وَمِنْ مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ أَنَّهُ يَحْمِي عِرْضَكَ فِي
مَغِيبِكَ ، وَفِي حَضْرَتِكَ ، يُدَافِعُ وَيَذُبُّ عَنْكَ ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّكَ تَنْتَفِعُ
بِدُعَائِهِ لَكَ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا .

وَأَمَّا مُصَاحَبَةُ الْأَشْرَارِ فَهِيَ السُّمُّ النَاقِعُ ، وَالْبَلَاءُ الْوَاقِعُ ، فَتَجِدُهُمْ
يُشَجِّعُونَ عَلَى فِعْلِ الْمَعَاصِي ، وَالْمُنْكَرَاتِ ، وَيَرْغَبُونَ فِيهَا وَيَفْتَحُونَ
لِمَنْ خَالَطَهُمْ ، وَجَالَسَهُمْ أَبْوَابَ الشُّرُورِ وَيُزَيِّنُونَ لِمُجَالَسَتِهِمْ أَنْوَاعَ
الْمَعَاصِي .

وَيَحُثُّونَهُمْ عَلَى أَذِيَةِ الْخَلْقِ ، وَيُذَكِّرُونَهُمْ بِأُمُورِ الْفَسَادِ ، الَّتِي لَمْ
تَدْرُ فِي خَلْدِهِمْ ، وَإِنْ هُمْ بِتَوْبَةٍ وَانْزِجَارٍ عَنِ الْمَعَاصِي حَسَّنُوا عِنْدَهُ تَأْجِيلَ
ذَلِكَ ، وَطَوَّلَ الْأَمَلِ ، وَأَنَّ مَا أَنْتَ فِيهِ أَهْوَنُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَفِي إِمْكَانِكَ
التَّوْبَةُ ، وَالْإِنَابَةُ إِذَا كَبُرَتْ فِي السِّنِّ .

وَمَا يُقَلِّدُهُمْ بِهِ وَيَكْسِبُهُ مِنْ طِبَاعِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ مَا ذَكَرْنَا ، وَكَمْ قَادُوا
أَصْحَابَهُمْ إِلَى الْمَهَالِكِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَكَمْ حَثَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ الدِّينِ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ مَنْ يُخَالِلُ) قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ لَا تُخَالِلْ إِلَّا مَنْ رَضِيتَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ فَإِنَّكَ إِذَا خَالَلتَهُ قَادَكَ إِلَى دِينِهِ ، وَمَذْهَبِهِ ، وَلَا تُغَرِّرْ بِدِينِكَ وَلَا تُخَاطِرْ بِنَفْسِكَ ، فَتُخَالِلْ مَنْ لَيْسَ مَرْضِيًّا فِي دِينِهِ وَمَذْهَبِهِ .

وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيِّنَةَ ، وَوَقَدْ رَوَى فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ انْظُرُوا إِلَى فِرْعَوْنَ مَعَهُ هَامَانَ وَانْظُرُوا إِلَى الْحِجَابِ مَعَهُ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ شَرُّ مَنْهُ قُلْتُ وَانْظُرُوا إِلَى يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ مَعَهُ مُسْلِمُ ابْنِ عَقْبَةَ الْمُرِّي شَرُّ مَنْهُ انْظُرُوا إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ صَحْبَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ الْكَنْدِيُّ أَحَدُ الْأَعْلَامِ الْأَفَاضِلِ ، فَقَوْمُهُ وَسَدَّدُهُ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ » قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَى الْحَدِيثِ لَا تَدْعُو إِلَى مُوَكَالَتِكَ إِلَّا الْأَتْقِيَاءَ ، لِأَنَّ الْمُؤَاكَلَةَ تَدْعُو إِلَى الْأُلْفَةِ ، وَتُوجِبُهَا ، وَتَجْمَعُ بَيْنَ الْقُلُوبِ ، يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَخَّ أَنْ يَكُونَ خُلَطَاؤُكَ وَذَوُّوَ الْاِخْتِصَاصِ بِكَ أَهْلُ التَّقْوَى .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا تَلْزَمُوا مَجَالِسَ الْعَشَائِرِ فَإِنَّهَا تُمِيتُ الْقَلْبَ ، وَلَا يُبَالِي الرَّجُلُ بِمَا تَكَلَّمُ ، نَادِيهِمْ ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْعَشَائِرِ فَإِنَّهُ أُخْرَى أَنْ تُحْفَظُوا فِي الْمَقَالَةِ) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُجَانِبَ طُلَّابَ الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ يَدُلُّونَهُ عَلَى طُلُبِهَا وَمَنْعِهَا وَذَلِكَ يُبْعِدُهُ عَنْ نَجَاتِهِ وَيَقْضِيَتِهِ عَنْهَا وَيَحْرُصُ وَيَجْتَهِدُ فِي عِشْرَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَطُلَّابِ الْآخِرَةِ .

وقال آخر : عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ مِمَّنْ تَسْلَمُ مِنْهُ فِي ظَاهِرِكَ وَتَعِينُكَ رُؤْيُتُهُ عَلَى الْخَيْرِ وَيُذَكِّرُكَ اللَّهُ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ قَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مُجَالَسَةِ مَنْ لَا يَسْفِيْدُ الْمَرْءُ بِهِ فَضِيلَةً ، وَلَا يَكْتَسِبُ بِصُحْبَتِهِ عِلْمًا وَأَدَبًا .

وعن وَدِيعَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ وَهُوَ يَعِظُ رَجُلًا لَا تَتَكَلَّمُ فِيهَا لَا يَغْنِيكَ ، وَاعْتِزْلْ عَدُوَّكَ ، وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ ، إِلَّا الْأَمِينَ وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ يَخْشَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيَطِيعُهُ ، وَلَا تَمْشِ مَعَ الْفَاجِرِ ، فَيُعَلِّمَكَ مِنْ فُجُورِهِ ، وَلَا تُطْلِعْهُ عَلَى سِرِّكَ وَلَا تُشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ إِلَّا الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ .

وَوَعِظَ بَعْضُهُمْ ابْنَهُ فَقَالَ لَهُ إِيَّاكَ وَإِخْوَانَ السُّوءِ ، فَإِنَّهُمْ يَخُونُونَ مَنْ رَافَقَهُمْ ، وَيُفْسِدُونَ مَنْ صَادَقَهُمْ ، وَقُرْبُهُمْ أَعْدَى مِنَ الْجَرْبِ ، وَرَفْضُهُمْ وَالْبُعْدُ عَنْهُمْ مِنْ اسْتِكْمَالِ الْأَدَبِ وَالِدِّينِ وَالْمَرْءُ يُعْرِفُ بَقَرِيْنِهِ ، قَالَ وَالْإِخْوَانُ إِثْنَانِ فَمُحَافِظٌ عَلَيْكَ عِنْدَ الْبَلَاءِ ، وَصَدِيقٌ لَكَ فِي الرَّخَاءِ ، فَاحْفَظْ صَدِيقَ الْبَلِيَّةِ ، وَتَجَنَّبْ صَدِيقَ الْعَافِيَةِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ :

« أَرَى النَّاسَ إِخْوَانَ الرَّخَاءِ وَإِنَّمَا أَخُوكَ الَّذِي آخَاكَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ »
« وَكُلَّ خَلِيلٍ بَالِهَوِينَا مَلَاظِفٌ وَلَكِنَّمَا الْإِخْوَانُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ »

آخر :

فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

آخر :

فَرِيْدٌ مِنَ الْخِلَافِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

آخر :

دَعَا الْإِخَاءَ مَعَ الرَّخَاءِ كَثِيرَةً
وَمَعَ الشَّدَائِدِ تُعْرِفُ الْإِخْوَانُ

وعن شريك بن عبد الله كان يُقال لا تسافر مع جبانٍ فإنه يفر من أبيه وأمه ، ولا تُسافر مع أحمق ، فإنه يخذلك أحوَجَ ما تكونُ إليه ولا تُسافر مع فاسقٍ فإنه يبيعك بأكله وشرته .

وعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُوا آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ ، مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ .

قال العلماء في هذا الحديث بيان أن الناس أصناف ، وطبقات ، وأنهم متفاوتون في الطباع ، والأخلاق ، فمنهم الخير الفاضل ، الذي يُنتفع بصحبته ، وصداقته ، ومجاورته ، ومشاورته ومقارنته ومشاركته ومصاهرته ولا ينسى ما أسديت إليه من معروف عندما كان محتاجا .

وإن أولى الموالى أن تُواليه عند السُرور الذي وآسأك في الحزن إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألُفهم في المنزل الحشِن

ومنهم الرديء الناقص العقل الذي يُتضرر بقربه ، وعشرته وصداقته وجميع الاتصالات به ضرر وشر ، ونكد ، وأشبهُ ما لهذا الدُّلْبُ المسمى الخنيز ، وبعضهم يُسميه شَبَاب النار ، فهذا النَّبْتُ يَمُصُّ الْمَاءَ عَنِ الشَّجَرِ وَالزَّرْعِ وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ ، وَيُضَرُّ مَنْ اتَّصَلَ بِهِ ، قال ابن القيم رحمه الله في وصف المنحرفين مُشَبَّهًا لَهُمْ بِهِ وَهُوَ شَبَّهٌ مُطَابِقٌ :

فَهُمْ لَدَى غَرَسِ الْإِلَهِ كَمَثَلِ غَرْسِ الدُّلْبِ بَيْنَ مَغَارِسِ الرُّمَانِ

يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعَ تَضْيِيقِهِ
أَبَدًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قُنُوانٍ

آخر:

النَّاسُ مِثْلُ ضُرُوفٍ حَشُوهُمَا صَبْرٌ وَفَوْقَ أَفْوَاهِهَا شَيْءٌ مِنَ الْعَسَلِ
تَغْرُ ذَائِقُهَا حَتَّى إِذَا كَشَفَتْ لَهُ تَبَيَّنَ مَا تَحْوِيهِ مِنْ دَخَلِ
ومنها السِّبَاخُ الْخَبِيثَةُ الَّتِي يَضِيعُ بُذُورُهَا ، وَيَبِيدُ زَرْعُهَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ
عَلَى حَسَبِ مَا يُشَاهَدُ مِنْهَا وَيُوجَدُ حَسًّا .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسُ مَعَادِنُ
قَالَ الْخَطَّابِيُّ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، وَفِي هَذَا الْقَوْلِ أَيْضًا بَيَانٌ أَنَّ اخْتِلَافَ
النَّاسِ غَرَائِظُ فِيهِمْ ، كَمَا أَنَّ الْمَعَادِنَ وَدَائِعَ مَرْكُوزَةً فِي الْأَرْضِ فَمِنْهَا الْجَوْهَرُ
النَّفِيسُ وَمِنْهَا الْفِلْزُ الْخَسِيسُ .

وكذلك جواهرُ الناسِ ، وطبائعُهم ، منها الزَّكِيُّ الرَضِيُّ ومنها
الناقصُ الدَّنِيءُ وَإِذَا كَانُوا كَذَلِكَ ، وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى الْعِيَانِ مِنْهُمْ مُشْكِلًا
وَاسْتِبرَاءُ الْعَيْبِ فِيهِمْ مُتَعَذِّرًا فَالْحَزْمُ إِذَا الْأَمْسَاكُ عَنْهُمْ ، وَالتَّوَقُّفُ عَنْ
مُدَاخَلَتِهِمْ إِلَى أَنْ تَكْشِفَ الْمِحْنَةُ عَنْ أَسْرَارِهِمْ وَيَوَاطِنِ أَمْرِهِمْ فَيَكُونُ عِنْدَ
ذَلِكَ إِقْدَامٌ عَلَى خَبْرَةٍ ، أَوْ إِحْجَامٌ عَنْ بَصِيرَةٍ .

وَلَعَلَّكَ أَسْعَدَكَ اللَّهُ إِذَا خَبَرْتَهُمْ قَلْبَتَهُمْ ، وَإِذَا عَرَفْتَهُمْ أَنْكَرْتَهُمْ ،
إِلَّا مَنْ يَخْصُهُمُ الشُّبُهَاءُ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ، وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
كَانَ جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ وَقُدَّامَهُ قَوْمٌ يَصْنَعُونَ شَيْئًا كَرِهَهُ مِنْ كَلَامٍ وَلَغَطٍ ،
فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَنْهَاهُمْ ، فَقَالَ لَوْ نَهَيْتُهُمْ عَنِ الْحُجُونِ ، لَأَوْشَكَ
بَعْضُهُمْ أَنْ يَأْتِيَهُ ، وَلَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ .

قال الخطَّابي على هذا الحديث قد أنبأ النبي ﷺ بهذا القول أن الشرَّ
طباعٌ في الناس ، وأنَّ الخِلَافَ عَادَةٌ لَهُمْ ، قُلْتُ وَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قِصَّةُ

آدَمَ وَحَوَاءَ حِينَمَا نَهَاَهُمَا اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَكَلَا مِنْهَا .
فَبَغَضُ النَّاسِي نَهْيَهُ عَنِ الشَّيْءِ كَأَنَّهُ إِغْرَاءٌ لَهُ فِيهِ ، فَإِذَا نَهَيْتَهُ عَنِ
شِدَّةِ الْإِقْبَالِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْإِقْلَالِ مِنْ مَحَبَّتِهَا ، اَزْدَادَ وَفِطَنَ لِأَشْيَاءَ قَدْ
نَسِيَهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَإِذَا زَجَرَتِ النَّفْسَ عَنْ شَغَفِهَا
فَكَأَنَّ زَجَرَ غَوِيَّهَا إِغْرَاؤُهَا

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الشَّرُّ فِي طِبَاعِ النَّاسِ ، وَحُبُّ الْخِلَافِ لَهُمْ
عَادَةٌ ، وَالْجَوْرُ فِيهِمْ سُنَّةٌ .

وَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ يُؤْذُونَ مَنْ لَا يُؤْذِيهِمْ ، وَيَظْلِمُونَ مَنْ لَا يَظْلِمُهُمْ ،
وَيُخَالِفُونَ مَنْ يَنْصَحُهُمْ وَلَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ إِلَّا خَوْفٌ أَوْ رَجَاءٌ .
وَقَدِيمًا قِيلَ :

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّدَا
عِصَّةً فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

قِيلَ لِرَجُلٍ أَمَّا تَسْتَحْيِي تُؤْذِي جِيرَانَكَ ، قَالَ فَمَنْ أُؤْذِي ، أَأُؤْذِي
مَنْ لَا أَعْرِفُ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ هَذَا مَطْبُوعٌ عَلَى الشَّرِّ وَالْأَذِيَّةِ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَصُلِّ : إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنِّخَاءَ فِيمَا مَضَى غَالِبًا بَيْنَ
الْأَخَوَيْنِ كَانَ أَحَدُهُمْ يَعْتمِدُ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ عَلَى أَخِيهِ ، وَيَظْمَنُ إِلَيْهِ ، فِي
مَهَامِّهِ كُلِّ الْأَطْمِنَانِ ، كَانَ أَحَدُهُمْ يُؤَآخِي أَخَاهُ عَلَى الصَّفَاءِ بَيْنَهُمَا
وَالْحَنَانِ ، كَأَنَّ الْأَخَ نَفْسُ أَخِيهِ ، وَرَبِّمَا زَادَ عَنْهُ ، فِي الْقِيَامِ بِشُؤْنِهِ مَرَّاتٍ ،
كَانَ الْأَخُ لَا يُؤَآخِي إِلَّا أَذَا أَحَبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ .

وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَدْخُلُ بَيْتَ أَخِيهِ بِحَضْرَتِهِ وَيَأْخُذُ مِنْ خِزَانَتِهِ مَا يُرِيدُ ،

كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا سَأَلَ أَخَاهُ مَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ أَنْبَأَ نَفْسَهُ إِذْ أَهْمَلَهُ حَتَّى أَفْصَحَ
هُوَ عَنْ حَاجَاتِهِ ، كَانَ بَعْضُهُمْ يُلَاحِظُ بَعْضًا فَإِذَا رَأَى فُرْجَةً سَدَّهَا وَوَجْهَهُ
أَخِيهِ غَيْرُ مَبْذُولٍ .

كَانَتِ الصُّحْبَةُ أَوَّلًا صَافِيَةً وَكَانَ الْحُبُّ لِلَّهِ مَا فِيهِ شَائِبَةٌ ، أَوْ طَمَعٌ
مِنَ الْأَطْمَاعِ ، وَحَيْثُ أَنَّ الصَّاحِبَ هُوَ الْعَضُدُ الْأَقْوَى ، وَالسَّاعِدُ الْأَيْمَنُ
لِلْمَرْءِ فِي حَيَاتِهِ وَمَا يَنْتَابُهُ فِي مُلِمَّاتِهِ فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَخْتَارَ أَصْحَابَهُ وَيَنْتَقِيَ
جُلَسَاءَهُ وَيَنْتَخِبَهُمْ مِنْ ذَوِي السَّيَرَةِ الْمُحْمُودَةِ وَالْعَقْلِ الرَّاجِحِ ، وَالرَّأْيِ
السَّيِّدِ ، وَالذِّينِ الْمَتِينِ ، وَلِيُحَذَّرَ مِنْ مُوَآخَاةٍ مَنْ لَا يَصْلَحُ لِلْأُخُوَّةِ ، وَلَا
يُرَاعِي حَقَّ الْوِدَادِ وَآدَابِ الْمَجَالَسَةِ وَالْمُحَادَثَةِ .

وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ ابْنَهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقَالَ يَا بُنَيَّ إِذَا أُرِدْتَ صِحْبَةَ
إِنْسَانٍ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ ، وَإِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ ، اصْحَبْ مَنْ
إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ لِلْخَيْرِ مَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا ، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ
سَيِّئَةً سَدَّهَا .

اصْحَبْ مَنْ إِذَا حَاوَلْتَ أَمْرًا أَعَانَكَ ، وَنَصَرَكَ ، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا فِي
شَيْءٍ آثَرَكَ ، فَإِنْ يَسَّرَ اللَّهُ لَكَ بِصَاحِبٍ مِنْ هَذَا الطَّرَازِ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرَزِهِ ،
قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَوْلَا الْقِيَامُ بِالْأَسْحَارِ ، وَصُحْبَةُ الْأَخْيَارِ ، مَا
أُخْتَرْتُ الْبَقَاءُ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ أَفْضَلُ الذَّخَائِرِ أَخٌ
صَاحِبٌ وَفَاءٌ وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

(هُمُومُ رِجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَهَمِيٍّ مِنَ الدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ)
(نَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ قُسِّمَتْ فَجَسْمُهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ)
آخِرُ :

ثَلَاثُ خِصَالٍ لِلصَّدِيقِ جَعَلْتُهَا مُضَارَعَةٌ لِلصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ
مُوَاسَّاتُهُ وَالصَّفْحُ عَنْ عَثَرَاتِهِ وَتَرْكُ ابْتِدَالِ السِّرِّ فِي الْخَلَوَاتِ

آخر :

وَرُبُّ أَخٍ لَمْ يُدْنِهِ مِنْكَ وَالِدٌ أَبْرُ مِنْ ابْنِ أُمٍّ عِنْدَ النَّوَائِبِ
وَرُبُّ بَعِيدٍ حَاضِرٌ لَكَ نَفْعُهُ وَرُبُّ قَرِيبٍ شَاهِدٌ مِثْلَ غَائِبِ
وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ عَلَيْكُمْ بِأَخْوَانِ الصِّدْقِ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي
الرِّخَاءِ وَعِصْمَةٌ فِي الْبَلَاءِ .

فَإِذَا عَزَمَ الْإِنْسَانُ عَلَى اصْطِفَاءِ الْإِخْوَانِ سَبَرَ أَحْوَالَهُمْ قَبْلَ إِخَائِهِمْ
وَكَشَفَ عَنْ أَخْلَاقِهِمْ قَبْلَ اصْطِفَائِهِمْ قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أَرَدَتْ إِخَاءَهُمْ
وَتَوَسَّسَ مِنْ أُمُورِهِمْ وَتَفَقَّدَ
فَإِذَا ظَفِرَتْ بِذِي الْأَمَانَةِ وَالتَّقَى

فِيهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَأَشَدُّ

آخر :

غَايِضُ صَدِيقِكَ تَكْشِفُ عَنْ ضَمَائِرِهِ وَتَهْتِكُ السِّرَّ عَنْ مَحْجُوبِ أَسْرَارِ
فَا الْعُودُ يُنْبِئُكَ عَنْ مَكْنُونِ بَاطِنِهِ دُخَانُهُ حِينَ تُلْقِيهِ عَلَى النَّارِ
وَلَا تَبْعُهُ الْوَحْدَةَ عَلَى الْإِقْدَامِ قَبْلَ الْخَبَرَةِ ، وَلَا حُسْنَ الظَّنِّ عَلَى
الْإِغْتِرَارِ بِالتَّصْنَعِ .

فَإِنَّ التَّمْلُقَ الَّذِي هُوَ الْقَوْلُ الْحَسَنُ مَعَ خُبْتِ الْقَلْبِ ، مَصَائِدُ
الْعُقُولِ ، وَالنِّفَاقُ تَذْلِيلُ الْفِطَنِ ، وَالْمَلَقُ وَالنِّفَاقُ سَجِيئَتَا الْمُتَّصِنِ ،
وَلَيْسَ فِيمَنْ يَكُونُ النِّفَاقُ وَالْمَلَقُ سَجَايَاهُ خَيْرٌ يُرْجَى ، وَلَا صِلَاحٌ يُؤْمَلُ بَلِ
الشَّرُّ وَالْأَذَى فِيهِ ، فَلْيَكُنْ اللَّيِّبُ فِطْنًا حَازِقًا ، صَاحِبَ فِرَاسَةٍ لَا يُحْسِنُ
الظَّنَّ بِكُلِّ أَحَدٍ .

إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي الرِّجَالِ مُخَادِعًا يُبْدِي الصِّفَاءَ وَوِدَّهُ مَمْدُوقُ
آخر : مِثْلُ الْغَدِيرِ يُرِيكَ قُرْبَ قَرَارِهِ لِصَفَائِهِ وَالْقَعْرُ مِنْهُ عَمِيقُ
رَعَى اللَّهُ إِخْوَانَ التَّمْلُقِ إِنَّهُمْ كَفَوْنَا مَوْنَاتِ الْبَقَاءِ عَلَى الْعَهْدِ

فَلَوْ قَدْ وَفَوْكُنَا أُسَارَىٰ حُقُوقِهِمْ تَرَاوَحُ مَا بَيْنَ النَّسِيئَةِ وَالنَّقْدِ

وقالت الحكماءُ إعرف الرجل من فعله ، لا من كلامه ، وأعرف محبته من عينيه ، لا من لسانه ، وعلىك بمن حالاه في العسر ، واليسر واحدة أي يحبك كل حين ، سواء كنت غنياً أو فقيراً أما إخوان الرخاء فاتركهم ، قال بعضهم :

ولا خير في ود امرئٍ مُّتلَبِّونٍ

إذا الريحُ مالت مال حيث تميلُ

جوادٌ إذا استغنيت عن أخذ ماله

وعند احتمال الفقر عنك بخيلُ

فما أكثر الإخوان حين تعدُّهم

ولكنهم في النائبات قليلُ

على أن الإنسان موسومٌ بِسِمَاتٍ من قارب ، ومنسوبٌ إليه أفاعيلُ من صاحب ، قال ﷺ (المرءُ مع مَنْ أَحَبَّ) . وقالوا ما مِنْ شيءٍ أدلُّ على شيءٍ من الصاحبِ على صاحبه وقديماً قيل :

عن المرء لا تسأل وسأل عن قريبه

فكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدي

آخر :

إذا كنت في قومٍ فصاحبٌ خيارهم

ولا تصحب الأزدى فتزدى مع الردي

آخر :

إذا قربَ السلطانُ أخيار قومِه

واعرض عن أشرارهم فهو صالحُ

وإنَّ قَرَّبَ السُّلْطَانُ أَشْرَارَ قَوْمِهِ
 وَأَعْرَضَ عَنْ أَحْيَارِهِمْ فَهُوَ طَالِحٌ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يُنْبِئُكَ عَنْهُ قَرِينُهُ
 وَذَلِكَ أَمْرٌ فِي الْبَرِيَّةِ وَاضِحٌ

آخر :

وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى فَضِيلَةَ صَاحِبٍ
 فَالْمَرْءَ مَطْوِيٍّ عَلَى عِلَاتِهِ
 فَانْظُرْ بَعَيْنَ الْبَحْثِ مَنْ نَدَمَاؤُهُ
 طَيَّ الْكِتَابِ وَصَحْبُهُ عُثْوَانُهُ

آخر :

تَحَرَّ إِذَا صَادَفْتَ مَنْ وَدَّهَ مُحَضُّ
 فَكُلُّ خَلِيلٍ مُنْبِيٌّ عَنْ خَلِيلِهِ
 وَبِالصِّدْقِ عَامِلٌ مَنْ تَحَبُّ مِنْ الْوَرَى
 يُصَانُ لَدَيْهِ الدِّينُ وَالْمَالُ وَالْعِرْضُ
 كَمَا عَنْ شُؤُونِ الْقَلْبِ قَدْ أَنْبَأَ النَّبْضُ
 وَإِلَّا فَذَاكَ الْحُبُّ آخِرُهُ الْبُغْضُ

آخر :

تَجَنَّبْ صَدِيقًا مِثْلَ مَا وَاحْذَرِ الَّذِي
 فَإِنَّ قَرِينَ السُّوءِ يُرْدِي وَشَاهِدِي
 يَكُونُ كَعَمْرٍو بَيْنَ عُرْبٍ وَأَعْجَمِي
 كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاءِ مِنَ الدَّمِ

آخر :

عَلَيْكَ بِأَرْيَابِ الصُّدُورِ فَمَنْ غَدَا
 وَإِيَّاكَ أَنْ تَرْضَى بِصُحْبَةِ نَاقِصٍ
 فَرَفَعُ أَبُو مَنْ ثُمَّ خَفَضُ مُزْمَلٍ
 مُضَافًا لِأَرْيَابِ الصُّدُورِ تَصَدَّرَا
 فَتَنَحَّطَ قَدْرًا مِنْ عُلاكَ وَتُحْقَرَا
 يُبَيِّنُ قَوْلِي مُغْرِيًا وَمُحَذِّرَا

والإشارة في قوله « ثُمَّ خَفَضُ مُزْمَلٍ » إلى قول امرئ القيس :
 كَانَ أَبَانًا فِي عَرَانِينَ وَبِلِهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ
 وذلك أَنَّ مُزْمَلًا صِفَةُ لِكَبِيرٍ ، فَكَانَ حَقُّهُ الرِّفْعُ وَلَكِنْ خَفِضَ
 لِمَجَاوِرَتِهِ الْمَخْفُوضِ .

كان جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ صَدِيقًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَهُ حِينَ وَدَّعَهُ أُوصِنِي يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَإِنِّي لَا أَدْرِي أَنْجْتَمِعَ بَعْدَهَا أَمْ لَا .

فَقَالَ أُوصِيكَ يَا جُنْدُبُ وَنَفْسِي بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ فَإِنَّ كُلَّ خَيْرٍ أَتَيْتَ بَعْدَ هَذِهِ الْخُصَالِ مَقْبُولٌ وَإِلَى اللَّهِ مَرْفُوعٌ وَمَنْ لَمْ يَكْمَلْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ رُدُّهُ عَلَيْهِ مَا سِوَاهَا .

وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ الْمَسَافِرِ وَاذْكُرِ الْمَوْتَ وَلْتَهِنْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَكَأَنَّكَ قَدْ فَارَقْتَهَا وَصِرْتَ إِلَى غَيْرِهَا وَاحْتَجَّتْ إِلَى مَا قَدَّمْتَ وَلَمْ تَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِمَّا خَلَّفْتَ ثُمَّ افْتَرَقَا .

كَتَبَ عُمَرُ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ مَنْ اتَّقَاهُ كَفَاهُ وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ بَصْرِكَ وَنُورَ قَلْبِكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ وَلَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ وَلَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا مَالَ لِمَنْ لَا رِفْقَ لَهُ وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورَ نَهْدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتَّى نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَالْعَزِيزُ مَنْ لَا ذَّ بَعْرَكَ وَالسَّعِيدُ مَنْ التَّجَأَ إِلَى حِمَاكَ وَجُودِكَ وَالذَّلِيلُ مَنْ لَمْ تَوَيْدُهُ بِعَنَائِتِكَ وَالشَّقِيُّ مَنْ رَضِيَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ نَزِّهْ قُلُوبَنَا عَنْ التَّعَلُّقِ بِمَنْ دُونَكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ قَوْمٍ تَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَالْمُؤَاخَاةُ فِي النَّاسِ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَخُوَّةٌ مُكْتَسَبَةٌ بِالْإِتِّفَاقِ

الجاري مجرى الاضطراب ، والثانية مكتسبة بالقصد والاختيار ، فأما المكتسبة بالاتفاق فهي أوكد حلاً ، لأنها تنعقد عن أسباب موجودة في المتأخرين ، تعود المؤاخاة إلى تلك الأسباب ، وهي موجودة فطرة .

فالمؤاخاة ضرورية لا يمكن دفعها ، كما لا يمكن دفع الإيلاء ، والمكتسبة بالقصد ، تُعقد لها أسباب اختيارية ، تنقاد إليها ، وتعتمد عليها بحسب قوتها وضعفها ، وربما تكون تكلفاً وخديعة ، فتصير المؤاخاة معادة ، وما كان جارياً بالطبع فهو ألزم ، مما هو حادث بالقصد .

وانما كان كذلك لأن الائتلاف بالتشاكل ، والتوافق ، والتشاكل بالتجانس فإذا عُدِمَ التجانس من وجه ، انتفى التشاكل من وجه ومع انتفاء التشاكل يُعَدُّمُ الائتلاف فثبت أن التجانس ، وإن تنوع أصل الإخاء وقاعدة الائتلاف .

وقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الأرواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » رواه البخاري ، فالظواهر التي تبدو لنا ونراها في الاجتماعات العامة ، ميل كل امرئ إلى من يشاكله ويناسبه ، روحاً وخلقاً ، أو ديناً ، وأدباً أو مبدءاً أو مذهباً أو جرفة وعملاً .

قيل إن إياساً سافر إلى بلد فلما وصل وصادف بعض أهل البلد وجري بينهم كلام قال إياس عرفنا خياركم من شراركم في يومين فقليل له كيف قال كان معنا خيارنا وشرارنا فلحق كل بشكله خيارنا لحقوا بخياركم وشرارنا لحقوا بشاركم فألف كل شكله أ. ه .

فَتَرَى الْمُجْتَمِعِينَ بَعْدَ مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ مِنْ بَدْيِ الْاجْتِمَاعِ ، قَدْ انْقَسَمُوا
جَمَاعَاتٍ ، تَتَحَدَّثُ كُلُّ جَمَاعَةٍ فِي شُؤْنِهَا الْخَاصَّةِ ، وَأُمُورِهَا الْمُشْتَرَكَةِ ،
وَتَتَغَيَّرُ نَفُوسُهَا إِذَا رَأَتْ دَخِيلًا بَيْنَ جَمَاعَاتِهَا لَا تَرْبِطُهُ بِهِمْ صِلَةٌ ، وَلَا تَجْمَعُهُمْ
بِهِ جَامِعَةٌ ، وَعِنْدَمَا تَرَكَّبَ فِي قِطَارٍ ، أَوْ سِيَارَةٍ أَوْ سَفِينَةٍ أَوْ فِي مَجْلِسٍ مِنَ
الْمَجَالِسِ ، تَرَى نَفْسَكَ مُنْجَذِبَةً إِلَى بَعْضِ الْحَاضِرِينَ مُشْمِئِزَةً وَنَافِرَةً مِنَ
الْآخَرِينَ ، وَرُبَّمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ وَلَا تَعَارُفٌ ، وَلَا تَعَادٍ
وَتَخَاصُّمٌ .

فَالسِّرُ فِي هَذَا مَا بَيَّنَّهُ الْمُصْطَفَى ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَهُوَ يَقُولُ إِنَّ أَرْوَاحَ
الْعِبَادِ وَنَفُوسَهُمْ جُنُودٌ مُجْتَمِعَةٌ ، وَجُيُوشٌ مُجَيِّشَةٌ فَالَّتِي بَيْنَهَا تَعَارُفٌ وَتَشَاكُلٌ
وَتَوَافُقٌ وَتَنَاسُبٌ ، يَأْلَفُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَيُسِرُّ بِاجْتِمَاعِهِ ، وَيَفْرَحُ لِلِقَائِهِ ،
لَا تَفَاقٍ فِي الْمَبْدِإِ وَتَقَارِبٍ فِي الرُّوحِ .

رَوَى أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَتْ كَانَتْ امْرَأَةً
بِمَكَّةَ مَزَاحَةً ، فَتَزَلَّتْ عَلَى امْرَأَةٍ مِثْلِهَا فِي الْمَدِينَةِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ صَدَقَ حَبِيبِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ
مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ .

فَالْأَخْيَارُ الْأَبْرَارُ الْأَتْقِيَاءُ الْأَمْجَادُ الْأَطْهَارُ ، إِذَا وُجِدُوا فِي مُجْتَمَعٍ
جَذَبُوا أَشْبَاهَهُمْ ، أَوْ انْجَذَبُوا إِلَيْهِمْ ، وَسَرَى بَيْنَهُمْ تَيَّارٌ مِنَ الْمَحَبَةِ جَمَعَ
قُلُوبَهُمْ وَقَوَّى رَوَابِطَهَا وَثَبَّتَ صِلَتَهَا .

وكَذَلِكَ الْأَشْرَارُ وَالْفُجَّارُ وَالْفَسَقَةُ وَالظَّالِمَةُ ، إِذَا حَضَرُوا بِنَادٍ بَادَرَ
إِلَيْهِمُ الْفَسَقَةُ ، وَالْمُجْرِمُونَ ، وَالسُّفُلُ ، وَاللَّوْمَاءُ ، وَجَذَبَهُمْ قُرْنَاؤُهُمْ ،
وَنَفَرُوا مَنْ لَا يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِهِمْ ، وَلَا يَسِيرُ فِي رِكَابِهِمْ .

قَالَ ﷺ « لَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةٌ مُنَافِقٍ ، وَمُؤْمِنٌ
وَاحِدٌ ، لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ ، وَلَوْ أَنَّ مُنَافِقًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مِائَةٌ

مؤمنين ، ومنافق واحد ، لجاء حتى يجلس إليه .

وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع ، وإن كان هو لا يشعر به ، وكان مالك بن دينار يقول « لا يتفق إثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف عن الآخر ، وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة » .

قال فرأى يوماً غراباً مع حمامة فعجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ، ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال من هاهنا اتفقا ، وقال بعض الحكماء كل انسان إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه قال بعضهم :

(لكل امرئ شكل يقر بعينه
وقرة عين الفسل أن يصحب الفسلاً)

ويقول الآخر :

فلا تحتقر نفسي وأنت خليلها
فكل امرئ يصبو إلى من يشاكل
آخر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي
يذمك إن ولى ويرضيك مقبلاً
ولكنه النائي إذا كنت آمناً
وصاحبك الأدنى إذا الأمر معضلاً
آخر :

ليس الصديق الذي يلقاك مبسماً
ولا الذي بالتهاني والسرور يرى
إن الصديق الذي يولي نصيحته
وإن عرت شدة أغنى بما قدرا

آخر :

وَقُلْتُ أَخِي قَالُوا أَخٌ مِنْ قَرَابَةٍ
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الشُّكُورَ أَقَارِبُ
نَسِيبِي فِي رَأْيٍ وَعَزْمِي وَهَمَّتِي
وَأَنْ فَرَقْتَنَا فِي الْأُصُولِ الْمَنَاسِبُ

وَإِذَا عَرَفْتَ رِجَالًا بِالْبِرِّ وَالتَّقَى وَالِاسْتِقَامَةِ وَنَفَرْتَ مِنْهُمْ نَفْسُكَ
وَنَبَا عَنْهُمْ قَلْبُكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَرِيضٌ ، إِمَّا مَرَضٌ شُبْهَةٌ وَإِلَّا مَرَضٌ
شَهْوَةٌ ، وَأَنَّكَ نَاقِصٌ مَعِيبٌ ، دُونَهُمْ فِي الطَّهَارَةِ ، فَذَاوِ نَفْسَكَ مِنْ
غُيُوبِهَا ، وَطَهِّرْهَا مِنْ أَوْزَارِهَا حَتَّى تَتَقَارَبَ الْأَرْوَاحُ وَتَتَشَاكَلَ النُّفُوسُ ،
فَتَحُلَّ الْإِلْفَةُ مَحَلَّ النُّفُورَةِ .

وَإِذَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَمِيلُ إِلَى مَنْ تَعْرِفُهُمْ بِالشَّرِّ وَالْفُجُورِ ، وَالْفِسْقِ
وَالْخَلَاعَةِ وَالْعُهْرِ فَإِنَّهُمْ نَفْسُكَ وَاسْتَذْرِكْ عُمَرَكَ ، قَبْلَ الْقَوْتِ ، وَابْتَغِ
عَنْهُمْ كُلَّ الْبُعْدِ ، وَتُبْ إِلَى اللَّهِ وَاسْأَلْهُ أَنْ يُعَافِيكَ ، مِمَّا ابْتَلَاهُمْ .

وَإِذَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ تُحَدِّثُكَ بِأَنَّكَ الْبِرُّ الْأَمِينُ التَّقِيُّ الْمُخْلَصُ أَوْ
الْإِنْسَانُ الْمُهَذَّبُ ، فَكَذِّبْ نَفْسَكَ فِي هَذَا الْإِعْجَابِ ، وَفِي هَذَا الْوَهْمِ
الْكَاذِبِ ، وَاعْتَقِدْ أَنَّكَ غَرٌّ مَخْدُوعٌ ، وَأَبْلَهُ مَفْتُونٌ ، فَفَتِّشْ فِي زَوَايَا
قَلْبِكَ ، تَجِدْ لِلْبَاطِلِ رُكْنًا ، وَلِلشَّيْطَانِ حَظًّا ، وَلِلْفَسَادِ جَوًّا وَهَذَا مَا
جَذَبَ قَلْبَكَ إِلَى الْأَشْرَارِ .

وَإِذَا رَأَيْتَكَ تَمِيلُ إِلَى الْأَخْيَارِ ، وَتُحِبُّ مَجَالِسَهُمْ ، وَتَتَجَدَّبُ نَفْسُكَ
إِلَيْهِمْ ، مَعَ عِلْمِكَ بِسُوءِ سِيرَتِكَ وَاعْوَجَاجِ طَرِيقَتِكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّ فِيكَ

بَقِيَّةَ خَيْرٍ ، وَلَا يَزَالُ فِيكَ أَمَلٌ قَرِيبٌ هَذِهِ الْبَقِيَّةُ وَقَوْ هَذَا الْأَمَلُ ، حَتَّى يَرْحَلَ عَنْكَ الشَّرُّ ، وَتَدْخُلَ فِي حِزْبِ الْخَيْرِ .

وَكَذَلِكَ إِذَا رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ بَعْضَ الْمَيْلِ لِلْمُجْرِمِينَ ، وَأَنْتَ طَاهِرٌ تَقِيٌّ نَقِيٌّ ، فَاعْرِفْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ نَفَثَ فِيكَ نَفْثَةً ، وَثَغَرَ فِي قَلْبِكَ ثَغْرَةً ، فَتَدَارَكَ أَمْرَكَ وَتَحَصَّنَ مِنْهُ وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَإِنَّمَا يُنَزِّغُنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ الْآيَةُ ، وَقَالَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ أَهـ مِنْ الْأَدَبِ النَّبَوِيِّ .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ قَالَ : الصَّاحِبُ ، الْخَيْرُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنَ جَلِيسِ السُّوءِ وَمُتَمَلِّي الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السَّاكِتِ وَالسَّاكِتُ خَيْرٌ مِنَ مُتَمَلِّي الشَّرِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ عَدَاوَةُ الْعَاقِلِ أَقْلُ ضَرَرًا مِنْ مَوَدَّةِ الْأَحْمَقِ لِأَنَّ الْأَحْمَقَ رُبَّمَا ضَرَّ وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَنْفَعَ لِعَدَمِ تَمْيِيزِهِ بَيْنَ النِّفْعِ وَالضَّرْرِ فَيَتَجَاوَزُ الْحَدَّ ، وَالْعَاقِلُ لَا يَتَجَاوَزُ الْحَدَّ فِي مَضَرَّتِهِ فَمَضَرَّتُهُ لَهَا حَدٌّ يَقِفُ عَلَيْهِ الْعَقْلُ إِذَا انْتَهَى إِلَى ذَلِكَ الْحَدِّ .

وَمَضَرَةُ الْجَاهِلِ لَيْسَتْ بِذَاتِ حَدٍّ وَالْمَحْدُودُ أَقْلُ ضَرَرًا مِمَّا هُوَ غَيْرُ مَحْدُودٍ قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَلَا أَنْ يُعَادِيَ عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ

فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ جَاهِلًا
إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ

وقال بعضُ الأدباءِ مَنْ أشارَ عليك بِمُصَاحِبَةِ جَاهِلٍ لَمْ يَخُلْ مِنْ
أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ صَدِيقًا جَاهِلًا ، مَا يَعْرِفُ وَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَنْ يَصْلَحُ
لِلصُّحْبَةِ وَمَنْ لَا يَصْلَحُ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمُشِيرُ عَلَيْكَ عَدُوًّا لَكُنْهُ عَاقِلٌ
لِأَنَّهُ يُشِيرُ بِمَا يَضُرُّكَ وَيَحْتَثُّ عَلَيْكَ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَضُرُّكَ ، وَقَدِيمًا قِيلَ :

وَلَا تَصْحَبِ الْحَمَقَى فَذُو الْجَهْلِ إِنْ يَرْمِ
صَلاَحًا لِأَمْرٍ يَا أَخَا الْحَزْمِ يُفْسِدِ

ويقول الآخر :

فَعَدَاوَةٌ مِنْ عَاقِلٍ مُتَجَمِّلٍ
أَوْلَى وَأَسْلَمُ مِنْ صَدَاقَةِ أَحْمَقٍ

وقال بعضهم الأَصْدِقَاءُ ثَلَاثَةٌ أَحَدُهُمْ كَالْغَدَاءِ لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَالثَّانِي
كَالدَّوَاءِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ . وَالثَّالِثُ كَالدَّاءِ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ
قَطُّ ، وَقَدْ قِيلَ مَثَلُ جُمْلَةِ النَّاسِ كَمَثَلِ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ فَمِنْهَا مَا لَهُ ظِلٌّ
وَلَيْسَ لَهُ ثَمَرٌ وَهُوَ مِثْلُ الَّذِي يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ نَفْعَ
الدُّنْيَا كَالظِّلِّ السَّرِيعِ الزُّوَالِ ، وَمِنْهَا مَا لَهُ ثَمَرٌ وَلَيْسَ لَهُ ظِلٌّ .

وَمِنْهَا مَا لَيْسَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا كَأَمِّ غَيْلَانَ تُمَزَّقُ الثِّيَابُ وَلَا طَعْمَ فِيهَا
وَلَا شَرَابٍ وَمِثْلُهُ مِنَ الْحَيَوَانِ الْحَيَّةُ وَالْعَقْرَبُ وَالْفَأْرُ وَمِثْلُهُ فِي النَّبَاتِ
الْخُنْزِيرُ فَإِنَّهُ يُضَيِّقُ عَلَى الزَّرْعِ وَيَضُرُّ مَنْ لَمَسَهُ وَلَا يُؤْكَلُ وَلَا لَهُ ثَمَرٌ يُؤْكَلُ
وَيَشْرَبُ مَاءَ الزَّرْعِ وَيُعَوِّقُ نُمُوَ الزَّرْعِ .

النَّاسُ شَتَّى إِذَا مَا أَنتَ ذُقْتَهُمْ لَا يَسْتَوُونَ كَمَا لَا يَسْتَوِي الشَّجَرُ
هَذَا لَهُ ثَمَرٌ حُلُوٌّ مَذَاقُهُ وَذَاكَ لَيْسَ لَهُ طَعْمٌ وَلَا ثَمَرٌ

إِذَا فَهَمْتَ تَفَاوَتَ النَّاسِ فِي الْعَقْلِ وَالذِّينِ فَعَلَيْكَ قَبْلَ الصَّدَاقَةِ أَنْ
تَفَحَّصَ عَنْ مَنْ تُرِيدُ صَدَاقَتَهُ وَإِخَاءَهُ فَإِذَا حَصَلَتْ عَلَى مَنْ تَرْضَاهُ دِينًا
وَعَقْلًا وَأَدَبًا فَإِلْزَمَهُ ، كَمَا قِيلَ :

أَبْلِ الرِّجَالَ إِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ وَتَوَسَّعْ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدِ
فَإِذَا ظَفَّرْتَ بِذِي الْأَمَانَةِ وَالتَّقَى فِيهِ الْيَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدْ
آخِر :

لَا تَمْدَحَنَّ أَمْرًا حَتَّى تُجَرِّبَهُ وَلَا تَذُمَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجَرُّبٍ
فَإِنَّ حَمْدَكَ مَنْ لَمْ تَبْلُهُ سَرَفٌ وَإِنْ ذَمُّكَ بَعْدَ الْحَمْدِ تَكْذِيبٌ
آخِر :

جَامِلٌ أَخَاكَ إِذَا اسْتَرَبْتَ بَوْدَهُ وَانْظُرْ بِهِ عُقْبَى الزَّمَانِ يُعَاوِدُ
فَإِنْ اسْتَمَرَ عَلَى الْفَسَادِ فَخَلِيلُهُ فَالْعُضْوُ يُقَطَّعُ لِلْفَسَادِ الزَّائِدِ
وَقَالَ ابْنُ الْقِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَخَالِطَةِ بِمَقْدَارِ
الْحَاجَةِ . وَيَجْعَلُ النَّاسَ فِيهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ : مَتَى خَلَطَ أَحَدُ الْأَقْسَامِ بِالْآخَرِ
وَلَمْ يَمِيزْ بَيْنَهُمَا دَخَلَ عَلَيْهِ الشَّرُّ .

أَحَدَاهَا : مَنْ مَخَالَطَتَهُ كَالْغِذَاءِ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ فِي الْيَوْمِ فَإِذَا أَخَذَ
حَاجَتَهُ مِنْهُ تَرَكَ الْخَلِطَةَ ، ثُمَّ إِذَا احتَاجَ إِلَيْهِ خَالَطَهُ هَكَذَا عَلَى الدَّوَامِ .
وَهَذَا الضَّرْبُ أَعَزُّ مِنَ الْكِبَرِيَّةِ الْأَحْمَرِ وَهُمْ الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ وَأَمْرُهُ ، وَمُكَايِدِ
عَدُوِّهِ ، وَأَمْرَاضِ الْقَلْبِ وَأَدْوِيَّتِهَا النَّاصِحُونَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِخَلْقِهِ . فَهَذَا
الضَّرْبُ فِي مَخَالِطَتِهِمُ الرِّيحَ كُلَّ الرِّيحِ .

الْقِسْمُ الثَّانِي : مَنْ مَخَالَطَتَهُ كَالدَّوَاءِ ، يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْمَرَضِ فَمَا
دَمَتْ صَحِيحًا فَلَا حَاجَةَ لَكَ فِي خِلَاطَتِهِ ، وَهُمْ مَنْ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ

مخالطتهم في مصلحة المعاش ، وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها فإذا قضت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من . القسم الثالث : وهم من مخالطتهم كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه .

فمنهم من مخالطته كالداء العضال ، والمرض المزمن ، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا ، ومع ذلك فلا بد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما ، فهذا إذا تمكنت منك مخالطته واتصلت ، فهي مرض الموت المخوف .

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس ، يشتد ضربه عليك ، فإذا فارقك سكن الألم .

ومنهم من مخالطته حمى الروح ، وهو الثقيل البغيض ، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ولا يعرف نفسه فيضعها منزلتها ، بل إن تكلم فكلامه كالعصى تنزل على قلوب السامعين ، مع إعجابه بكلامه وفرحه به .

فهو يحدث من فيه كلما تحدث ، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس ، وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض ويذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال : ما جلس إلى جاني ثَقِيل إلا وجدتُ الجانبَ الذي يليه أنزلَ من الجانب الآخر . قال بعضهم :

يا مَنْ تَبَرَّمتِ الدُّنْيَا بَطَلْعَتِهِ كَمَا تَبَرَّمتِ الْأَجْفَانُ بِالسُّهُدِ
يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مُخْتَالاً فَأَحْسِبُهُ لِثَقَلِ طَلْعَتِهِ يَمْشِي عَلَى كِبَدِي
وقال ابن القيم :

وَرَأَيْتُ يَوْمًا عِنْدَ شَيْخِنَا قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ رَجُلًا مِنْ هَذَا الضَّرْبِ ،

والشيخ يحمله ، وقد ضعفت القوى عن حمله ، فالتفت إليّ وقال : مجالسة
الثقل حمى الربع ، ثم قال : لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى ،
فصارت لها عادة أو كما قال :

قال بعضهم :

ما حِيلَتِي فِي ثَقِيلٍ قَدْ بُلِّيتَ بِهِ مِنْ قُبْحٍ طَلَعَتْهُ يُسْتَحْسَنُ الرَّمْدُ
قَدْ زَادَ فِي الثِّقْلِ حَتَّى مَا يُقَارِبُهُ فِي ثِقْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى وَلَا أَحَدٌ

ومرض الشعبي فعاده ثقل فأطال الجلوس ثم قال للشعبي ما أشدَّ
مَا مَرَّ بِكَ فِي مَرَضِكَ قَالَ قُعُودُكَ عِنْدِي .

ومرَّ به صديق له وهو بينَ ثَقِيلَيْنِ فقال له كيفَ الروح فقال في النزع
يعني في شدة عظيمة .

وبالجملة : فمخالطة كل مخالف حمى للروح ، فعرضية ولازمة .

ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلي بواحد من هذا الضرب ، وليس
له بُدٌّ من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف ، حتى يجعل الله له من أمره
فرجاً ومخرجاً .

القسم الرابع : من مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم ،
فإن اتفق لأكله ترياق ، وإلا فأحسن الله فيه العزاء ، وما أكثر هذا الضرب
في الناس لا كثرهم الله .

وهم أهل البدع والضلالة ، الصادون عن سنة رسول الله ﷺ
الداعون إلى خلافها ، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ،
فيجعلون البدعة سنة ، والسنة بدعة ، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً .

إن جردت التوحيد بينهم قالوا : تنقصت جناب الأولياء
والصالحين .

وإن جردت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا : أهدرت الأئمة المتبوعين .

وإن وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا : أنت من المشبهين .

وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر قالوا : أنت من المفتونين .

وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا : أنت من أهل البدع المضلين .

وإن انقطعت إلى الله تعالى ، وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا ، قالوا : أنت من الملبسين .

وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم فأنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين .

فالحزم كل الحزم : التماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم ، وأن لا تشتغل بأعتابهم ، ولا باستعتابهم ، ولا تبالي بدمهم ولا بغضهم فإنه عين كمالك كما قال :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل
وقال آخر :

وقد زادني حباً لنفسي أنني بغيض إلى كل امريء غير طائل
فمن أيقظ بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم .

وهي : فضول النظر : والكلام ، والطعام ، والمخالطة واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة التي تحرزه من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من

التوفيق . وسد عن نفسه أبواب جهنم ، وفتح عليها أبواب الرحمة ،
وانغمر ظاهره وباطنه .

ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء ، فعند الممات يحمد
القوم التقي . وفي الصباح يحمد القوم السرى ، والله الموفق لا رب غيره
ولا إله سواه . أه .

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا
مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ
الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا
يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لَأَمْرِكَ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ
تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَا شَيْءَ أَعْلَى عَلَيْكُمْ مِنْ أَعْمَارِكُمْ وَأَنْتُمْ تُضَيِّعُونَهَا فِيمَا لَا
فَائِدَةَ فِيهِ . وَلَا عَدُوَّ أَعْدَى لَكُمْ مِنْ إِبْلِيسَ وَأَنْتُمْ تُطِيعُونَهُ ، وَلَا أَضَرَ
عَلَيْكُمْ مِنْ مُوَافَقَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَأَنْتُمْ تُصَادِقُونَهَا ، لَقَدْ مَضَى مِنْ
أَعْمَارِكُمُ الْإِطَائِبُ ، فَمَا بَقِيَ بَعْدَ شَيْبِ الدَّوَائِبِ .

يَا حَاضِرَ الْجِسْمِ وَالْقَلْبُ غَائِبٌ ، اجْتِمَاعُ الْعَيْبِ مَعَ الشَّيْبِ مِنْ
أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ ، يَمْضِي زَمَنُ الصَّبَا فِي لَعِبٍ وَسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ ، يَا لَهَا مِنْ
مَصَائِبَ ، كَفَى زَاجِرًا وَاعْظًا تَشْيِبُ مِنْهُ الدَّوَائِبُ ، يَا غَافِلًا فَاتَهُ الْأَرْبَاحُ
وَأَفْضَلُ الْمَنَاقِبِ ، أَيْنَ الْبُكَاءُ وَالْحَزَنُ وَالْقَلْقُ لِخَوْفِ الْعَظِيمِ الطَّالِبِ أَيْنَ
الزَّمَانُ الَّذِي فَرُطَتْ فِيهِ وَلَمْ تَخْشَ الْعَوَاقِبَ ، أَيْنَ الْبُكَاءُ دَمًا عَلَى أَوْقَاتِ
قُتِلَتْ عِنْدَ التَّلْفِيزِيُونِ وَالْمِذْيَاعِ وَالْكُرَةِ وَالسِّينِمَاءِ وَالْفِيدِيُو وَالْخَمْرِ وَالدُّخَانِ
وَالْمَلَاعِبِ وَاللَّعِبِ بِالْوَرَقِ وَالْقِيلِ وَالْقَالَ .

كَمْ فِي يَوْمِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مِنْ دَمْعٍ سَاكِبٍ عَلَى ذُنُوبٍ قَدْ حَوَاها

كِتَابُ الْكَاتِبِ ، مَنْ لَكَ يَوْمَ يَنْكَشِفُ عَنْكَ غِطَاؤُكَ فِي مَوْقِفِ
الْمُحَاسِبِ ، إِذَا قِيلَ لَكَ مَا صَنَعْتَ فِي كُلِّ وَاجِبٍ ، كَيْفَ تَرْجُو النِّجَاةَ
وَأَنْتَ تَلْهُو بِأَسْرِ الْمَلَاعِبِ ، لَقَدْ ضَيَّعْتَ الْأَمَانِي بِالظَّنِّ الْكَاذِبِ ، أَمَّا
عَلِمْتَ أَنَّ الْمَوْتَ صَعْبٌ شَدِيدُ الْمَشَارِبِ ، يُلْقِي شَرَّهُ بِكَاسٍ صُدُورِ
الْكَتَائِبِ ، وَأَنَّهُ لَا مَفَرَّ مِنْهُ لِهَارِبٍ فَاَنْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاتَّقِ اللَّهَ أَنْ تَبْقَى سَلِيمًا
مِنَ النَّوَائِبِ فَقَدْ بَنَيْتَ كَنَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ بَيْتًا أَيْنَ الَّذِينَ عَلَوْا فَوْقَ السُّفُنِ
وَالْمَرَاقِبِ أَيْنَ الَّذِينَ عَلَوْ عَلَى مُتُونِ النِّجَائِبِ ، هَجَمَتْ عَلَيْهِمُ الْمَنَائِبُ
فَأَصْبَحُوا تَحْتَ النَّصَائِبِ وَأَنْتَ فِي أَثَرِهِمْ عَنْ قَرِيبٍ عَاطِبٍ ، فَاَنْظُرْ وَتَفَكَّرْ
وَاعْتَبِرْ وَتَدَبَّرْ قَبْلَ هُجُومٍ مَنْ لَا يَمْنَعُ عَنْهُ حَرَسٌ وَلَا بَابٌ وَلَا يَفُوتُهُ هَرَبٌ
هَارِب .

شعراً :

وَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْيُنُهُمْ
أَوْ اسْتَلَذُّوا لَذِيذَ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا
وَالْمَوْتُ يُنْذِرُهُمْ جَهْرًا عَلَانِيَةً
لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَوْرِدُهُمْ
وَلَيْسَ يَذَرُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ
قَدْ أَمْسَتْ الطَّيْرُ وَالْأَنْعَامُ آمِنَةً
وَالنَّوْنُ فِي الْبَحْرِ لَا يُخْشَى لَهَا فَرْعُ
وَالْأَدَمِيُّ بِهَذَا الْكَسْبِ مُرْتَهَنٌ
لَهُ رَقِيبٌ عَلَى الْأَشْرَارِ يَطَّلِعُ

حَتَّى يُرَى فِيهِ يَوْمَ الْجَمْعِ مُنْفَرِدًا
وَحَصْمُهُ الْجِلْدُ وَالْأَبْصَارُ وَالسَّمْعُ
وَإِذْ يَقُومُونَ وَالْأَشْهَادُ قَائِمَةٌ
وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَالْأَمْلَاقُ قَدْ خَشَعُوا
وَطَارَتْ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي مُنْشَرَةً
فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تُطْلَعُ
فَكَيْفَ بِالنَّاسِ وَالْأَنْبَاءُ وَاقِعَةٌ
عَمَّا قَلِيلٍ وَمَا تَذِيرِي بِمَا تَقَعُ
أَفِي الْجَنَانِ وَفَوْزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ
أَمْ فِي الْجَحِيمِ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذْعُ
تَهْوِي بُسْكَانِهَا طَوْرًا وَتَرْفُغُهُمْ
إِذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا
طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يَنْفَعْ تَضَرُّعُهُمْ
هَيْهَاتَ لَا رِقَّةَ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ

اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا

هَذَا مُهْتَدِينَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

وقال ابن القيم أصل الخير والشر من قبل الفكر ، فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد ، والتترك ، والحب والبغض . وأنفع الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها ، وفي دفع مفسد المعاد وفي طرق اجتنابها ، فهذه أربعة أفكار ، هي أجل الأفكار ، ويلها أربعة ، فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها وفكر في مفسد الدنيا وطرق الاحتراز منها فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء .

ورأس القسم الأول ، الفكر في آلاء الله ونعمه وأمره ونهيهِ وطرق العلم به ، وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما والآهما ، وهذا الفكر يُثمر لصاحبه المحبة ، والمعرفة ، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ، ودوامها وفي الدنيا وخسستها وفنائها أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا .

وكلما فكر في قصر الأمل : وضيق الوقت ، أوزته ذلك الجِدَّ والاجتهاد ، وبذل الوسع في اغتنام الوقت .

وهذه الأفكار تعلِّي همته ، وتحببها بعد موتها وسفولها وتجعله في وادٍ والناس في وادٍ

وبإزاء هذه الأفكار الرديئة ، التي تجول في قلوب أكثر هذا

الْخَلْقِ ، كَالْفِكْرِ فِيمَا يُكَلِّفُ الْفِكْرُ فِيهِ ، وَلَا أُعْطِيَ الْإِحَاطَةَ بِهِ مِنْ فَضُولِ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ ، كَالْفِكْرِ فِي كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ مِمَّا لَا سَبِيلَ لِلْعُقُولِ إِلَى إِدْرَاكِهِ بِهِ .

ومنها الفكرُ في الصِّنَاعَاتِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ بَلْ تَضُرُّ ، كَالْفِكْرِ فِي الشِّطْرَنْجِ وَالْمُوسِيقَى وَأَنْوَاعِ الْأَشْكَالِ ، وَالتَّصَاوِيرِ .

ومِنْهَا الْفِكْرُ فِي الْعُلُومِ الَّتِي لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً لَمْ يُعْطِيَ الْفِكْرُ فِيهَا النَّفْسَ كَمَالًا وَلَا شَرَفًا كَالْفِكْرِ فِي دَقَائِقِ الْمَنْطِقِ ، وَالْعِلْمِ الرَّيَاضِيِّ ، وَالطَّبِيعِيِّ ، وَأَكْثَرِ عُلُومِ الْفَلَسِيفَةِ الَّتِي لَوْ بَلَغَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا لَمْ يَكْمُلْ بِذَلِكَ ، وَلَمْ يُزَكِّ نَفْسَهُ .

ومنها الفكرُ في الشَّهَوَاتِ ، وَاللَّذَاتِ وَطُرُقِ تَحْصِيلِهَا ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ لِلنَّفْسِ فِيهِ لَذَّةٌ لَكِنْ لَا عَاقِبَةُ لَهُ وَمُضَرَّتُهُ فِي عَاقِبَةِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ أَضْعَافُ مَسَرَّتِهِ .

ومِنْهَا الْفِكْرُ فِيمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ كَالْفِكْرِ فِيمَا إِذَا صَارَ مَلِكًا أَوْ وَجَدَ كَنْزًا أَوْ مَلَكَ ضَيْعَةً مَآذَا يَصْنَعُ وَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ ، وَيَأْخُذُ وَيُعْطِي وَيَنْتَقِمُ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ أَفْكَارِ السُّفْلِ .

ومِنْهَا الْفِكْرُ فِي جُزْئِيَّاتِ أَحْوَالِ النَّاسِ ، وَمَاجِرِيَّاتِهِمْ ، وَمَدَاجِلِهِمْ وَمَخَارِجِهِمْ ، وَتَوَابِعِ ذَلِكَ مِنْ فِكْرِ النُّفُوسِ الْمُبْطَلَةِ الْفَارِغَةِ ، مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ .

ومِنْهَا الْفِكْرُ فِي دَقَائِقِ الْحِيلِ ، وَالْمَكْرِ ، الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى أَغْرَاضِهِ وَهَوَاهُ مُبَاحَةً كَانَتْ أَوْ مُحَرَّمَةً .

وَمِنْهَا الْفِكْرُ فِي أَنْوَاعِ الشَّعْرِ ، وَصُرُوفِهِ وَأَفَانِيَّتِهِ فِي الْمَدْحِ
وَالْهَجَاءِ وَالْغَزْلِ وَالْمَرَاثِي وَنَحْوِهَا ، فَإِنَّهُ يَشْغُلُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْفِكْرِ فِيمَا
فِيهِ سَعَادَتُهُ وَحَيَاتُهُ الدَّائِمَةُ .

وَمِنْهَا الْفِكْرُ فِي الْمُقَدَّرَاتِ الدَّهْنِيَّةِ ، الَّتِي لَا وُجُودَ لَهَا فِي الْخَارِجِ
وَلَا بِالنَّاسِ حَاجَةٌ إِلَيْهَا الْبَتَّةَ ، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ عِلْمٍ حَتَّى فِي عِلْمِ
الْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَالطَّبِّ ، فَكُلُّ هَذِهِ الْأَفْكَارِ مَضَرَّتُهَا أَرْجَحُ مِنْ مَنَفَعَتِهَا
وَيَكْفِي فِي مَضَرَّتِهَا شُغْلُهَا عَنِ الْفِكْرِ فِيمَا هُوَ أَوْلَى بِهِ ، وَأَعُوذُ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ
عَاجِلًا وَآجِلًا أَهـ .

شعراً :

يَا غَافِلًا عَنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِي سِنَةٍ
وَالدَّهْرِ يُوقِظُ بِالْآيَاتِ وَالْعِبَرِ
كَمْ ذَا تَنَامُ وَعَيْنُ الدَّهْرِ سَاهِرَةٌ
لَهُ حَوَادِثُ فِي الْغُدُواتِ وَالْبُكَرِ
لَا تَأْمَنُ الدَّهْرَ وَأَحْذَرُ مِنْ تَقْلِبِهِ
فَشَيْمَةُ الدَّهْرِ شَوْبُ الصُّفَى بِالْكَدْرِ
وَارْغَبْ بِنَفْسِكَ عَمَّا سَوْفَ تُذَرِكُهُ
فَعَلِ اللَّيِّبِ أَخِي التَّحْقِيقِ وَالنَّظَرَ
مَاذَا يَغْرُكَ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ وَمِنْ
عُمُرٍ يَمُرُّ كَمِثْلِ اللَّحْمِ بِالْبَصْرِ
فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ فَالسَّاعَاتُ فَانِيَةٌ
وَالْعُمُرُ مُتَقَصِّصٌ وَالْمَوْتُ فِي الْأَثَرِ

اللهم أعِزَّنَا مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ
وَضِلْعِ الدِّينِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

اعلم وفقنا الله وإياك وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحُبَّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضَ
فِي اللَّهِ ، أَصْلُ عَظِيمٌ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ يَجِبُ مُرَاعَاتُهُ وَلِهَذَا جَاءَ فِي
الْحَدِيثِ (أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ) ، وَأَكْثَرُ
اللَّهُ مِنْ ذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

فَالْمَعْنَى أَنَّ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي مَوَالِيتِ الْمُؤْمِنِينَ مَنُودُوحَةً عَنْ
مَوَالِيتِ الْكَافِرِ ، فَلَا تُؤْثِرُ وَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ
مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ الْمَعْنَى وَمَنْ يَتَوَلَّاهُمْ فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَرِيءٌ
مِنْهُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ .

وقوله ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ أَيِ إِلَّا أَنْ تَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
فِي إِبْدَاءِ الْعَدَاوَةِ لِلْكَافِرِينَ ، فَلَكُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ الرُّخْصَةُ فِي الْمُسَالَمَةِ
وَالْمَهَادَنَةِ ، وَلَا فِي التَّوَلِّيِ الَّذِي هُوَ مَحَبَّةُ الْقَلْبِ الَّذِي تَتَّبِعُهُ النُّصْرَةُ ، بَلْ
يَكُونُ الْقَلْبُ مُطْمَئِنًّا بِالْعَدَاوَةِ ، وَالْبَغْضَاءِ ، يَنْتَظِرُ زَوَالَ الْمَانِعِ .

وقال الله تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا
يَأْلُونَكُمْ خَبًا وَلَا وُدًّا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي

صُدُّورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ، هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ
تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا
خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ، إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ ، وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا
بِهَا ﴿ الْآيَةُ .

ففي هذه الآيات تحذيرٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ وِلَايَةِ الْكُفَّارِ
وَاتِّخَاذِهِمْ بَطَانَةً أَوْ خَصِيصَةً وَأَصْدِقَاءَ ، يُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ ، وَيُفْضُونَ لَهُمْ
بَأْسَارِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَضَّحَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْأُمُورَ الْمُوجِبَةَ لِلْبَرَاءَةِ مِنْ
اتِّخَاذِهِمْ بَطَانَةً ، أَوَّلًا أَنَّهُمْ لَا يُقَصِّرُونَ فِي مَضَرَّةِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِفْسَادِ
الْأَمْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا اسْتَطَاعُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا .

ثانيًا : مَحَبَّتُهُمْ مَا شَقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَمَنِّيهِمْ ضَرَرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي
دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ .

ثالثًا : أَنَّهُمْ يُبْدُونَ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي كَلَامِهِمْ وَفِي فَلَاتَاتِ
أَلْسِنَتِهِمْ .

رابعًا : أَنَّ مَا تُخْفِيهِ صُدُورُهُمْ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالْعَدَاوَةِ أَكْبَرُ مِمَّا ظَهَرَ
لَكُمْ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَوْعًا آخَرَ مِنَ التَّحْذِيرِ عَنْ مُخَالَطَةِ
الْكَافِرِينَ وَاتِّخَاذِهِمْ بَطَانَةً .

وفيه تَنْبِيهُ عَلَى خَطِيئَتِهِمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ ضَمَّنَهُ أُمُورًا ثَلَاثًا كُلُّ مِنْهَا
يَسْتَدْعِي الْكَفَّ عَنْ مُخَالَطَةِ الْكُفَّارِ ، أَوَّلًا أَنَّكُمْ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ،
ثانيًا أَنَّكُمْ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ مَا نَزَلَ عَلَى نَبِيِّكُمْ وَمَا نَزَلَ عَلَى نَبِيِّهِمْ ،

ثَالِثًا أَنَّهُمْ يُدَاهِنُونَكُمْ وَيُنَافِقُونَكُمْ فَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا مَعَ بَنِي جَنْسِهِمْ عَصَوْ عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ وَالْبُغْضِ .

وَأَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ لِمَا رَأَوْا مِنْ ائْتِلَافِ الْمُسْلِمِينَ ، وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَنَصْرِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ ، حَتَّى عَجَزَ أَعْدَاؤُهُمْ أَنْ يَجِدُوا إِلَى ذَلِكَ التَّشْفِي سَبِيلًا ، فَاضْطُرُّوا إِلَى مُدَارَاتِهِمْ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ .

وَالْآيَاتُ هَذِهِ تُنَادِي بِالنَّهْيِ الْمُطْلَقِ عَنِ الْوَلَاءِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَعَنِ الِاسْتِنصَارِ بِهِمْ ، وَالرُّكُونِ إِلَيْهِمْ وَالثِّقَةِ بِهِمْ ، وَيَمَوِّذَتِهِمْ وَالْاِعْتِقَادِ فِي قُدْرَتِهِمْ عَلَى إِيْصَالِ خَيْرٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، أَوْ دَفْعِ أَذَى بَلْ هُمْ عَلَى الْعَكْسِ لَا يَأْتُونَ جُهْدًا فِي دَفْعِ النَّفْعِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِیْصَالِ الضَّرَرِ وَالْأَذَى لِلْمُسْلِمِينَ فَاتَّبِعْ يَا أَخِي وَاحْذَرْهُمْ وَحَذِرْ عَنْهُمْ . وَإِيَّاكَ وَمُدَارَاتِهِمْ . يَقُولُونَ لِي دَارَ الْعِدَا تَنْجِ مِنْهُمْ فَقُلْتُ مُدَارَاتُ الْعِدَا لَيْسَ تَنْفَعُ وَلَوْ أَنَّنِي دَارَيْتُ دَهْرِي حَيَّةً إِذَا مَكِنْتُ يَوْمًا مِنَ اللَّسْعِ تَلْسَعُ

آخِر :

إِذَا وَتَرْتَ امْرَأً فَاحْذَرْ عَدَوَاتَهُ مَنْ يَزْعُ الشُّوْكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنَبًا إِنْ الْعَدُوَّ وَإِنْ أَبَدَى مُجَامَلَةً إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا فُرْصَةً وَثَبَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَسْتَدِلُّونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى تَرْكِ الِاسْتِعَانَةِ بِهِمْ فِي الْوَلَايَاتِ ، فَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قُلْتُ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِنَّ لِي كَاتِبًا نَصْرَانِيًّا ، قَالَ مَا لَكَ قَاتَلَكَ اللَّهُ ، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أَلَا اتَّخَذْتَ حَنِيفِيًّا .

قَالَ قُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِي كِتَابَتُهُ وَلَهُ دِينُهُ ، قَالَ لَا أَكْرَمُهُمْ إِذَا أَهَانَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا أَعْزَّهُمْ إِذَا أَذَلَّهُمُ اللَّهُ ، وَلَا أَدْنِيَهُمْ إِذَا أَقْصَاهُمُ اللَّهُ « بَلَّغْ يَا أَخِي مَنْ وَالَاهُمْ وَلَا هُمْ وَوَقِّ بِهَمَّ » وَأَحْمَدُ اللَّهِ الَّذِي عَافَاكَ مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ .

وَلَمَّا دَلَّ عَلَيْهِ مَعْنَى الْكِتَابِ وَجَاءَتْ بِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَّةُ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ ، الَّتِي أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَيْهَا بِمُخَالَفَتِهِمْ ، وَتَرَكَ التَّشْبِيهِ بِهِمْ ، فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبَغُونَ ، فَخَالَفُوهُمْ أَمْرٌ بِمُخَالَفَتِهِمْ قَالَ .

وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿ لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَبَرُّؤَهُ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ بَرَّأَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ، فَمَنْ كَانَ مُتَّبِعًا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقِيقَةً كَانَ مُتَّبِعًا مِنْهُمْ ، كَتَبَرَّتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ كَانَ مُوَافِقًا لَهُمْ كَانَ مُخَالِفًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدْرِ مُوَافَقَتِهِ لَهُمْ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنْ مُشَابَهَتُهُمْ فِي بَعْضِ أَعْيَادِهِمْ ، تُوجِبُ سُرُورَ قُلُوبِهِمْ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ ، خُصُوصاً إِذَا كَانُوا مَقْهُورِينَ ، تَحْتَ ذُلِّ الْجِزْيَةِ وَالصُّغَارِ ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ صَارُوا قُرْعاً لَهُمْ فِي خَصَائِصِ دِينِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُوْجِبُ قَسْوَةَ قُلُوبِهِمْ وَانْشِرَاحَ صُدُورِهِمْ وَرَبِّمَا أَطْمَعَهُمْ ذَلِكَ فِي انْتِهَازِ الْفُرْصِ وَاسْتِدْلَالِ الضُّعَفَاءِ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَكُلَّمَا كَانَتْ الْمُشَابَهَةُ أَكْثَرَ كَانَ التَّفَاعُلُ فِي الْأَخْلَاقِ وَالصِّفَاتِ أَتَمَّ حَتَّى يَوُلَ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ لَا يُمَيِّزُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ إِلَّا بِالْعَيْنِ فَقَطْ .

وَلَمَّا كَانَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ مُشَارَكَةً فِي الْجِنْسِ الْخَاصِّ ، كَانَ التَّفَاعُلُ فِيهِ أَشَدُّ ، ثُمَّ بَيَّنَّهُ وَبَيْنَ سَائِرِ الْحَيَوَانِ مُشَارَكَةً فِي الْجِنْسِ الْمُتَوَسِّطِ ، فَلَا بُدَّ مِنْ نَوْعٍ تَفَاعُلٍ بِقَدْرِهِ .

ثُمَّ بَيَّنَّهُ وَبَيْنَ النَّبَاتِ مُشَارَكَةً فِي الْجِنْسِ الْبَعِيدِ مَثَلًا ، فَلَا بُلَّ مِنْ نَوْعٍ مَا مِنَ الْمُفَاعَلَةِ : قَالَ وَلِأَجْلِ هَذَا الْأَصْلِ وَقَعَ التَّأَثُّرُ وَالتَّأْيِيرُ فِي بَنِي آدَمَ ، وَاكْتِسَابِ بَعْضِهِمْ أَخْلَاقَ بَعْضٍ بِالْمُشَارَكَةِ ، وَالْمُعَاشَرَةِ ، وَكَذَلِكَ الْآدَمِيُّ إِذَا عَاشَرَ نَوْعًا مِنَ الْحَيَوَانِ ، اكْتَسَبَ مِنْ بَعْضِ أَخْلَاقِهِ .

وَلِهَذَا صَارَتْ الْخِيَلُ وَالْفُخْرُ فِي أَهْلِ الْإِبِلِ ، وَصَارَتْ السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ ، وَصَارَ الْجَمَالُونَ وَالْبَغَالُونَ فِيهِمْ أَخْلَاقَ مَذْمُومَةٍ ، مِنْ أَخْلَاقِ الْجَمَالِ وَالْبِغَالِ ، وَكَذَا الْكَلَابُونَ .

قُلْتُ وَهَذَا وَاضِحٌ مُشَاهِدٌ عِنْدَ الَّذِينَ يَتَأَمَّلُونَ بِدِقَّةٍ ، فَالْمُعَاشِرُونَ لِلدَّجَاجِ وَالْحَمَامِ ، وَالْأَرَانِبِ وَالْحُمُرِ وَالْبَقَرِ يَأْخُذُونَ مِنْ أَخْلَاقِهَا .

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَصَارَ الْحَيَوَانُ الْإِنْسِي فِيهِ بَعْضُ أَخْلَاقِ الْإِنْسِ مِنَ الْمُعَاشَرَةِ وَالْمُؤَالَفَةِ وَقِلَّةِ النَّفَرَةِ ، فَالْمُشَابَهَةُ وَالْمُشَاكَلَةُ فِي الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ تُوجِبُ مُشَابَهَةً وَمُشَاكَلَةً فِي الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ عَلَى وَجْهِ الْمَسَارَقَةِ وَالتَّدْرِيجِ الْخَفِيِّ .

قَالَ : وَقَدْ رَأَيْنَا الْيَهُودَ الَّذِينَ عَاشَرُوا الْمُسْلِمِينَ ، هُمْ أَقَلُّ كُفْرًا مِنْ غَيْرِهِمْ ، كَمَا رَأَيْنَا الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ مُعَاشَرَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى هُمْ أَقَلُّ إِيْمَانًا مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَالْمُشَارَكَةُ فِي الْهَدْيِ الظَّاهِرِ ، تُوجِبُ أَيْضًا مُنَاسَبَةً وَائْتِلَافًا وَإِنْ بَعُدَ الْمَكَانُ ، وَالزَّمَانُ ، فَهَذَا أَيْضًا أَمْرٌ مَحْسُوسٌ

فَمُشَابَهَتُهُمْ فِي أَعْيَادِهِمْ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ ، هُوَ سَبَبٌ لِنَوْعٍ مَّا مِنْ اكْتِسَابِ
أَخْلَاقِهِمُ الَّتِي هِيَ مَلْعُونَةٌ .

فَنَقُولُ مُشَابَهَتُهُمْ فِي الظَّاهِرِ سَبَبٌ وَمَظْنَةٌ لِمُشَابَهَتِهِمْ فِي عَيْنِ
الْأَخْلَاقِ وَالْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ ، بَلْ فِي نَفْسِ الْإِعْتِقَادِ ، وَتَأْثِيرُ ذَلِكَ لَا يَظْهَرُ
وَلَا يَنْضَبِطُ وَنَفْسُ الْفَسَادِ الْحَاصِلِ مِنَ الْمُشَابَهَةِ قَدْ لَا يَظْهَرُ وَلَا يَنْضَبِطُ
وَقَدْ يَتَعَسَّرُ ، أَوْ يَتَعَذَّرُ زَوَالُهُ ، بَعْدَ حُصُولِهِ لَوْ تَفَطَّنَ لَهُ .

وَكُلُّ مَا كَانَ سَبَباً إِلَى مِثْلِ هَذَا الْفَسَادِ فَإِنَّ الشَّارِعَ يُحَرِّمُهُ كَمَا دَلَّتْ
عَلَيْهِ الْأُصُولُ الْمَقْرَرَةُ .

وَقَالَ إِنَّ الْمُشَابَهَةَ فِي الظَّاهِرِ تُورِثُ نَوْعَ مَوَدَّةٍ وَمَحَبَّةٍ وَمَوَالَاةٍ فِي
الْبَاطِنِ قَالَ وَالْمَحَبَّةُ وَالْمَوَالَاةُ لَهُمْ تَنَافِي الْإِيمَانُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى
﴿ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى فِيمَا ذَمَّ بِهِ أَهْلَ الْكِتَابِ ﴿ لَعَنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﴾ الْآيَاتِ إِلَى
قَوْلِهِ ﴿ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ مُسْتَلْزِمٌ لِعَدَمِ وَلَايَتِهِمْ
فَقُبُوتُ وَلَايَتِهِمْ يُوجِبُ عَدَمَ الْإِيمَانِ ، انْتَهَى كَلَامُهُ .

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ كُلِّ مَا ذَكَرْنَا ، هُوَ أَنَّكَ
تَكُونُ مُتَيَقِّضاً حَافِظاً لِمَنْ وَلَّاكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَسَبَ قُدْرَتِكَ وَاسْتِطَاعَتِكَ
مُبْعِداً لَهُمْ كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ الْإِتِّصَالِ بِالْكَفَّارِ ، وَالسَّفَرِ إِلَى بِلَادِهِمْ ،
وَالْإِقَامَةِ عِنْدَهُمْ ، لِمَا وَضَّحْنَا لَكَ سَابِقاً فَإِنْ قِيلَتْ ذَلِكَ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ ،

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ آيَّتَ قَبُولَ هَذِهِ النَّصِيحَةِ فَسَوْفَ تَعْلَمُ إِذَا
انْجَلَى الْغُبَارُ ، أَفَرَسُ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارٌ .

أَلَا رَبُّ نَصَحَ يُغْلِقُ الْبَابَ ذُوهُهُ وَغَشِيَ إِلَى جَنْبِ السَّرِيرِ يُقَرِّبُ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ
لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ الْآيَتِينَ
وَقَالَ ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمْسَكُوا النَّارَ وَمَالَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
أَوْلِيَاءَ ﴾ الْآيَةَ .

قال ابن عباس : لَا تَمِيلُوا وَقَالَ عِكْرِمَةُ أَنْ تُطِيعُوهُمْ أَوْ تَوَدُّوهُمْ ،
أَوْ تَصْطَفِيَعُوهُمْ ، أَيْ تُؤَلُّوهُمْ الْأَعْمَالَ ، كَمَنْ يُؤَلِّي الْفُسَّاقَ وَالْفُجَّارَ .

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ وَمَنْ لَاقَ لَهُمْ دَوَاةً أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا أَوْ نَاولَهُمْ قِرْطَاسًا
دَخَلَ فِي هَذَا ، قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْآيَةِ فَالْنَّهْيُ مُتَنَاوِلٌ لِلْإِنْحِطَاطِ
فِي هَوَاهُمْ ، وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِمْ ، وَمُصْطَحَبَتِهِمْ ، وَمُجَالَسَتِهِمْ ، وَزِيَارَتِهِمْ
وَمُذَاهَبَتِهِمْ وَالرِّضَا بِأَعْمَالِهِمْ وَالتَّشَبُّهِ بِهِمْ وَالتَّزْيِي بِزِيَّتِهِمْ ، وَمَدِّ الْعَيْنِ إِلَى
زَهْرَتِهِمْ ، وَذِكْرِهِمْ بِمَا فِيهِ تَعْظِيمًا لَهُمْ قُلْتُ مَا أَكْثَرَ هَذَا فِي زَمَنَانَا نَسْأَلُ
اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَنَا عَنْ ذَلِكَ .

وَقَالَ آخَرُ لَا تَسْتَنْدُوا وَتَطْمَئِنُّوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ إِلَى الْجَبَّارِينَ
الطُّغَاةِ الظَّالِمِينَ ، أَصْحَابِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ الَّذِينَ يَقْهَرُونَ بِقُوَّتِهِمْ ،
وَيُظْلِمُونَ لَا تَمِيلُوا إِلَيْهِمْ طَالِبِينَ نُصْرَتِهِمْ أَوْ حِمَايَتَهُمْ مَهْمَا يَكُنْ فِي
أَيْدِيهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ وَالْمَالِ ، فَإِنَّ رُكُوبَكُمْ إِلَيْهِمْ عَلَى هَذَا النُّحُو

يَقْدَحُ فِي اعْتِمَادِكُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَفِي إِخْلَاصِكُمْ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ وَحْدَهُ
وَالِاتِّكَالِ عَلَيْهِ وَحْدَهُ وَالِاعْتِرَازِ بِهِ وَحْدَهُ .

وَالرُّكُونُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْمُتَسَلِّطِينَ سَوَاءً كَانُوا أَفْرَادًا أَوْ كَانُوا دُولًا
يَتِمَثَّلُ فِي صُورٍ شَتَّى ، وَمِنْهُ التَّعَاوُنُ مَعَ الطُّغَاةِ عَلَى الشُّعُوبِ ، الَّذِينَ لَا
يَحْكُمُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَمِنْهُ مُعَاهَدَاتُ الْحِمَايَةِ ، وَمُعَاهَدَاتُ الدِّفَاعِ
الْمُشْتَرَكِ ، وَمُعَاهَدَاتُ الصَّدَاقَةِ ، وَالتَّحَالُفُ مَعَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ
فِي دِيَارِهِمْ ، وَكُلُّ صُورَةٍ يَتَحَقَّقُ فِيهَا اعْتِمَادُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَهْلِ الظُّلْمِ
أَفْرَادًا وَدُولًا وَالِاسْتِنَادُ إِلَى قُوَّتِهِمْ ، وَعَوْنِهِمْ ، وَمُسَاعَدَتِهِمْ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ ﴾ صَدْرُ هَذِهِ السُّورَةِ نَزَلَ فِي حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ،
لَمَّا كَتَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ ، يُخْبِرُهُمْ بِمَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يُعَوِّلُ عَلَى الْكُفْرَةِ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ وَيَتَّخِذُهُمْ
أَوْلِيَاءَ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعِصْمَةَ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

فَيَجِبُ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ نَتَبَاعَدَ عَنْهُمْ وَلَا نُقَارِبَهُمْ فِي
الْمَنَازِلِ وَلَا نَذْهَبَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا نَكُونُ مَعَهُمْ ، وَأَنْ نُنْصَحَ مَنْ كَانَ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِهِمْ ، بِأَنْ يَهَاجِرَ عَنْهُمْ ، وَأَنْ نُبَيِّنَ لَهُ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَسْتَضِيئُوا بِنَارِ الْمُشْرِكِينَ » .

وَقَالَ « مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ أَوْ سَكَنَ مَعَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ » وَحَدِيثُ « أَنَا
بَرِيءٌ مِنْ مُسْلِمٍ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ لَا تَرَانِي نَارَاهُمَا » ، وَكَانَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ عَلَى أَصْحَابِهِ عِنْدَ الْبَيْعَةِ يَأْخُذُ عَلَى يَدِ أَحَدِهِمْ « أَنْ
لَا تَرَى نَارَكَ نَارَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ حَرْبًا لَهُمْ » .

وَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَنْدَةَ مَرْفُوعاً « لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُسْلِمٍ عَمَلًا
أَوْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ » ، أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَوَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ أَقْسَمَ لَا
يُظِلُّهُ سَقْفٌ ، هُوَ وَقَاطِعُ رَجِمٍ .

فَانْتَبِهْ يَا مَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَأَتَى بِكُفَارٍ خدامين أو سواقين أو خياطين
أو طباحين وأمنهم على محارمه وهم أعداء الله ورسوله والمؤمنين هذا والعياذ بالله
إجرام عظيم ومحاربة لله ورسوله والمؤمنين ونشر للفساد في البلاد الإسلامية .

فَكَيْفَ بِمَنْ يَذْهَبُ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ وَيَجْلِسُ مَعَهُمْ ، وَيَأْكُلُ ،
وَيَشْرَبُ وَيَتَبَادَلُ مَعَهُمُ الْكَلَامَ بِلَيْنٍ وَيُشِيرُ وَيَنَامُ وَيَضْحُو ، وَيَقُومُ وَيَقْعُدُ
وَهُوَ بَيْنَهُمْ فِي تَقَلُّبَاتِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ .

وَلَقَدْ وَصَلَ الْأَمْرُ فِي هَذَا الزَّمَنِ إِلَى أَنَّ أَنْاسًا يَبْعَثُونَ أَمَانَاتِهِمْ أَفْلَادَ
اِكْبَادِهِمْ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ وَالْحَرِيَّةِ وَالْفَسَادِ يَتَعَلَّمُونَ عِنْدَ أَوْلَئِكَ
الْكُفْرَةَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ تَجِبُ الْهَجْرَةُ مِنْ بِلَادِهِمْ وَرُبَّمَا كَانَ
عِنْدَ الْأَوْلَادِ الْمَبْعُوثِينَ لِلتَّعَلُّمِ عِنْدَ الْكُفْرَةِ مَبَادِيءُ طَيِّبَةٍ وَأَخْلَاقٌ فَاضِلَةٌ فَإِذَا
ذَهَبُوا إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ضَيَّعُوا دِينَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ وَاعْتَاضُوا عَنْ
قَصْدٍ وَعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ شُرُورًا وَسُمُومًا يَحْمِلُونَهَا ثُمَّ يَأْتُونَ بِهَا فَيَنْفُثُونَهَا بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ يُعْدُونَ أَقْرَانَهُمْ وَيُزَيِّنُونَ لَهُمْ طَرِيقَتَهُمْ فَيَهْلِكُونَ وَيُهْلِكُونَ وَلَا
أَذْرِي مَاذَا عِنْدَ مُضَيِّعِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ مِنَ الْجَوَابِ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ
جَلٌّ وَعَلَا وَسَأَلَهُ عَنْ هَذِهِ الْأَمَانَةِ وَمَا أَعْقَبَتْ مِنْ شُرُورٍ وَفَسَادٍ .

هَلْ يَدَّعِي أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ أَنَّهَا بِلَادُ كُفْرٍ وَإِلْحَادٍ فَيَكُونُ كَاذِبًا أَوْ يَقُولُ
إِنَّهُ يَذَرِي وَلَكِنَّهُ لَا يُبَالِي بِهَذِهِ الْأَمَانَةِ قُولُوا لَهُ أَلَسْتَ تَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ
يَحْمِلْنَهَا ﴾ الْآيَةَ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ هَذَا

إِذَا كَانَ الْبَاعِثُ رَاضِيًا بِذَلِكَ أَوْ آمِرًا بِهِ .

فَهَلْ الْكُفَّارُ أَهْلٌ لِمَوْضِعِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ عِنْدَهُمْ أَمَا تَخْشَى اللَّهَ هَذَا
وَاللَّهُ جَزْمٌ عَظِيمٌ قَالَ تَعَالَى ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ ﴿ رَبَّنَا لَا
تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ،
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ﴿ إِنَّ مِنْ
أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ .

وَالشَّيْءُ الَّذِي يُضْحِكُ الْإِنْسَانَ مِنْ جِهَةٍ وَيُبْكِيهِ مِنْ جِهَةٍ هُوَ أَنَّهُ
رُبَّمَا يَكُونُ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الَّذِينَ يُعَدُّونَ طَاهِرَةً قُلُوبُهُمْ وَلَكِنْ غَفَلُوا عَنْ
هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا هَلْ يَجُوزُ لَهُمْ أَمْ لَا ثُمَّ الشَّيْءُ الثَّانِي يَأْتِي
أَنَاسٌ آخَرُونَ لَا يَعْرِفُونَ الْوَلَاءَ وَالْبَرَاءَ أَوْ يَعْرِفُونَهُ وَلَكِنْ يَتَسَاهَلُونَ فَيَأْخُذُونَ
الَّذِي جَاءُوا مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ يَحْمِلُونَ شَهَادَاتِهِمْ بِالذُّوَابِ وَالْوَلَايِمِ وَهَذَا
وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَشْجِيعًا عَلَى الْمَعَاصِي وَحَثًّا عَلَيْهَا وَإِغْرَاءً بِهَا نَسْأَلُ اللَّهَ
الْعَافِيَةَ .

لَأَنَّ الْوَاجِبَ هَجْرُهُمْ وَالْإِبْتِعَادُ عَنْهُمْ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
إِخْوَانَهُمْ كَمَا هُوَ الْمَعْهُودُ فِي الزَّمَنِ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ فَيَمْنُ جَاءَ مِنَ الْبِلَادِ
الَّتِي مُسْتَعْمَرَةٌ لِلْكَفَرَةِ يُهْجَرُ لَا يُكَلِّمُ وَلَا يُدْعَى وَلَا تُجَابُ دَعْوَتُهُ عِنْدَ
الْمُتَمَسِّكِينَ بِالِدِينِ تَمَامًا الصُّدَّاعِينَ بِالْحَقِّ الْمُخْلِصِينَ لِلَّهِ النَّاصِحِينَ لِلَّهِ
وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْوَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَلَكِنْ يَا لِلْأَسَفِ ذَهَبَ النَّاسُ وَبَقِيَ
النُّسْنَسُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ الْوَلَاءَ وَالْبَرَاءَ إِلَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحُطَامِ الدُّنْيَا .

فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ
وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْرِفُ

آخِر :

أَلَا رَبُّ نَصَحٍ يُغَلِّقُ الْبَابَ دُونَهُ وَغَشَّ إِلَى جَنْبِ السَّرِيرِ يُقَرِّبُ

آخِر :

بَذَلْتُ نَصَحِي بِمُنْعَرَجِ الْإِلْسَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

وَيُذَكِّرُ عَنْ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ تَحَبَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِبُغْضِ أَهْلِ
الْمَعَاصِي ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْبُعْدِ عَنْهُمْ ، وَاطْلُبُوا رِضَى اللَّهِ بِسَخْطِهِمْ فَإِذَا
كَانَ هَذَا مَعَ أَهْلِ الْمَعَاصِي ، فَكَيْفَ بِالْكَفَرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ أَعْدَاءِ
اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ .

وَقَدْ أَجَابَ أَبْنَاءُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ لَمَّا سُئِلُوا عَنْ
السَّفَرِ إِلَى بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ ، لِلتَّجَارَةِ بِمَا حَاصِلُهُ أَنَّهُ يَحْرُمُ السَّفَرُ إِلَى بِلَادِ
الْمُشْرِكِينَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ قَوِيًّا لَهُ مَنَعَةٌ يَقْدِرُ عَلَى إِظْهَارِ دِينِهِ وَإِظْهَارِ الدِّينِ
تَكْفِيرُهُمْ وَعَيْبُ دِينِهِمْ وَالطَّعْنُ عَلَيْهِمْ وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ وَالتَّحْفُظُ مِنْ مُوَادَّتِهِمْ
وَالرُّكُونُ إِلَيْهِمْ وَاعْتِزَالُهُمْ وَلَيْسَ فِعْلُ الصَّلَوَاتِ فَقَطْ إِظْهَارٌ لِلدِّينِ أَه .

نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ فَيَا أَيُّهَا الْمُعَافِي احْمَدُ رَبِّكَ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا
مُبَارَكًا وَأَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ : رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ وَمِنْ قَوْلِ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ
وَيَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ وَقَوْلِ اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى
نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ وَأَحْسِنْ خَاتِمَتِي فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا
وَاعْفِرْ لِي وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله :

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ كُلِّ مَنْ طَغَى
عَلَى قَلْبِهِ رَيْنٌ مِنَ الرَّيْبِ وَالْعَمَا
لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْطَأْتُمُو إِذْ سَلَكْتُمْ
طَرِيقَةَ جَهْلِ غِيْهَا قَدْ تَجَهَّمَا
أَيَحْسَبُ أَهْلُ الْجَهْلِ لَمَّا تَعَسَّفُوا
وَجَاؤُوا مِنَ الْعُدْوَانِ أَمْرًا مُحَرَّمًا

بِأَنَّ حِمَى التَّوْحِيدِ لَيْسَ بِرَبْعِهِ
وَلَا حِصْنِهِ مَنْ يَحْمِيهِ أَنَّ يَهْدَمَا
وَضَنُّوا سَفَاهاً أَنْ خَلَى فَتَوَاتَبَتْ
تَعَالِبُ مَا كَانَتْ تَطَا فِي فِنَا الْحِمَا
أَيَحْسَبُ أَعْمَى الْقَلْبُ أَنَّ حِمَاتَهُ
غُفَاةٌ فَمَا كَانُوا غُفَاةً وَنُومَا
فَإِنْ كَانَ فَدَمٌ جَاهِلٌ ذُو غَبَاوَةٍ
رَأَى سَفَاهاً مِنْ رَأْيِهِ أَنْ تَكَلَّمَا
بِقَوْلٍ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرْكَبِ خَالَهُ
صَوَاباً وَقَدْ قَالَ الْمَقَالَ الْمَذْمَا
سَنَكْشَفُ بِالْبُرْهَانِ غَيْهَبَ جَهْلِهِ
وَيَعْلَمُ حَقّاً أَنَّهُ قَدْ تَوَهَّمَا
وَنُظْهِرُ مِنْ عَوْرَاتِهِ كُلَّ كَامِنٍ
لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ جَاءَ إِفْكَاً وَمَأْثَمَا
رُويَدَا فَأَهْلُ الْحَقِّ وَيُحْكُ فِي الْحِمَى
وَقَدْ فَوَّقُوا نَحْوَ الْمُعَادِينِ أَسْهُمَا
وَتِلْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالسُّنَنِ الَّتِي
هِيَ النُّورُ إِنْ جَنَّ الظُّلَامُ وَأَجْهَمَا
فِيَا مَنْ رَأَى نَهْجَ الضَّلَالَةِ نَيْرًا
وَمَهْيَعَ أَهْلَ الْحَقِّ وَالِدِينَ مُظْلِمَا
لَعْمَرِي لَقَدْ أَخْطَأْتَ رُشْدَكَ فَاتَّبِدْ
وَرَاجِعْ لِمَا قَدْ كَانَ أَقْوَى وَأَقْوَمَا
مِنَ الْمَنْهَجِ الْأَسْنَى الَّذِي ضَاءَ نُورُهُ
وَدَعِ طُرُقاً تُفْضِي إِلَى الْكُفْرِ وَالْعَمَا

وملة إبراهيم فاسلك طريقها
 وعاد الذي عاداه إن كنت مسلماً
 وقال الذي والى وإياك أن تكن
 سفيهاً فتخطى بالهوان وتندما
 أفي الدين يا هذا مساكنة العدا
 بدار بها الكفر اذلهم وأجهما
 وأنت بدار الكفر لست بمظهر
 لدينك بين الناس جهراً ومعلماً
 بأي كتاب أم بآية آية
 أخذت على هذا دليلاً مسلماً
 وإن الذي لا يظهر الدين جهرة
 أبحت له هذا المقام المحرم
 إذا صام أو صلى وقد كان مبغضاً
 وبالقلب قد عادى ذوى الكفر والعما
 تكلتك هل حدثت نفسك مرة
 بملة إبراهيم أو كنت معدماً
 ففي الترمذي أن النبي محمداً
 بريء من المرء الذي كان مسلماً
 يقيم بدار أظهر الكفر أهلها
 فيأويح من قد كان أعمى وأبكم
 أما جاء آيات تدل بأنه
 إذا لم يهاجر مستطيع فإنما
 جهنم مأواه وساءت مصيره
 سوى عاجز مستضعف كان معدماً

فَهَلْ عِنْدَكُمْ عِلْمٌ وَبُرْهَانٌ حُجَّةٌ
فَحْيَا هَلَّا هَاتُوا الْجَوَابَ الْمُحْتَمَا
وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَجِثُوا بِحُجَّةٍ
لِتَدْفَعَ نَصًّا ثَابِتًا جَاءَ مُحْكَمًا
وَلَكِنَّمَا الْأَهْوَاءُ تَهْوِي بِأَهْلِهَا
فَوَيْلٌ لِمَنْ أَلَوَتْ بِهِ مَا تَأَلَّمَا
أَلَا فَافِيقُوا وَارْجِعُوا وَتَنَدَّمُوا
وَفِيئُوا فَإِنَّ الرُّشْدَ أَوْلَى مِنَ الْعَمَا
وَوَظَنِي بِأَنَّ الْحُبَّ لِلَّهِ وَالْوَلَا
عَلَيْهِ تَوَلَّى عَنْكُمْو بَلْ تَصَرَّمَا
وَحُبُّكُمْ الدُّنْيَا وَابْتَاعَ بِهَا
عَلَى الدِّينِ أَضْحَى أَمْرُهُ قَدْ تَحَكَّمَا
لِذَلِكَ دَاهَنْتُمْ وَوَالَيْتُمُوا الَّذِي
بِأَوْضَارِ أَهْلِ الْكُفْرِ قَدْ صَارَ مُظْلِمًا
وَجَوَزْتُمُوا مِنْ جَهْلِكُمْ لِمُسَافِرٍ
إِقَامَتَهُ بَيْنَ الْغُيُوبِ تَحْكُمَا
بَغَيْرِ دَلِيلٍ قَاطِعٍ بَلْ بِجَهْلِكُمْ
وَتَلْبِيسِ أَفَّاكَ أَرَادَ التَّهْكُمَا
وَقَدْ قُلْتُمَا فِي الشَّيْخِ مَنْ شَاعَ فَضْلُهُ
وَأَنْجَدَ فِي كُلِّ الْفُتُونِ وَاتَّهَمَا
إِمَامَ الْهُدَى عَبْدَ اللَّطِيفِ أَخِي التَّقَى
فَقُلْتُمْ مِنَ الْعُدْوَانِ قَوْلًا مُحَرَّمًا
مَقَالَةً فَدَمِ جَاهِلٍ مُتَكَلِّفٍ
يَرَى أَنَّهُ كُفُوا فَقَالَ مِنَ الْعَمَا

يُنْفِرُ بَلْ قَدْ قُلْتُمُوا مِنْ غِبَائِكُمْ
يُشَدُّ أَوْ قُلْتُمْ أَشَدَّ وَأَعْظَمًا
وَلَيْسَ يَضُرُّ السُّحْبَ فِي الْجَوِ نَابِحٌ
وَهَلْ كَانَ إِلَّا بِالْأَغَاثَةِ قَدْ هَمَا
فَيَدْعُو لَهُ مَنْ كَانَ يَحْيَى بِصَوْبِهِ
وَيُنَجِّيه مَنْ كَانَ أَعْمَى وَأَبْكَمَا
أَيُّ سَبِّ لَلْتَنْفِيرِ وَهُوَ الَّذِي لَهُ
رَسَائِلُ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا مَنْ تَوَهَّمَا
يُؤَنَّبُ فِيهَا مَنْ رَأَى مِنْهُ غُلْطَةً
وَيَأْمُرُ أَنْ يَدْعُوا بِلَيْنٍ وَيَحْلُمَا
وَيُنْسَبُ لِلتَّشْدِيدِ إِذْ كَانَ قَدْ حَمَا
حَمَى الْمِلَّةَ السَّمَحَاءِ أَنْ لَا تَهْدَمَا
وَعَارَ عَلَيْهَا مِنْ أَنْاسٍ تَرْخَصُوا
وَقَدْ جَهِلُوا الْأَمْرَ الْخَطِيرَ الْمُحَرَّمَا
فَلَوْ كُنْتُمْ أَعْلَى وَأَفْضَلَ رُتَبَةً
وَأَزْكَى وَأَتَقَى أَوْ أَجَلٌّ وَأَعْلَمَا
يُشَارُ إِلَيْكُمْ بِالْأَصَابِعِ أَوْ لَكُمْ
مِنْ الْعِلْمِ مَا فُقْتُمْ بِهِ مَنْ تَقَدَّمَا
لَكُنَّا عَذْرَانَاكُمْ وَقُلْنَا أَيْمَةً
جَهَابِذَةً أَحْرَى وَأَذْرَى وَأَفْهَمَا
وَلَكُنْكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَا لَكُمْ
مِنْ الْعِلْمِ مَا فُقْتُمْ بِهِ مَنْ تَعَلَّمَا
وَمِنْ أَصْغَرِ الطُّلَابِ لِلْعِلْمِ بَلْ لَكُمْ
مَزِيَّةٌ جَهْلٌ غِيْهَا قَدْ تَجَهَّمَا

لِذَلِكَ أَقْدَمْتُمْ لِفَتْحٍ وَسَائِلٍ
وَقَدْ سَدَّهَا مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْلَمًا
تَكَلُّتُمْ هَلْ حَدَّثْتُمْ نَفْسَكُمْ
بِخَرْقِ سِيَاجِ الدِّينِ عُذُوا وَمَائِمًا
وَإِنَّ الْحَمَاءَ النَّاصِرِينَ لِرَبِّهِمْ
وَاللَّيْدِينَ قَدْ مَاتُوا فَمَنْ شَاءَ أَقْدَمَا
عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مُحَرَّمٍ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَازِعٍ أَنْ تَكَلَّمَا
وَإِنْ جَمَى التَّوْحِيدِ أَقْفَرَ رَسْمُهُ
فَقُلْتُمْ وَلَمْ تَحْشَوْا عِتَابًا وَمَنْقَمًا
فَنَحْنُ إِذَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَمْ نَزَلْ
عَلَى ثَغْرَةِ الْمَرْمَى قُعوداً وَجُثَمًا
أَلَا فَاقْبَلُوا مِنَّا النَّصِيحَةَ وَاحْذَرُوا
وَفِيئُوا إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَسْلَمًا
وَالَا فَإِنَّا لَا نُوَافِقُ مَنْ جَفَا
وَيَسْعَى بِأَنْ يُوطَى الْحِمَى أَوْ يَهْدَمَا
كَمَا أَنَّا لَا نَرْضِي جَوْرَ مَنْ غَلَا
وَزَادَ عَلَى الْمَشْرُوعِ إِفْكَاً وَمَائِمًا
وَيَا مُوْثِرَ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ إِنَّمَا
عَلَى قَلْبِكَ الرَّأْيُ الَّذِي قَدْ تَحَكَّمَا
وَعَادَيْتَ بَلْ وَالَيْتَ فِيهَا وَلَمْ تَخَفْ
عَوَاقِبَ مَا تَجْنِي وَمَا كَانَ أَعْظَمًا
أَغْرَيْتَكَ دُنْيَاكَ الدُّنْيَا رَاضِيًا
بَزَهْرَتِهَا حَتَّى أَبْحَتَ الْمُحَرَّمَا

تَرُوقُ لَكَ الدُّنْيَا وَلِذَاتِ أَهْلِهَا
كَأَنَّ لَمْ تَصِرْ يَوْمًا إِلَى الْقَبْرِ مُعْدِمًا
خَلِيًّا مِنَ الْمَالِ الَّذِي قَدْ جَمَعْتَهُ
وَفَارَقْتَ أَحْبَابًا وَقَدْ صِرْتَ أَكْثَمًا
وَلَمَّا تَقَدَّمَ مَا يُنَجِّيكَ فِي غَدٍ
مِنَ الدِّينِ مَا قَدْ كَانَ أَهْدَى وَأَسْلَمًا
وَذَلِكَ أَنْ تَأْتِيَ بِدِينِ مُحَمَّدٍ
وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا
تُوَالِي عَلَى هَذَا وَتَرْجُو بِحُبِّهِمْ
رَضَى الْمَلِكِ الْعَلَامِ إِذْ كَانَ أَكْثَمًا
وَتُبْغِضُ مَنْ عَادَى وَتَرْجُو بِبُغْضِهِمْ
مِنَ اللَّهِ إِحْسَانًا وَجُودًا وَمَغْنَمًا
فَهَذَا الَّذِي نَرْضَى لِكُلِّ مُوَحِّدٍ
وَنَكْرَهُ أَسْبَابًا تُرِدُّهُ جَهَنَّمَ
وَصَلِّ إِلَهِي مَا تَأْلُقُ بَارِقُ
عَلَى الْمُصْطَفَى مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَكْثَمًا
وَأَلٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا
وَتَابِعَهُمْ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ كُلُّنَا يَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ قِسْمَانِ ، قِسْمٌ انْحَازَ إِلَى اللَّهِ ،
وَهَؤُلَاءِ حِزْبُ اللَّهِ ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وَقِسْمٌ اُنْحَازَ إِلَى عَدُوِّ اللّٰهِ اِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللّٰهُ وَهُوَ لَا يَزُبُّ الشَّيْطَانَ
الَّذِينَ قَالَ اللّٰهُ فِيْهِمْ : ﴿اُولٰٓئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ اِلَّا اِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
الْخٰسِرُونَ﴾ فَاَلَّا وُلُّوْنَ الَّذِيْنَ هُمُ حِزْبُ اللّٰهِ لَا تَرٰهُمْ يُطِيعُوْنَ الشَّيْطَانَ اَبَدًا
وَلِذٰلِكَ لَا تَجِدُهُمْ يُّفْسِدُوْنَ فِي الْاَرْضِ ، بَلْ هُمُ بَرَكَةٌ فِيْ هٰذَا الْوُجُوْدِ .

فَاِذَا رَأَيْتَ مَسْجِدًا مَّعْمُورًا فَهُمُ الَّذِيْنَ وَفَّقَهُمُ اللّٰهُ لِبِنَائِهِ ، وَاِنْ قِيلَ
لَكَ اِنَّهُمْ لَا يَظْلِمُوْنَ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ فَصَدِّقْ ، وَاِنْ رَأَيْتَ
مُحْتَاجًا سُدَّتْ حَاجَتُهُ ، فَهُمُ الَّذِيْنَ وَفَّقَهُمُ اللّٰهُ لِاِنْعَاشِهِ ، وَسَدِّهَا ، وَاِنْ
رَأَيْتَ عَارِيًّا فَهُمُ الَّذِيْنَ وَفَّقَهُمُ اللّٰهُ لِكِسْرَتِهِ ، وَاِنْ قِيلَ اِنَّ الْمُنْكَرَ الْفُلَانِي
اُزِيلَ فَهُمُ الَّذِيْنَ وَفَّقَهُمُ اللّٰهُ لِلتَّسْبِيْ فِيْ اِزَالَتِهِ ، وَاِنْ قِيلَ لَكَ اِنَّ اِصْلَاحًا
فِي الْاَرْضِ كَانَ صَعْبًا فَسُهِّلْ بِاِذْنِ اللّٰهِ ، فَهُمُ الَّذِيْنَ وَفَّقَهُمُ اللّٰهُ لِاِزَالَتِهِ اَوْ
تَسْهِيْلِهِ .

وَاِنْ قِيلَ اِنَّ اُنَاسًا يَدُوْرُوْنَ عَلَى الْبُيُوتِ يَتَفَقَّدُوْنَ الْفُقَرَاءَ الَّذِيْنَ لَيْسَ
لَهُمْ مَوَارِدُ فَهُمُ الَّذِيْنَ وَفَّقَهُمُ اللّٰهُ لِذٰلِكَ ، وَاِنْ قِيلَ اِنَّ اُنَاسًا يَتَفَقَّدُوْنَ مَنْ
عَلَيْهِ دَيْنٌ فَيَتَسَبَّبُوْنَ لِوَفَائِهِ ، فَهُمُ الَّذِيْنَ وَفَّقَهُمُ اللّٰهُ لِذٰلِكَ ، وَاِنْ قِيلَ اِنَّهُمْ
يَعْبُدُوْنَ اللّٰهَ عِبَادَةً مَنْ لَا يَمَلُّ وَلَا يَفْتُرُ ، فَصَدِّقْ بِمَجْرَدِ مَا يُقَالُ لَكَ .

وَاِنْ قِيلَ اِنَّ بَعْضَ الْبُيُوتِ وَهِيَ الْقَلِيْلَةُ اِنَّكَ تَسْمَعُ فِيْهَا بِاللَّيْلِ
صَوْتَ بُكَاءٍ وَاِنْيٍ وَتَهْجُدًا وَاسْتَغْفَارًا ، فَهُمُ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ وَفَّقَهُمُ اللّٰهُ
وَجَعَلَهُمْ حِزْبَهُ .

وَاِنْ قِيلَ لَكَ اِنَّ اُنَاسًا عِنْدَهُمْ عَطْفٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَرَحْمَةٌ وَاِيثارٌ
وَاحْسَانٌ إِلَى الْجَارِ ، وَمُوَاسَاةٌ لِلضُّعَفَاءِ ، وَغَيْرَ ذٰلِكَ ، مِمَّا يَكَادُ فِي زَمٰنِنَا

هَذَا أَنْ يَكُونَ نَادِرًا فَهُمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ وَفَقَهُمُ الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ
الْمُهَذَّبُونَ الْمُتَنَوِّرُونَ الْمُتَأَدِّبُونَ .

أما الفريق الثاني عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَنْ طَرِيقِ سُلُوكِهِمْ ، فَهُمْ
حِزْبُ الشَّيْطَانِ لَا يَحْصُلُ فَسَادٌ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مِنْهُمْ ، لِأَنَّهُمْ حِزْبُ
الشَّيْطَانِ وَإِنْ قِيلَ إِنَّ مُؤْمِنًا قُتِلَ فَهُمْ الَّذِينَ قَتَلُوهُ ، أَوْ تَسَبَّبُوا لِقَتْلِهِ ، لَا
يَخْتَلِفُ فِي ذَلِكَ اثْنَانِ ، وَإِنْ قِيلَ لَكَ إِنَّ سَيَّارَةً سُرِقَتْ فَهُمْ الَّذِينَ
سَرَقُوهَا .

وَإِنْ قِيلَ إِنَّ مَنْزِلًا هُوَ جَمَ وَسُرِقَ فَقُلْ بَلَا تَرُدُّ هُمْ الَّذِينَ هَاجَمُوهُ ،
وَسَرَقُوهُ ، وَهَلْ حِزْبُ الرَّحْمَنِ يَعْتَدُونَ مِثْلَ هَذَا الْعُدْوَانِ ، وَإِنْ قِيلَ إِنَّ
إِنْسَانًا خُطِفَ وَغُيِّبَ وَلَا يُعْلَمُ أَيْنَ كَانَ ، فَقُلْ هُمْ الَّذِينَ خَطَفُوهُ وَغَيَّبُوهُ ،
وَإِنْ قِيلَ إِنَّ مُسْلِمًا ذَا ثَرَوَةٍ نُشِلَ وَأُخِذَ مِنْهُ آلَافٌ ، فَقُلْ وَهَلْ يَنْشُلُ
وَيَخْطِفُ وَيَعْبَثُ بِأَمْوَالِ النَّاسِ إِلَّا أَوْلَئِكَ الْأَشْرَارُ حِزْبُ الشَّيْطَانِ .

حِزْبُ اللَّهِ الْمُوَفَّقُونَ الْكُمَّلُ بَعِيدُونَ عَنِ الْمَعَاصِي جِدًّا ، فَلَا تَرَى
الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَتَعَمَّدُ الْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقِ ، وَيُدَاوِمُ الْمُرُورَ فِيهَا لِمُطَارَدَةِ
النِّسَاءِ ، وَمُغَارَلَتِهِنَّ ، وَلَا تَرَاهُ يُرَكِّبُ النِّسَاءَ بِلا مَحْرَمٍ وَلَا يُدْخِلُهَا
لِتَشْتَرِي أَوْ يُفْصِلُ عَلَيْهَا وَلَيْسَ مَعَهَا مَحْرَمٌ وَلَا تَجِدُهُ يَبِيعُ صُورَ ذَوَاتِ
الْأَرْوَاحِ ، وَلَا يُصَوِّرُهَا ، وَلَا يَبِيعُ الْبِدْعَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَلَا يَجْلِسُ عِنْدَهَا ،
وَهِيَ الْبِدْعُ الْمُحَرَّمَةُ ، الَّتِي حَدَّثَتْ فِي زَمَانِنَا مِثْلَ التَّلْفِزِيُونِ وَالسِّينِمَاءِ
وَالْمِذْيَاعِ ، وَالْكُرَةِ ، وَالْوَرَقِ ، وَالْبَكَمِ وَالذُّخَانِ وَالْفَذْيِ وَنَحْوِ الْمُنْكَرَاتِ
الَّتِي قَضَتْ عَلَى الْغَيْرَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَالشِّيمَةِ وَالرُّجُولَةِ .

وَلَا يَغُشُّ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَكُونُ ذَا وَجْهَيْنِ يَتَكَلَّمُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ بِوَجْهِ

وعند الآخرين بوجه ، ولا يُناقض ولا يُوقع بريثاً في مازق ولا يشهد بالزور ، ولا يحظر عند المنكرات ، بل تراه في مجالس الذكر يدورون حول ما يقربهم إلى الله .

ولا تراه يركنون إلى أعداء الله ، ولا الفسقة ولا يعظمونهم ولا يتملقون لهم ، ويضحكون معهم ، كما يفعل السذج ، الذين لا يعرفون الولاء والبراء ، ولا تشرح صدورهم ، ولا تهتز عواطفهم ولا تستريح قلوبهم ، ولا يهلؤ بألهم ، ولا يسكن قلقهم ، إلا إذا زاحمهم وجالسوهم ، ومازحوهم وعظموهم ، ممن نسوا الله فأنساهم أنفسهم والتهوا عما هم إليه صائرون ، فلم يحسبوا له حساباً قال تعالى ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ .

وقال تعالى ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ﴾ وقال تعالى ﴿ أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ﴾ الآية .

فالذي ينبغي أن يتبع ويقتدى به من تمسك بكتاب الله ، وامتلأ قلبه بمحبة الله ، وقاص ذلك على لسانه ، فلهج بذكر الله ، ودعا إلى الله واتبع مراضيه ، فقدّمها على هواه وحفظ وقته في طاعة الله بعيداً عن أذية المسلمين لا يقابل الإساءة بمثلها بل يدفع بالتي هي أحسن وهذا حقاً هو المذهب المتنور :

قال بعضهم :

وأجب كل مذهب لو أنه
خصمي وأرحم كل غير مذهب

يَأْتِي فُؤَادِي أَنَّ يَمِيلَ إِلَى الْأَذَى
حُبُّ الْأَذِيَّةِ مِنْ طِبَاعِ الْعَقْرِ
لِي إِنْ أَرَدْتُ مَسَاءً بِمَسَاءٍ
لَوْ أَنِّي أَرْضَى بِبَرْقِ خُلْبِ
حَسْبُ الْمُسِيءِ شُعُورُهُ وَمَقَالُهُ
فِي سِرِّهِ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُذْنِبِ

اللهم خَفِّفْ عَنَّا الْأَوْزَارَ وَأَرْزُقْنَا عَيْشَةَ الْأَبْرَارِ وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ
الْأَشْرَارِ وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِنَ النَّارِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ وَيَا
كَرِيمُ وَيَا سَتَّارُ وَيَا حَلِيمُ وَيَا جَبَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ
أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ الْآيَةُ أَنَّهَا
نَزَلَتْ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ .

وَالِيكَ الْقِصَّةُ مَسُوقَةٌ بِأَكْمَلِهَا ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، كَانَ صَحَابِيًّا جَلِيلًا وَبَطَلًا عَظِيمًا مِنْ أَبْطَالِ الْإِسْلَامِ مِنَ
الْمُجَاهِدِينَ ، حَرِصَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى قَتْلِهِ فِي أَوَّلِ لِقَاءٍ ، لِأَنَّ أَبَا
عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَرَكَ دِينَ أَبِيهِ ، وَاعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ ، وَتَخَلَّفَ عَنْ قَافِلَةِ

قُرَيْشٍ ، وَالتَّحَقَّ بِقَافِلَةِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُؤْمِنًا
بِدِينِهِ مُصَدِّقًا بِرِسَالَتِهِ .

تَصَدَّى عَبْدُ اللَّهِ لِأَبْنِهِ مُحَاوِلًا قَتْلَهُ ، فِي غَزْوَةِ بَذْرِ ، وَلَكِنْ الْابْنُ
أَبْعَدَ عَنْهُ ، وَحَوَّلَ سَيْفَهُ عَنْ أَبِيهِ وَانْطَلَقَ إِلَى فِتَّةٍ أُخْرَى غَيْرَ الَّتِي فِيهَا
أَبُوهُ ، يُقَاتِلُهَا وَيُجَاهِدُهَا وَافْتَرَقَ الرَّجُلَانِ وَلَكِنْ الْأَبُ بَحَثَ عَنْ ابْنِهِ حَتَّى
التَّقَى بِهِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَرَفَعَ سَيْفَهُ عَلَيْهِ وَوَجَّهَ إِلَيْهِ ضَرْبَةً قَاضِيَةً اسْتَقْبَلَهَا أَبُو
عُبَيْدَةَ بِحَرَكَةٍ خَفِيفَةٍ ، جَعَلَتْهَا تَهْوِي فِي الْفَضَاءِ .

وَلَكِنْ الْأَبُ مُصَمِّمٌ عَلَى أَنْ لَا يُفْلِتَ الْابْنُ مَهْمَا كَلَّفَهُ ذَلِكَ مِنْ
غَالِي الثَّمَنِ فَبَحَثَ عَنْ ابْنِهِ هُنَا وَهُنَاكَ ، وَنَقَبَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى
التَّقَى بِهِ مَرَّةً ثَالِثَةً ، وَرَفَعَ الرَّجُلُ سَيْفَهُ لِيُوجِّهَ إِلَى ابْنِهِ ضَرْبَةً قَاضِيَةً مُمِيتَةً
يَشْفِي كُلَّوْمَ قَلْبِهِ ، وَتَهْلُو بِهَا نَفْسُهُ الثَّائِرَةُ عَلَى ابْنِهِ الصَّابِيءِ .

وَهُنَا نَظَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ أَبَاهُ يَعْتَزُّ وَيَتَصَدَّى لَهُ وَفِي اعْتِرَاضِهِ هَذَا
اعْتِرَاضٌ لِلْإِسْلَامِ ، فَمَا أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَّا جُنْدِيٌّ مِنَ الْجُنُودِ الْقَائِمِينَ بِنَصْرِ
الْإِسْلَامِ ، وَأَنَّ فِي تَصَدِّيهِ لَهُ سَدًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِقَامَةِ دِينِ الرَّحْمَنِ ، وَانْتِشَارِ
كَلِمَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَضُمُّ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى هَذَا ، وَهَلْ يَسْكُتُ
عَلَى مَنْ يَحُولُ بَيْنَ دَعْوَةِ اللَّهِ ، أَنْ تَقُومَ فِي الْأَرْضِ وَأَنْ تُنْشَرُ بَيْنَ النَّاسِ
كَلَا لَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيْهِ نَحْوَ أَبِيهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ مَرَّتَيْنِ .

وَلَكِنْ مَا دَامَ أَبُوهُ يَحْرِصُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، فَلْيَكُنْ هُوَ أَسْبَقُ مِنْ
أَبِيهِ فِي حَرْصِهِ عَلَى قَتْلِهِ ، كَذَلِكَ وَالتَّقَى السِّيفَانِ وَتَقَابُلَ الرَّجُلَانِ وَوَقَفَ
الْخَصْمَانِ ، وَفِي لَمْحَةٍ خَاطِفَةٍ رَفَعَ الرَّجُلَانِ سَيْفَيْهِمَا كُلُّهُمَا يَحْرِصُ عَلَى
قَتْلِ صَاحِبِهِ ، وَالْإِنْتِصَارِ لِدِينِهِ .

وَرَفَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَدَهُ عَالِيَةً خَفَاقَةً ، وَفِي سُرْعَةٍ وَمِضَاءٍ أَهْوَى بِسَيْفِهِ
الْبَتَّارِ عَلَى قَلْبِ وَالِدِهِ الْمُمْتَلِيءِ حِقْدًا وَغَضَبًا ، عَلَى الْإِسْلَامِ وَدَعْوَةِ
الْإِسْلَامِ وَمَزَّقَ السَّيْفُ قَلْبَهُ ، وَانْفَجَرَ الدَّمُ مِنْهُ بِكَثْرَةٍ وَكَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ
مِنْ سَاعَاتِ التَّارِيخِ الْفَاصِلَةِ .

هَذَا مِنْ آثَارِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ ، وَالْبُغْضِ فِي اللَّهِ ، وَهَذَا الْوَاجِبُ
عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُ كُلُّهَا مُنَاطِقَةً عَلَى مَا تَأْمُرُ بِهِ الشَّرِيعَةُ
الْمُطَهَّرَةُ فَيُحِبُّ مِنَ النَّاسِ مَنْ نَهَجَ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ وَيَبْتَغِدُ عَنْ مَنْ حَادَ
عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبَ .

وَمَنْ اتَّبَعَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ انْطَبَعَ فِي قَلْبِهِ حُبُّ الْكَمَالِ وَالْإِيمَانِ فَيَكُونُ
عَدُوَّ اللَّهِ فِي نَظَرِهِ عَدُوًّا ، وَحَيْثُ يَرَى أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ قِيَمَةٌ أَهْلُ
الْإِخْلَاصِ وَالطَّاعَةِ وَأَخْطَرُهُمْ مَنَزَلَةً أَهْلُ الْمَعَاصِي وَالشَّنَاعَةِ وَالْفَسَادِ فِي
الْأَرْضِ .

وكَذَلِكَ كَانَ شَأْنُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَأْنُ أَصْحَابِهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُحِبُّونَ فِي اللَّهِ ، وَيُبْغِضُونَ فِي اللَّهِ يُوَادُّونَ الطَّائِعِينَ وَإِنْ
كَانُوا بُعْدَاءَ وَيُعَادُّونَ الْعَاصِينَ وَإِنْ كَانُوا أَقْرَبَاءَ فَرَابِطَةُ التَّقْوَى عِنْدَهُمْ أَشَدُّ
وَأَقْوَى مِنْ رَابِطَةِ النَّسَبِ وَالْقَرَابَةِ .

وعن البراء بن عازبٍ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ
فِي اللَّهِ .

وفي حديث مَرْفُوعٍ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عِنْدِي يَدًا وَلَا نِعْمَةً فَيَوَدُّهُ
قَلْبِي فَإِنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أُوجِي إِلَيَّ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ رَوَاهُ بْنُ مَرْدُوَيْهِ وَغَيْرُهُ .

الْمَعْنَى الْآيَةُ بِلَفْظِ الْخَبَرِ وَالْمُرَادُّ بِهَا الْإِنْشَاءُ أَيْ لَا تَجِدُ قَوْمًا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَالْمَحَبَّةِ وَالْمُوَالَاةِ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

فَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ حَقِيقَةً إِلَّا كَانَ عَامِلًا عَلَى مُقْتَضَى إِيمَانِهِ ، وَلَوْ أْزَمِهِ مِنْ مَحَبَّةٍ مَنْ قَامَ بِالْإِيمَانِ وَبُغْضٍ مَنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ وَمُعَادَاتِهِ .

وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّذِي وَجَدَتْ ثَمَرَتُهُ وَمَقْصُودُهُ فَمَنْ أَحَبَّ أَحَدًا امْتَنَعَ أَنْ يُوَالِيَ عَدُوَّهُ .

وَلَقَدْ أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ مِنَ الْمُوَالَاةِ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ بَلَاءٌ شَدِيدٌ فَتَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْإِيمَانَ يُوَالُونَ أَعْدَاءَ الشَّرَائِعِ الدِّينِيَّةِ وَيُعْظِمُونَهُمْ وَيَقْدِرُونَهُمْ وَيَنْصُرُونَهُمْ عَلَى أَبْنَاءِ جَنْسِهِمْ وَلَوْ كَانَ فِي هَذَا ذِلٌّ لَهُمْ وَلِأُمَّتِهِمْ وَلِدِينِهِمْ فَلِإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

قَالَ فِي النُّونِيَّةِ :

أُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدْعِي
حُبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ
وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ
أَيْنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ
لَيْسَ الْعِبَادَةُ غَيْرَ تَوْجِيدِ الْمَحَبِّ
بِهِ مَعَ خُضُوعِ الْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ

وَالْحُبُّ نَفْسٌ وَفَاقِهِ فِيمَا يُحِبُّ
بُ وَيُبْغِضُ مَا لَا يَرْضَى بِجَنَانٍ

اللهم طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالْاِسْتِنَاءِ مِنَ الْكَذِبِ
وَأَعْيُنَنَا مِنَ الْخِيَانَةِ وَأَذَانَنَا عَنِ الْاِسْتِمَاعِ إِلَى مَا لَا يُرْضِيكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ
وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ وَاعْفُ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وعن أبي ذر مرفوعاً ، أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي
اللَّهِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وفي الصحيحين «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» وعن علي مرفوعاً « لَا يُحِبُّ
رَجُلٌ قَوْمًا إِلَّا حُشِرَ مَعَهُمْ » رواه الطبراني باسناد جيد .

وقد رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ مَعْنَاهُ عَنْ عَائِشَةَ بِاسْنَادٍ جَيِّدٍ أَيْضًا عَنْهَا
مَرْفُوعاً «الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ ذَنْبِ الذَّرِّ عَلَى الصُّفَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ ،
وَأَذْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَوْرِ ، أَوْ تُبْغِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْعَدْلِ
وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ .

يَفْتَحِرُ بَعْضُ الْمُتَحَذِّقِينَ أَنَّهُ لَا يَكْرَهُ أَيُّ إِنْسَانٍ ، وَلَا يُبْغِضُ
أَحَدًا ، وَأَنَّهُ يَسْلُكُ مَعَ الْفَجْرَةِ وَالْفَسَقَةِ ، وَمَعَ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ بَلْ
وَمَعَ الْكُفْرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَيُلْقِبُ نَفْسَهُ وَمَنْ سَلَكَ مَذْهَبَهُ بِأَنَّهُ دُبْلُمَاسِي ،
وَيَظُنُّ هَذَا فَخْرًا وَكِرْمًا فِي الْأَخْلَاقِ وَتَبْلًا وَطَيْبًا .

وَلَكِنْ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْبُغْضَ ، فَلَنْ يَعْرِفَ الْحُبَّ وَمَنْ لَا يَكْرَهُ انْسَانًا عَاصِيًا مَهِيَّاتٍ أَنْ يُحِبَّ عَبْدًا مُطِيعًا إِنَّ تُحِبُّ مُؤْمِنًا بِسَبَبِ اخْلَاصِهِ وَتَقْوَاهُ فَكَيْفَ لَا تُبْغِضُهُ إِذَا زَالَ عَنْهُ سَبَبُ الْحُبِّ فَانْقَلَبَ فَاجِرًا مُتَهَيِّكًا ، تَعْفُو عَنْ ظَلَمِكَ وَلَكِنْ مَا رَأَيْتَ فِيمَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ ، مَا رَأَيْتَ فِي الزَّانَةِ هَاتِكِي الْأَعْرَاضِ ، وَمُذْمِنِي الْخَمْرِ وَشَارِبِي الدُّخَانِ وَحَالِقِي لِحَاهُمْ ، وَأَهْلِي الْخَنَافِسِ وَالتَّشْبِيهِ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَمَنْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَلَا يَشْهَدُونَ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ ، وَيَغْتَصِبُونَ الْحُقُوقَ وَيُؤْذُونَ الْعِبَادَ وَيَخُونُونَ الدِّينَ وَالْبِلَادَ هَلْ تُحِبُّهُمْ أَوْ تُبْغِضُهُمْ لِلَّهِ فِتْشٌ عَنْ قَلْبِكَ وَخَاسِبٌ نَفْسِكَ هَلْ تُحِبُّهُمْ فَتُعِينُهُمْ عَلَى الظُّلْمِ أَمْ تُبْغِضُهُمْ وَتَحْقِرُهُمْ وَتُنَابِذُهُمْ وَتَبْتَغِدُ عَنْهُمْ عَسَى أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ غِيهِمْ وَيَبْغِيَهُمْ لَا مَقَرَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَنَا أَعْدَاءُ تُبْغِضُهُمْ فِي اللَّهِ كَمَا يَكُونُ لَنَا أَصْدِقَاءُ نُحِبُّهُمْ فِي اللَّهِ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِبُغْضِ أَهْلِ الْمَعَاصِي الظُّلْمَةِ وَالْمُنَافِقِينَ كَمَا تَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِحُبِّ الصَّالِحِينَ ، أَشْعِرُوهُمْ بِمَقْتِكُمْ لِإِثَامِهِمْ ، وَسَخِطُكُمْ عَلَى إِجْرَامِهِمْ ، وَلَا تَسَامَحُوا فِيمَا يَمَسُّ الدِّينَ وَلَا تَصْفَحُوا عَنْ يُحَارِبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِأَشْرَفِ الْخَلْقِ ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُبَشِّرَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ ، أَيُّ لَوْ مِلْتَ إِلَيْهِمْ لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ عَذَابِ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ عَذَابِ الْمَمَاتِ أَيُّ ضَاعَفْنَا عَلَيْكَ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لِأَنَّ الذَّنْبَ مِنَ الْعَظِيمِ يَكُونُ عِقَابُهُ أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهِ .

وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ عِقَابُ الْعُلَمَاءِ عَلَى زَلَاتِهِمْ أَشَدَّ مِنْ عِقَابِ غَيْرِهِمْ

مِنَ الْعَامَّةِ ، لِأَنَّهُمْ يَقْتَدُونَ بِالْعُلَمَاءِ ، رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ الخ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرَفَةَ عَيْنٍ » .

فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَدَبَّرَ هَذِهِ الْآيَةَ وَيَسْتَشِيرَ الْخَشْيَةَ وَيَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يُثَبِّتَهُ ، وَيَسْتَمْسِكَ بِأَهْدَابِ دِينِهِ ، وَيُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَيَقُولَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرَفَةَ عَيْنٍ » فَإِذَا كَانَ هَذَا الْخِطَابُ لِأَشْرَفِ الْخَلْقِ فَكَيْفَ بغيرِهِ .

وقال تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم بالإغراضِ عَمَّنْ تَوَلَّى وَأَعْرَضَ عَنِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ﴿ فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ وعلى العكسِ مَنْ أَقْبَلَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَوَقَرَهُ وَقَدَّرَهُ وَأَحَبَّهُ وَاتَّبَعَهُ وَدَعَى إِلَيْهِ نَسَأُ اللَّهُ الْعَظِيمَ أَنْ يَغْرِسَ مَحَبَّتَهُ فِي قُلُوبِنَا وَيَرْزُقَنَا تِلَاوَتَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ .

وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا « مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَعَادَى فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ وَوَالَى فِي اللَّهِ فَإِنَّمَا تُنَالِ وَلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ » ، رواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم .

وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ قُلَّ لِفُلَانٍ الْعَابِدِ أَمَّا زُهْدُكَ فِي الدُّنْيَا فَتَعَجَّلْتَ رَاحَةَ نَفْسِكَ وَأَمَّا انْقِطَاعُكَ إِلَيَّ فَتَعَزَّزْتَ بِهِ ، فَمَا عَمِلْتَ لِي عَلَيْكَ ، قَالَ يَا رَبُّ وَمَالِكَ عَلَيَّ ، قَالَ هَلْ وَالَيْتَ لِي وَلِيًّا ، أَوْ عَادَيْتَ لِي عَدُوًّا .

وقال تعالى ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ فَقَدْ تَعَالَى الْمَوَالَاةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَطَعَهُمْ مِنْ وِلَايَةِ الْكَافِرِينَ وَأَخْبَرَ أَنَّ الْكُفَّارَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ وَقَعَ فِتْنَةٌ وَفَسَادٌ كَثِيرٌ ، وَكَذَا يَقَعُ فَهْلُ الدِّينِ أَوْ يُقَامُ عِلْمُ الْجِهَادِ وَعِلْمُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا بِالْحُبِّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضِ فِي اللَّهِ وَالْمُعَادَاةِ فِي اللَّهِ وَالْمَوَالَاةِ فِي اللَّهِ .

ولو كَانَ النَّاسُ مُتَّفِقِينَ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَمَحَبَّةٍ مِنْ غَيْرِ عَدَاوَةٍ وَلَا بُغْضَاءٍ لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَلَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِ وَلَا بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ .

وَمِنْ مَوَالَاةِ الْأَعْدَاءِ وَمُضَادَّتِهِمْ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ ضُعْفَاءِ الْإِيمَانِ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ فِي أَيَّامِ أَعْيَادِهِمْ فَيَدْخُلُونَ فِي كَنَائِسِهِمْ وَيُؤْتِيهِمْ وَأَنْدِيَتِهِمْ وَيَهْنُؤُنَهُمْ بِأَعْيَادِهِمْ ، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ .

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَظْمُ الَّذِينَ يَذُرُّسُونَ عَلَى الْكُفَّارِ وَيَجْلِسُونَ بَيْنَ يَدَيْ الْكَافِرِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ بِشَهَادَةٍ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ فَإِنِهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ وقال جَلَّ وَعَلَا ﴿ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ فَيَا أَيُّهَا الْمُعَاوِيَةُ أَكْثَرُ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ وَأَسْأَلُهُ الثَّبَاتَ حَتَّى الْمَمَاتِ .

وَقَدْ قِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَرُوهَ الزُّورَ ﴾ أَنَّ الْمُرَادَ أَعْيَادَ الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِيَّاكُمْ وَرَطَانَةُ الْأَعَاجِمِ وَأَنْ تَدْخُلُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ عِيدِهِمْ فِي كَنَائِسِهِمْ .

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجْتَنِبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي عِيدِهِمْ ، وَمِنْ الْأَعْيَادِ

المُحَدَّثَةُ التي لا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ حُضُورُهَا لِأَنَّهَا أَعْيَادُ بَاطِلَةٌ مَا يُسَمَّى بِعِيدِ
الاسْتِقْلَالِ ، وَعِيدِ الْجَلَاءِ وَعِيدِ الْجُلُوسِ وَعِيدِ الثُّورَةِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ
أَعْيَادِ الْكُفَرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاتَّبَاعِهِمْ .

وقال الشيخُ حَمْدُ بْنُ عَتِيقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ عَلَى
الْمُؤْمِنِ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَمَحَبَّةُ مَا يُحِبُّهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ
وَكَذَا مَا يُحِبُّهُ مِنَ الْأَشْخَاصِ كَالْمَلَائِكَةِ ، وَصَالِحِ بَنِي آدَمَ ، وَمُؤَالَاتِهِمْ
وَبُغْضِ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ ، مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ،
وَبُغْضِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَإِذَا رَسَخَ هَذَا الْأَصْلُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ لَمْ يَظْمِنْ
إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ ، وَلَمْ يُجَالِسْهُ وَلَمْ يُسَاكِنْهُ وَسَاءَ نَظَرُهُ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا ضَعُفَ هَذَا الْأَصْلُ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَاضْمَحَلَّ صَارَ
كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ كَحَالِهِ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، يَلْقَى كُلًّا مِنْهُمْ بِوَجْهِهِ
طَلِقٍ ، وَصَارَتْ بِلَادُ الْحَرْبِ كِبِلَادِ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخَشَّ غَضَبُ اللَّهِ
الَّذِي لَا تُطِيقُ غَضَبُهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَّاتُ قُلْتُ فَكَيْفَ
لَوْ رَأَى تَدَفَّقَ الْكُفَرَةَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَتَدَفَّقَ الشُّبَابُ عَلَى بِلَادِ الْكُفْرِ .

وَلَمَّا عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ فِتْنَةُ الدُّنْيَا ، وَصَارَتْ أَكْبَرَ هَمِّهِمْ ، وَمَبْلَغَ
عِلْمِهِمْ حَمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى التَّمَاسِكِ وَطَلِبِهَا وَلَوْ بِمَا يُسَخِطُ اللَّهُ ، فَسَافَرُوا
إِلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ فِي بِلَادِهِمْ ، وَخَالَطُوهُمْ فِي أَوْطَانِهِمْ وَلَبَسَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
أَمْرَ دِينِهِمْ فَنَسُوا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا .

وقال تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ حَالَ الْمُنَافِقِينَ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي

قُلُوبِهِمْ ، فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿ قَالَ
بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ ، أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ
الْمُنَافِقِينَ وَاغْلَظِ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ وَأَنْ لَا يَلْقَاهُمْ بِوَجْهِ طَلِقٍ ، بَلْ يَكُونُ
وَجْهُهُ مُكْفَهَرًا عَاسًا مُتَغَيِّرًا مِنَ الْغَيْظِ فَإِذَا كَانَ هَذَا مَعَ الْمُنَافِقِينَ ، الَّذِينَ
بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُسْلِمِينَ ، يُصَلُّونَ مَعَهُمْ وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُمْ وَيَحُجُّونَ فَكَيْفَ
يَمْنُ يُسَافِرُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَأَقَامَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ أَيَّامًا وَلَيَالِيًا وَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ
فِي بُيُوتِهِمْ وَبَدَأَهُمُ بِالسَّلَامِ وَأَكْثَرَ لَهُمُ التَّحِيَّةَ وَالْآنَ لَهُمُ الْكَلَامَ وَلَيْسَ لَهُ
عُذْرٌ إِلَّا طَلَبُ الْعَاجِلَةِ وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ الدُّنْيَا عُذْرًا لِمَنْ اعْتَذَرَ بِهَا قَالَ
تَعَالَى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ ﴾ الْآيَةُ

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله :

وَاللَّهُ حَرَّمَ مُكْتَمًا مَنْ هُوَ مُسْلِمٌ	فِي كُلِّ أَرْضٍ حَلَّهَا الْكُفَّارُ
وَلَهُمْ بِهَا حُكْمُ الْوِلَايَةِ قَاهِرٌ	فَارِبًا بِنَفْسِكَ فَالْمَقَامُ شَنَارُ
وَانْظُرْ حَدِيثًا فِي الْبَرَاءَةِ قَدْ أَتَى	نَقْلُ الثَّقَاةِ رِوَاثُهُ الْأَخْيَارُ
فِيهِ الْبَرَاءَةُ بِالصَّرَاحَةِ قَدْ أَتَتْ	مِنْ مُسْلِمٍ وَكَذَلِكَ الْآثَارُ
قَدْ صَرَّحَتْ فِيمَنْ أَقَامَ بِبِلَدِهِ	مُسْتَوْطِنًا وَوُلَاثَهَا الْكُفَّارُ

وقال في آخر كلامه : فالواجب على العاقل الناصح لنفسه النظر
في أمره والفكر في ذنوبه ومجاهدة نفسه على التوبة النصوح ، والندم
على ما فات ، والعزيمة على أن لا يعود ، والتبديل بالعمل الصالح
وتقديم محبة الله على جميع المحاب وإيثار مرضاته على حفظ
النفس ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ ضِيعَةٌ ابْنُ آدَمَ رُبَّمَا يَكُونُ لَهُ مِنْهُ عَوْضٌ ، فَإِنْ
ضِيعَ حَظُّهُ مِنَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَوْضٌ ، قُلْتُ وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :
« مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضِيعَتْهُ عَوْضٌ وَمَا مِنَ اللَّهِ إِنْ ضِيعَتْهُ عَوْضٌ »

وَقَدْ خَابَ مَنْ كَانَ حَظُّهُ مِنَ اللَّهِ دُنْيَا يَحْتَلِبُ دَرَهَا ، وَالْخَاسِرُ مَنْ
خَسِرَ دِينَهُ ، وَإِنْ أَفَادَ فِي دُنْيَاهُ نَسَالَ اللَّهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى أَنْ يَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا
إِلَيْهِ وَأَنْ يُلْزِمَنَا كَلِمَةَ التَّقْوَى وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
شِعْرًا :

بَكَيتَ فَمَا تَبْكِي شَبَابَ صَبَاكَ
كَفَاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ فِيكَ كَفَاكَ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّيْبَ قَدْ قَامَ نَاعِيًا
مَكَانَ الشَّبَابِ الْغَضْرِ ثُمَّ نَعَاكَ
أَلَمْ تَرَ يَوْمًا مَرًّا إِلَّا كَأَنَّهُ
بَاهِلَاكَه لِلْهَالِكِينَ عَنَاكَ
أَلَا أَيُّهَا الْفَانِي وَقَدْ حَانَ حِينُهُ
أَتَطْمَعُ أَنْ تَبْقَى فَلَسْتَ هُنَاكَ
سَتَمُضِي وَبَيَقَى مَا تَرَاهُ كَمَا تَرَى
فَيَنْسَاكَ مَنْ خَلَقْتَهُ هُوَ ذَاكَ
تَمُوتُ كَمَا مَاتَ الَّذِينَ نَسِيَتْهُمْ
وَتُنْسَى وَيَهْوَى الْحَيُّ بَعْدَ هَوَاكَ
كَأَنَّكَ قَدْ أَقْصَيْتَ بَعْدَ تَقَرُّبٍ
إِلَيْكَ وَإِنْ بَاكَ عَلَيْكَ بَكََاكَ
كَأَنَّ الَّذِي يَخْشُو عَلَيْكَ مِنَ الثَّرَى
يُرِيدُ بِمَا يَخْشُو عَلَيْكَ رِضَاكَ
كَأَنَّ خُطُوبَ الدَّهْرِ لَمْ تَجِرِ سَاعَةً
عَلَيْكَ إِذَا الْخُطْبُ الْجَلِيلُ دَهَاكَ
تَرَى الْأَرْضَ كَمْ فِيهَا رُهُونٌ كَثِيرَةٌ
غَلِقْنَ فَلَمْ يَخْصُلْ لَهُنَّ فِكَاكَ

اللهم انا نسألك التوفيقَ لِلْهُدَايَةِ وَالْبُعْدَ عَنْ أَسْبَابِ الْجَهَالَةِ وَالْغَوَايَةِ
ونسألك الثباتَ على الاسلامِ والسنةِ ، وأن لا تَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ اذْ هَدَيْتَنَا ،
وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ونسألك أَنْ تَنْصُرَ
دِينَكَ ، وَكِتَابَكَ ورسولَكَ وعبادَكَ المؤمنين وأن تُظْهِرَ دِينَكَ على الدين
كله ولو كره الكافرون والله أعلم وصلى الله على محمد .

(فَضْلٌ)

وقال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى :

وَمِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ اللهِ مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّهُ ، وَكَرَاهَةُ مَا يَكْرَهُهُ ، فَمَنْ
أَحَبَّ شَيْئًا مِمَّا كَرِهَهُ اللهُ ، أَوْ كَرِهَ شَيْئًا مِمَّا يُحِبُّهُ اللهُ ، لَمْ يَكْمُلْ تَوْجِيْدُهُ
وَصِدْقُهُ فِي قَوْلِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَكَانَ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ بِحَسَبِ مَا
كَرِهَهُ مِمَّا أَحَبَّهُ اللهُ ، وَمَا أَحَبَّهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ .

قال اللهُ تعالى ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَشْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ
فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ وقال الحسنُ إِنْ لَمْ تُحِبَّ اللَّهَ حَتَّى تُحِبَّ طَاعَتَهُ
وقال بعضهم كُلُّ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللهِ وَلَمْ يُوَافِقِ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ فَدَعَاوُهُ
بَاطِلَةٌ .

وقال يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللهِ وَلَمْ يَحْفَظْ
حُدُودَهُ ، وقال رُوَيْمُ الْمَحَبَّةُ الْمَوَافَقَةُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وانشد يقول :

« وَلَوْ قُلْتُ لِي مِتُّ مِتُّ سَمِعًا وَطَاعَةً
وَقُلْتُ لِذَاعِي الْمَوْتِ أَهْلًا وَمَرْحَبًا »

وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ وَقَالَ الْحَسَنُ قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا حُبًّا شَدِيدًا ، فَأَحَبُّ إِلَهُ أَنْ يَجْعَلَ لِحُبِّهِ عِلَامَةً فَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ .

وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَا تَتِمُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا بِشَهَادَةِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِذَا عُلِمَ أَنَّهُ لَا تَتِمُّ مَحَبَّةُ اللَّهِ إِلَّا بِمَحَبَّةِ مَا يُحِبُّهُ وَكَرَاهَةِ مَا يَكْرَهُهُ ، فَلَا طَرِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يُحِبُّهُ وَيَكْرَهُهُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ ، فَصَارَتْ مَحَبَّتُهُ مُسْتَلْزِمَةً لِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَصَدِيقِهِ وَمُتَابَعَتِهِ .

وَلِهَذَا قَرَنَ اللَّهُ مَحَبَّتَهُ وَمَحَبَّةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ كَمَا قَرَنَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ » ، وَهَذِهِ حَالَةُ السَّحَرَةِ لَمَّا سَكَنَتْ الْمَحَبَّةُ فِي قُلُوبِهِمْ سَمَحُوا بِبَذْلِ نَفْسِهِمْ ، وَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ اقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ .

وَمَتَى تَمَكَّنَتِ الْمَحَبَّةُ مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَتَّبِعِ الْجَوَارِحُ إِلَّا إِلَى طَاعَةِ الرَّبِّ ، وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ الْإِلَهِيِّ « وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ

وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ فِيهِ يَسْمَعُ وَيَبْصُرُ .

وَالْمَعْنَى أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ إِذَا اسْتَغْرَقَ بِهَا الْقَلْبُ وَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ تَنْبَعِثِ الْجَوَارِحُ إِلَّا إِلَى رِضَا الرَّبِّ ، وَصَارَتِ النَّفْسُ مُطْمَئِنَّةً حِينَئِذٍ بِإِرَادَةِ مَوْلَاهَا عَنْ مَرَادِهَا وَهَوَاهَا ، وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ عِنْدَهُ آثَرٌ مِنْ رِضَاهِ .

وَقَالَ : لَا يَنْجُو غَدَاً إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ، لَيْسَ فِيهِ سِوَاهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ وَهُوَ الطَّاهِرُ مِنَ أَذْنَانِ الْمُخَالَفَاتِ .

فَأَمَّا الْمُتَلَطِّعُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَكْرُوهَاتِ ، فَلَا يَصْلَحُ لِمُجَاوَرَةِ حَضْرَةِ الْقُدُّوسِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُطَهَّرَ بِكَبِيرِ الْعَذَابِ فَإِذَا أَزَالَ عَنْهُ الْخَبَثَ صَلَحَ حِينَئِذٍ لِلْمُجَاوَرَةِ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، فَأَمَّا الْقُلُوبُ الطَّيِّبَةُ فَتَصْلُحُ لِلْمُجَاوَرَةِ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

مَنْ لَمْ يُحَرِّقْ نَفْسَهُ الْيَوْمَ بِنَارِ الْأَسَفِ عَلَى مَا سَلَفَ أَوْ بِنَارِ الشُّوقِ إِلَى لِقَاءِ الْحَبِيبِ ، فَنَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا مَا يَحْتَاجُ إِلَى تَطْهِيرِ بِنَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا مَنْ لَمْ يُكْمِلِ التَّوْحِيدَ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ .

أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُرَاوُونَ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَوَّلُهُمُ الْعَالِمُ وَالْمُتَصَدِّقُ وَالْمُجَاهِدُ لِلرِّيَاءِ ، وَلَئِنْ الرِّيَاءَ شَرُّكَ مَا تَظَاهَرَ الْمُرَائِي

إلى الخلق بِعَمَلِهِ إِلَّا لِجَهْلِهِ بِعَظَمَةِ الْخَالِقِ ، الْمُرَائِي يُزَوِّرُ التَّوْقِيعَ عَلَى
اسْمِ الْمَلِكِ لِيَأْخُذَ الْبَرَاطِيلَ لِنَفْسِهِ ، وَيُوْهِهُمْ أَنَّهُ مِنْ خَاصَّةِ الْمَلِكِ ، وَهُوَ
مَا يَعْرِفُ الْمَلِكُ بِالْكُلِّيَّةِ ، نَقَشَ الْمُرَائِي عَلَى الدِّرْهِمِ الزَّائِفِ اسْمَ الْمَلِكِ
لِيُرَوِّجَ وَالبَهْرَجُ لَا يَجُوزُ إِلَّا عَلَى غَيْرِ النَّاقِدِ .

وقال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا سِوَى اللهِ وَلَمْ تَكُنْ مَحَبَّتُهُ
لَهُ لِلَّهِ وَلَا لِكَوْنِهِ مُعِينًا لَهُ عَلَى طَاعَةِ اللهِ ، عَذِّبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْإِلْقَا
كَمَا قِيلَ :

أَنْتَ الْقَتِيلُ بِكُلِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ
فَاخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَضَطُّفِي

فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، وَلَّى الْحَكَمُ الْعَدْلَ سُبْحَانَهُ كُلُّ مُجِبٍّ مَا كَانَ
يُجِبُّهُ فِي الدُّنْيَا فَكَانَ مَعَهُ إِمَّا مُنْعَمًا وَإِمَّا مُعَذَّبًا ، وَلِهَذَا يُمَثَّلُ لِلْمُجِبِّ
الْمَالِ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ ، يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ ، يَقُولُ أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ وَيُصَفَّحُ
لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ يُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ ، وَجَبِينُهُ ، وَظَهْرُهُ .

وكذا عَاشِقُ الصُّورِ إِذَا اجْتَمَعَ هُوَ وَمَعَشُوقُهُ عَلَى غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ ،
جُمِعَ بَيْنَهُمَا فِي النَّارِ وَعُذِبَ كُلُّ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ الْأَخْلَاءُ
يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَوَادُّوا
فِي الدُّنْيَا عَلَى الشِّرْكِ يَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَمَالَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ .

فَالْمُجِبُّ مَعَ مَحَبَّتِهِ دُنْيَاً وَأُخْرَى ، وَلِهَذَا يَقُولُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ
لِلْخَلْقِ أَلَيْسَ عَدُوًّا مِثِّي أَنْ أُولِيَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا كَانَ يَتَوَلَّى فِي دَارِ

الدُّنْيَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرْءُ مِنْ أَحَبِّ .

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ إلى قوله ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ قال عُمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه أَزْوَاجَهُمْ أَشْبَاهُهُمْ وَنُظَرَاؤُهُمْ ، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ .

فَقَرْنَ كُلُّ شَكْلٍ إِلَى شَكْلِهِ ، وَجُعِلَ مَعَهُ قَرِينًا وَزَوْجًا ، الْبِرُّ مَعَ الْبِرِّ وَالْفَاجِرُ مَعَ الْفَاجِرِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنْ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا سِوَى اللَّهِ فَالضَّرَرُ حَاصِلٌ لَهُ بِمَحْبُوبِهِ إِنْ وُجِدَ وَإِنْ فُقِدَ ، فَإِنَّهُ إِنْ فَقَدَهُ عَذِبَ بِفَوَاتِهِ ، وَتَأَلَّمَ عَلَى قَدْرِ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِهِ ، وَإِنْ وَجَدَهُ كَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْأَلَمِ قَبْلَ حُصُولِهِ ، وَمِنَ النَّكَدِ فِي حَالِ حُصُولِهِ ، وَمِنَ الْحَسْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ فَوَاتِهِ ، أَضْعَافُ مَا فِي حُصُولِهِ لَهُ مِنَ اللَّذَّةِ .

وَهَذَا الْأَمْرُ مَعْلُومٌ بِالِاسْتِقْرَاءِ ، وَالِاعْتِبَارِ ، وَالتَّجَارِبِ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَآلَاهُ .

فَذِكْرُهُ جَمِيعُ أَنْوَاعِ طَاعَتِهِ فَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي طَاعَتِهِ فَهُوَ فِي ذِكْرِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَتَحَرَّكْ لِسَانُهُ بِالذِّكْرِ ، وَكُلُّ مَنْ وَالَاهُ اللَّهُ فَقَدْ أَحَبَّهُ وَقَرَّبَهُ فَاللَّعْنَةُ لَا تَنَالُ ذَلِكَ بِوَجْهِ وَهِيَ نَائِلَةٌ كُلَّ مَا عَدَاهُ .

اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا الْعَافِيَةَ فِي أَبْدَانِنَا وَالْعِصْمَةَ فِي دِينِنَا وَأُحْسِنْ مُنْقَلَبِنَا وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنَا وَاجْمَعْ لَنَا بَيْنَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَهِيَ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا جَمِيعَ خَلْقِهِ .

وَلَهَا أَرْكَانٌ وَشُرُوطٌ ، فَأَرْكَانُهَا إِثْنَانِ : نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ . وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الْإِثْبَاتِ « لَا إِلَهَ * » ، أَيُّ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ . وَالْإِثْبَاتُ « إِلَّا اللَّهُ » أَيُّ مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ .

وَأَمَّا شُرُوطُهَا فَسَبْعَةٌ لَا تَصِحُّ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَلَا تَنْفَعُ قَائِلُهَا إِلَّا إِذَا اسْتَجْمَعَتْ لَهُ الشُّرُوطُ الَّتِي تَلِي :

الأولُ : الْعِلْمُ ، بِمَعْنَاهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وَقَالَ ﷺ : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

الثاني : الْيَقِينُ ، أَيُّ اسْتِيقَانُ الْقَلْبِ بِهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم

لأبي هريرة : « من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة » كلاهما في الصحيح .

الثالث : الإخلاص ، قال الله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ وقال : ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ وعن أبي هريرة قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث .

أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه » .

وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » رواه مسلم .

الرابع : الصدق ، قال الله تعالى : ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾ عن ابن عباس قال من جاء بلا إله إلا الله ، وقال : ﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار » متفق عليه . وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه » الحديث رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي علمه شرائع الإسلام : « أفلح إن صدق » .

الخامس : المحبة ، قال الله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرأ لا يحبه إلا الله » الحديث متفق عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » متفق عليه .

السادس : الانقياد لها ظاهراً وباطناً ، قال الله تعالى : ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

السابع : القبول لها ، وقد جمع بعضهم شروط « لا إله إلا الله » في بيت فقال :

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعَ مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولِ لَهَا

فلا يرد شيئاً من لوازمها ومقتضياتها قال تعالى : ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾ إلى قوله : ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ .

وقال أيضاً في حق من لم يقبلها : ﴿ أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون ﴾ إلى قوله : ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو آلِهتنا لشاعر مجنون ﴾ .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ .

فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » متفق عليه .
وقد شهد الله لنفسه بالوحدانية في قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ .

فقد تضمنت هذه الآية الكريمة حقيقة التوحيد والرد على جميع طوائف الضلال فقد تضمنت أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به .

وعبارات السلف في « شهد » تدور على الحكم والقضاء والاعلام والبيان والأخبار وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها .

فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه فلها أربع مراتب .

فأول مراتبها : علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته .

وثانيها : تكلمه بذلك وإن لم يعلم به غيره بل يتكلم بها مع نفسه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها .

وثالثها : أن يعلم غيره بما يشهد به ويخبره به ويبينه له .

ورابعها : أن يلزمه بمضمونها ويأمره به . فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع علمه بذلك وتكلمه وإخباره لخلقه وأمرهم وإلزامهم به .

فأما مرتبة العلم ، فإن الشهادة تتضمنها ضرورة وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا علم له به قال الله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « على مثلها فاشهد » وأشار إلى الشمس ، وأما مرتبة التكلم والخبر فقال تعالى : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾ فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم .

وأما مرتبة الإعلام والإخبار فنوعان : إعلام بالقول ، وإعلام بالفعل ، وهذا شأن كل معلم لغيره بأمر ، تارة يعلمه به بقول وتارة بفعل .

ولهذا كان من جعل داره مسجداً وأبرزها وفتح طريقها وأذن للناس بالدخول والصلاة فيها معلماً أنها وقف وإن لم يتلفظ .

وكذا شهادة الرب عز وجل وبيانه وإعلامه يكون بقوله تارة وبفعله أخرى قالقول ما أرسل به رسله وأنزل به كتبه .

وأما بيانه وإعلامه بفعله فكما قال ابن كيسان : شهد الله بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه أن لا إله إلا هو ، وقال الآخر :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

آخر :

لَهُ كُلُّ ذَرَّةٍ الْوُجُودِ شَوَاهِدٌ عَلَى أَنَّهُ الْبَارِي الْإِلَهِ الْمُصَوِّرُ

وقال آخر :

تَأْمُلْ سَطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا مِنْ الْمَلِكِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ
وقد كَانَ فِيهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ خَطَّهَا أَلَّا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ

ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ﴾ فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه .

وأما مرتبة الأمر بذلك والإلزام به فإن مجرد الشهادة لا يستلزمه لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه .

فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده كما قال تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وقال : ﴿ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ والقرآن كله شاهد بذلك .

ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد أخبر ونبأ وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله وأن ألوهية ما سواه باطلة .

فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره ، وذلك يستلزم الأمر باتخاذ وحده إلهاً والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً .

ولا إله إلا الله هي كلمة التوحيد التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلمه عليهم أجمعين .

وما من رسول إلا جعلها مفتتح أمره وقطب رحاه كما قال نبينا ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي »

دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل .
 وحق هذه الكلمة هو فعل الواجبات وترك المحرمات .
 وأما فائدتها وثمرتها فالسعادة في الدنيا والآخرة لمن قالها عارفاً لمعناها عاملاً
 بمقتضاها وأما مجرد النطق فلا ينفع .
 قال شيخ الإسلام : من اعتقد أنه بمجرد تلفظه بالشهادة يدخل الجنة
 ولا يدخل النار فهو ضال مخالف للكتاب والسنة والاجماع . ا هـ .
 اللهم أَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارِ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
 حَسَنَةً . وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ فَضَائِلَ عَظِيمَةً لَا يُمَكِّنُ اسْتِقْصَاؤُهَا
 مِنْهَا أَنَّهَا كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ وَأَنَّهَا مِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ فَيَا ذَوِي الْعُقُولِ الصِّحَاحِ
 وَيَا ذَوِي الْبَصَائِرِ وَالْفَلَاحِ جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ بِقَوْلِ لَا
 إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ أَعْمَاقِ قُلُوبِكُمْ مُتَأَمِّلِينَ لِمَعْنَاهَا عَامِلِينَ بِمُقْتَضَاهَا .
 عِبَادَ اللَّهِ مَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَا صَحَّتِ السُّنَّةُ وَالْفَرَضُ وَلَا
 نَجَا أَحَدٌ يَوْمَ الْعَرْصِ إِلَّا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا جُرِدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ ، وَلَا
 أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ إِلَى الْعِبَادِ ، إِلَّا لِيُعَلِّمُوهُمْ الْعَمَلَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .
 تَالِلِهِ إِنَّهَا كَلِمَةُ الْحَقِّ ، وَدَعْوَةُ الْحَقِّ وَأَنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ وَنَجَاةٌ

هَذَا الْأَمْرَ وَلَأَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ .

قال ابن عُبَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنَ الْعِبَادِ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَفَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَإِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَالْمَاءِ الْبَارِدِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا وَلَأَجْلِهَا أُعِدَّتْ دَارُ الثَّوَابِ ، وَدَارُ الْعِقَابِ وَلَأَجْلِهَا أُمِرَتِ الرُّسُلُ بِالْجِهَادِ .

فَمَنْ قَالَهَا عَصَمَ مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَمَنْ أَبَاهَا فَمَالُهُ وَدَمُهُ حَلَالٌ ، وَبِهَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى كِفَاحاً وَهِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ ، ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّهُمَّ بَعْثْنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَأْمُرْتَنِي بِهَا وَوَعَدْتَنِي الْجَنَّةَ وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

ثُمَّ قَالَ أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ وَهِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ ، وَهِيَ تَمْحُو الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا .

وفي سنن ابن مَاجَةَ عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تَتْرُكُ ذَنْباً وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ ، وَرَوَى بَعْضُ السَّلَفِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ مَا أَبْقَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَيْئاً وَهِيَ تُجَدِّدُ مَا دَرَسَ مِنَ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ .

وفي المسند أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ جَدِّدُوا
إِيمَانَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا قَالَ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَهِيَ الَّتِي لَا
يَعْدِلُهَا شَيْءٌ فِي الْوِزْنِ ، فَلَوْ وُزِنَتْ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ .

كَمَا فِي الْمُسْنَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ أَمْرُكَ بِلَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ
وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِكَفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ
وَالْأَرْضِينَ كُنَّ فِي حَلَقَةٍ مُبْهَمَةٍ فَصَمَتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » .

وإِنَّهَا تَرْجَحُ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ
وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قَالَ يَا مُوسَى قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ
يَقُولُونَ هَذَا .

قَالَ يَا مُوسَى قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا
تَخْصُنِي بِهِ ، قَالَ يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ
وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ .

وكذلك تَرْجَحُ فِي صَحَائِفِ الذُّنُوبِ ، كَمَا فِي حَدِيثِ السَّجَلَاتِ ،
وَالْبِطَاقَةِ ، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِيمَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ
وَالترمذِيُّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وهي التي تَخْرِقُ الْحُجُبَ ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّهَا

لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ ، لِمَا تَقَدَّمَ وَلِمَا فِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ .

وَأَنَّهَا تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصاً إِلَّا فُتِّحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ .

وَيُرَوَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعاً مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ ، إِلَّا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَمَا أَنَّ شَفَتَيْكَ لَا تَحْجُبُهَا كَذَلِكَ لَا يَحْجُبُهَا شَيْءٌ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مُخْلِصاً بِهَا قَلْبُهُ يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانُهُ إِلَّا فَتَقَّ اللَّهُ لَهُ السَّمَاءُ فَتَقّاً حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَحَقٌّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْالَهُ ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يُصَدِّقُ اللَّهُ قَائِلَهَا .

كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «إِذْ قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ . وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَا أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَخَدِي لَا شَرِيكَ لِي ، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي

الْمُلْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي » وَكَانَ يَقُولُ مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمَهُ النَّارُ .

وَهِيَ أَفْضَلُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّونَ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي دُعَاءِ عَرَفَةَ وَهِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ الْمَرْفُوعِ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَحَبُّ كَلِمَةٍ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا إِلَّا بِهَا .

وَهِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ، وَأَكْثَرُهَا تَضَعِيفًا وَتَعْدِيلُ عِتْقِ الرِّقَابِ وَتَكُونُ جِزَاءً مِنَ الشَّيْطَانِ ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِي عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إِلَّا وَاحِدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

وَوَرَدَ أَنَّ مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ اسْمَاعِيلَ ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عُمَرَ مَرْفُوعًا مَنْ قَالَهَا إِذَا دَخَلَ السُّوقَ وَزَادَ

فِيهَا يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَى عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ وَفِي رِوَايَةٍ يُبْنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا أَمَانٌ مِنَ وَخْشَةِ الْقَبْرِ وَهَوْلِ الْمَحْشَرِ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي نُشُورِهِمْ ، وَكَأَنِّي بِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُؤُوسِهِمْ وَيَقُولُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ .

وَفِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ ، وَأَنْسَاءً مِنَ وَخْشَةِ الْقَبْرِ ، وَاسْتَعْجِلَ بِهِ الْغِنَى ، وَاسْتَقَرَّ بِهِ بَابُ الْجَنَّةِ وَهِيَ شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا تَفْتَحُ لِقَائِلِهَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا

إِلَى مَرِيَمَ وَرُوحٍ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَالنَّارَ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ، فَتُحْتَلَفُ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ .

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ مَنَامِهِ الطَّوِيلِ ، وَفِيهِ قَالَ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَأَغْلَقَتْ دُونَهُ ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَفُتِحَتْ لَهُ الْأَبْوَابُ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّ أَهْلَهَا وَإِنْ دَخَلُوا النَّارَ بِتَقْصِيرِهِمْ فِي حُقُوقِهِمْ ، فَانَّهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يُخْرَجُوا مِنْهَا ، وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَا أُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَهْ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَصْلُ الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةُ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَمَا أَنَّ أَصْلَ الْأَقْوَالِ الدِّينِيَّةِ تَصَدِيقُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَكُلُّ إِرَادَةٍ تَمْنَعُ كِمَالَ حُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُزَاحِمُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ فَانَهَا تَمْنَعُ كِمَالَ التَّصَدِيقِ .

فَهِيَ مُعَارَضَةٌ لِأَصْلِ الْإِيمَانِ أَوْ مُضْعَفَةٌ لَهُ . فَإِنْ قَوِيَتْ حَتَّى عَارَضَتْ أَصْلَ الْحُبِّ وَالتَّصَدِيقِ كَانَتْ كُفْرًا أَوْ شُرْكَاً أَكْبَرَ وَإِنْ لَمْ تَعَارِضْهُ قَدَحَتْ فِي كِمَالِهِ وَأَثَرَتْ فِيهِ ضَعْفًا وَفُتُورًا فِي الْعَزِيمَةِ وَالطَّلَبِ ، وَهِيَ تَحْجِبُ الْوَاصِلَ وَتَقْطَعُ الطَّالِبَ وَتَنْكِي الرَّاغِبَ .

فَلَا تَصْلُحُ الْمُوَالَاةُ إِلَّا بِالْمَعَادَاةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ إِمَامِ الْحَنْفَاءِ الْمُحَبِّينَ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ (أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ؟ فَانَّهُمْ عَدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) فَلَمْ تَصْلُحْ لَخَلِيلِ اللَّهِ هَذِهِ الْمُوَالَاةُ وَالْخَلَّةُ إِلَّا بِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْمَعَادَاةِ فَانْ وَلَايَةَ اللَّهِ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِالْبِرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ .

قال تعالى ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله . كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ أي جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض .

وهي كلمة : لا إله إلا الله ، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة .

وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات ، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة ، وجردت سيوف الجهاد .

وهي محض حق الله على جميع العباد .

وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار ، وهي المنشود الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه .

وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام ، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ومقبول وطريد .

وبها انفصلت دار الكفر من دار السلام وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان .

وهي العمود الحامل للفرض والسنة « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وروح هذه الكلمة وسرها أفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه
وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره بالمحبة والاحلال والتعظيم والخوف
والرجاء وتوابع ذلك ، من التوكل والاناة والرغبة والرغبة .

فلا يحب سواه ، بل كل ما كان يحب غيره فانما هو تبعاً لمحبتة وكونه
وسيلة إلى زيادة محبتة ولا يخاف سواه ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل إلا عليه ،
ولا يرغب إلا إليه ، ولا يهرب إلا منه .

ولا يحلف إلا باسمه ، ولا ينذر إلا له ، ولا يتاب إلا إليه ، ولا
يطاع إلا أمره ، ولا يحتسب إلا به ، ولا يستعان في الشدائد إلا به ، ولا
يلتجأ إلا إليه ، ولا يسجد إلا له ، ولا يذبح إلا له وباسمه . يجتمع ذلك
في حرف واحد هو : أن لا يعبد بجميع أنواع العبادة إلا هو .

فهذا هو تحقيق شهادة أن لا آله إلا الله ، ولهذا حرم الله على النار
أن تأكل من شهد أن لا آله إلا الله حقيقة الشهادة ، ومحال أن يدخل النار
من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى ﴿ والذين هم
بشهاداتهم قائمون ﴾ فيكون قائماً بشهادته في باطنه وظاهره وفي قلبه
وقال به .

فان من الناس من تكون شهادته ميتة .

ومنهم من تكون نائمة إذا نهت انتبهت ، ومنهم من تكون
مضطجعة ، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب . وهي في القلب بمنزلة
الروح في البدن .

فروح ميتة وروح مريضة إلى الموت أقرب .

وروح إلى الحياة أقرب ، وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن .
وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت
إلا وجدت روحه لها روحاً » .

فحياة هذه الروح بهذه الكلمة فكما ان حياة البدن بوجود الروح فيه وكما أن من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها .

فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة المأوى وعيشها أطيب عيش ، قال تعالى ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ﴾ .

فالجنة مأواه يوم اللقاء ، وجنة المعرفة والمحبة والأنس بالله والشوق إلى لقائه والفرح به والرضى عنه وبه مأوى روحه في هذه الدار .

فمن كانت هذه الجنة مأواه ههنا كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد ، ومن حرم هذه الجنة فهو لتلك الجنة أشد حرماناً .

والأبرار في نعيم وإن اشتد بهم العيش وضائق بهم الدنيا ، والفجار في جحيم وإن اتسعت عليهم الدنيا ، قال تعالى ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ .

وطيب الحياة جنة الدنيا ، قال تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ﴾ فأي نعيم أطيب من شرح الصدر ، وأي عذاب أشد من ضيق الصدر .

وقال تعالى ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً وأنعمهم بالاً وأشرحهم صدرأً وأسرههم قلباً ، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة . قال النبي ﷺ « إذا مررتم برياض الجنة فارزتعوا » قالوا وما رياض الجنة ؟ قال « حلق الذكر » .

ومن هذا قوله ﷺ « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة »
ومن هذا قوله ، وقد سأله عن وصاله في الصوم وقال « أني لست كهيتكم
إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني » .

فأخبر ﷺ أن ما يحصل له من الغذاء عند ربه يقوم مقام الطعام
والشراب الحسي ، وأن ما يحصل له من ذلك أمر مختص به لا يشركه فيه
غيره ، فإذا أمسك عن الطعام والشراب فله عوض عنه يقوم مقامه وينوب
منابه ويغنى عنه كما قيل :

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ومن حديثك في أعقابها حادي
إذا اشتكت من كلال السير أوعدها روح اللقاء فتحي عند ميعاد

وكلما كان وجود الشيء أنفع للعبد وهو إليه أحوج كان تألمه بفقده
أشد ، وكلما كان عدمه أنفع كان تألمه بوجوده أشد ، ولا شيء على الإطلاق
أنفع للعبد من إقباله على الله ، واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه ، وإيثاره
لمرضاته . بل لا حياة له ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة إلا بذلك .

فعدمه ألم شيء له وأشد عذاباً عليه ، وإنما تغيب الروح عن شهود
هذا الألم والعذاب لاشتغالها بغيره واستغراقها في ذلك الغير فتغيب به عن
شهود ما هي فيه من ألم العقوبة بفراق أحب شيء إليها وأنفعه لها .

وهذا بمنزلة السكران المستغرق في سكره الذي احترقت داره وأمواله
وأهله وأولاده وهو لا يستغراقه في السكر لا يشعر بألم ذلك الفوات وحسرتة .

حتى إذا صحا وكشف عنه غطاء السكر وانتبه من رقدة الخمر فهو
أعلم بحاله حينئذ ، وهكذا الحال سواء عند كشف الغطاء ومعاينة طلائع
الآخرة والاشراف على مفارقة الدنيا والانتقال منها إلى الله .

بل الألم والحسرة والعذاب هناك أشد بأضعاف أضعاف ذلك ، فان المصاب في الدنيا يرجو جبر مصيبتة في الدنيا بالعوض ويعلم أنه قد أصيب بشيء زائل لا بقاء له ، فكيف بمن مصيبتة بما لا عوض عنه ولا بدل منه ولا نسبة بينه وبين الدنيا جميعها .

فلو قضى الله سبحانه بالموت من هذه الحسرة والألم لكان العبد جديراً به وان الموت ليعد أكبر أمنيته وأكبر حسراته ، هذا لو كان الألم على مجرد الفوات ، كيف وهناك من العذاب على الروح والبدن أمور أخرى مما لا يقدر قدره ؟ .

فتبارك من حمل هذا الخلق الضعيف هذين الألمين العظيمين اللذين لا تحملهما الجبال الرواسي . فاعرض على نفسك الآن أعظم محبوب لك في الدنيا ، بحيث لا تطيب لك الحياة إلا معه فأصبحت وقد أخذ منك وحيل بينك وبينه أحوج ما كنت إليه ، كيف يكون حالك هذا ومنه كل عوض ؟ فكيف بمن لا عوض عنه ؟ كما قيل :

وما ضَرَّنِي إِتْلَافُ عُمْرِي كُلِّهِ إِذَا الْمَرَّاضِي اللَّهَ أَصْبَحْتُ حَائِزًا
وفي الأثر الإلهي « ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب . وتكفلت برزقك فلا تتعب . ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء » انتهى كلامه رحمه الله .

اللهم عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلْمَنَا وَبَالًا عَلَيْنَا
اللَّهُمَّ قَوِي مَعْرِفَتَنَا بِكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَنَوِّرْ بَصَائِرَنَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا
وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله :
 رَسَائِلُ إِخْوَانِ الصِّفَا والتَّوَدُّدِ إِلَى كُلِّ ذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ مُوَحِّدٍ
 وَمِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللَّهِ وَالشُّكْرِ وَالثَّنَا
 صَلَاةً وَتَسْلِيمًا عَلَى خَيْرِ مُرْشِدٍ
 وَآلٍ وَصَحْبٍ وَاسْلَامٍ عَلَيْكُمْ
 بَعْدَ وَمِیْضِ الْبَرْقِ أَهْلَ التَّوَدُّدِ
 وَنَعْدُ فَقَدْ طَمَّ الْبَلَاءُ وَعَمَّنَا
 مِنْ الْجَهْلِ بِالذِّينِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدِيِّ
 بِمَا لَيْسَ نَشْكُو كَشْفَهُ وَأَتَقَادَنَا
 لِغَيْرِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا النَّزْرُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
 يُعَادِيهِمْ مِنْ أَهْلِهَا كُلُّ مُعْتَدٍ
 فَهَبُوا عِبَادَ اللَّهِ مِنْ نَوْمَةِ الرَّدَى
 إِلَى الْفَقْهِ فِي أَصْلِ الْهُدَى وَالتَّجَرُّدِ
 وَقَدْ عَنَّ أَنْ نُهْدِي إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ
 نَضِيداً مِنَ الْأَصْلِ الْأَصِيلِ الْمُؤَطَّدِ
 فَذُونَكَ مَا نُهْدِي فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ
 لِذَلِكَ أَمْ قَدْ غَيَّنَ قَلْبَكَ بِالْإِدِّ
 تَرُوقُ لَكَ الدُّنْيَا وَلَذَاتُ أَهْلِهَا
 كَأَنْ لَمْ تَصِرْ يَوْمًا إِلَى قَبْرِ مَلْحَدٍ
 فَان رَمَتْ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ سَالِمًا
 وَتُحْظَى بِجَنَّاتٍ وَخُلْدٍ مُؤَبَّدٍ
 وَرَوْحٍ وَرِيحَانٍ وَأَرْفِهِ حَبْرَةٍ
 وَحُورٍ حِسَانٍ كَالْيَوَاقِيتِ خُرِّدٍ

فَحَقِّقْ لِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ مُخْلِصاً
بِأَنْوَاعِهَا لِلَّهِ قَصِداً وَجَرِّدِ
وَأَفْرِدْهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَا
وَبِالْحُبِّ وَالرَّغْبَى إِلَيْهِ وَجَرِّدِ
وَبِالنَّذْرِ وَالذَّبْحِ الَّذِي أَنْتَ نَاسِكُ
وَلَا تَسْتَعِثْ إِلَّا بِرَبِّكَ تَهْتَدِ
وَلَا تَسْتَعِينْ إِلَّا بِهِ وَبِحَوْلِهِ
لَهُ خَاشِئاً بَلْ خَاشِعاً فِي التَّعَبُّدِ
وَلَا تَسْتَعِذْ إِلَّا بِهِ لَا بِغَيْرِهِ
وَكُنْ لَا إِثْداً بِاللَّهِ فِي كُلِّ مَقْصِدِ
إِلَيْهِ مُنِيباً تَائِباً مُتَوَكِّلاً
عَلَيْهِ وَثِقْ بِاللَّهِ ذِي الْعَرْشِ تَرْشُدِ
وَلَا تَذْعُ إِلَّا اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ
فَدَاعِ لِغَيْرِ اللَّهِ غَاوٍ وَمُعْتَدِ
وَفِي صَرْفِهَا أَوْ بَعْضِهَا الشِّرْكَ قَدْ أَتَى
فَجَانِبُهُ وَاحْذَرْ أَنْ تَجِيءَ بِمُؤَيِّدِ
وَهَذَا الَّذِي فِيهِ الْخُصُومَةُ قَدْ جَرَتْ
عَلَى عَهْدِ نُوحٍ وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَوَحْدَهُ فِي أَفْعَالِهِ جَلُّ ذِكْرُهُ
مُقِرّاً بِأَنَّ اللَّهَ أَكْمَلُ سَيِّدِ
هُوَ الْخَالِقُ الْمُخَيِّ الْمُمِيتُ مُدَبِّرُ
هُوَ الْمَالِكُ الرَّزَاقُ فَاسْأَلْهُ وَاجْتَدِ

إلى غيرِ ذَا مِنْ كُلِّ أفعَالِهِ التي
أَقَرَّ وَلَمْ يَجْحَدْ بِهَا كُلُّ مُلْحِدٍ
وَوَجَّهَهُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ
وَلَا تَتَاوَلَّهَا كَرَأْيِ الْمُفَنِّدِ
فَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ
سَمِيٌّ وَقُلْ لَا كُفْرَ لِلَّهِ تَهْتَدِ
وَذَا كُلُّهُ مَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّهُ
إِلَهُ الْوَرَى حَقًّا بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ
فَحَقِّقْ لَهَا لَفْظًا وَمَعْنَى فَإِنَّهَا
لِنِعْمِ الرَّجَا يَوْمَ اللَّقَا لِلْمُوجِدِ
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى فَكُنْ مُتَمَسِّكًا
بِهَا مُسْتَقِيمًا فِي الطَّرِيقِ الْمُحَمَّدِيِّ
فَكُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ وَلِوَاحِدٍ
تَعَالَى وَلَا تُشْرِكْ بِهِ أَوْ تُنَادِدِ
وَمَنْ لَمْ يُقَيِّدْهَا بِكُلِّ شُرُوطِهَا
كَمَا قَالَهُ لِأَعْلَامٍ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ
فَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَالِكًا
وَلَكِنْ عَلَى آرَاءِ كُلِّ مَلَدِدٍ
فَأَوَّلُهَا الْعِلْمُ الْمُنَافِي لِضِدِّهِ
مِنْ الْجَهْلِ إِنَّ الْجَهْلَ لَيْسَ بِمُسْعِدٍ
فَلَوْ كَانَ ذَا عِلْمٍ كَثِيرٍ وَجَاهِلٌ
بِمَذَلُّولِهَا يَوْمًا فَبِالْجَهْلِ مُرْتَدٍ

وَمِنْ شَرْطِهَا وَهُوَ الْقَبُولُ وَضِدُّهُ
هُوَ الرَّدُّ فَافْهَمْ ذَلِكَ الْقَيْدَ تَرْشُدِ
كَحَالِ قُرَيْشٍ حِينَ لَمْ يَقْبَلُوا الْهُدَى
وَرَدُّوهُ لَمَّا أَنْ عَتَوْا فِي التَّمَرُّدِ
وَقَدْ عَلِمُوا مِنْهَا الْمُرَادَ وَأَنَّهَا
تَدُلُّ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَالتَّفَرُّدِ
فَقَالُوا كَمَا قَدْ قَالَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ
بِسُورَةِ (ص) فَاغْلَمَنْ ذَاكَ تَهْتَدِ
فَصَارَتْ بِهِ أَمْوَالُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ
حَلَالًا وَأَغْنَامًا لِكُلِّ مُوَجِّدٍ
وَنَالَتْهَا الْإِخْلَاصُ فَاغْلَمْ وَضِدُّهُ
هُوَ الشِّرْكَ بِالْمَعْبُودِ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ
كَمَا أَمَرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ نَبِيَّهِ
بِسُورَةِ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ الْمُعْجَدِ
وَرَابِعُهَا شَرْطُ الْمَحَبَّةِ فَلْتَكُنْ
مُحِبًّا لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى
وَإِخْلَاصُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا
كَذَا النَّفْيُ لِلشِّرْكِ الْمُفَنِّدِ وَالذِّدِّ
وَمَنْ كَانَ ذَا حُبٍّ لِمَوْلَاهُ إِنَّمَا
يَتِمُّ بِحُبِّ الدِّينِ دِينَ مُحَمَّدٍ
فَعَادِ الذِّي عَادَى لِذَيْنِ مُحَمَّدٍ
وَوَالِ الذِّي وَالَاهُ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ

وَأَحَبُّ رَسُولِ اللَّهِ أَكْمَلُ مَنْ دَعَى
إِلَى اللَّهِ وَالتَّقْوَى وَأَكْمَلُ مُرْشِدِ
أَحَبِّ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالنَّفْسِ بَلْ وَمِنْ
جَمِيعِ الْوَرَى وَالْمَالِ مِنْ كُلِّ أَتْلِدِ
وَطَارِفِهِ وَالْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
بِأَبَائِنَا وَالْأُمَّهَاتِ فَنَفْتِدِ
وَأَحِبُّ لِحُبِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا
وَأَبْغَضُ لِبُغْضِ اللَّهِ أَهْلَ التَّمَرُّدِ
وَمَا الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ وَالْوَلَا
كَذَاكَ الْبِرُّ مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدِ
وَحَامِسُهَا فَالْإِنْقِيَادُ وَضِدُّهُ
هُوَ التَّرْكُ لِلْمَأْمُورِ أَوْ فِعْلُ مُفْسِدِ
فَتَنْقَادُ حَقًّا بِالْحُقُوقِ جَمِيعِهَا
وَتَعْمَلُ بِالْمَفْرُوضِ حَتْمًا وَتَقْتَدِ
وَتَتْرُكُ مَا قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ طَائِعًا
وَمُسْتَسْلِمًا لِلَّهِ بِالْقَلْبِ تَرْشِدِ
فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ بِالْقَلْبِ مُسْلِمًا
وَلَمْ يَكُ طَوْعًا بِالْجَوَارِحِ يَنْقَدِ
فَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَالِكًا
وَإِنْ خَالَ رُشْدًا مَا أَتَى مِنْ تَعَبُدِ
وَسَادِسُهَا وَهُوَ الْيَقِينُ وَغِيْثُهُ
هُوَ الشُّكُّ فِي الدِّينِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدِيِّ

وَمَنْ شَكَّ فَلْيُكَيِّ عَلَى رَفْضِ دِينِهِ
وَيَعْلَمْ أَنَّ قَدْ جَاءَ يَوْمًا بِمَوْثِدٍ
وَيَعْلَمْ أَنَّ الشَّكَّ يَنْفِي يَقِينَهَا
فَلَا بُدَّ فِيهَا بِالْيَقِينِ الْمُؤَكَّدِ
بِهَا قَلْبُهُ مُسْتَقِينًا جَاءَ ذِكْرُهُ
عَنِ السَّيِّدِ الْمَعْصُومِ أَكْمَلَ مُرْشِدِ
وَلَا تَنْفَعُ الْمَرْءَ الشَّهَادَةُ فَاغْلَمَنْ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَقِينًا ذَا تَجَرُّدٍ
وَسَابِغُهَا الصِّدْقُ الْمُنَافِي لِضِدِّهِ
مِنَ الْكَذِبِ الدَّاعِي إِلَى كُلِّ مُفْسِدٍ
وَعَارِفُ مَعْنَاهَا إِذَا كَانَ قَابِلًا
لَهَا عَامِلًا بِالْمُقْتَضَى فَهُوَ مُهْتَدٍ
وَطَابَقَ فِيهَا قَلْبُهُ لِلْسَانِ
وَعَنِ وَاجِبَاتِ الدِّينِ لَمْ يَتَبَلَّدِ
وَمَنْ لَمْ تَقُمْ هَذِهِ الشُّرُوطُ جَمِيعُهَا
بَقَائِلُهَا يَوْمًا فَلَيْسَ عَلَى الْهُدَى
إِذَا صَحَّ هَذَا وَاسْتَقَرَّ فَاِنَّمَا
حَقِيقَتُهُ الْإِسْلَامُ فَاغْلَمُهُ تَرْشِدِ
وَإِنْ لَهُ - فَاحْذَرْ هُدَيْتَ - نَوَاقِضًا
فَمَنْ جَاءَ مِنْهَا نَاقِضًا فَلْيَجِدِّ
فَقَدْ نَقَضَ الْإِسْلَامَ وَارْتَدَّ وَاعْتَدَى
وَزَاغَ عَنِ السَّمْحَاءِ فَلْيَتَشَهَّدِ

فَمِنْ ذَاكَ شِرْكٌ فِي الْعِبَادَةِ نَاقِضٌ
وَذَبْحٌ لِغَيْرِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
كَمَنْ كَانَ يَغْدُو لِلْقَبَابِ بِذَبْحِهِ
وَلِلْجِنِ فِعْلَ الْمُشْرِكِ الْمُتَمَرِّدِ
وَجَاعِلٍ بَيْنَ اللَّهِ - بَغِيًّا - وَبَيْنَهُ
وَسَائِطٌ يَدْعُوهُمْ فَلَيْسَ بِمُهْتَدٍ
وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ بِالْخُضُوعِ شَفَاعَةً
إِلَى اللَّهِ وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ وَيَجْتَدِ
وَنَالِثُهَا مَنْ لَمْ يُكْفِرْ لِكَافِرٍ
وَمَنْ كَانَ فِي تَكْفِيرِهِ ذَا تَرَدُّدٍ
وَصَحَّحَ عَمْدًا مَذْهَبَ الْكُفْرِ وَالرَّدَى
وَذَا كُلُّهُ كُفْرٌ بِاجْتِمَاعٍ مِنْ هُدَى
وَرَابِعُهَا فَالْاِعْتِقَادُ بِأَنْمَا
سِوَى الْمُصْطَفَى الْهَادِي وَأَكْمَلِ مُرْشِدِ
لأَحْسَنُ حُكْمًا فِي الْأُمُورِ جَمِيعِهَا
وَأَكْمَلُ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
كَحَالَةِ كَعْبٍ وَابْنِ أَخْطَبٍ وَالَّذِي
عَلَى هَدْيِهِمْ مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدٍ
وَخَامِسُهَا يَا صَاحِبَ مَنْ كَانَ مُبْغِضًا
لِشَيْءٍ أَتَى مِنْ هَدْيِ أَكْمَلِ سَيِّدِ
فَقَدْ صَارَ مُرْتَدًّا وَإِنْ كَانَ عَامِلًا
بِمَا هُوَ ذَا بُغْضٍ لَهُ فَلْيُجَدِّدِ

وَذَلِكَ بِالْأَجْمَاعِ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ
وَقَدْ جَاءَ نَصُّ ذِكْرِهِ فِي (مُحَمَّدٍ)
وَسَادِسُهَا مَنْ كَانَ بِالْبَيْتِ هَازِئاً
وَلَوْ بِعِقَابِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
وَحُسْنُ ثَوَابِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ فَلَتَكُنْ
عَلَى حَذِرٍ مِنْ ذَلِكَ الْقَيْلِ تَرْشُدِ
وَقَدْ جَاءَ نَصُّ فِي (بَرَاءَةِ) ذِكْرِهِ
فَرَاغُهُ فِيهَا عِنْدَ ذِكْرِ التَّهْدِيدِ
وَسَابِعُهَا مَنْ كَانَ لِلْسَّحْرِ فَاعِلاً
كَذَلِكَ رَاضٍ فِعْلُهُ لَمْ يُفْنِدِ
وَفِي سُورَةِ (الزَّهْرَاءِ) نَصٌّ مُصَرِّحٌ
بِتَكْفِيرِهِ فَاطْلُبْهُ مِنْ ذَاكَ تَهْتَدِ
وَمِنْهُ لَعْمَرِي الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ فَاغْلَمَنْ
أَخِي حُكْمَ هَذَا الْمُعْتَدِي الْمُتَمَرِّدِ
وَتَامِنُهَا وَهِيَ الْمَظَاهِرَةُ الَّتِي
يُعَانُ بِهَا الْكَفَّارُ مِنْ كُلِّ مَلِجِدِ
عَلَى الْمُسْلِمِينَ الطَّائِعِينَ لِزَيْبِهِمْ
عِيَاذاً بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ كُلِّ مُفْسِدِ
وَمَنْ يَتَوَلَّى كَافِراً فَهُوَ مِثْلُهُ
وَمِنْهُ بَلَا شَكٍّ بِهِ أَوْ تَرَدُّدِ
كَمَا قَالَهُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ
وَجَاءَ عَنِ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وَتَاسِعُهَا وَهُوَ اعْتِقَادُ مَضِلٍّ
 وَصَاحِبُهُ لَا شَكَّ بِالْكُفْرِ مُرْتَدٍ
 كَمُعْتَقِدٍ أَنْ لَيْسَ حَقًّا وَوَاجِبًا
 عَلَيْهِ اتِّبَاعُ الْمُصْطَفَى خَيْرِ مُرْشِدٍ
 فَمَنْ يَعْتَقِدُ هَذَا الضَّلَالَةَ وَأَنَّهُ
 يَسَعُهُ خُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ أَحْمَدٍ
 كَمَا كَانَ هَذَا فِي شَرِيعَةِ مَنْ خَلَا
 كَصَاحِبِ مُوسَى حَيْثُ لَمْ يَتَّقِدْ
 هُوَ الْخَضِرُ الْمَقْصُوصُ فِي (الْكَهْفِ) ذِكْرُهُ
 وَمُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ فَافْتَهُمْ لِمَقْصِدِ
 وَهَذَا اعْتِقَادُ لِمَلَايِدَةِ الْأُولَى
 مَشَايِخِ أَهْلِ الْإِتِّحَادِ الْمُفَنِّدِ
 كَنَحْوِ ابْنِ سَيْنَا وَابْنِ سَبْعِينَ وَالَّذِي
 يُسَمَّى ابْنَ رُشْدٍ وَالْحَفِيدِ الْمُلَدِّ
 وَشَيْخِ كَبِيرٍ فِي الضَّلَالَةِ صَاحِبُ الْ
 فُصُوصِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ فِي التَّمَرُّدِ
 وَعَاشِرُهَا الْإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ رَبِّنَا
 فَلَا يَتَعَلَّمُهُ فَلَيْسَ بِمُهْتَدٍ
 وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ عَامِلًا
 بِهِ فَهُوَ فِي كُفْرَانِهِ ذُو تَعَمُّدٍ
 وَلَا فَرْقَ فِي هَذِهِ النَّوَاقِضِ كُلِّهَا
 إِذَا رُمِتْ أَنْ تَنْجُو وَلِلْحَقِّ تَهْتَدِ

هَنَالِكَ بَيْنَ الْهَزْلِ وَالْجِدِّ فَاغْلَمَنْ
وَلَا رَاهِبَ مِنْهُمْ لِخَوْفِ التَّهْدِيدِ
سِوَى الْمُكْرَهِ الْمَضْهُودِ إِنْ كَانَ قَدْ أَتَى
هَنَالِكَ بِالشَّرْطِ الْأَطِيدِ الْمُؤَكَّدِ
وَحَازِرٍ ، هَذَاكَ اللَّهُ ، مِنْ كُلِّ نَاقِضٍ
سِوَاهَا ، وَجَانِبَهَا جَمِيعاً لِتَهْتِدِ
وَكُنْ بَازِلاً لِلْجِدِّ وَالْجُهْدِ طَالِباً
وَسَلْ رَبُّكَ التَّيِّبَتِ أَيُّ مُوَجِّدِ
وَإِيَّاهُ فَارْغَبْ فِي الْهِدَايَةِ لِلْهُدَى
لَعَلَّكَ أَنْ تَنْجُوَ مِنَ النَّارِ فِي غَدِ
وَصَلِّ الْهِيَ مَا تَأَلَّقَ بَارِقُ
وَمَا وَخَذَتْ قُودُ بِمَوْرِ مُعْبِدِ
تَوُّمٌ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَمَا سَرَى
نَسِيمُ الصَّبَا أَوْ شَاقَ صَوْتُ الْمُغَرِّدِ
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَافِحُ
وَمَا انْهَلَّ صَوْبُ فِي عَوَالٍ وَوَهْدِ
عَلَى السُّيْدِ الْمَعْصُومِ أَفْضَلَ مُرْسَلِ
وَأَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ طُرّاً وَأَجُودِ
وَالٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعاً
صَلَاةً دَوَاماً فِي الرِّوَاكِ وَفِي الْغَدِ

[نبذة من زهده ﷺ]

كان رسول الله ﷺ أزهد الناس ، ويكفيك في تعريف ذلك أن فقره
ﷺ كان فقر اختياري لا فقر اضطراري .

لأنه ﷺ فُتِحَتْ عليه الفتوحُ وجُلِبَتْ إليه الأموالُ ، ومات وِدْرَعُهُ
مَرهُونَةً عند يهودي في نفقة عياله ، وهو يدعو : اللهم اجعل رزق آل محمد
قوتاً .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام
تباعاً من خبزٍ حتى مضى لِسَبِيلِهِ ، ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببالٍ .

وعنها قالت : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا شاة ولا درهماً ولا بعيراً
ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبدٍ إلا شطر شعير في رَفٍّ لي .

وقال لي : إني عَرَضَ عَلَيَّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلتُ
لا يارب أَجُوعُ يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليومُ الذي أَجُوعُ فيه فأتضرع إليك
وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدُكَ وأُثني عليك .

وعنها قالت : إن كُنَّا آلُ محمد لنمكثُ شهراً ما نَسْتَوِقِدُ نارا ، إن هو
إلا التمرُ والماء .

وعنها قالت : لم يمتل جَوْفُ النبي ﷺ شَبَعاً قط ، ولم يَبْثْ إلى أحدٍ
شكوى .

وكانت الفاقة أحبَّ إليه من الغنى ، وإن كان لَيَظَلُّ جائعاً يَلْتَوِي
طُولَ ليلته مِنَ الجوع ، فلا يَمْنَعُهُ مِنْ صِيامِ يوم ولو شاء لَسَأَلَ ربه جميع
كُنُوزِ الأرض وِثَارِهَا ورغد عيشها .

ولقد كنتُ أبكي له رحمةً مما أرى به وأمسحُ بيدي على بطنه مما به من

الجوع ، وأقول نفسي لك الفداء ، لو تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَقُوتُكَ .

فيقول يا عائشة مَا لِي وَلِلدُّنْيَا إِخْوَانِي أُولُو الْعِزِّمِ مِنَ الرِّسْلِ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا فَمَضَوْا عَلَى حَالِهِمْ فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ وَأَكْرَمَ مَا بِهِمْ وَأَجْزَلَ ثَوَابِهِمْ .

وأجدني استحي إن تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي أَنْ يُقَصِّرَنِي غَدَاً دُونَهُمْ .

وما مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخْلَائِي ، قَالَتْ : فَمَا أَقَامَ بَعْدَ إِلَّا شَهْرًا ثُمَّ تَوَفَّى ﷺ .

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : مَا رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطُّ غَدَاً لِعِشَاءٍ وَلَا عِشَاءً قَطُّ لِعَدَاءٍ .

وَلَا اتَّخَذَ مِنْ شَيْءٍ زَوْجِينَ لَا قَمِيصِينَ وَلَا رِدَائِينَ وَلَا إِزَارِينَ ، وَمِنْ النِّعَالِ وَلَا رَثِي قَطُّ فَارِغًا فِي بَيْتِهِ إِمَّا يَخْصِفُ نَعْلًا لِرَجُلٍ مَسْكِينٍ أَوْ يَخِيطُ ثَوْبًا لَأَرْمَلَةٍ .

وعن أنس بن مالك أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ جَاءَتْ بِكِسْرَةٍ خُبْزٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ الْكِسْرَةُ يَا فَاطِمَةُ ؟

قَالَتْ : قَرَصَ خَبْزَتَهُ فَلَمْ تَطْبِ نَفْسِي حَتَّى أَتَيْتُكَ بِهِذِهِ الْكِسْرَةَ ، فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ أَوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ فَمَّ أَبِيكَ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنِ النَّعْمَانِ قَالَ : ذَكَرَ عُمَرُ مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ مَا يَمْلَأُ بَطْنَهُ .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنْ كَانَ لِيَمْرَأَةٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَهْلَةُ مَا يُسْرَجُ فِي بَيْتٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَرَّاجٌ وَلَا يُوقَدُ فِيهِ نَارٌ إِنْ وَجَدُوا زَيْتًا إِدْهَنُوا بِهِ وَإِنْ وَجَدُوا وَدَكًا أَكَلُوهُ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَرَوَاهُ ثِقَاةٌ .

عن عبدالله بن مسعود قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء .

فقال : ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب أستظل تحت شجرة ثم راح وتركها ، رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه .

قال عمر بن الخطاب : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه .

وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية الغرفة ، وإذا إهاب معلق (الإهاب : الجلد) فابتدرت عيناى .

فقال : ما يُبْكِيكَ يا ابن الخطاب ؟ فقلت : يانبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خزانة لا أرى إلا ما أرى .

وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانة .

قال : يابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ، رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والحاكم وقال على شرط مسلم .

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله ﷺ وما في رَفِيٍّ مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفِيٍّ لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلِيٌّ فِكَلْتُهُ فَقَنِي .

عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان عامة خبزهم الشعير .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يشدُّ صُلْبَهُ بالحجر من الغرث أي الجوع .

بينما عائشة ، رضي الله عنها تُحَدِّثُ ذات يومٍ إذ بَكَتُ . قيل لها :
ما يبكيك يا أُمُّ المؤمنين ؟ قالت : ما ملأت بطني من طعام ، فشئت أن
أبكي إلا بكيت أذكر رسول الله ﷺ وما كان فيه من الجهد .

وعنها أيضاً أن رسول الله ﷺ كانت تأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع
من خبز بُرٍّ .

وعنها أيضاً : قالت : ما شبع آل محمد ثلاثاً من خُبز بُرٍّ حتى
قُبِضَ ، وما رُفِعَ عن مائدته كسرةٌ فضلاً ، حتى قُبِضَ .

عن الحسن (البصري) قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : « والله
ما أُمسى في آل محمد صاعٌ من طعام » ، وإنها لتسعة أبيات (بيوت
زوجاته) . والله ما قالها استقلالاً لرزق الله ، ولكن أراد أن تتأسى به
أمته .

عن ابن عباس قال : والله لقد كان يأتي على آل محمد ﷺ الليالي ما
يجدون فيها عشاءً .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبع رسول الله ﷺ في يوم
مرتين حتى لحق بالله ، ولا رفعنا له فضلَ طعامٍ عن شبعٍ حتى لحق
بالله ، إلا أن نرُفِعه لغائبٍ . ف قيل لها : ما كانت معيشتكم ؟ قالت :
الأسودان : الماء والتمر . وقالت : وكان لنا جيرانٌ من الأنصار ، لهم
ربائب يسقوننا من لبنها ، جزاهم الله خيراً .

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ لم يجمع له غداءً ولا عشاءً من خبز
ولحمٍ إلا على ضَفَفٍ .

عن أنس بن مالك قال : شهدت للنبي ﷺ وليمةً ما فيها خبزٌ ولا

لحم .

عن أنس بن مالك قال : ما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفاً مرققاً بعينه حتى لحق برّته ، ولا شاة سميظاً قط .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما اجتمع في بطن النبي ﷺ طعامان في يوم قطّ ، إن أكل لحماً لم يزد عليه ، وإن كان تمرّاً لم يزد عليه ، وإن أكل خبزاً لم يزد عليه . وكان رجلاً مسقماً ، وكانت العرب تنعت له فيتداوى بها تنعت له العرب ، وكانت العجم تنعت له فيتداوى .

عن أبي نصر قال : سمعتُ عائشة رضي الله عنها تقول : إني لجالسةٌ مع رسول الله ﷺ في البيت . فأهدى لنا أبو بكر رجلاً شاةً فإني لأقطعها مع رسول الله ﷺ في ظلمة البيت . فقال لها قائل : أما كان لكم سراج ؟ فقالت : لو كان لنا ما يُسرج به اكلناه .

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خُبزٍ وزيتٍ في يومٍ مرتين .

عن عائشة قالت : بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواءً يمرئه . فذكرتُ نبيكم ﷺ فذاك الذي أبكاني : خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يومٍ من طعامين : كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز . وإذا شبع من الخبز لم يشبع من التمر .

عن أنس بن مالك قال : ما يُرفع بين يدي رسول الله ﷺ شيء قطّ ، ولا حُمِلت معه طُنْفسة يجلس عليها .

أخبرني الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يجوع . قلت لأبي هريرة : وكيف ذلك الجوع ؟ قال : لكثرة مَنْ يغشاه وأضيافه ، وقوم يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاماً أبداً إلاّ ومعه أصحابه ، وأهل الحاجة يتبعونه من المسجد . فلما فتح الله خير ، اتسع الناسُ بعض الاتّسع ، وفي الأمرِ بُعدٌ ضيقٌ والمعاش شديد . هي بلادٌ ظلفٌ لا زرع فيها . إنما

طعام أهلها التمر ، وعلى ذلك أقاموا .

وروي عن جابر رضي الله عنه قال : حضرنا عرس علي وفاطمة فما كان عرساً كان أحسن منه حشونا الفراش يعني من الليف .

وأوتينا بتمر وزيت فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش ، رواه البزار . الإهاب : الجلد .

عن عامر الشعبي قال : قال علي رضي الله عنه : لقد تزوجت فاطمة ، وما لها ولي فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناصح بالنهار ، وما لي ولها خادم غيرها .

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجة فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورَحِيْن وسِقَاء وجَرَّتَيْن .

فقال علي لفاطمة ذات يوم : والله سنوت حتى اشتكيت صدري (المعنى تعبت من إخراج الماء من البئر) وقد جاء الله بسبي فاذهبني فاستخدميه (أي اطلبني منه خادماً) .

ف قالت : وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يدي من العمل فأتى النبي ﷺ فقال : ما جاء بك وما حاجتك أي بُنية ، قالت : جئت لأسلم عليك واستحييت أن تسأله فرجعت .

فقال علي : ما فعلت ؟ قالت : استحييت أن أسأله ، فأتياه جميعاً فقال علي : يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري .

وقالت فاطمة : لقد طحنت حتى مجلت يداي ، وقد جاءك الله عز وجل بسبي وسعة فأخدمنا .

فقال : والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم .

فرجعا وأتاها النبي ﷺ ، وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطيا رؤسهما
تكشفت أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤسهما فثارا فقال :
مَكَانَكُمَا .

ثم قال : ألا أخبركما بخير مما سألتاني ، قالا : بلى . قال : كلمات
عَلِمْنِيهِنَّ جبريل تُسَبِّحَانِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا ، وَتُحَمِّدَانِ عَشْرًا ،
وَتُكَبِّرَانِ عَشْرًا .

وإذا أويئتا إلى فراشكما ، فسبحا ثلاثا وثلاثين وأحمدا ثلاثا وثلاثين ،
وكبرا أربعاً وثلاثين ، قال : فوالله ما تركتُهنَّ منذ عَلِمْنِيهِنَّ رسول الله
ﷺ .

عن بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللهم أني أسألك
بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفواً أحد .

فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه
الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أخرجه أبو داود
والترمذي .

وعن أنس رضي الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم إني أسألك
بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو
الجلال والإكرام يا حي يا قيوم .

فقال النبي ﷺ : أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال :
والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا
سئل به أعطى ، أخرجه أصحاب السنن .

عن سعد بن أبي وقاص قال قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذي

النون إِذْ دَعَى وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .

فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ دَعَا بِهِؤْلَاءِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسَ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) رواه الطبراني بإسناد حسن .

وعن معاذ بن جبل قال : سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ (يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) فَقَالَ « قَدْ اسْتَجِيبَ لَكَ فَسَلْ » رواه الترمذي .
قال أحد العلماء : (إن الذكر باعتباره وسيلة القرب من الله هو دائماً دُعَاءٌ وَإِنَّ الدُّعَاءَ وَهُوَ التَّضَرُّعُ وَالْخُضُوعُ لِلَّهِ تَعَالَى هُوَ دَائِمًا ذِكْرٌ .

وليس بينهما مِنْ فَرْقٍ إِلَّا فِي اللَّوْنِ وَالشَّكْلِ .

وقد وردت الآثارُ بما تقولُ : فقد وردَ في الأحاديثِ الشَّريفة أنَّ الله تعالى يقول : « مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرَنِي أُعْطِيَته أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ » .

وقد ورد في القرآن الكريم عن سيدنا يونس أنه حينما التقمه الحوتُ نَجَّاهُ تَسْبِيحُهُ : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وفي سورة « نون » يندم أصحاب الجنة - الحديقة - التي طاف عليها طائفت من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم . . . على أنهم لم يكونوا من المسبحين ، وخاطبهم أوسطهم قائلاً : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ؟ ﴾ .

والاستغفار ؟ :

إنه ذكر لا يتضمن دعاء لفظياً ولكن الثمرات المترتبة عليه هائلة نفيسة . يقول تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾ .

إن الاستغفار ثمرته :

(١) المغفرة .

(٢) والغيث (المطر الذي يروي الأرض فينبت الزرع ويروي به الناس والأنعام ظمأهم) .

(٣) وإمداد الله للمستغفر بالأموال .

(٤) وإمداده له بالبنين .

وأكثر من ذلك . . .

يقول الله تعالى :

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ .

(٥) ومن ثماره إذن زيادة القوة .

ولقد حدث في مصر أن أحد الأثرياء الصالحين لم يجد سبيلاً - في فترة من الفترات - لري أرضه ، وكاد الزرع يصبح حطاماً ، فجلس الرجل وسط مزرعته الفسيحة . . وقال :

اللهم إنك قلت . . وقولك الحق :

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴾
وها أنا ذا يا رب أستغفرك راجياً أن تفيض علينا من رحمتك .

ثم أخذ في الاستغفار . . ومضت ساعات وهو يتابع الاستغفار في همّة وفي ثقة بموعد الله تعالى ، وإذا بالسماء تتلبد بالغيوم . . وإذا بالمطر ينزل فياضاً مدراراً .

ومن المعروف أن الصالحين حينما يصيبهم ضعف يلجؤون إلى الله بالاستغفار فيتحقق لهم وعده :

﴿ وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ .

وليست هذه فحسب ثمار الاستغفار . . وذلك أنه أيضاً يمنع أن يصيب العذاب الإنسان .

(٦) ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

(٧) ثم . . . يقول رسول الله ﷺ :

« مَنْ لَزِمَ الاستغفارَ جعلَ اللهَ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً ، ومن كُلِّ ضيقٍ مَخْرَجاً ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » .

وثمار الاستغفار أوسع من ذلك في الدنيا والآخرة .

والم يقل رسول الله ﷺ :

« أَفْضَلُ الدُّعَاءِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ » ؟ .

و « الْحَمْدُ لِلَّهِ » أَلَيْسَتْ ذِكْرًا ؟ .

وإذا كان من الذكر ما هو دعاء ، أو إذا كان الذكر كله دعاء . . فإن الدعاء أيضاً يكون بغير الدعاء اللفظي وبغير الذكر :

فالإكثار من التوبة دعاء وذكر ، ويترتب على الإكثار منه ما يقوله الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ .

وإذا أحبَّ الله عبداً من عبادِهِ بسبب الإكثار من التوبة فإنه يترتبُ على هذا الحب آثاره :

« فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَإِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيزَنَّهُ » .

وإذا كانت التوبة ذكراً أو دعاءً فإنَّ التقوى دعاءٌ نفيس . .

ألا ترى ما يقوله الله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ؟ ﴾ .

إنَّ الله سبحانه يجعل له مخرجاً من كلِّ همٍّ وضيقٍ وأزمةٍ بسبب تقواه ويرزقه الله من حيث يدرى ولا يدرى .

ويقول سبحانه :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ .

يُسِّرُ سُبْحَانَهُ أُمُورَهُ كُلَّهَا .

ويقول الله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ .
إِنْتَهَى

قصيدة فيها تضرُّعٌ إلى رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ وَالْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ :

يا ذا الْجَلَالِ ويا ذا الْجُودِ وَالْكَرَمِ ذَنْبِي عَظِيمٌ وَأَرْجُو مِنْكَ مَغْفِرَةً دَعَوْتُ نَفْسِي إِلَى الْخَيْرَاتِ فَاثْتَنَعْتُ خَسِرْتُ عُمْرِي وَقَدْ فَرَطْتُ فِي زَمَنِي حَمَلْتُ ثِقْلًا مِنَ الْأَوْزَارِ فِي صِغَرِي رَاحَ الشَّبَابُ وَوَلَّى الْعُمُرُ فِي لَعِبِ زَمَانَ عَزَمِي قَدْ ضَيَّعْتُهُ كَسَلًا قَدْ انْقَضَتْ عَيْشَتِي بِالذُّلِّ وَالْأَسْفَى ذِي حَالَتِي وَانْكِسَارِي لَا تُخَيِّبْنِي أَتَيْتُ بِالذُّلِّ وَالتَّقْصِيرِ وَالنَّدَمِ سَارَ الْمَجْدُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَاجْتَهَدُوا شِفَاءَ قَلْبِي ذِكْرُ اللَّهِ خَالِقَنَا صَفَتْ لِأَهْلِ التَّقَى أَوْقَاتُهُمْ سَعِدُوا ضَيَّعْتُ عُمْرِي وَلَا قَدَّمْتُ لِي عَمَلًا طُوبَى لِعَبْدٍ أَطَاعَ اللَّهَ خَالِقَهُ ظَهَرِي ثَقِيلٌ بِذَنْبِي آهَ وَالْأَسْفَى أَرْجُوكَ يَا ذَا الْعُلَا كَرِّبْ تَفَرُّجَهُ	قَدْ جِئْتُكَ خَائِفًا مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ يَا وَاسِعَ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ وَالْكَرَمِ وَأَعْرَضْتُ عَنْ طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالنَّعَمِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ مَوْلَايَ فَيَا نَدَمِي يَا خَجَلِي فِي غَدٍ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ وَمَا تَحَصَّلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَلَمْ أَقْمِ وَالْعُمْرُ مِنِّي انْقَضَى فِي غَفْلَةِ الْحُلَمِ إِنْ لَمْ تَجِدْ خَالِقِي بِالْعَفْوِ وَالْكَرَمِ إِذَا وَقَعْتُ ذَلِيلًا حَافِي الْقَدَمِ أَرْجُو الرِّضَا مِنْكَ بِالْغُفْرَانِ وَالْكَرَمِ يَا فَوْزَهُمْ غَنِمُوا الْجَنَاتِ وَالنَّعَمِ يَا فَوْزَ عَبْدٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ يَسْتَقِمِ نَالُوا الْهَنَاءَ وَالْمُنَى بِالْخَيْرِ وَالْكَرَمِ أَنْجُو بِهِ يَوْمَ هَوْلِ الْخَوْفِ وَالزَّحَمِ وَقَامَ جَنَحُ الدُّجَى بِالذَّمِّ مُنْسَجِمِ يَوْمَ اللَّقَاءِ إِذَ الْأَقْدَامُ فِي زَحَمِ وَاشْفِ بِفَضْلِكَ لِي بَلَوَايَ مَعَ سَقَمِي
--	---

غَفَلْتُ عَنْ ذِكْرِ مَعْبُودِي وَطَاعَتِهِ
 فَاغْفِرْ ذُنُوبِي وَكُنْ يَا رَبِّ مُنْقِذَنَا
 قَدْ أَثْقَلْتَنِي ذُنُوبٌ مَا لَهَا أَحَدٌ
 كُنْ مُنْجِدِي يَا إِلَهِي وَاعْفُ عَنْ زَلَلِي
 لَأَخَ الْمَشِيبُ وَوَلِيَّ الْعُمُرُ فِي لَعِبِ
 مَضَى زَمَانِي وَمَا قَدَّمْتُ مِنْ عَمَلٍ
 نَامْتُ عُيُونِي وَأَهْلُ الْخَيْرِ قَدْ سَهَرُوا
 قَامُوا إِلَى ذِكْرِ مَوْلَاهُمْ فَقَرَّبَهُمْ
 وَلَيْسَ لِي غَيْرَ رَبِّ الْخَلْقِ مِنْ سِنْدٍ
 لَا أَرْتَجِي أَحَدًا يَوْمَ الزَّحَامِ سِوَى
 ثَمِ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
 وَقَدْ مَشَيْتُ إِلَى الْعَصِيَانِ فِي هَمٍّ
 مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَالثُّهَمِ
 سِوَاكَ يَا غَافِرَ الزَّلَّاتِ وَاللَّهَمِ
 وَثُبْ عَلَيَّ مِنَ الْآثَامِ وَاللَّهَمِ
 وَصِرْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَوْزَارِ فِي نَدَمٍ
 يَا خَجَلَتِي مِنْ إِلَهِي بَارِي النَّسَمِ
 أَجْفَانُهُمْ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ لَمْ تَنْمِ
 وَخَصَّهُمْ بِالرِّضَا وَالْفَضْلِ وَالكَرَمِ
 أَرْجُوهُ يُؤَلِّينِي بِالْغُفْرَانِ وَالكَرَمِ
 رَبِّ الْبَرِّيَّةِ مُوَلَّى الْفَضْلِ وَالكَرَمِ
 مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْمَخْصُوصِ بِالكَرَمِ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهَجَ الْمُفْلِحِينَ وَأَلْبِسْنَا خِلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ، وَخَصَّنَا مِنْكَ
 بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا
 مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا
 وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهْمًا ذَكِيًّا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ
 دَاءٍ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُكْثَرِينَ لِذِكْرِكَ مُؤَدِّينَ لِحَقِّكَ حَافِظِينَ لِأَمْرِكَ رَاجِينَ
 لَوَعْدِكَ رَاضِينَ فِي جَمِيعِ حَالَاتِنَا عَنْكَ

رَاغِبِينَ فِي كُلِّ أَمُورِنَا إِلَيْكَ مُؤْمِلِينَ لِفَضْلِكَ شَاكِرِينَ لِنِعَمِكَ .

يَا مَنْ يَحِبُّ الْعَفْوَ وَالْإِحْسَانَ ، وَيَأْمُرُ بِهَا أَعْفُ عَنَّا ، وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا .

فإنك بالذي أنت له أهلٌ من عَفْوِكَ أحقُّ منا بالذي نحن له أهلٌ
من عُقُوبَتِكَ .

اللهم ثَبِّتْ رَجَاءَكَ في قلوبنا ، واقطعه عَمَّنْ سِوَاكَ ، حتى لا نَرْجُوا
غَيْرَكَ ولا نستعين إلا بِإِيَّاكَ ، يا أرحمَ الرَّاحِمِينَ ، ويا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ .

اللهم أحيِنَا في الدنيا مؤمنين طائعين وتوفِنَا مسلمين تائبين واغفر
لنا ولوالِدِينَا ولجميعِ المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصلى الله
على محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ السَّلَامَ
تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَشِعَارُ الْمُؤَحِّدِينَ ، وَدَاعِيَةُ لِلْإِخَاءِ وَالْإِلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ
إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالسَّلَامُ تَحِيَّةُ مُبَارَكَةٍ ، وَصِيغَةُ طَيِّبَةٍ كَمَا ذَكَرَ اللهُ
سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى
أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ .

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى
تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ وَالسَّلَامُ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ
فِي دَارِ النِّعَمِ قَالَ تَعَالَى ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ .

وَابْتِدَاءُ السَّلَامِ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ ، وَهُوَ سُنَّةٌ كِفَايَةٌ فَإِنْ
كَانَ الْمُسْلِمُ جَمَاعَةً كَفَى عَنْهُمْ وَاحِدٌ يُسَلِّمُ وَلَوْ سَلَّمُوا كُلُّهُمْ كَانَ أَفْضَلُ
وَرَفَعَ الصَّوْتِ بِابْتِدَاءِ السَّلَامِ سُنَّةٌ ، لِيَسْمَعَهُ الْمُسْلِمُ عَلَيْهِمْ كُلُّهُمْ سَمَاعاً
مُحَقَّقاً لِحَدِيثِ أَفْشَا السَّلَامِ بَيْنَكُمْ .

وإن سَلَّمَ عَلَى أَيقَاضٍ وَنِيَامٍ أَوْ سَلَّمَ عَلَى مَنْ لَا يَعْلَمُ هَلْ هُمْ
أَيَقَاضٌ أَوْ نِيَامٌ خَفَضَ صَوْتَهُ ، بِحَيْثُ يُسْمِعُ الْأَيَقَاضَ وَلَا يُوقِضُ النَّيَامَ ،
وَلَوْ سَلَّمَ عَلَى إِنْسَانٍ ثُمَّ لَقِيَهُ عَلَى قُرْبٍ سَنَّ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ ثَانِيًا وَثَالِثًا
وَأَكْثَرَ .

وَيُسَنُّ أَنْ يَبْدَأَ بِالسَّلَامِ قَبْلَ الْكَلَامِ ، لِحَدِيثٍ مِنْ بَدَأَ بِالْكَلَامِ قَبْلَ
السَّلَامِ فَلَا تُجِيبُوهُ . فَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الْأَخَ أَنْ تَنْصَحَ كُلَّ مَنْ ابْتَدَأَكَ بِغَيْرِ
السَّلَامِ وَتَعْلِمَهُ بِالْحَدِيثِ خُصُوصًا الْمَكْلُمِينَ لَكَ بِالتَّلْفُونِ بِقَوْلِهِمْ أَلْ أَلْ وَلَا
يُتْرَكُ السَّلَامُ إِذَا كَانَ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ .

وإن دَخَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ فِيهِمْ عُلَمَاءُ سَلَّمَ أَوَّلًا عَلَى الْجَمِيعِ ، ثُمَّ
سَلَّمَ عَلَى الْعُلَمَاءِ سَلَامًا ثَانِيًا تَمَيِّزًا لِمَرْتَبَتِهِمْ وَكَذَا لَوْ كَانَ فِيهِمْ عَالِمٌ
وَاحِدٌ . خَصَّهُ بِالسَّلَامِ ثَانِيًا .

وَلَا يُسَلِّمُ عَلَى امْرَأَةٍ أَعْجَنِيَّةٍ غَيْرِ زَوْجَةٍ لَهُ ، أَوْ ذَاتِ مَحَرَمٍ ، إِلَّا أَنْ
تَكُونَ عَجُوزًا غَيْرَ حَسَنَاءَ أَوْ تَكُونَ بَرَزَةً ، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا لَا تُشْتَهَى لِأَمْنِ
الْفِتْنَةِ وَيُكْرَهُ السَّلَامُ فِي الْحَمَامِ وَيُكْرَهُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ يَأْكُلُ وَعَلَى مَنْ
يُقَاتِلُ لاشتغاله .

وَيُكْرَهُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ يَبْحَثُونَ فِي الْعِلْمِ ، وَعَلَى مَنْ يُؤَذِّنُ ،
وَعَلَى مَنْ يُقِيمُ وَمُحَدِّثٍ بِتَشْدِيدِ الدَّالِّ وَخَطِيبٍ وَوَاعِظٍ وَمُسْتَمِعٍ .

وَيُكْرَهُ السَّلَامُ عَلَى مُكَرِّرِ فِقْهِهِ ، وَمُدَرِّسٍ فِي عِلْمٍ مَشْرُوعٍ ، أَوْ
مُبَاحٍ وَيُكْرَهُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ يَبْحَثُونَ فِي الْعِلْمِ .

وَيُكْرَهُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ يَقْضِي حَاجَتَهُ ، وَيُكْرَهُ عَلَى مَنْ يَتَمَتَّعُ بِأَهْلِهِ
وَعَلَى مُشْتَغِلٍ بِالْقَضَاءِ ، وَنَحْوِهِمْ مِنْ كُلِّ مَنْ لَهُ شُغْلٌ عَنْ رَدِّ السَّلَامِ
وَيُكْرَهُ أَنْ يَخْصَّ بَعْضُ طَائِفَةٍ لِقِيَّتِهِمْ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ مِمَّنْ يَجِبُ
هَجْرُهُ ، أَوْ يُسْتَحَبُّ .

وَإِنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ جَمِيعًا ، وَجَبَ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا الرَّدُّ ، وَلَا يَنْزِعُ
يَدَهُ مِنْ يَدِ مَنْ يُصَافِحُهُ ، حَتَّى يَنْزِعَ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ ، إِلَّا لِحَاجَةٍ كَحَيَاتِهِ مِنْهُ
وَنَحْوِهِ وَقَدْ نَظَّمَ بَعْضُهُمُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يُكْرَهُ فِيهِ السَّلَامُ فَقَالَ :

سَلَامُكَ مَكْرُوءٌ عَلَى مَنْ سَتَسْمَعُ
وَمَنْ بَعْدَ مَا أُبْدِيَ يُسْنُ وَيُشْرَعُ
مُصَلٍّ وَتَالٍ ذَاكِرٍ وَمُحَدِّثٍ
خَطِيبٍ وَمَنْ يُصْغِي إِلَيْهِمْ وَيَسْمَعُ
مُكَرِّرٍ فَفَقِهٍ جَالِسٍ لِقَضَائِهِ
وَمَنْ بَحَثُوا فِي الْفِقْهِ دَعُهُمْ لِيَنْفَعُوا
مُؤَذِّنٍ أَيْضًا مَعَ مُقِيمٍ مُدَرِّسٍ
كَذَا الْأَجَنِبِيَّاتِ الْفَتِيَّاتِ أَمْنَعُ
وَلَعَابِ شِطْرَنْجٍ وَشِبْهِ بَخْلِقِهِمْ
وَمَنْ هُوَ مَعَ أَهْلِ لَهُ يَتَمَتَّعُ
وَدَّعُ كَافِرًا أَيْضًا وَكَاشَفَ عَوْرَةَ
وَمَنْ هُوَ فِي حَالِ التَّغَوُّطِ أَشْنَعُ
وَدَّعُ آكِلًا إِلَّا إِذَا كُنْتَ جَائِعًا
وَتَعْلَمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ يَمْنَعُ

كَذَلِكَ أُسْتَاذُ مُغْنٍ مُطِيرٌ
 فَهَذَا خِتَامُ وَالزِّيَادَةُ تَنْفَعُ
 « وَزِدْتُ عَلَى هَذَا فَقُلْتُ مُتِمِّمًا
 بِمَا هُوَ مِثْلُ أَوْ أَشَدُّ فَيُتْبَعُ »
 « وَمَنْ عِنْدَ تَلْفِزِيُونِهِمْ سَيْنَمَائِهِمْ
 وَمَنْ لِمُذِيعِ الْمُنْكَرَاتِ تَسْمَعُوا »

مَصَوِّرُ ذِي رُوحٍ وَحَالِقِ لِحْيَةٍ
 وَمَحْلُوقِهَا مَعَ ذِي الْخَنَافِسِ يَتْبَعُ
 « وَشَارِبُ دُخَانٍ وَشَارِبُ شَيْشَةٍ
 مُتَوَلِّتُ رَاسٍ وَالْمُجَاهِرُ أَفْظَعُ »
 « وَشَارِبُ ذِي سُكْرِ وَلَا عِبْ كُورَةٍ
 وَمُضْلِحُ آلَاتٍ لِلَّهِوِ فَيُمنَعُ »
 « وَنَائِعُ آلَاتٍ لِلَّهِوِ وَمُطْرِبُ
 وَمَنْ هُوَ فِي سَبِّ الْغَوَافِلِ يُقْذَعُ »
 « وَنَائِعُ مَا قَدْ سِيقَ فِيمَا سَطَرَتْهُ
 مُسَاعِدُهُمْ أَوْ مَنْ لِيْذَاكَ يُشَجِّعُ »

اللَّهُمَّ اِنْ نَوَاصِيْنَا بِيَدَيْكَ وَأُمُورُنَا تَرْجِعُ إِلَيْكَ وَأَحْوَالُنَا لَا تَخْفِي عَلَيْكَ ،
 وَأَنْتَ مَلْجُونُنَا وَمَلَاذُنَا ، وَإِلَيْكَ نَرْفَعُ بَشْنًا وَحُزْنًا وَشِكَايَتَنَا ، يَا مَنْ يَعْلَمُ سِرَّنَا
 وَعَلَانِيَتَنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَهَبَ
 لَنَا مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ وَجُدْ عَلَيْنَا بِأَحْسَانِكَ الْعَمِيمِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَأَمَّا رَدُّ السَّلَامِ ، فَإِنْ كَانَ الْمُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَاجِدًا ، تَعَيَّنَ عَلَيْهِ الرَّدُّ
لِلسَّلَامِ ، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً رَدُّ السَّلَامِ فَرَضٌ كِفَايَةً عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ رَدَّ وَاجِدٌ
مِنْهُمْ سَقَطَ الْفَرَضُ عَنِ الْبَاقِينَ ، وَإِنْ تَرَكَوهُ كُلُّهُمْ أَيْمُوا كُلُّهُمْ ، وَإِنْ رَدَّ
كُلُّهُمْ فَهُوَ النِّهَايَةُ فِي الْكَمَالِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ .

وَالسَّلَامُ تَحِيَّةٌ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَتْبَاعِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَحِيَّةٌ
أَيْنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَضَيْفُهُ الْمُكْرَمِينَ ، فِيمَا قَصَّهَ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، بِقَوْلِهِ ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ
دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ .

وَمِنْ السُّنَّةِ الْمَحْبُوبَةِ ، الْبَدَاءَةُ بِالسَّلَامِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنَّ أَوَّلَى
النَّاسِ بِاللَّهِ ، مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ
وَحَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ . فَاحْذَرِ عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْ أُلْ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُسَلِّمَ عِنْدَ الْانْصِرَافِ مِنَ الْمَجْلِسِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْتَهَى
أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَتْ الْأَوَّلَى
بِأَحَقُّ مِنَ الْآخِرَةِ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَى الصِّبْيَانِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى
صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

سَابِقِ النَّاسِ بِالسَّلَامِ فِي ذَاكَ إِذَا مَا اعْتَبَرْتَ خَمْسُ خِصَالٍ
كَاشِفُ الرَّيْبِ قَاطِعُ الْعَيْبِ مُحْيِي الْحَيَاةِ سِتْرُ الْأَحْقَادِ وَبَابُ الْوَصَالِ

موعظة : إخواني لَيْسَ الْأَسَفُ عَلَى دُنْيَا آخِرُهَا الْفَوْتُ وَالْخَرَابُ وَلَا عَلَى
أَحْوَالِ نِهَائِثِهَا التَّحَوُّلُ وَالْإِنْقِلَابُ ، وَلَا عَلَى حُطَامِ حَلَالِهِ حِسَابٌ وَحَرَامُهُ
عِقَابٌ ، وَلَا عَلَى أَعْمَارٍ يَتَمَنَّى الْمَرْءُ طَوْلَهَا فَإِذَا طَالَتْ مُلَّتْ ، وَلَا عَلَى أَمَاكِنَ
كُلَّمَا امْتَلَأَتْ بِأَهْلِهَا وَازْدَهَرَتْ بِهِمْ أَذْبَرَتْ عَنْهُمْ وَخَلَّتْ مِنْهُمْ .

وإِنَّمَا الْأَسَفُ الَّذِي لَا يُرْجَى لَهُ خَلْفٌ وَقْتُ قِتْلٍ عَلَى فِرَاشِ السَّهْوِ
وَالْغَفَلَاتِ ، وَعَلَى لَيْالٍ وَأَيَّامٍ تَمْضِي فِي أَتْبَاعِ الْمَلَذَّاتِ الْفَانِيَةِ
وَالشَّهَوَاتِ وَعَلَى صُحُفٍ تُطَوَّى عَلَى عَثَرَاتٍ وَهَفَوَاتٍ وَخَطِئَاتٍ ، وَعَلَى
أَنْفَاسٍ لَا قِيَمَةَ لَهَا تَذْهَبُ ثُمَّ لَا تَرْجِعُ فَيُسْتَذْرَكُ مَا فَاتَ وَعَلَى نُفُوسٍ .
يُنَادِيهَا لِسَانُ الشَّتَاتِ وَهِيَ لَا تُقْلِعُ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَفَوَاتِ .
وَعَلَى ذُنُوبٍ مُخَصَّصٍ صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا لَا تُقَابِلُ بِالْحَسَنَاتِ وَعَلَى قُلُوبٍ
غَافِلَةٍ فِي الْغَمَرَاتِ ، وَعَلَى أَعْوَامٍ سَرِيعٍ مُرُورُهَا كَلَمْعِ الْجَمَرَاتِ وَعَلَى
أَلْسِنَةٍ أَكْثَرَ اشْتِغَالِهَا بِالْكَذِبِ وَالْغِيْبَةِ وَالنِّمِيمَةِ وَسَائِرِ الذُّنُوبِ الْمُحَرَّمَاتِ
وَعَلَى السَّنَةِ لَا تَشْتَغِلُ وَتَتَلَذُّ بِذِكْرِ فَاطِمَةِ السَّمَوَاتِ .

أَلَا تَرَوْنَ شَهْرَكُمْ كَيْفَ يُسْرِعُ فِيهِ الْبِدَارُ ثُمَّ يَعْقِبُهُ الْإِمْحَاقُ فَيَا خَيِّتَ
مَنْ ضَاعَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ وَغُيِبَ فِي مَيْدَانِ السِّبَاقِ وَيَا خَيِّتَ مَنْ ضَيَّعَ
عُمُرَهُ بِالْقَبَائِحِ الْعِظَامِ وَيَا خَسَارَةَ مَنْ كَانَتْ تِجَارَتُهُ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي
وَالْآثَامُ

قال بعض العلماء رحمه الله :

الوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ اخْتِذَ الْعُدَّةَ لِرَحِيلِهِ ، فَانْه لَا يَعْلَمُ مَتَى يَفْجَأُهُ أَمْرٌ

ربه ، ولا يَدْرِي متى يُسْتَدْعَى ، واني رَأَيْتُ خَلْقًا كَثِيرًا غَرَّهم الشَّبَابُ ونَسُوا
فَقْدَ الْأَقْرَانِ ، وَأَهْلَاهُمْ طُولُ الْأَمَلِ . وَرَبَّنَا قَالَ الْعَالَمُ الْمُحِضُّ لِنَفْسِهِ :
« أَشْتَغِلْ بِالْعِلْمِ ثُمَّ أَعْمَلْ بِهِ » فَيَتَسَاهَلُ فِي الزُّهْدِ بِحُجَّةِ الرَّاحَةِ ، وَيُؤَخِّرُ
الرَّجَاءَ لِتَحْقِيقِ التَّوْبَةِ ، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ غِيْبَةٍ أَوْ سَمَاعِهَا ، وَمِنْ كَسْبِ شُبْهَةِ
بِأَمَلٍ أَنْ يَمْحُوهَا بِالْوَرَعِ ، وَيُنْسَى أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ يَبْغَتْهُ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ أُعْطِيَ كُلَّ لَحْظَةٍ حَقَّهَا مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ ، فَإِنْ بَغَتْهُ الْمَوْتُ
رُئِيَ مُسْتَعِدًّا ، وَإِنْ نَالَ الْأَمَلُ إِزْدَادَ خَيْرًا .

قال عمر بن عبدالعزيز في خُطْبَةٍ لَهُ « إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ ، دَارُ
كَتَبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِهَا مِنْهَا الظُّعْنُ فَكَمْ عَامِرٌ مُوْتَقٍ عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرُبُ ، وَكَمْ مُقِيمٌ
مُغْتَبِطٌ عَمَّا قَلِيلٍ يَظْعَنُ ، فَأَحْسِنُوا رَحْمَتِ اللَّهِ مِنْهَا الرَّحْلَةَ بِأَحْسَنَ مَا يَحْظُرُكُمْ
مِنَ النُّقْلَةِ ، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، إِنَّمَا الدُّنْيَا كَفْيٌ فِي ظِلَالٍ قَلَصُ
فَذَهَبَ ، بَيْنَ ابْنِ آدَمَ فِي الدُّنْيَا يُنَافِسُ وَبِهَا قَرِيرٌ عَيْنٌ إِذْ دَعَاهُ اللَّهُ بِقَدَرِهِ وَرَمَاهُ
بِیَوْمٍ حَتْفِهِ فَسَلَبَهُ آثَارَهُ وَدُنْيَاهُ وَصَيَّرَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ مَصَانِعَهُ وَمَغْنَاهُ إِنَّ الدُّنْيَا لَا
تَسُرُّ بِقَدَرٍ مَا تَضُرُّ إِذَا تَسُرُّ قَلِيلًا وَتَجْرُ حُزْنًا طَوِيلًا كَمَا قِيلَ : مَنْ سَرَّهُ زَمَنَ سَأَتْهُ
أَزْمَانٌ .
شعرا :

إِذَا كُنْتَ بِالدُّنْيَا بَصِيرًا فَإِنَّمَا بَلَغْتَ مِنْهَا مِثْلَ زَادِ الْمَسَافِرِ
إِذَا أَبْقَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دَيْنَهُ فَمَا فَائِدَةُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ
آخِر :

يَرَى رَاحَةً فِي كَثْرَةِ الْمَالِ رَبُّهُ وَكَثْرَةُ مَالِ الْمَرْءِ لِلْمَرْءِ مُتْعَبُ
إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّتْ هُمُومُهُ وَتَشَعُّبُهُ الْأَمْوَالُ حِينَ تَشَعَّبُ
آخِر :

وَمَا أَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا غَنِيمَةً لِمَنْ عَاشَ بَعْدِي وَاتَّهَمَ لِرَازِقِي

آخر :
يَقُولُ الْفَتَى ثَمَرْتُ مَالِي وَإِنَّمَا لِوَارِثِهِ مَا ثَمَرَ الْمَالُ كَاسِبُهُ
يُحَاسِبُ فِيهِ نَفْسَهُ بِحَيَاتِهِ وَيَتْرُكُهُ نَهْبًا لِمَنْ لَا يُحَاسِبُهُ
شعراً :

أَيَا لِلْمَنَايَا وَيُحَهَا مَا أَجَدَهَا
كَأَنَّكَ يَوْمًا قَدْ تَوَرَدْتَ وَرَدَهَا
وَيَا لِلْمَنَايَا مَالَهَا مِنْ إِقَالَةٍ
إِذَا بَلَغْتَ مِنْ مُدَّةِ الْحَيِّ حَدَهَا
أَلَا يَا أَخَانَا إِنَّ لِلْمَوْتِ طَلْعَةً
وَإِنَّكَ مُذْ صُوِّرْتَ تَقْصُدُ قَصْدَهَا
وَلِلْمَرءِ عِنْدَ الْمَوْتِ كَرَبٌ وَغُصَّةٌ
إِذَا مَرَّتِ السَّاعَاتُ قَرَبْنَ بُعْدَهَا
سَتُسَلِّمُكَ السَّاعَاتُ فِي بَعْضِ مَرَّهَا
إِلَى سَاعَةٍ لَا سَاعَةَ لَكَ بَعْدَهَا
وَتَحْتَ الثَّرَى مِثِّي وَمِنْكَ وَدَائِعُ
قَرِيبَةٌ عَهْدٍ إِنْ تَذَكَّرْتَ عَهْدَهَا
مَدَدْتَ الْمُنَى طُولًا وَعَرَضًا وَإِنَّهَا
لَتَدْعُوكَ أَنْ تَهْدَا وَأَنْ لَا تُمَدَّهَا
وَمَالَتْ بِكَ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِوِ وَالصِّبَا
وَمَنْ مَالَتْ الدُّنْيَا بِهِ كَانَ عَبْدَهَا
إِذَا مَا صَدَقَتِ النَّفْسُ أَكْثَرَتْ ذَمُّهَا
وَأَكْثَرَتْ شُكْوَاهَا وَأَقَلَّتْ حَمْدَهَا
بِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّاسِ فَاعْنِ فَإِنَّهَا
تَمُوتُ إِذَا مَاتَتْ وَتُبْعُثُ وَخُدَهَا

وَمَا كُلُّ مَا خُوِّلَتْ إِلَّا وَدِيعَةٌ
وَلَنْ تَذْهَبَ الْأَيَّامُ حَتَّى تَرُدَّهَا
إِذَا أَذْكَرْتُكَ النَّفْسُ دُنْيَا دُنْيَةً
فَلَا تَنْسَ رَوْضَاتِ الْجَنَانِ وَخُلْدَهَا
أَلَسْتَ تَرَى الدُّنْيَا وَتَتَغَيَّصُ عَيْشَهَا
وَاتَعَابَهَا لِلْمُكْثَرِينَ وَكُدَّهَا
وَأَذْنَى بَنِي الدُّنْيَا إِلَى الْغَيِّ وَالْعَمَى
لَمَنْ يَتَّبِعِي مِنْهَا سَنَاهَا وَمَجْدَهَا
هَوَى النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ تَغُولَهَا
كَمَا غَالَتْ الدُّنْيَا أَبَاهَا وَجَدَّهَا

اللهم وَفِّقْنَا لِلزُّومِ الطَّرِيقِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي
بِهِ إِلَيْكَ وَنَسِرْ لَنَا مَا يَسِّرُهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِضْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا
رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحْشُرْنَا فِي زُمرَةِ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقُّنَا
بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَالْأَحَقُّ بِالْبَدَآءَةِ بِالسَّلَامِ أَنْ يُسَلِّمَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ وَالْقَلِيلُ عَلَى
الْكَثِيرِ وَالرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لِيُسَلِّمَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ ، وَالْمَارُّ
عَلَى الْقَاعِدِ ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ
وَالرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي .

وَقَدْ وَرَدَ فِي إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَفَضْلِهِ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ
الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ، قَالَ تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ
تَعْرِفْ .

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ،
وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا
السَّلَامَ بَيْنَكُمْ .

وَرَوَى ابْنُ جَبَانَ فِي صَحِيحِهِ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا ، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ
حَسَنٌ صَحِيحٌ عَنْ أَبِي يُوسُفَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا
السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا
إِذَا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَفَرَّقُ بَيْنَنَا شَجَرَةٌ فَإِذَا
التَّقَيْنَا يُسَلِّمُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ
جَيِّدٍ ، وَقَالَ لَا يُرَوَى إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْجَزُ النَّاسِ ، مَنْ عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ
وَأَبْخَلَ النَّاسَ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ .

وَمِنْهَا الْخُرُوجُ مِنَ الْحُرْمَةِ عَلَى الْقَوْلِ بِوُجُوبِ ابْتِدَائِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُعْتَمِدُ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ .

وَمِنْهَا الْخُرُوجُ مِنَ الْبُخْلِ ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ جَنَّةَ عَذْنٍ بَخِيلٌ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ ذَايَ أَذْوَى مِنَ الْبُخْلِ ، وَالْبَخِيلُ بَغِيضٌ إِلَى اللَّهِ ، بَغِيضٌ إِلَى النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ حَبِيبٌ إِلَى الشَّيْطَانِ ، قَرِيبٌ إِلَى النَّيِّرَانِ .

وَمِنْهَا أَنْ السَّلَامَ يَكُونُ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُدْخِلُ صَاحِبَهَا فِي الْجَنَّةِ كَمَا مَرَّ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَنَّهُ يُوجِبُ دُخُولَهَا ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي سَرْحٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ يُوجِبُ الْجَنَّةَ ، قَالَ طِيبُ الْكَلَامِ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ ، وَاطْعَامُ الطَّعَامِ ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ .

وَمِنْهَا أَنْ بَذْلَهُ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ فَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي سَرْحٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ إِنْ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ بَذْلُ السَّلَامِ وَحُسْنُ الْكَلَامِ .

وَكُنْ بَشًّا كَرِيمًا ذَا انْبِسَاطٍ	وَفِيْمَنْ يَرْتَجِيكَ جَمِيلَ رَأْيٍ
بَعِيدًا عَنْ سَمَاعِ الشَّرِّ سَمَحًا	نَقِيَّ الْكَفِّ عَنْ عَيْبٍ وَثَائِي
مُعِينًا لِلْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى	أَمِينِ الْجَيْبِ عَنْ قُرْبٍ وَنَائِي
وَصُولاَ غَيْرِ مُحْتَشِمٍ زَكِيًّا	حَمِيدَ السَّعْيِ فِي إِنْجَازِ وَائِي
تَلَقَّ مَوَاعِظِي بِقَبُولٍ صِدْقٍ	تَفَرَّ بِالْأَمْنِ عِنْدَ حُلُولِ لَأْيٍ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرَّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرَ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرَ لِنِعْمَائِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيُتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَمِنْ ذَلِكَ إِنَّ أَفْشَاءَ السَّلَامِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ يُوجِبُ الْمَحَبَّةَ وَالْإِلْفَةَ وَالْعَطْفَ وَالْمَحَبَّةُ شَأْنُهَا عَظِيمٌ وَقَدْرُهَا جَسِيمٌ .

وَمِنْ فَوَائِدِ السَّلَامِ أَدَاءُ حَقِّ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ، قِيلَ وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ .

وَمِنْهَا أَوْلَوِيَّتُهُ بِاللَّهِ ، لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمُ بِالسَّلَامِ .

وَمِنْهَا حَوْزُ الْفَضِيلَةِ لِمَا أَخْرَجَ الْبَزَّازُ وَابْنُ جِبَانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَلِّمُ الرَّاکِبُ عَلَى الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ ، وَالْمَاشِيَانِ أَيْهُمَا بَدَأَ فَهُوَ أَفْضَلُ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ وَأَحَدُ إِسْنَادِي الْكَبِيرِ مُتَحَجِّجٌ بِهِمْ فِي الصَّحِيحِ ، عَنْ الْأَعْرَ أَخَرِ مُزَيَّنَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ كَانَ رَسُولُ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ لِي بِجَرِيبٍ مِنْ تَمْرِ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ
الْأَنْصَارِ ، فَمَطَّلَنِي بِهِ ، فَكَلَّمْتُ فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ أَغْدُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَخُذْ لَهُ مِنْ تَمْرِهِ ، فَوَعَدَنِي أَبُو بَكْرٍ الْمَسْجِدَ
إِذَا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ فَوَجَدْتُهُ حَيْثُ وَعَدَنِي ، فَانْطَلَقْنَا فَكُلَّمَا رَأَى أَبَا بَكْرٍ رَجُلًا
مِنْ بَعِيدٍ سَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَا تَرَى مَا يُصِيبُ
الْقَوْمَ عَلَيْكَ مِنَ الْفَضْلِ ، لَا يَسْبِقُكَ إِلَى السَّلَامِ أَحَدٌ فَكَانَ إِذَا طَلَعَ
الرَّجُلُ مِنْ بَعِيدٍ بَاكَرْتَاهُ بِالسَّلَامِ ، قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْنَا .

وَمِنْهَا ادْرَاكَ الْفَضِيلَةِ فِي إِفْشَاءِ السَّلَامِ ، الَّذِي هُوَ اسْمُ اللَّهِ ،
وَفَضْلُ الدَّرَجَةِ بِنَشْرِهَا ، لَمَّا أَخْرَجَ الْبَزَارُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ قُويٍّ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ السَّلَامُ
اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ فَأَفْشُوهُ ، بَيْنَكُمْ ، فَإِنَّ
الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ
دَرَجَةٍ بِتَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمْ السَّلَامَ فَإِنْ لَمْ يَرَدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ .

وَمِنْ فَوَائِدِ السَّلَامِ حُصُولُ الْحَسَنَاتِ الَّتِي صَحَّحَتْ بِهَا الرِّوَايَاتُ .
فَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَةُ وَالنَّسَائِيُّ وَابِيهَقِي وَحَسَنَةُ أَيْضًا عَنْ
عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَرَدَّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَلَسَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرُ .

ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَرَدَّ فَجَلَسَ فَقَالَ
عِشْرُونَ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَرَدَّ

فَجَلَسَ، فَقَالَ ثَلَاثُونَ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ مُعَاذٍ مَرْفُوعًا بِنَحْوِهِ، وَزَادَ ثُمَّ
أَتَى آخَرَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ ، فَقَالَ أَرْبَعُونَ
هَكَذَا تَكُونُ الْفَضَائِلُ .

وَمِنْ قَوَائِدِ السَّلَامِ حُصُولُ السَّلَامَةِ ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ
الْمُتَقَدِّمِ وَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْشُوا السَّلَامَ تَسَلَّمُوا يَغْنِي
فِي الدُّنْيَا مِنَ الْإِثْمِ ، وَالْبُخْلِ ، أَوْ مِنْ أَعَمَّ مِنْ ذَلِكَ مِنْ نَكَبَاتِ الدُّنْيَا
وَمِنْ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ وَفَضَّلَ اللَّهُ وَاسِعٌ .

وَمِنْهَا تَصْفِيَّتُهُ وَدَّ أَخِيكَ الْمُسْلِمَ ، فَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ
عَنْ شَيْبَةَ الْحَجَبِيِّ عَنْ عَمِّهِ مَرْفُوعًا ثَلَاثَ يَصْفَيْنَ لَكَ وَدَّ أَخِيكَ ، تُسَلِّمُ
عَلَيْهِ إِذَا لَقِيْتَهُ وَتُوسِّعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ .

وَمِنْهَا حُصُولُ فَضِيلَةِ الْإِسْلَامِ ، وَخَيْرِيَّتِهِ ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ الْمَتَقَدِّمِ وَأَيْضًا مِنْ قَوَائِدِهِ إِحْيَاءُ سُنَّةِ أَبِيْنَا آدَمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ، قَالَ أَذْهَبَ فَسَلِّمْ عَلَى
أَوْلِيكَ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعَ مَا يُحْيُونَكَ ، فَإِنَّهَا تَحْيِيَّتُكَ ،
وَتَحْيَةُ ذُرِّيَّتِكَ ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ
فَزَادُوا وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَأْخُذُ بِيَدِي
فَيَخْرُجُ إِلَى السُّوقِ يَقُولُ إِنِّي لَأَخْرُجُ وَمَالِي حَاجَةٌ إِلَّا لِأَسْلِمَ وَيُسَلِّمَ عَلَيَّ
فَأَعْطِي وَاحِدَةً وَاحِدَةً وَأَخُذُ عَشْرًا ، يَا مُجَاهِدُ إِنْ السَّلَامَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ

تعالى ، فَمَنْ أَكْثَرَ السَّلَامِ أَكْثَرَ ذَكَرَ اللهَ ، ومنها مُوَافَقَةُ تَحِيَّةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا سَلَامٌ ، كَمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ .

والسَّلَامُ كَمَا تَقَدَّمَ تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَشِعَارُهُمْ ، فَلَا نَبْدَأُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَوْ الذِّمَّةِ بِهِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَبْلُغُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

وَلَمَّا رَوَى أَبُو نَصْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا غَادُونَ عَلَى يَهُودَ فَلَا تَبْلُغُوهُمْ بِالسَّلَامِ وَإِنْ سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ وَيَحْرُمُ بَدَاءَتُهُمْ بِكَيْفٍ أَصْبَحْتَ أَوْ كَيْفَ أَمْسَيْتَ أَوْ كَيْفَ أَنْتَ أَوْ كَيْفَ حَالُكَ أَوْ كَمَا يَفْعَلُهُ ضِعَافُ الْعُقُولِ وَالِدِّينِ يَقُولُهُمْ لَهُمْ صَبَّاحَ النُّورِ أَوْ مَسَاءَ الْخَيْرِ مَعَ رَفْعِ أَيْدِيهِمْ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ أَوْ يَقُولُونَ لَهُمْ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ أَهْلًا وَمَرْحَبًا .

وَلَوْ كَتَبَ إِلَى كَافِرٍ وَأَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ سَلَامًا كَتَبَ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى لَمَّا رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ وَلَإِنَّ ذَلِكَ مَعْنَى جَامِعٌ وَإِنْ سَلَّمَ عَلَى مَنْ ظَنَّهُ مُسْلِمًا ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ ذِمِّي اسْتَجِبَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَ لِلذِّمِّي رُدَّ عَلَيَّ سَلَامِي .

لَمَّا رَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقِيلَ إِنَّهُ كَافِرٌ فَقَالَ رُدَّ عَلَيَّ مَا سَلَّمْتُ عَلَيْكَ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَقَالَ أَكْثَرَ اللَّهُ مَالَكَ وَوَلَدَكَ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَكْثَرُ لِلْجَزْيَةِ . وَإِنْ سَلَّمَ أَحَدُ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَزِمَ رَدُّهُ فَيُقَالُ وَعَلَيْكُمْ أَوْ يُقَالُ عَلَيْكُمْ بِلَا وَإِ .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سلم عليكم اليهود فأنما يقول أحدكم السام عليك ، فقل له وعليك هكذا بالواو وفي لفظ عليك بلا واو وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم رواه أحمد وفي لفظ للإمام أحمد فقولوا عليكم بلا واو .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم ففهمتها فقلت عليكم السام واللغة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله فقلت يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت وعليكم متفق عليه وفي لفظ قد قلت عليكم لم يذكر مسلم الواو وعند الشيخ تقي الدين يراد مثل تحيته فيقول وعليك مثل تحيتك انتهى .

ومما يحرم ويجب النهي عنه ما يفعله كثير من الناس من السلام عليهم باليد بالإشارة وجعلها جذاء الرأس أو وضعها على صدره احتراماً لأعداء الله وإشعاراً بأنه يحبهم نسأل الله العافية ، قال أبو داود سمعت أحمد بن حنبل سئل أيتداؤا الذمي بالسلام إذا كانت له إليه حاجة قال لا يعجبني .

قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وروى لا

تُسَلِّمُوا تَسْلِيمَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَإِنَّ تَسْلِيمَهُمْ إِشَارَةٌ بِالْكَفُوفِ وَالْحَوَاجِبِ
تَأْمَلْ يَا أَخِي سَلَامَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ تَجِدُهُ بِالْكَفُوفِ وَالْحَوَاجِبِ فَقَطْ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقُّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
(فصل) وَيَجِبُ هَجْرُ مَنْ كَفَرَ أَوْ فَسَقَ بِدْعَةٍ ، أَوْ دَعَا إِلَى بِدْعَةٍ مُظْلِلَةٍ أَوْ
مُفْسِقَةٍ ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ .

وَأَمَّا هَجْرُ مَنْ أَظْهَرَ الْمَعَاصِيَ وَأَعْلَنَهَا فَقِيلَ يُسَنُّ وَقِيلَ يَجِبُ قَالَ
الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَهُوَ يَعْلَمُ بِذَلِكَ
لَمْ يَأْتُمْ أَنْ جَفَاهُ حَتَّى يَرْجَعَ ، وَإِلَّا كَيْفَ يَتَبَيَّنُ لِلنَّاسِ مَا هُوَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ
يَرَوْا مُنْكَرًا وَلَا جَفْوَةً مِنْ صَدِيقٍ .

وَقَدْ هَجَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَعْبًا وَصَاحِبِيَّهَ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ
بِهَجْرِهِمْ خَمْسِينَ يَوْمًا وَهَجَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوْجَاتِهِ شَهْرًا .
وَهَجَرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابْنَ أُخْتِهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا مُدَّةً وَهَجَرَ جَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَمَاتُوا مُتَهَاجِرِينَ ، رِضْوَانُ
اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا كَانَتِ الْهِجْرَةُ لِلَّهِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا
يَعْنِي مِنْ أَحَادِيثِ الْوَعِيدِ بِالْهَجْرَانِ بِشَيْءٍ .

فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَجَرَ بَعْضَ نِسَائِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَابْنَ
عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هَجَرَ ابْنًا لَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

والامامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هَجَرَ جَمَاعَةً ، مِمَّنْ أَجَابُوا فِي
الْمِحْنَةِ ، مِثْلُ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ ، وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ ، وَغَيْرِهِمَا ، مَعَ
فَخَامَةِ شَأْنِهِمْ .

وَكَمْ إِمَامٍ هَجَرَ صَدِيقًا لَهُ كَانَ عَزِيزًا عَلَيْهِ لَوْلَا انْتِهَاكُهُ لِمَحَارِمِ
اللَّهِ ، فَصَارَ بِذَلِكَ كَالْجَمَادِ ، بَلْ أَدْنَى وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ كَعْبٍ وَصَاحِبِيهِ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَغَيَّرَ أَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الزَّمَنِ فِي أَحْوَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ تَغْيِيرًا
يُذْهِشُ ذَوِي الْعُقُولِ تَغْيِيرًا مَنْ أَمَعَنَ النَّظَرَ فِيهِمْ ظَنَّ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ فَرِيقِ
الْمُؤْمِنِينَ .

هَذِهِ الصَّلَاةُ وَهِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ آكَدُ أَرْكَانِهِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ ،
أَعْرَضُوا عَنْهَا ، وَلَمْ يُبَالُوا فِيهَا جَهْلُوا مَا هِيَ الصَّلَاةُ ، وَأَيُّ قِيَمَةٍ قِيَمَتُهَا وَمَا
مَنْزِلَتُهَا بَيْنَ سَائِرِ الطَّاعَاتِ .

أَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ
وُجِدَتْ تَامَّةً صَالِحَةً قُبِلَتْ مِنْهُ ، وَسَائِرُ عَمَلِهِ ، وَإِنْ وَجِدَتْ نَاقِصَةً رُدَّتْ
إِلَيْهِ وَسَائِرُ عَمَلِهِ ، ثُمَّ تَكُونُ كَالثَّوْبِ الْخَلْقِ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ عِبَادَةٌ ، وَمُنَاجَاةٌ ، وَقُرْبَى ، نِظَامُهَا الرُّكُوعُ
وَالسُّجُودُ ، مَعَ التَّذَلُّلِ ، وَالْخُضُوعِ ، وَأَقْوَالُهَا الْقِرَاءَةُ ، وَالتَّسْبِيحُ ،
وَالِابْتِهَالُ ، إِلَى اللَّهِ ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ وَرُوحُهَا
الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ ، وَسِرُّهَا اظْهَارُ الْعُبُودِيَّةِ ، وَالِاسْتِكَانَةِ ، لِعَظَمَةِ الرَّبِّ جَلَّ
وَعَلَا .

إِنَّهَا خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، خَمْسُ وَقَفَاتٍ يَقِفُهَا الْعَبْدُ
أَمَامَ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ ، خَالِقِهِ ، وَمُدَبِّرِ أَمْرِهِ ، وَلَهَا عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ خَمْسِينَ
صَلَاةً .

شُرِعَتْ لَهَا الْجَمَاعَةُ ، وَأُمِرَ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ لِأَجْلِهَا ، وَشُرِعَ لَهَا
الِاذَانُ ، لِيُنْتَبِهَ الْغَافِلُ ، وَيَتَذَكَّرَ النَّاسِي ، وَالْجَاهِلُ ، إِعْلَامًا لِبُوقِهَا
لِيَجْتَمِعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا ، وَيُؤَدُّوْهَا فِي جَوْ يَسُوْدُهُ الْإِخَاءُ وَالْمَحَبَّةُ
وَالِإِلْفَةُ .

وَهِيَ خَيْرُ الْعِبَادَاتِ ، وَكَانَتْ قُرَّةَ عَيْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » ، وَكَانَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَرْحَنَا يَا بِلَالُ بِالصَّلَاةِ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ كَمَا عَلِمْتُمْ عِمَادُ الدِّينِ ، وَنُورُ الْيَقِينِ وَمَصْدَرُ
الْبِرِّ ، وَمَبْعَثُ الْخَيْرِ ، الْعَمِيمِ ، وَعِصْمَةُ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ ، وَنَجَاةٌ مِنْ خَزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ .

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ
وَذَكَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ
لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ أَجَلِ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ وَأَعْظَمِ الْمَظَاهِرِ
الْإِسْلَامِيَّةِ وَمِنْ أَشْرَفِ الْعِبَادَاتِ وَهِيَ خَيْرُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ وَقَدْ
كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ .

عِبَادَ اللَّهِ إِذَا فَهَمْتُمْ مَا سَبَقَ مِنْ عِظَمِ شَأْنِ الصَّلَاةِ فَمَا بَالُ قَوْمٍ

يُهْمِلُونَهَا وَيَتَهَاوُنُونَ بِهَا وَيَتَكَاسِلُونَ عَنْهَا عِنْدَ حُلُولِ وَقْتِهَا وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ
يُؤَدُّونَهَا عَلَى عَجَلٍ وَعَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا وَيَنْقُرُونَهَا نَقْرَ الْغُرَابِ كَأَنَّهُمْ
مُكْرَهُونَ عَلَيْهَا وَيَنْسَوْنَ أَنَّهَا وَقْفَةٌ أَمَامَ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَمِنْ
الْخَيْرِ أَنْ تَطُولَ هَذِهِ الْوَقْفَةُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ طُولَ صَلَاةِ
الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مِثْنَةٌ مَنْ فِقهِهِ فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ واقْصُرُوا الْخُطْبَةَ .

وَمِنَ الْمُؤْسِفِ أَنْ أَكْثَرَ الْخُطَبَاءِ الْيَوْمَ عَمِلُوا بِخِلَافِ ذَلِكَ فَأَطَالُوا
الْخُطْبَةَ وَقَصُرُوا الصَّلَاةَ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنْ بَعْضُ النَّاسِ يُؤَدِّي الصَّلَاةَ تَعُودًا لَا تَعَبْدًا وَهَذَا مَا
جَعَلَهَا لَا تَنْهَاهُ عَنْ فَحْشَاءٍ وَلَا مُنْكَرٍ لِسَانَ حَالِهِمْ يَقُولُ يَا إِمَامُ ارْحُنَا مِنْ
الصَّلَاةِ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعَمٍ عَظِيمَةٍ لَا تَعُدُّ وَلَا
تُحْصَى جَعَلَنَا مِنْ بَنِي آدَمَ وَجَعَلَ لَنَا سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً وَمَنْحَنَا النَّشَاطَ
وَالْقُوَّةَ وَشَدَّ أَسْرَنَا . وَوَهَبَنَا الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ وَالرِّزْقَ وَسَهَّلَ عَلَيْنَا الْحَرَكَةَ
وَالسَّعْيَ .

هَذَا الْبَعْضُ الْيَسِيرُ مِنْ نِعَمِهِ كُلُّهُ كَرَمًا مِنْهُ وَتَفَضُّلاً وَلَمْ يَطْلُبْ مِنَّا إِلَّا
دَقَائِقَ مِنْ يَوْمٍ طَوِيلٍ نَشْكُرُهُ فِيهَا وَنَحْمَدُهُ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنَّا وَيَرْزُقَنَا
وَيَرْحَمَنَا وَيَحْفَظَنَا وَأَوْلَادَنَا وَأَهْلَنَا وَهَذِهِ لَا تَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهَا لِخَيْرِنَا فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَمَالَنَا لَا نَقُومُ بِهَذِهِ الدَّقَائِقِ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ وَاخْلَاصٍ وَرَغْبَةٍ وَنَشَاطٍ
وَنَسْعَى إِلَى مُنَاجَاةِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا رَاغِبِينَ وَنُحَافِظُ عَلَى أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ

وَنُقِيمُهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ لَا شَكَّ أَنَّ الْعَبْدَ عِنْدَمَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ يَخْجَلُ
وَيَسْتَحْيِي جِدًّا وَيَتَذَكَّرُ أَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي هِيَ صِلَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَاهُ لَا تَأْخُذُ
مِنْ يَوْمِهِ إِلَّا دَقَائِقَ بَيْنَمَا لَهُ بَاقِي الْيَوْمِ كُلِّهِ .

اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ عَلَى بَصِيرَةٍ بِكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَوَفَّقْنَا
لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَجَنِّبْنَا مَا تَكْرَهُهُ وَلَا تَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ
وَالْأَعْمَالِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ يَا
عَزِيزُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

« فِيمَا وَرَدَ فِي الْأُخُوَّةِ وَالْأَلْفَةِ وَالصَّدَاقَةِ »

« فِي اللَّهِ »

عن أنسٍ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : ثَلَاثُ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ الْحَدِيثُ رواه
البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

وفي رواية ثَلَاثُ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَطَعْمُهُ أَنْ
يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ فِي اللَّهِ وَيُبْغِضَ فِي
اللَّهِ الْحَدِيثُ رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم إنَّ الله تعالى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَتَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ، الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ مَعَلَّقُ قَلْبُهُ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ .

وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ . رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَلَى مَذْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ ، قَالَ أَتَيْنَ تَرِيدُ قَالَ أَخَا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهُ لِلَّهِ ، قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتَهُ فِيهِ رواه مسلم .

وعن أبي مسلمٍ قَالَ قُلْتُ لِمُعَاذٍ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحُبُّكَ لِغَيْرِ دُنْيَا أَرْجُو أَنْ أَصِيبَهَا مِنْكَ وَلَا قَرَابَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَالَ فَلَايَ شَيْءٍ قُلْتُ لِلَّهِ قَالَ فَجَذَبَ حَبْوَتِي ثُمَّ قَالَ أَبْشِرْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ يَغْطِيهِمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ ، قَالَ وَلَقِيتُ عِبَادَةَ بَنِ الصَّامِتِ فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِ مُعَاذٍ .

فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى ، حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى
الْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، هُمْ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ
نُورٍ ، يَغِطُّهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ ، وَالصِّدِّيقُونَ رواه ابن حبان في
صحيحه .

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِرُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ ، حَقَّتْ مَحَبَّتِي
لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي
لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، رواه أحمد بإسناد
صحيح .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ يَغِطُّهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ قِيلَ مَنْ
هُمْ لَعَلَّنَا نُجِبُهُمْ ، قَالَ هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ ، مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا
أَنْسَابٍ ، وَجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ
وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ رواه النسائي في صحيحه واللفظ له وهو أتم .

وعن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأَنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغِطُّهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَخَبِّرْنَا مَنْ هُمْ .

قَالَ هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ ، عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلَا أَمْوَالٍ
يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّ وَجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ ، وَلَا يَخَافُونَ إِذَا

خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَلَا إِنِّ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ رواه أبو داود .

وعن عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَنَّ أَصْحَابَهُ كَانُوا يَنْتَظِرُونَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالُوا مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا ، أَيُّهَا الْأَمِيرُ قَالَ أَمَا إِنِّي سَوْفَ أُحْدِثُكُمْ أَنَّ أَخَا لَكُمْ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَهُوَ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا رَبِّ حَدِّثْنِي بِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ ، قَالَ وَلِمَ قَالَ لِأَجِبُهُ بِحُبِّكَ إِيَّاهُ .

قَالَ عَبْدُ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ أَوْ طَرَفِ الْأَرْضِ سَمِعَ بِهِ عَبْدٌ آخَرُ فِي أَقْصَى أَوْ طَرَفِ الْأَرْضِ لَا يَعْرِفُهُ فَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَكَأَنَّمَا أَصَابَتْهُ ، وَإِنْ شَاكَتُهُ شَوْكَةً فَكَأَنَّمَا شَاكَتُهُ ، لَا يُجِيبُهُ إِلَّا لِي فَذَلِكَ أَحَبُّ خَلْقِي إِلَيَّ .

قَالَ يَا رَبِّ خَلَقْتَ خَلْقًا تُدْخِلُهُمُ النَّارَ أَوْ تُعَذِّبُهُمْ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ كُلُّهُمْ خَلْقِي ، ثُمَّ قَالَ ازْرَعْ زَرْعًا فَزَرَعَهُ ، فَقَالَ اسْقِهِ فَسَقَاهُ ، ثُمَّ قَالَ قُمْ عَلَيْهِ ، فَقَامَ عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَحَصَدَهُ وَرَفَعَهُ .

فَقَالَ : مَا فَعَلَ زَرْعُكَ يَا مُوسَى قَالَ فَرَعْتُ مِنْهُ ، وَرَفَعْتُهُ ، قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْهُ شَيْئًا قَالَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ ، أَوْ مَا لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ قَالَ فَكَذَلِكَ أَنَا لَا أُعَذِّبُ إِلَّا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ .

قَالَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُا تُنْجِي مُجِبَةً مِنْ عَذَابِهِ ، لَكَانَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ لَا يُتَعَوَّضَ عَنْهَا بِشَيْءٍ أَبَدًا ، وَسُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَيْنَ تَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ الْخَبِيبَ لَا يُعَذِّبُ حَبِيبَهُ فَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ الْآيَةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ غَفَلَتِ الْأَلْسِنَةُ الْيَوْمَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، غَفْلَةً تَسُرُّ ابْلِيسَ وَجُنُودَهُ ، وَلَمَّا غَفَلَتِ الْأَلْسِنَةُ غَفَلَتِ الْقُلُوبُ ، عَنْ مُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَلَمَّا غَفَلَتِ الْقُلُوبُ وَالْأَلْسِنَةُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، انْدَفَعَتِ الْجَوَارِحُ فِي مَيْدَانِ الْمَعَاصِي ، انْدِفَاعاً لَا يُصَدِّقُ بِهِ إِلَّا مَنْ تَأَمَّلَ النَّاسَ فِي تَفَنُّهِمْ فِي الشُّرُورِ ، وَتَسَابِقِهِمْ إِلَيْهَا .

مِنْ تَقْلِيدِ لِلْأَجَانِبِ ، وَشُرْبِ لِدُخَانٍ ، وَمُعَامَلَاتٍ لَا تَجُوزُ ، وَنِفَاقٍ ، وَغِشٍّ ، وَنَهْشٍ لِإِعْرَاضِ الْغَافِلِينَ ، وَخِدَاعٍ ، وَمَكْرِ ، وَرِيَاءٍ وَرِبَاً وَكِبَرٍ وَحَسَدٍ وَسَمَاعٍ لِلْمَلَاهِي ، وَحُضُورٍ لَهَا ، وَعُقُوقٍ ، وَشَهَادَةِ زُورٍ وَرُشَاءٍ ، وَمُذَاهَنَاتٍ وَنَمٍ وَكَذِبٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَلَوْ تَحَرَّكَتِ الْأَلْسِنَةُ بِذِكْرِ اللَّهِ لَا اسْتَيْقَظَتِ الْقُلُوبُ مِنْ غَفَلَاتِهَا الْقَاتِلَاتِ ، وَلَوْ اسْتَيْقَظَتِ الْقُلُوبُ وَالتَّفَتَّتْ إِلَى ذِكْرِ عِلَامِ الْغُيُوبِ مَا رَأَيْتَ جَارِحَةً مِنَ الْجَوَارِحِ تَلْتَفِتُ لَشَيْءٍ مِنَ الْمَحْظُورَاتِ ، فَإِنَّ الْغَفْلَةَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ هِيَ أَصْلُ الشُّرُورِ وَالْيَقِضَةِ هِيَ أَصْلُ الْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَإِلَيْكَ نَمَازِجٌ مِنْ كُنُوزِ ذِكْرِ اللَّهِ ، تَعَالَى أَوَّلُهَا كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّهَا تَرْجَحُ بِكُلِّ مَا سِوَاهَا ، حَتَّى عَلَى الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

وعن أمِّ هانئٍ قالت مرَّ بي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ذاتَ يومٍ ، فقلتُ يا رسولَ اللهِ قد كُبرتُ سِنِّي ، وضعُفتُ أو كما قالتُ فمرَّني بعملٍ أعملُهُ وأنا جالِسةٌ .

قال : سَبِّحِي اللهَ مِائَةَ مَرَّةٍ ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ رَقِيَّةٍ ، تُعْتِقُهَا مِنْ وَلَدِ اسْمَاعِيلَ ، وَاحْمَدِي اللهَ مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ . فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مِائَةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَكَبَّرِي اللهَ مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكَ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ وَهَلِيلِي اللهَ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ .

قال أبو خَلَفٍ أَحْسَبُهُ قَالَ تَمَلُّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ عَمَلٌ أَفْضَلُ مِمَّا يُرْفَعُ لَكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتَ ، رواه أحمدٌ بإسنادٍ حسنٍ واللفظُ له والنسائي ولم يقلْ وَلَا يُرْفَعُ إِلَى آخِرِهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، دَوَاءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ دَاءً ، أَيْسَرُهَا الْهَمُّ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رواه الطبراني .

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ، وَقَوْلُ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ حِفْظٌ لِقَائِلِهَا مِنَ الْعُقُوبِ ، وَنَحْوُهَا وَمَنْ قَالَ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا فَلْيُبَشِّرْ بِإِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَعِيمٌ لِمَنْ قَالَهَا إِذَا أَصْبَحَ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ .

وَقُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَلكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ ، لِتُؤَدِّيَ شُكْرَ يَوْمِكَ وَقُلْ مِثْلَهَا إِذَا أَمْسَيْتَ لِتُؤَدِّيَ شُكْرَ لَيْلَتِكَ »

شعراً :

وَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى
وَرَبِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُودِي
سِيَّاحَةُ قَلْبِي فِي رِيَاضِ أَرِيضَةٍ
مِنَ الْعِلْمِ مُجْتَازاً عَلَى كُلِّ مَوْرِدٍ
وَتَسْبِيحُنَا لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
عَشِيّاً وَبِالْأَبْكَارِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ
وَتَرْتِيلُ آيَاتِ الْكِتَابِ مُنَوَّراً
بِهَا جَوْفَ لَيْلٍ فِي قِيَامِ التَّهَجُّدِ

فَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ كُنُوزِ الذِّكْرِ وَفَقْنَا اللَّهَ وَآيَاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ
لِلْعَمَلِ بِهَا وَاللَّهِمَّ يَا آيَاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ شُكْرَهَا وَغُفْرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا
وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وعن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ ، وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغِيطُهُمُ النَّيُّونَ ، وَالشُّهَدَاءُ عَلَى
مَنَازِلِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ .

فَجَثَى رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَأَلْوَى بَيْدِهِ ، إِلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا
بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغِيطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ ، عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ

اللّٰهُ اَنْعَثُهُمْ لَنَا ، جَلَّيْهِمْ لَنَا ، يَغْنِي صِفَتُهُمْ لَنَا ، فَسُرَّ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ .

فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ ، وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ ، مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللّٰهِ ، وَتَصَافَوْا ، يَضَعُ اللّٰهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا ، وَثِيَابَهُمْ نُورًا ، يَفْرَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْرَعُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللّٰهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعُمْدًا مِنْ يَأْقُوتٍ عَلَيْهَا غُرْفٌ مِنْ زَبَرَجَدٍ لَهَا أَبْوَابٌ مَفْتُحَةٌ تُضِيءُ كَمَا يُضِيءُ الْكَوْكَبُ الدَّرِيُّ ، قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللّٰهِ مَنْ يَسْكُنُهَا ، قَالَ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللّٰهِ ، وَالْمُتَبَاذِلُونَ فِي اللّٰهِ ، وَالْمُتَلَاقُونَ فِي اللّٰهِ ، رَوَاهُ الْبَزَارُ .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظَوَاهِرُهَا مِنْ بَوَاطِنِهَا، وَبَوَاطِنُهَا مِنْ ظَوَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللّٰهُ لِلْمُتَحَابِّينَ فِيهِ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيهِ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيهِ ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى السَّاعَةُ ، قَالَ وَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا ، قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبِّتَ ، قَالَ أَنَسُ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحْنَا

بقولِ النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتَ قَالَ أَنَسُ فَأَنَا أَحِبُّ
النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، وَأَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ ،
بِحُبِّي إِيَّاهُمْ ، رواه مسلم .

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ سَارَّةٌ ، لِمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ،
وَأَصْحَابَهُ ، وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ وَاقْتَدَى بِهِمْ ، وَلِهَذَا فَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا النَّبِيِّ الْحَسَنِ ، وَاعْتَبَطُوا لَهُ اغْتِبَاطًا ، فَأَيْقَنُوا
وَأِنَّمَا سُرُّوا بِهِ وَفَرِحُوا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقِيسُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى شَخْصِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي الْعِبَادَةِ ، وَكَانَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ
بِالْقَصْدِ فِيهَا وَالرِّفْقِ بِأَنْفُسِهِمْ .

فَفِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَهُمْ ، أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يَطِيقُونَ ،
وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَسْنَا مِثْلَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرِفَ فِي وَجْهِهِ .

ثُمَّ يَقُولُ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ وَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ
أَنْتَ مَغْفُورٌ لَكَ ، فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى كَثْرَةِ أَعْمَالٍ ، بِخِلَافِنَا فَرَدَّ عَلَيْهِمْ صَلَى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ أَنَا أَوْلَاكُمْ بِذَلِكَ لِأَنِّي أَتَّقَاكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ .

وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ يَكْثُرُ أَعْمَالُهُ ، وَتَعْظُمُ عِبَادَتُهُ لِشِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ
وَتَمَامِ مَعْرِفَتِهِ بِمَا يَلِيْقُ بِجَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَلِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ
غَيْرِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ وَلِهَذَا سُرُّ
الصَّحَابَةُ بِمَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِهَذَا الرَّجُلِ السَّائِلِ .

وَقَالُوا فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتَ لِمَا وَفَّقَكَ اللَّهُ لَهُ مِنْ حُسْنِ النِّيَّةِ وَالْقَصْدِ مِنْ غَيْرِ
إِجْهَادٍ فِي الْعَمَلِ ، وَزِيَادَةٍ فِي الْعِبَادَةِ .

وَالْحَقُّ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ وَلَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِإِثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ عَلَى سَائِرِ خَلْقِ اللَّهِ ، فِي الْحَدِيثِ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ
حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَفِي رَوَايَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

وَمِنْ عِلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ إِثَارُ رِضَاهُ وَالْعَمَلُ بِشَرِيعَتِهِ وَنَصْرُ سُنَّتِهِ ،
وَالْتَأْسِي بِهِ فِي شَمَائِلِهِ وَسِيرَتِهِ الْكَرِيمَةِ ، الْمُبَارَكَةِ أَمَّا مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتَهُ
وَلَمْ يُؤْثِرْ بِالْعَمَلِ شَرِيعَتَهُ ، فَتِلْكَ دَعْوَى بَاطِلَةٍ ، وَتَبَجُّحٌ كَاذِبٌ ، لِأَنَّ
صَاحِبَهَا لَمْ يُقِمِ حُجَّةً عَلَى صِحَّةِ دَعْوَاهُ ، وَأَحَقِّيَّةِ مَا ادَّعَاهُ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فُصْل)

عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي مُعَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ
فَتَصَافَحَا غُفِرَ لَهُمَا ، قَالَ قُلْتُ لِمُجَاهِدٍ بِمُصَافَحَةٍ لَهُمَا قَالَ مُجَاهِدٌ أَمَّا
سَمِعْتَهُ يَقُولُ ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ فَقَالَ الْوَلِيدُ لِمُجَاهِدٍ أَنْتَ أَعْلَمُ مِنِّي .

وعن سلمان الفارسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنَّ المُسْلِمَ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَأَخَذَ بِيَدِهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا ذُنُوبُهُمَا كَمَا تَحَاتُّ الْوَرَقُ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ فِي يَوْمٍ رِيحٍ عَاصِفٍ وَلَا غُفْرَ لَهُمَا ذُنُوبُهُمَا وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحَارِ .

وقال أبو عمرو الأوزاعي حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ لُبَابَةَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَلَقِيْتُهُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ إِذَا التَّقَا الْمُتَحَابَّانِ فِي اللَّهِ فَأَخَذَا أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ وَضَحِكَ إِلَيْهِ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُمَا كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ ، قَالَ عَبْدَةُ فَقُلْتُ لَهُ هَذَا يَسِيرٌ فَقَالَ لَا تَقُلْ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ قَالَ عَبْدَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَفْقَهُ مِنِّي .

« مَوْعِظَةٌ مِنْ كَلَامِ » « ابْنِ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ »

يَا مَنْ يُرْجَى الثَّوَابُ بِغَيْرِ عَمَلٍ ، وَيُرْجَى التُّوبَةُ بِطَوْلِ الْأَمَلِ تَقُولُ فِي الدُّنْيَا قَوْلَ الزَّاهِدِينَ ، وَتَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَ الرَّاغِبِينَ ، لَا بِقَلِيلٍ مِنْهَا تَقْنَعُ ، وَلَا بِكَثِيرٍ مِنْهَا تَشْبَعُ ، تَكْرَهُ الْمَوْتَ لِأَجْلِ ذُنُوبِكَ ، وَتُقِيمُ عَلَى مَا تَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ مِنْ عُيُوبِكَ .

تَغْلِبُكَ نَفْسُكَ عَلَى مَا تَظُنُّ ، وَلَا تَغْلِبُهَا عَلَى مَا تَسْتَيْقِنُ ، مَا تَتَّقُ مِنَ الرِّزْقِ بِمَا ضَمِنَ لَكَ ، وَلَا تَعْمَلُ مِنَ الْعَمَلِ مَا فُرِضَ عَلَيْكَ ، وَتَسْتَكْثِرُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِكَ مَا تَحْتَقِرُهُ مِنْ نَفْسِكَ .

أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا كَالْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا يَهْوِي إِلَيْهَا الصَّبِيُّ الْجَاهِلُ وَيَحْذَرُهَا اللَّيِّبُ الْعَاقِلُ كَيْفَ تَقْرَعَيْنُ مِنْ عَرَفِهَا وَمَا

أُبْعَدَ أَنْ يُقْطَعَ عَنْهَا مَنْ الْفَهَا ، فَتَفَكَّرُوا إِخْوَانِي فِي أَهْلِ الصَّلَاحِ ،
وَالْفَسَادِ ، وَمَيَّزُوا بَيْنَ أَهْلِ الْخُسْرَانِ وَأَهْلِ الْأَرْبَاحِ ، فَيَا سَرْعَانَ عُمْرٍ
يُفْنِيهِ الْمَسَاءُ وَالصَّبَاحُ .

« شِعْرٌ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ فِي مَدْحِ »
« رَبِّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى »

يَا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلًا
رِزْقَ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
يَا مُسْبِغَ الْبَرِّ الْجَزِيلِ وَمُسْبِلَ السِّدِّ
سِرِّ الْجَمِيلِ عَمِيمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْ
وَعْدِ الْوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلُّ أَنْ
يُخَصِّي الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنْكَ غَافِرُ
وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ
رَبُّ يُرَبِّي الْعَالَمِينَ بِرِّهِ
وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ
تَعْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا
مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسَاهِلُ
مُتَفَضِّلُ أَبَدًا وَأَنْتَ لِجُودِهِ
بِقَبَائِحِ الْعِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ

وإذا دَجَى لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأُظْلِمَتْ
سُبُلُ الْخَلَاصِ وَخَابَ فِيهَا الْأَمِلُ
وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَالَهَا
سَبَبٌ وَلَا يَذْنُولَهَا مُتَنَاوِلُ
يَأْتِيكَ مِنَ الطَّافِهِ الْفَرْجُ الَّذِي
لَمْ تَحْتَسِبْهُ وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ
يَا مُوجِدُ الْأَشْيَاءِ مَنْ أَلْقَى إِلَى
أَبْوَابِ غَيْرِكَ فَهُوَ غَرٌّ جَاهِلُ
وَمَنْ اسْتَرَاخَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا
أَحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلُّ زَائِلُ
عَمَلٌ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
عَمَلٌ وَإِنْ زَعَمَ الْمُرَائِي بَاطِلُ
وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلْ شَيْءٍ هَيْنُ
وَإِذَا حَصَلَتْ فَكُلْ شَيْءٍ حَاصِلُ
أَنَا عَبْدٌ سُوءٍ آبِقُ كُلِّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَوْزَارُ الْكَبَائِرِ حَامِلُ
قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوْدَتْ
صُحُفِي الْعُيُوبُ وَسِتْرُ عَفْوِكَ شَامِلُ
هَآ قَدْ أَتَيْتُ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِي
وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سَائِلُ
فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ
فِيْقًا لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلُ

وَأَفْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
وَالظَّنُّ كُلُّ الظَّنِّ أَنَّكَ فَاعِلٌ

اللهم إنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا تَقْوَاكَ وَاهِدِنَا
بِهَدَاكَ ، وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا ، وَمِنْ
كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا .

اللهم أَعِزَّنَا بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ،
وَاحْفَظْ جَوَارِحَنَا مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

لَذَّةُ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى حَسَبِ قَدْرِهِ وَهِمَّتِهِ وَشَرَفِ نَفْسِهِ ، فَأَشْرَفُ
النَّاسِ نَفْسًا وَأَعْلَاهُمْ هِمَّةً وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرًا ، مَنْ لَذَّتْهُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ ،
وَمَحَبَّتِهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ ، وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ بِمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، فَلَذَّتْهُ فِي
إِقْبَالِهِ عَلَيْهِ وَعُكُوفِهِ هِمَّتِهِ عَلَيْهِ .

وَدُونَ ذَلِكَ مَرَاتِبٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مَنْ لَذَّتْهُ
فِي أَحْسَنِ الْأَشْيَاءِ ، مِنَ الْقَادُورَاتِ وَالْفَوَاحِشِ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ
الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَشْغَالِ فَلَوْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَا يَلْتَذُّ بِهِ الْأَوَّلُ لَمْ تَسْمَعْ
نَفْسُهُ بِقَبُولِهِ وَلَا الِاتِّفَاتِ إِلَيْهِ ، وَرَبِّمَا تَأَلَّمْتَ مِنْ ذَلِكَ كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ إِذَا

عُرِضَ عَلَيْهِ مَا يَلْتَذُّ بِهِ هَذَا لَمْ تَسْمَعْ نَفْسُهُ بِهِ وَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَنَفَرَتْ نَفْسُهُ مِنْهُ .

وَأَكْمَلُ النَّاسِ لَذَّةً مَنْ جُمِعَ لَهُ بَيْنَ لَذَّةِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَلَذَّةِ الْبَدَنِ ، فَهُوَ يَتَنَاوَلُ لَذَّاتِهِ الْمُبَاحَةَ عَلَى وَجْهِ لَا يُنْقِصُ حَظَّهُ مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَلَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ لَذَّةَ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْأَنْسِ بِرَبِّهِ ، فَهَذَا مِمَّنْ قَالَ تَعَالَى فِيهِ : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَأَبْخَسَهُمْ حَظًّا مِنَ اللَّذَّةِ ، مَنْ تَنَاوَلَهَا عَلَى وَجْهِ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَاتِ الْآخِرَةِ فَيَكُونُ مِمَّنْ يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ اسْتِيفَاءِ اللَّذَاتِ « أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا » .

فَهَؤُلَاءِ تَمَتَّعُوا بِالطَّيِّبَاتِ ، وَأَوَّلِيكَ تَمَتَّعُوا وَافْتَرَقُوا فِي وَجْهِ التَّمَتُّعِ فَأَلِيكَ تَمَتَّعُوا بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أُذِنَ فِيهِ فَجُمِعَ لَهُمْ بَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَهَؤُلَاءِ تَمَتَّعُوا بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ وَسَوَاءٌ أُذِنَ لَهُمْ فِيهِ أَمْ لَا فَانْقَطَعَتْ عَنْهُمْ لَذَّةُ الدُّنْيَا وَفَاتَهُمْ لَذَّةُ الْآخِرَةِ فَلَا لَذَّةَ الدُّنْيَا دَامَتْ وَلَا لَذَّةَ الْآخِرَةِ حَصَلَتْ لَهُمْ .

فَمَنْ أَحَبَّ اللَّذَّةَ وَدَوَامَهَا وَالْعَيْشَ الطَّيِّبَ فَلْيَجْعَلْ لَذَّةَ الدُّنْيَا مُوَصِّلَةً إِلَى لَذَّةِ الْآخِرَةِ بَأَنْ يَسْتَعِينَ عَلَى فَرَاغِ قَلْبِهِ لِلَّهِ إِرَادَتِهِ وَعِبَادَتِهِ فَيَتَنَاوَلَهَا بِحُكْمِ الْأَسْتِعَانَةِ وَالْقُوَّةِ عَلَى طَلَبِهِ لَا بِحُكْمِ مُجَرَّدِ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَى .

وَأَنْ كَانَ مِمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ لَذَاتُ الدُّنْيَا وَطَيِّبَاتُهَا فَلْيَجْعَلْ مَا نَقَصَ مِنْهَا

زِيَادَةً فِي لَذَّةِ الْآخِرَةِ . وَنُجْمُ نَفْسِهِ هَهُنَا . بِالتَّرْكِ لِيَسْتَوْفِيَهَا كَامِلَةً هُنَاكَ .

فَطَيِّبَاتُ الدُّنْيَا وَلَذَاتُهَا نِعَمَ الْعَوْنُ لِمَنْ صَحَّ طَلَبُهُ لِلَّهِ وَالْدارِ الْآخِرَةِ
وَكَانَتْ هِمَّتُهُ لِمَا هُنَاكَ ، وَبُشْسَ الْقَاطِعُ لِمَنْ كَانَتْ هِيَ مَقْصُودَهُ وَهِمَّتُهُ
وَحَوْلَهَا يُدْنِدُنْ وَفَوَاتُهَا فِي الدُّنْيَا نِعَمَ الْعَوْنُ لِطَالِبِ اللَّهِ وَالْدارِ الْآخِرَةِ
وَبُشْسَ الْقَاطِعُ النَّازِعُ مِنَ اللَّهِ وَالْدارِ الْآخِرَةِ فَمَنْ أَخَذَ مَنَافِعَ الدُّنْيَا عَلَى
وَجْهِهِ لَا يَنْقُصُ حَظُّهُ مِنَ الْآخِرَةِ ظَفِرَ بِهِمَا جَمِيعًا وَإِلَّا خَسِرَهُمَا جَمِيعًا .

وقال رحمه الله :

سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي تَرْكِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي
إِلَّا إِقَامَةُ الْمُرُوءَةِ ، وَصَوْنُ الْعِرْضِ ، وَحِفْظُ الْجَاهِ ، وَصِيَانَةُ الْمَالِ ،
الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ قِيَامًا لِمَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَحَبَّةُ الْخَلْقِ وَجَوَازُ
الْقَوْلِ بَيْنَهُمْ .

وَصَلَاحُ الْمَعَاشِ وَرَاحَةُ الْبَدَنِ وَقُوَّةُ الْقَلْبِ وَطِيبُ النَّفْسِ وَنَعِيمُ
الْقَلْبِ وَانْشِرَاحُ الصَّدْرِ وَالْأَمْنُ مِنْ مَخَاوِفِ الْفُسَاقِ وَالْفُجَّارِ ، وَقَلَّةُ الْهَمِّ
وَالْغَمِّ وَالْحَزَنِ وَعِزُّ النَّفْسِ عَنْ احْتِمَالِ الذُّلِّ ، وَصَوْنُ نُورِ الْقَلْبِ أَنْ
تُظْفِفَتْ ظِلْمَةُ الْمَعْصِيَةِ ، وَحُصُولُ الْمَخْرَجِ لَهُ مِنْ مِمَّا ضَاقَ عَلَى الْفُسَاقِ
وَالْفُجَّارِ .

وَتَيْسِيرُ الرِّزْقِ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَتَيْسِيرُ مَا عُسِرَ عَلَى
أَرْبَابِ الْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِي ، وَتَسْهِيلُ الطَّاعَاتِ عَلَيْهِ ، وَتَيْسِيرُ الْعِلْمِ
وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ فِي النَّاسِ ، وَكَثْرَةُ الدُّعَاءِ لَهُ ، وَالْحَلَاوَةُ الَّتِي يَكْتَسِبُهَا
وَجْهُهُ ، وَالْمَهَابَةُ الَّتِي تُلْقَى لَهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ .

وَأَنْتَصَارُهُمْ لَهُ إِذَا أُؤْذِيَ أَوْ ظَلِمَ وَذَبَّهِمْ عَنْ عِرْضِهِ إِذَا
اغْتَابَهُ مُغْتَابٌ وَسُرْعَةً إِجَابَةَ دُعَائِهِ وَزَوَالَ الْوَحْشَةِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَقُرْبُ
الْمَلَائِكَةِ مِنْهُ . وَبُعْدُ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مِنْهُ . وَتَنَافُسُ النَّاسِ عَلَى
خِدْمَتِهِ .

وَيُخَاطَبُهُمْ لِمَوَدَّتِهِ وَصُحْبَتِهِ ، وَعَدَمُ خَوْفِهِ مِنَ الْمَوْتِ ، بَلْ يَفْرَحُ بِهِ
لِقُدُومِهِ عَلَى رَبِّهِ ، وَلِقَائِهِ لَهُ وَمَصِيرِهِ إِلَيْهِ ، وَصِغَرُ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ وَكِبَرُ
الْآخِرَةِ عِنْدَهُ وَجِرْصُهُ عَلَى الْمُلْكِ الْكَبِيرِ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ فِيهَا . وَذَوْقُ
حَلَاوَةِ الطَّاعَةِ وَوَجْدُ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ وَدُعَاءُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ لَهُ . وَفَرَحُ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ بِهِ ، وَدُعَاءُهُمْ لَهُ كُلُّ وَقْتٍ ، وَالزُّيَادَةُ
فِي عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ وَإِيمَانِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَحُصُولُ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ وَاقْبَالُهُ عَلَيْهِ وَفَرَحُهُ
بِتَوْبَتِهِ .

فَهَذَا بَعْضُ آثَارِ تَرْكِ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا فَإِذَا مَاتَ تَلَقَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ
بِالْبُشْرَى مِنْ رَبِّهِ بِالْجَنَّةِ وَيَأْتُهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِ وَلَا حَزَنٌ وَيَسْتَقِلُّ مِنْ سِجْنِ
الدُّنْيَا وَضَيْقِهَا إِلَى رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ يَنْعَمُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَانَ النَّاسُ فِي الْحَرِّ وَالْعَرَقِ وَهُوَ فِي ظِلِّ
الْعَرْشِ فَإِذَا انْصَرَفُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ أَخَذَ بِهِ ذَاتَ الْيَمِينِ مَعَ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ
وَحِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ «
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : وقال رحمه الله : ومما ينبغي أن يعلم : أن الرحمة صفة تقتضي
إيصال المنافع والمصالح إلى العبد ، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها ، فهذه
هي الرحمة الحقيقية . فارحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك ،
ودفع المضار عنك .

فمن رحمة الأب بولده : أن يكرهه على التأديب بالعلم والعمل ،
ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره ،
ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقله رحمته به ، وإن ظن أنه يرحمه ويرفقه
ويريحه ، فهذه رحمة مقرونة بجهل ، كرحمة الأم .

ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد ،
فإنه أعلم بمصلحته ، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من أغراضه وشهواته : من
رحمته به ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلاءه ، ولا يعلم احسانه إليه
بابتلاءه وامتحانه .

وقد جاء في الأثر : إن المبتلي إذا دعي له : اللهم ارحمه ، يقول الله
سبحانه : كيف أرحمه من شيء به أرحمه : وفي أثر آخر : إن الله تعالى إذ
أحب عبده حماه الدنيا وطيباتها وشهواتها كما يحمي أحدكم مريضه .
فهذا من تمام رحمته به ، لا من بخله عليه . كيف وهو الجواد الماجد ،
الذي له الجود كله ، وجود الخلائق في جنب جوده أقل من ذرة في جبال الدنيا
ورمالها .

فمن رحمته سبحانه بعباده : إبتلاؤهم بالأوامر والنواهي رحمة وحماية ،
لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به ، فهو الغني الحميد ولا بخل منه عليهم بما
نهاهم عنه ، فهو الجواد الكريم .

ومن رحمته : أن نغص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا إليها ، ولا
يطمئنوا إليها ، ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره ، فساقهم إلى ذلك
بسياط الابتلاء والامتحان ، فمنعهم ليعطيهم وابتلاهم ليعاقبهم ، وأماتهم
ليحيهم .

ومن رحمته بهم : أن حذرهم نفسه ، لئلا يغتروا به ، فيعاملوه بما لا تحسن
معاملته به كما قال تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾ قال
غير واحد من السلف : من رأفته بالعباد حذرهم من نفسه ، لئلا يغتروا به .

شعرا :

أَتَأْمَلُ فِي الدُّنْيَا تُجِدُ وَتَعْمُرُ
وَأَنْتَ غَدًا فِيهَا تَمُوتُ وَتُقْبَرُ
تَلْقَحُ آمَالًا وَتَرْجُو نِسَاجَهَا
وَعُمْرُكَ مِمَّا قَدْ تُرْجِيهِ أَقْصَرُ
تَحُومُ عَلَى إِدْرَاكِ مَا قَدْ كُفَيْتُهُ
وَتُقْبَلُ فِي الْأَمَالِ فِيهَا وَتُذْبِرُ
وَهَذَا صَبَاحُ الْيَوْمِ يَنْعَاكَ ضَوْؤُهُ
وَلَيْلَتُهُ تَنْعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ
وَرِزْقُكَ لَا يَغْدُوكَ إِلَّا مُعْجَلُ
عَلَى خَالَةٍ يَوْمًا وَإِمَا مُؤَخَّرُ
فَلَا تَأْمَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ
عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تَخُونُ وَتَغْدِرُ
فَمَا تَمَّ فِيهَا الصَّفَرُ يَوْمًا لِأَهْلِهِ
وَلَا الرُّنْقُ إِلَّا رَيْثَمًا يَتَغَيَّرُ
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ لَا وَلَا ذُرٌّ شَارِقُ
عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا حَبْلُ عُمْرِكَ يَقْصُرُ
تَطْهَرُ وَالْحَقُّ ذَنْبُكَ الْيَوْمَ تَوْنُهُ
لَعَلَّكَ مِنْهَا إِنْ تَطْهَرْتَ تَطْهَرُ
وَشَمْرُ فَقْدِ أَبَدِي لَكَ الْمَوْتُ وَجْهَهُ
وَلَيْسَ يَنَالُ الْفَوْزُ إِلَّا الْمُسْمَرُ
فَهَذِي اللَّيَالِي مُؤَذِّنَاتُكَ بِالْبَلَى
تَرْوُحُ وَأَيَّامُكَ كَذَلِكَ تُبَكِّرُ

وَأَخْلَصْ لِدِينِ اللَّهِ صَدْرًا وَنِيَّةً
فَإِنَّ الَّذِي تُخْفِيهِ يَوْمًا سَيَظْهَرُ
تَذَكُّرُ وَفَكْرُ بِالَّذِي أَنْتَ صَائِرٌ
إِلَيْهِ غَدًا إِنْ كُنْتَ مِنْ يُفَكِّرُ
فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ لِحُفْرَةٍ
بِاثْنَائِهَا تُطَوَّى إِلَى يَوْمٍ تُشَرُّ

اللهم اسئلك بنا سبيلَ عِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنِ
الْأَخْيَارِ وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَاحْفَظْنَا مِنَ الْمَعَاصِي فِيمَا بَقِيَ
مِنَ الْأَعْمَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فصل)

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ
الصَّبْرَ مِنْ أَجْلِ صِفَاتِ النَّفْسِ وَأَعْلَاهَا قَدْرًا ، وَهُوَ لَفَةٌ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ
الْجَزَعِ أَيْ مَنَعُهَا مِنَ الْأَسْتِسْلَامِ لِلْجَزَعِ كَيْ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ فِعْلُ مَا لَا
يَنْبَغِي فِعْلُهُ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الصَّبْرُ ثَبَاتُ الْقُوَّةِ الْمُضَادَّةِ لِلشَّهْوَةِ فِي
مُقَاوَمَتِهَا .

وَأَمَّا شَرْعًا فَهُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ ،
وَمَنَعُهَا عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَالزَّامُهَا بِأَدَاءِ فَرَائِضِ اللَّهِ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رُوِيَ
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ الصَّبْرُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ
صَبْرٌ عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِ اللَّهِ وَصَبْرٌ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَصَبْرٌ عَلَى الْمُصِيبَةِ
عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى .

وقال ابن القيم الصبر حبس النفس عن التسخط بالمقذور وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن المعصية ، فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة فإذا قام بها العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة ، واستحالة البلية عطية ، وصار المكروه محبوباً .

فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه ، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته ، فإن لله تعالى على العبد عبودية في الضراء كما له عليه عبودية في السراء ، وله عبودية عليه فيما يكره كما له عليه عبودية فيما يحب أهـ .

وعرف الصبر بعضهم بأنه باعث الدين ، أمام باعث الهوى فأما باعث الدين فهو قدرة العقل على قهر الشهوة والغضب ، لأنهما يطغيانهما يقودان المرء إلى ما لا يقره الدين ، ولا يرضاه العقل ، فإذا ثبت العقل أمام الشهوة والغضب وقام بوظيفته على الوجه المطلوب فلا يجعل لهما عليه سلطاناً .

ولا يسمح لهما بالطغيان ، فينقاد لهما صاغراً بل يكون هو الأمر الناهي فيسلك بهما سبيل الاعتدال ، بلا إفراط ولا تفريط ، فإنه بذلك يستطيع بإذن الله أن يظفر بالصبر ، عن ما حرم الله والصبر على طاعته ، وأن يحبس نفسه عن الجزع عند المصيبة ، فلا يستفز الجزع إلى قول ، أو عمل ، ما لا يرضاه الله مهما كان لنفسه فيه لذة .

ومن ذلك الصبر على إيذاء الناس إيأه ، فإنه إذا أغضبه أحد بقول أو عمل ، فإن غضبه لا يطغى عليه ، فيحمله على تعدي حدود الله بل

يَكْفِيكَهُمُ غَضَبُهُ حَتَّى يَجْرِي عَلَى سُنَنِ الدِّينِ مِنَ الْقِصَاصِ الْعَادِلِ ، أَوْ
الْعَفْوِ إِنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ .

وَقِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ هُوَ الثَّبَاتُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَالتَّمَشُّيُ مَعَ
ارْشَادَاتِهِمَا ، لِأَنَّ مَنْ ثَبَّتَ عَلَيْهِمَا فَقَدْ صَبَرَ عَلَى الْمَصَائِبِ ، وَعَلَى أَدَاءِ
الْعِبَادَاتِ ، وَعَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ .

ثُمَّ إِنَّ الصَّبْرَ يُسَمَّى بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَمَثَلًا الصَّبْرُ عَنِ شَهْوَةِ الْفَرْجِ
وَالْبَطْنِ أَوْ الْمَالِ الْحَرَامِ يُسَمَّى عِفَّةً وَوَرَعًا وَمَنْعُهُمَا عَنِ الْجَزَعِ وَالْفِرَارِ
عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ يُسَمَّى شَجَاعَةً ، وَيُقَابِلُهُ الْجُبْنُ ، وَمَنْعُهُمَا عَنِ التَّعَدِّيِّ عَلَى
الْغَيْرِ عِنْدَ ثَوْرَةِ الْغَضَبِ يُسَمَّى حِلْمًا ، وَشَجَاعَةً ، وَيُقَابِلُهُ التَّذَمُّرُ
وَالطَّيْشُ .

وَعَنِ إِفْشَاءِ السِّرِّ يُسَمَّى كِتْمَانَ السِّرِّ ، وَعَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَأْكَلِ
وَالْمَشَارِبِ يُسَمَّى زُهْدًا ، وَعَنِ الْغُرُورِ بِالثَّرْوَةِ وَالْمَالِ يُسَمَّى ضَبْطَ
النَّفْسِ ، وَيُقَابِلُهُ الْبَطَرُ وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ الصَّبْرَ فَضِيلَةٌ يَحْتَاجُهَا الْمُسْلِمُ فِي
دِينِهِ وَدُنْيَاهُ .

فَيَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُوْطِنَ نَفْسَهُ عَلَى احْتِمَالِ الشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ
دُونَ ضَجَرٍ وَانْتِظَارِ النَّتَائِجِ مَهْمَا بَعُدَتْ فَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ ، وَعَلَيْهِ أَنْ
يُوْطِنَهَا عَلَى مُوَاجَهَةِ الْأَعْبَاءِ مَهْمَا ثَقُلَتْ بِقَلْبٍ لَمْ تَعْلُقْ بِهِ رِيَّةٌ وَعَقْلٌ لَا
تَطِيشُ بِهِ كُرْبَةً .

وَقَدْ أَكَّدَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ ابْتِلَاءَ النَّاسِ أَمْرٌ لَا مَحِيصَ عَنْهُ حَتَّى
يَأْخُذُوا الْأَهْبَةَ ، وَالْأَسْتِعْدَادَ لِلنَّوَازِلِ ، فَلَا تُذْهِلُهُمُ الْمُفَاجَئَةُ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾

وقال ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ وقال ﴿وَنَبْلُوَكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا
تُرْجَعُونَ﴾

وقال تعالى إخباراً عما قاله سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي
لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ وقال تعالى ﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا
آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الآية :

اصْبِرْ عَلَى مِضْضِ الْأَذْلَاجِ فِي السَّحَرِ
وفي الرُّوَّاحِ إِلَى الطَّاعَاتِ وَالْبَكْرِ
إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةً
لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةً الْأَثَرِ

وَقُلْ مَنْ جَدُّ فِي أَمْرِ تَطَلُّبِهِ
وَاسْتَضْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفْرِ
آخر :

يَقُولُ لَكَ الْإِثْبَاتُ أَهْلُ التَّجَارِبِ تَصَبَّرْ فَعُقْبَى الصَّبْرِ نَيْلُ الْمَارِبِ
وَنَصٌّ - كِتَابٌ - اللَّهُ - بِالصَّبْرِ - أَمْرٌ وَقَدْ وَعَدَ الصَّبَّارَ حُسْنَ الْعَوَاقِبِ
ويقول الآخر :

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقُهُ
لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ
ويقول الآخر :

بَنَى اللَّهُ لِلْأَخْيَارِ بَيْتاً سَمَاوُهُ
هُمُومٌ وَأَحْزَانٌ وَجُذْرَانُهُ الضُّرُّ
وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ
وقال لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمُ الصَّبْرُ

آخر :

دَبُّوا إِلَى الْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا
جُهِدَ النَّفُوسِ وَشَدُّوا نَحْوَهُ الْأُزْرَا
وَسَاوَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ
وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَافَى وَمَنْ صَبَرَا
لَا تَحْسِبِ الْمَجْدَ ثَمَرًا أَنْتَ آكِلُهُ
لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

آخر :

هُوَ الْمَجْدُ مَنْ يَطْلُبُهُ يَسْتَعِذُّ الصَّبْرَا
وَيُرْخِصُ فِي إِدْرَاكِهِ كُلُّ مَا غَلَا
وَيَسْتَسْهِلُ الْأَخْطَارَ وَالْمَرْكَبَ الْوَعْرَا
وَيُنْفِقُ فِي أَذْنَى رَغَائِبِهِ الْعُمْرَا

آخر :

بِقَدْرِ الْجِدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي
تُرُومُ الْعِزُّ ثُمَّ تَنَامُ عَنْهُ
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي
يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي

آخر :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيْأَسَنَّ وَأَنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ
فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَارْتَجَا
أُخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يُحْظَى بِحَاجَتِهِ
إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا
وَمُدَّ مِنَ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا

اللهم أنظمنّا في سبيلك حزبك المفلحين ، واجعلنا من عبادك المخلصين
وآمنّا يومَ الفزعِ الأكبرِ يومَ الدين ، واحشُرنا مع الذين أنعمت عليهم من
النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين

الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فصل : وقال تعالى : ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ وقال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ .

فَمَنْ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِنَقْصٍ فِي مَالِهِ أَوْ مَنَعَهُ شَيْئاً مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا الْفَانِيَّةِ وَعَجَزَ عَنْ تَحْصِيلِهِ بِالْوَسَائِلِ الْمَشْرُوعَةِ أَوْ قَبَضَ لَهُ نَفْساً أَباً أَوْ أَخاً أَوْ أُمّاً أَوْ وَلَداً أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ أَوْ خَافَ مِنْ عَدُوِّ فَإِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهُ إِلَّا الصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَهُ .

فاذا صَبَرَ الْمُبْتَلَى وَعَمِلَ بِقَوْلِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَدْ هَانَتْ عَلَيْهِ الْبُلُوى وَضَاعَ أَثَرُهَا فَاسْتَرَاحَ مِنْ عَذَابِهَا فِي الدُّنْيَا وَفَارَ بِالْآخِرَةِ بِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ ، فَالْفَقِيرُ الَّذِي لَا يَذْهَبُ بِلُبِّهِ مَتَاعُ الْحَيَاةِ وَزِينَتُهَا وَلَا يُحْزِنُهُ مَا لَا يَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَتَاعِ الْفَانِي سَائِرٌ عَلَى ضَوْءِ ارشادات القرآن الكريم ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

وَقَوْلُهُ ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ بَلْ مُطْمَئِنُّ قَلْبُهُ إِلَى مَا قَدَّرَهُ الْبَلَاءُ لَهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مِنْ تَعَبٍ وَنَصَبٍ وَيَرْضَى بِمَا قَسَمَ لَهُ فَلَا يَسْخَطُ ، وَلَا يَفْعَلُ مُحَرِّمًا ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ فَرَجًا فِي

حَيَاتِهِ الدُّنْيَا كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

وَإِذَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ شَيْئًا وَعَدَّهَا بِالْخَيْرِ وَصَبَّرَهَا وَمَشَى أُمُورُهُ عَلَى
قَدْرِ حَالِهِ وَلَا يُكَلِّفُ نَفْسَهُ بِالذِّينِ وَالْقَرْضِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنْ مَعَ الْعُسْرِ
يُسْرًا إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ الْمَالَ مُنْفِقًا
عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَثَرِ صَبْرِهَا
عَلَيْكَ وَانْصَارًا إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ الْغَنِيِّ وَإِنْ أَبْتَ
فَكُلْ مَنُوعٍ بَعْدَهَا وَاسِعُ الْعُذْرِ
آخِر :

وَأَيُّ غِنًى أَعَزَّ مِنَ الْقَنَاعَةِ	أَفَادَتْنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ
وَصَبِيرٌ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَةُ	فَصَبَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ
وَتَنَعَّمَ بِالْجَنَانِ بِصَبْرِ سَاعَةٍ	تَحْزُرُ بُحَيْنَ تَغْنَى عَنْ بَخِيلٍ

آخِر :

وَلَمْ يَكْشِفْ لِمَخْلُوقٍ قِنَاعَهُ	عَزِيرُ النَّفْسِ مَنْ رُزِقَ الْقَنَاعَةَ
عُرَى الْأَطْمَاعِ فَارَقَتْ الْجَمَاعَةَ	وَقَدْ عَلِمُوا بِأَنِّي حِينَ شَدُّوا
وَكَانَتْ فِي التَّبَدُّلِ لِي ضِرَاعُهُ	إِذَا مَا فَاقَةُ قَرْنَتْ بِعِزٍّ
وَقُلْتُ لِفَاقَتِي سَمْعًا وَطَاعَةً	نَفَضْتُ يَدَيَّ عَنْ طَمَعِي وَحِرْصِي

أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي يُزَيِّنُ لَهُ الشَّيْطَانُ وَالْهَوَى وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ قَلْبَهُ بِالْوَسَاوِسِ الضَّارَةِ ، وَالْأَمَانِي الْكَاذِبَةِ ، وَالْأَحْلَامِ الْبَاطِلَةِ ، فَيَحْسُدُ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، مُبْعِداً عَنْ الصَّبْرِ عَلَى الْحَالَةِ الْمُرْضِيَةِ لَا يُبَالِي بِأَيِّ وَسِيلَةٍ يَتَمَسَّكُ بِهَا مِنْ الْوَسَائِلِ الْمُحَرَّمَةِ ، فِي الْوُصُولِ إِلَى لَذَّةٍ مُحَرَّمَةٍ لَا تُغْنِي عَنْهُ شَيْئاً وَلَا تَسُدُّ فَقْرَهُ فَهُوَ مِنْ أَشْقَى خَلْقِ اللَّهِ لِأَنَّهُ بِعَمَلِهِ هَذَا يَكُونُ قَدْ خَسِرَ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ ، وَذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

وَكَذَلِكَ الْغَنِيُّ يَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى غِنَاهُ لِأَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِحُقُوقِ وَوَاجِبَاتٍ لَا يَسْهُلُ عَلَى النَّفْسِ فِعْلُهَا مِنْ زَكَاةٍ مَالٍ وَإِنْفَاقٍ عَلَى مَنْ يُؤْمِنُهُ وَإِغَاثَةِ مَلْهُوفٍ الْخ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ إِظْهَارَ الْبَلْوَى سَوَاءٌ كَانَتْ مَرَضاً أَوْ فَقْراً أَوْ غَيْرِهِمَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وَكَمَا قَالَ يَعْقُوبُ ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ فَهَذَا لَا يُنَافِي الصَّبْرَ .

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنْ كَانَ لِحَاجَةٍ كَشَرَحِ الْعَلَّةِ لِلطَّبِيبِ أَوْ بَيَانِ الْمَظْلَمَةِ لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِهَا فَانَّهُ لَا يُنَافِي الصَّبْرَ أَيْضاً مَا دَامَ رَاضِياً بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ ، فَلَا يَضْجَرُ وَلَا يَتَبَرَّمُ مِمَّا يَنْزِلُ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ فَإِنْ اشْتَكَى لِغَيْرِ اللَّهِ مِنْ دُونَ فَائِدَةٍ تَبَرُّماً وَتَضْجِراً لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّابِرِينَ ، وَلَمْ يَسْتَفِذْ مِنْ مُصِيبَتِهِ سِوَى عَذَابِ الدُّنْيَا .

فَإِنْ كَانَ لِلتَّسْلِيِّ أَوْ الْمَوَاسَاةِ فَلَا بَأْسَ شِعْراً :

وَأَبْثَثْتُ عَمراً بَعْضَ مَا فِي جَوَانِحِي

وَجَرَعْتُهُ مِنْ مَرٍّ مَا أَتَجَرَّعُ

ولا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي حَفِظَةٍ

يُؤَاسِيكَ أَوْ يُسَلِّيكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ

وَسَيُسْأَلُ عَنْ ضَجْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُصُوصًا إِذَا كَانَتْ شَكْوَاهُ مَضْحُومَةً
بِبَعْضِ الْعِبَارَاتِ الَّتِي فِيهَا جَرَاءَةٌ عَلَى اللَّهِ ، لَأَنَّهُ يَشْكُو الْإِلَهَ الْقَادِرَ عَلَى
الْمُسْكِينِ الضَّعِيفِ الْعَاجِزِ ، الَّذِي لَا يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا ، كَمَا قِيلَ :

« وَإِذَا شَكَّوتَ إِلَى ابْنِ آدَمَ إِنَّمَا تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ »
فَتَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ كَثِيرُ التَّشْكِيِّ إِلَى النَّاسِ يَسْتَأْنِسُ بِالشَّكْوَى
وَيَتَلَذَّذُ بِهَا كَمَا قِيلَ :

تَلَذُّ لَهُ الشَّكْوَى وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بِهَا صَلاَحًا كَمَا يَلْتَذُّ بِالْحُكِّ أَجْرَبُ
فَالْجَاهِلُ يَشْكُو اللَّهَ إِلَى النَّاسِ وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ بِالشَّكْوَى وَالْمَشْكُو إِلَيْهِ
فَإِنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبَّهُ لَمَا شَكَاهُ وَلَوْ عَرَفَ النَّاسَ لَمَا شَكَاهُمْ لِأَنَّهُمْ مَسَاكِينُ
عَاجِزُونَ . وَرُبَّمَا كَانُوا مِنَ الْمُتَشَمِّتِينَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ عَلَيْهِ وَيَفْرَحُونَ بِمَوْتِهِ .
وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ لِتُشَمِّتَهُ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرَبَانِ وَالرَّخِمِ
آخِر :

كَمْ عَائِدَ رَجُلًا وَلَيْسَ يَعُودُهُ إِلَّا لِيَنْظُرَ هَلْ يَرَاهُ يَمُوتُ
وَرَأَى بَعْضُ السُّلَفِ رَجُلًا يَشْكُو إِلَى رَجُلٍ فَاقَتْهُ وَضُرُورَتُهُ ، فَقَالَ يَا
هَذَا وَاللَّهِ مَا زِدْتُ عَلَى أَنْ شَكَّوتَ مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ ،
وَالْعَارِفُ إِنَّمَا يَشْكُو إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ .

وَأَعْرِفُ الْعَارِفِينَ مَنْ جَعَلَ شَكْوَاهُ إِلَى اللَّهِ مِنْ نَفْسِهِ ، لَا مِنْ
النَّاسِ فَهُوَ يَشْكُو مِنْ مُوجِبَاتِ تَسْلِيطِ النَّاسِ عَلَيْهِ ، فَهُوَ نَاطِرٌ إِلَى قَوْلِهِ
تَعَالَى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ وَقَوْلِهِ ، ﴿ وَمَا
أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿ أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ
مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ .

فَالْمَرَاتِبُ ثَلَاثٌ أَحْسَنُهَا أَنْ تَشْكُرَ اللَّهَ إِلَى خَلْقِهِ وَأَعْلَاهَا أَنْ تَشْكُرَ
نَفْسَكَ إِلَيْهِ وَأَوْسَطُهَا أَنْ تَشْكُرَ خَلْقَهُ إِلَيْهِ أَنْتَهَى قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَيَمْنَعُنِي شَكْوَايَ لِلنَّاسِ أَنِّي عَلِيلٌ وَمَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ عَلِيلٌ
وَيَمْنَعُنِي شَكْوَايَ لِلَّهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا أَشْكُوهُ قَبْلَ أَقُولُ
آخِر :

لَا تَشْكُونَنَّ إِلَى صَدِيقٍ حَالَةً فَاتَّكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
فَلِرَحْمَةِ الْمُتَوَجِّعِينَ مَضَاضَةٌ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ
وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالصَّبْرِ فَقَالَ جَلُّ وَعَلَا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ وَقَالَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ وَقَالَ ﴿وَاسْتَعِينُوا
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ وَأَتْنَى اللَّهُ عَلَى الصَّابِرِينَ فَقَالَ ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ فَقَالَ ، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ وَهَذِهِ مَعِيَّةٌ خَاصَةٌ تَقْتَضِي الْحِفْظَ وَالنُّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ ، وَأَخْبَرَ جَلُّ
وَعَلَا أَنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ لِأَصْحَابِهِ ، قَالَ تَعَالَى وَإِنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَقَالَ وَلَئِنْ
صَبَرْتُمْ لَهَوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ، وَإِجَابُ الْجَزَاءِ لَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، فَقَالَ
﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وَأَخْبَرَ جَلُّ
وَعَلَا أَنَّ جَزَاءَهُمْ بَغِيرُ حِسَابٍ ، فَقَالَ ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ﴾ .

وَأَخْبَرَ جَلُّ وَعَلَا أَنَّهُ مَا يُلْقَى الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ وَجَزَاءُهَا وَالْحُظُوظُ
عَلَيْهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ، فَقَالَ عَنْ مَا قَالَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ ﴿وَيَلَكُمْ ثَوَابُ
اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ .

وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلا أَنَّهُ مَا يُلْقَى الْخَصْلَةُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي هِيَ دَفْعُ السَّيِّئَةِ
بِالْحَسَنَةِ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، فَقَالَ ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ ، الْآيَةُ .

وَالصَّبْرُ أَنْوَاعٌ صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، بِالمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا دَوَاماً
وَبِرِعَايَتِهَا إِخْلَاصاً وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِرُ الوَالِدَيْنِ مَا دَامَا مَوْجُودَيْنِ
وَعَدَمُ التَّضَجُّرِ وَالتَّأْفِفِ مِنْهُمَا وَاحْتِمَالُ الْأَذَى مِنَ الْقَرِيبِ وَالْجَارِ وَالصَّدِيقِ
وَالزَّمِيلِ وَمِنْهُ صَبْرُ الْأَسَانِدَةِ عَلَى الطَّلَبَةِ وَاحْتِمَالِ التَّعَبِ فِي ذَلِكَ وَكَذَلِكَ
الْأَطِبَاءُ الْمُسْتَقِيمِينَ الْمُخْلِصِينَ فِي مُعَالَجَةِ الْمَرْضَى .

وَصَبْرُ الْغَنِيِّ عَلَى اخْتِرَاجِ زَكَاتِهِ بِدَقَّةٍ وَصَبْرُ الْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ عَلَى
الصَّلَاةِ وَالطَّهَارَةِ لَهَا وَصَبْرُ الْمُجَاهِدِ وَالْمَتَّعِلِّمِ الصَّادِقِ فِي طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ
وَالْحَاجِّ وَالسَّاعِي عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ .

وَمِنْ مَشَقَّةِ السَّفَرِ وَعَنَاءِ الطَّلَبِ وَمُكَافَحَةِ الْأَعْدَاءِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَمْرِ
بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقَوْلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُراً وَمُسَاعَدَةُ الضَّعِيفِ
وَالْعَاجِزِ وَالْعَذْلُ فِي الْحُكْمِ وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ وَالْإِنْصَافُ مِنَ النَّفْسِ
وَالْأَقَارِبِ وَمُواصَلَةُ السَّعِيِّ فِي مَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحُسْنُ الْخُلُقِ
وَإِنْسَانُ الْمُسْلِمِ الْغَرِيبِ وَالصُّمُتُ عَنِ الْكَلَامِ إِلَّا فِيمَا يَعُودُ إِلَيْكَ نَفْعُهُ
وَمُرَاقَبَةُ اللَّهِ فِيمَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ .

وَدَوَامُ الشُّكْرِ لِلَّهِ وَصَرَفُ نِعَمِهِ فِي طَاعَتِهِ ، وَاحْتِرَامُ أَهْلِ الدِّينِ
وَتَقْدِيرُهُمُ وَالذَّبُّ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ إِذَا انْتَهَكَتْ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَوْلَادِ
وَالْأَهْلِ وَحَثُّهُمْ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

النوع الثاني : الصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ خَوْفًا مِنْ اللَّهِ وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ وَحَيَاءَ مِنَ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُسْتَعَانَ بِنِعْمِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ قَالِصَبْرُ عَنْ الْمَعَاصِي لِأَزْمِ لِسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ نَهَى عِبَادَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لِيَعِيشُوا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُطْمَئِنِّينَ ، لَا يَنَالُ أَحَدُهُمْ مِنْ عَرَضِ أَخِيهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَلَا يَعْتَدِي أَحَدُهُمْ عَلَى غَيْرِهِ ، فِي مَالِهِ وَبَدَنِهِ ، وَلَا تَغْرُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ، فَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى لَذَائِهَا الْمُضْمَحِلَّةِ الْفَانِيَةِ ، وَشَهَوَاتِهَا الْخَدَاعَةِ الْفَاسِدَةِ .

فَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى ظَبْطِ لِسَانِهِ عَنِ الْكَلَامِ الْمَحْرَمِ ، فَلَا يَغْتَابُ وَلَا يَنْمُ وَلَا يُنَافِقُ بِالْقَوْلِ ، وَلَا يَكْذِبُ ، وَلَا يُسَاعِدُ بِقَوْلِهِ ظَالِمًا ، وَلَا يُجَادِلُ بِالْبَاطِلِ وَلَا يَسْخَرُ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَخْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ صَادِقًا ، وَلَا يَقْذِفُ مُسْلِمًا وَلَا يُخَاصِمُ لِيَقْطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ وَلَا يَشْهَدُ بِالزُّورِ وَلَا يُؤْذِي مُسْلِمًا بِالْفُحْشِ وَالْبَذَاءِ فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَتَّقِي آفَاتِ لِسَانِهِ الَّتِي تُفْضِي بِالْمَرءِ إِلَى الْهَلَاكِ .

وَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى حِفْظِ فَرْجِهِ فَلَا يَسْتَعْمِلُهُ إِلَّا فِيمَا أَحَلَّهُ اللَّهُ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَنْجُو مِنْ شَرِّ غَوَائِلِ الزَّيْنِ وَاللُّوَاطِ ، وَكَانَ أَمِينًا عَلَى سَلَامَةِ عَرَضِهِ ، وَحِفْظِهِ مِنَ الضِّيَاعِ .

وَمَنْ صَبَرَ وَرَبَطَ عَقْلَهُ عِنْدَ غَضَبِهِ فَلَا يَبْطِشُ بِيَدِهِ وَلَا يَحْقِذُ بِقَلْبِهِ وَقَدْ ضَبَطَ لِسَانَهُ فَقَدْ سَلِمَ مِنْ مَظَالِمِ خَلْقِ اللَّهِ ، وَكَانَ مُسْلِمًا حَقًّا كَمَا قَالَ ﴿ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ﴾

وَمَنْ صَبَرَ عَنْ مَا لَا يَمْلِكُهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ فَقَدْ نَجَا مِنَ أَلَمِ
الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَظَفَرَ بِسُكُونِ النَّفْسِ وَطُمَأْنِينَتِهَا وَرَاحَتِهَا ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ
مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ سِوَاءَ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِحَقُوقِ اللَّهِ أَوْ حُقُوقِ خَلْقِهِ .
شِعْرًا :

أَيَا صَاحِبِي أَنْ رُمْتَ أَنْ تَكْسِبَ الْعُلَا
وَتَرْقَى إِلَى الْعُلْيَا غَيْرَ مُزَاحِمٍ
عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
فَمَا صَابِرٌ فِيمَا يَرُومُ بِنَادِمٍ
النَّوْعُ الثَّالِثُ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ رَجَاءِ ثَوَابِهِ قَالَ ابْنُ
الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ الصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، صَبْرٌ
عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْكَسْبِ وَالصَّبْرُ عَلَى امْتِحَانِ اللَّهِ ، صَبْرٌ عَلَى مَا لَا كَسْبَ
لِلْعَبْدِ فِيهِ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْأِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ يَقُولُ . كَانَ
صَبْرُ يُوسُفَ عَنْ مُطَاوَعَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ عَلَى شَأْنِهَا ، اكْتِمَلُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى
إِلْقَاءِ أَخُوْتِهِ لَهُ فِي الْجُبِّ ، وَبَيْعِهِ وَتَفْرِيقِهِمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ
جَرَتْ عَلَيْهِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ لَا كَسْبَ لَهُ فِيهَا ، لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهَا حِيلَةٌ غَيْرُ
الصَّبْرِ .

وَأَمَّا صَبْرُهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، فَصَبْرُ اخْتِيَارٍ ، وَرِضَى ، وَمُحَارَبَةٍ
لِلنَّفْسِ ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْوَى مَعَهَا دَوَاعِي الْمُوَافَقَةِ ، فَإِنَّهُ
كَانَ شَابًا وَدَاعِيَةُ الشَّبَابِ إِلَيْهَا قَوِيَّةٌ وَعَزْبًا لَيْسَ لَهُ مَا يُعَوِّضُهُ وَيُرُدُّ شَهْوَتَهُ
وَعَرْبِيًّا وَالْغَرِيبُ لَا يَسْتَحْيِي فِي بَلَدِ غُرْبَتِهِ مِمَّا يَسْتَحْيِي مِنْهُ مَنْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ
وَمَعَارِفِهِ وَأَهْلِيهِ .

وَمَمْلُوكًا وَالْمَمْلُوكُ أَيْضًا لَيْسَ وَازِعُهُ كَوَازِعُ الْحُرِّ وَالْمَرْأَةُ جَمِيلَةٌ ، وَذَاتُ مُنْصِبٍ وَهِيَ سَيِّدَتُهُ وَقَدْ غَابَ الرَّقِيبُ ، وَهِيَ الدَّاعِيَةُ إِلَى نَفْسِهَا ، وَالْحَرِصَةُ عَلَى ذَلِكَ أَشَدُّ الْحَرِصِ وَمَعَ ذَلِكَ تَوَعَّدَتْهُ بِالسَّجْنِ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، وَالصَّغَارُ وَمَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي كُلُّهَا صَبَرَ اخْتِيَارًا وَإِثَارًا لَمَّا عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَيُّنَ هَذَا مِنْ صَبْرِهِ فِي الْجُبِّ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ كُسْبِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ الصَّبْرُ عَلَى أَدَاءِ الطَّاعَاتِ أَكْمَلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَأَفْضَلُ فَإِنَّ مَصْلَحَةَ فِعْلِ الطَّاعَةِ أَحَبُّ إِلَى الشَّارِعِ مِنْ مَصْلَحَةِ تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ وَمَفْسَدَةُ عَدَمِ الطَّاعَةِ أَبْغَضُ إِلَيْهِ وَأَكْرَهُ مِنْ مَفْسَدَةِ وُجُودِ الْمَعْصِيَةِ انْتَهَى :

قال الإمام أحمد رحمه الله : ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً : إنتهى . وهي أنواع : منها تعليق الإمامة في الدين به وباليقين قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ فبالصبر واليقين ، تنال الإمامة في الدين ومنها : ضفرهم بمعية الله سبحانه لهم قال تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

قال أبو علي الدقاق : فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته ، ومنها : أنه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي الصلاة منه عليهم ، ورحمته لهم ، وهدايته إياهم ، قال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

وقال بعض السلف وقد عزي على مصيبة نالته فقال : ما لي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال ، كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها ، ومنها أنه سبحانه أباح لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا به ثم أقسم قسماً مؤكداً غاية التأكيد أن صبرهم خير لهم فقال : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ

ما عوقبتم به ولئن صبرتم هو خير للصابرين ﴿٤﴾ .

فتأمل هذا التأكيد بالقسم المدلول عليه بالواو ثم باللام بعده ثم باللام التي في الجواب . ومنها أنه سبحانه حكم بالخسران حكما عاما على كل من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر ، وهذا يدل على أنه لا رابح سواهم فقال تعالى : ﴿٥﴾ والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴿٦﴾ .

ولهذا قال الشافعي : لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لوسعتهم وذلك أن العبد كما له في تكميل قوته ، قوة العلم وقوة العمل وهما الإيمان والعمل الصالح وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه فهو محتاج إلى تكميل غيره وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر وأخية ذلك وقاعدته وساقه الذين يقوم عليه إنما هو الصبر . .

ومنها أنه سبحانه خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والرحمة الذين قامت بهم هاتان الخصلتان ووصوا بها غيرهم فقال تعالى : ﴿٧﴾ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة أولئك أصحاب الميمنة ﴿٨﴾ .

وهذا حصر لأصحاب الميمنة فيمن قام به هذان الوصفان والناس بالنسبة إليها أربعة أقسام هؤلاء خير الأقسام ، وشرهم من لا صبر له ولا رحمة فيه ، ويليه من له صبر ولا رحمة عنده ، ويليه القسم الرابع وهو من له رحمة ورقة ولكن لا صبر له .

وقال إن الإنسان لا يستغني عن الصبر في حال من الأحوال ، فإنه بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه ، ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه ، وقدر يجري عليه اتفاقا ، ونعمة يجب شكر المنعم عليها ، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه ، فالصبر لازم له إلى الممات .

اللَّهُمَّ نُورَ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبَّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) وَكُلُّ مَا يَلْقَى الْعَبْدُ فِي هَذِهِ الدَّارِ لَا يَخْلُو مِنْ نَوْعَيْنِ : أَحَدُهُمَا : يُوَافِقُ
هُوَاهُ وَمُرَادَهُ ، وَالْآخَرُ مُخَالِفُهُ ، وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الصَّبْرِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا ، أَمَا النَّوْعُ
الْمُوَافِقُ لِغَرَضِهِ : فَكَالصَّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ وَالْجَاهِ وَالْمَالِ وَأَنْوَاعِ الْمَلَاذِ الْمُبَاحَةِ ، وَهُوَ
أَخْوَجُ شَيْءٍ إِلَى الصَّبْرِ فِيهَا مِنْ وَجْهِهِ :

أحدهما : أَنْ لَا يَرْكُنَ إِلَيْهَا وَلَا يَغْتَرِبَ بِهَا وَلَا تَحْمِلَهُ عَلَى الْبَطَرِ وَالْأَشْرِ
وَالْفَرَحِ الْمَذْمُومِ الَّذِي لَا يَحِبُّ اللَّهُ أَهْلَهُ .

الثاني : أَنْ لَا يَنْهَمِكَ فِي نِيلِهَا وَيَبَالِغَ فِي اسْتِقْصَائِهَا فَإِنَّهَا تَنْقَلِبُ إِلَى
اضْدَادِهَا ، فَمَنْ بَالِغٌ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجَمَاعِ انْقَلَبَ ذَلِكَ إِلَى ضِدِّهِ ،
وَحَرَمَ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَالْجَمَاعَ .

الثالث : أَنْ يَصْبِرَ عَلَى أَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ فِيهَا وَلَا يَضِيعَهُ فَيَسْلُبَهَا .

الرابع : أَنْ يَصْبِرَ عَنْ صَرْفِهَا فِي الْحَرَامِ فَلَا يُمْكِنُ نَفْسَهُ مِنْ كُلِّ مَا
تُرِيدُهُ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا تَوَقَّعُهُ فِي الْحَرَامِ ، فَإِنْ إِحْتَرَزَ كُلَّ الْإِحْتِرَازِ أَوْقَعَتْهُ فِي
الْمَكْرُوهِ ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى السَّرَاءِ إِلَّا الصَّدِيقُونَ ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِبْتَلَيْنَا بِالضَّرَاءِ فَصَبَرْنَا ، وَإِبْتَلَيْنَا بِالسَّرَاءِ فَلَمْ نَصْبِرْ .

ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد فقال تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ وقال
تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدَاؤُكُمْ لَكُمْ
فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ .

وليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من الناس ، أنها عداوة البغضاء والمحاداة بل إنما هي عداوة المحبة الصادقة للآباء عن الهجرة والجهاد وتعلم العلم والصدقة وغير ذلك من أمور الدين وأعمال البر .

كما في جامع الترمذي ، من حديث اسراييل حدثنا سماك عن عكرمة عن بن عباس وسأله رجل عن هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ قال : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة فأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ .

فلما أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوه ، فأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ الآية قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وما أكثر ما فات العبد من الكمال والفلاح بسبب زوجته وولده . وفي الحديث : الولد مبخله مجبنة . وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني زيد بن واقد قال حدثني عبد الله بن بريدة قال سمعت أبي يقول : كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران .

فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال : « صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما . وهذا من كمال رحمته ﷺ ولطفه بالصغار وشفقته عليهم ، وهو تعليم منه للأمة الرحمة والشفقة واللطف بالصغار .

وإنما كان الصبر على السراء شديد لأنه مقرون بالقدرة ، والجائع عند غيبة الطعام ، أقدر منه على الصبر عند حضوره ، وكذلك الشبق عند غيبة المرأة ، أصبر منه عند حضورها .

مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد ، فإذا اجتمع في الفعل هذا الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر ، وإن فقدنا معا سهل الصبر عنه ، وإن وجد أحدهما وفقد الآخر سهل الصبر من وجه وصعب من وجه ، فمن لا داعي له إلى القتل والسرقة وشرب المسكر وأنواع الفواحش ولا هو مسهل .

فصبره عنه من أيسر شيء وأسهله ، ومن اشتد داعيه إلى ذلك وسهل عليه فعله فصبره عنه أشق شيء عليه ، ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم ، وصبر الشاب عن الفاحشة ، وصبر الغني عن تناول الذات والشهوات عند الله بمكان .

وفي المسند وغيره عن النبي ﷺ : عجب ربك من شاب ليست له صبوة ولذلك استحق السبعة المذكورون في الحديث الذين يظلمهم الله في ظل عرشه ، لكمال صبرهم ومشقته ، فإن صبر الإمام المتسلط على العدل في قسمه وحكمه ورضاه وغضبه ، وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه .

وصبر الرجل على ملازمة المسجد ، وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة حتى عن بعضه ، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع كمال جمال الداعي ومنصبه ، وصبر المتحابين في الله على ذلك في حال اجتماعهما وافتراقهما ، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك وإظهاره للناس من أشق الصبر .

ولهذا كانت عقوبة الشيخ الزاني والملك الكذاب والفقير المحتال أشد العقوبات لسهولة الصبر عن هذه الأشياء المحرمات عليهم لضعف دواعيها

في حقهم فكان تركهم الصبر عنها مع سهولته عليهم ، دليلاً على تمردهم على الله وعتوهم عليه ، ولهذا كان الصبر عن معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواع الصبر لشدة الداعي إليهما وسهولتهما .

فإن معاصي اللسان ، فاكهة الإنسان ، كالنميمة والغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضاً وتصريحاً ، وحكاية كلام الناس ، والطعن على من يبغضه ، ومدح من يحبه ونحو ذلك .

فتتفق قوة الداعي وتيسر حركة اللسان فيضعف الصبر . ولهذا قال ﷺ لمعاذ : « أمسك عليك لسانك : فقال : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ، فقال : وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد إلسنتهم » .

ولا سيما إذا صارت المعاصي اللسانية معتادة للعبد ، فإنه يعز عليه الصبر عنها ، ولهذا تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار ، ويتورع من استناده إلى وسادة حرير لحظة واحدة ، ويطلق لسانه في الغيبة والنميمة والتفكه في أعراض الخلق .

وربما خص أهل الصلاح والعلم بالله والدين والقول على الله ما لا يعلم ، وكثير ممن تجده يتورع عن الدقائق من الحرام والقطرة من الخمر ومثل رأس الإبرة من النجاسة ، ولا يبالي بارتكاب الفرج الحرام ، والله أعلم وصلى الله على محمد .

(فصل) وقال رحمه الله : يُنْذَفَعُ شَرُّ الْحَاسِدِ عَنِ الْمَحْسُودِ بِعَشْرَةِ أَسْبَابٍ :

أَحَدُهُمَا : التَّعَوُّذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ ، وَالتَّحَصُّنُ بِهِ وَاللَّجَأُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَمِيعٌ لِمُسْتَعَاذَتِهِ ، عَلِيمٌ بِمَا يَسْتَعِيدُ مِنْهُ ، وَالسَّمْعُ هُنَا الْمَرَادُ بِهِ ، سَمْعُ الْإِجَابَةِ ، لَا السَّمْعُ الْعَامِ ، فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ : ﴿ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ﴾ وَقَوْلِ

الخليل ﷺ : (إن ربي لسميع الدعاء) ومرة يقرنه بالعلم ، ومرة بالبصر ، لإقتضاء حال المستعيز ذلك .

فإنه يستعيز به من عدو يعلم أن الله يراه ، ويعلم كيده وشره ، فأخبر الله تعالى هذا المستعيز أنه سميع لإستعاذته ، أي مجيب عليم بكيد عدوه ، يراه ويبصره ، ليبسط أمل المستعيز ، ويقبل بقلبه على الدعاء .

السبب الثاني : تقوى الله ، وحفظه عند أمره ونهيه ، فمن أتقى الله تولى الله حفظه ، ولم يكله إلى غيره ، قال تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ وقال النبي ﷺ لعبدالله بن عباس : « أحفظ الله يحفظك ، واحفظ الله تجده تجاهك » فمن حفظ الله حفظه الله ، ووجده أمامه أينما توجه ، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف ومن يحذر .

السبب الثالث : الصبر على عدوه ، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلا . فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه ولا يستطل تأخيريه وبغيه . فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جندا وقوة للمبغى عليه المحسود يقاتل به الباغي نفسه . وهو لا يشعر . فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه .

ولو رأى المبغى عليه ذلك لسره بغيه عليه . ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي ، دون آخره ومآله . وقد قال تعالى : ﴿ ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ﴾ فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولا .

فكيف بمن لم يستوف شيئا من حقه ، بل بغى عليه وهو صابر ، وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم . وقد سبقت سنة الله : « أنه لو بغى جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكا » .

السبب الرابع : التوكل على الله . فمن يتوكل على الله فهو حسبه والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم . وهو أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبه ، أي كافيته .

ومن كان الله كافيته وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه . ولا يضره إلا أذى لا بد منه . كالحر والبرد والجوع والعطش . وإما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدا . وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه واضرار بنفسه . وبين الضرر الذي يتشفى به منه .

قال بعض السلف : جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه ، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال ، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه ، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجا من ذلك ، وكفاه ونصره .

السبب الخامس : فراغ القلب من الإشتغال به والفكر فيه ، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له ، فلا يلتفت إليه ، ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه . وهذا من أنفع الأدوية ، وأقوى الأسباب المعينة على إندفاع شره ، فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه .

فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه بل إنعزل عنه لم يقدر عليه . فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر ، وهكذا الأرواح سواء . فإذا علق روحه وشبثها به وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظة ومناما ، لا يفتر عنه ، وهو يتمنى أن تماسك الروحان ويتشبثا .

فإذا تعلق روح كل منهما بالأخرى عدم القرار ، ودام الشر ، حتى يهلك أحدهما ، فإذا جذب روحه منه وصانها عن الفكر فيه والتعلق به ، وأن لا يخطره بباله . فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر ، والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به ، بقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضا .

فإن الحاسد كالنار ، فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضا . وهذا باب عظيم النفع لا يلقاه إلا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العلية ، وبين الكيس الفطن وبينه حتى يذوق حلاوته وطيبه ونعيمه كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح اشتغاله بعدوه ، وتعلق روحه به ، ولا يرى شيئا ألم لروحه من ذلك .

ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة ، التي رضيت بوكالة الله لها ، وسكنت إليه ، واطمأنت به ، وعلمت أن ضمانه حق ، ووعدته صدق ، وأنه لا أوفى بعهده من الله ، ولا أصدق منه قيلا ، فعلمت أن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم ، وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها ، أو نصر مخلوق مثلها لها ، ولا يقوى على هذا إلا بالسبب السادس .

وهو الإقبال على الله ، والإخلاص له ، وجعل محبته ورضاه والإجابة إليه في محل خواطر نفسه ، وأمانيتها تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئا فشيئا ، حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية .

فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلها في محاب الرب ، والتقرب إليه وتمليقه وترضيه ، واستعطافه وذكره ، كما يذكر المحب التام المحبة محبوبه المحسن إليه الذي قد إمتلأت جوانحه من حبه . فلا يستطيع قلبه إنصرافاً عن ذكره ، ولا روحه إنصرافاً عن محبته .

فإذا صار كذلك فكيف يرضى لنفسه أن يجعل بيت أفكاره وقلبه معمورا بالفكر في حاسده والباغي عليه ، والطريق إلى الانتقام منه ، والتدبير عليه . هذا ما لا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة الله واجلاله وطلب مرضاته .

بل إذا مسه طيف من ذلك واجتاز ببابه من خارجه ، ناداه حرس قلبه : اياك وحمى الملك . إذهب إلى بيوت الخانات التي كل من جاء حل فيها ، ونزل بها . مالك وليت السلطان الذي أقام عليه اليزك وأدار عليه الحرس ، وأحاطه بالسور .

قال تعالى حكاية عن عدوه إبليس : أنه قال ؛ ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ فقال تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ وقال : ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ وقال في حق الصديق يوسف عليه السلام : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ .

فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن . وصار داخل اليزك ، لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصن به ولا ضيعة على من آوى إليه ، ولا مطمع للعدو في الدنو إليه منه . ﴿ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

السبب السابع : تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه . فإن الله تعالى يقول : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ وقال خير الخلق وهم أصحاب نبيه عليه السلام : ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ﴾ .

فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه ، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها . وما ينسأه مما عمله أضعاف ما يذكره . وفي الدعاء المشهور : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم . واستغفرك مما لا أعلم .

فما يحتاج العبد إلى الإستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه . فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب ولقي بعض السلف رجل فأغلظ له ونال منه ، فقال له : قف حتى أدخل البيت ، ثم أخرج إليك . ودخل فسجد لله وتضرع إليه وتاب وأناب إلى ربه .

ثم خرج إليه فقال له : ما صنعت فقال : تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به علي . فليس للعبد إذا بغى عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح .

وعلامة سعادته : : أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه ، فيشتغل بها وباصلاحها وبالتوبة منها . فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به ، بل يتولى هو التوبة واصلاح عيوبه ، والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولا بد .

فما أسعده من عبد ، وما أبركها من نازلة نزلت به ، وما أحسن أثرها عليه ، ولكن التوفيق والرشد بيد الله . لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع . فما كل أحد يوفق لهذا . لا معرفة به ، ولا ارادة له ، ولا قدرة عليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصل) السبب الثامن : الصدقة والإحسان ما أمكنه ، فان لذلك تأثيراً عجباً في دفع البلاء ، ودفع العين ، وشر الحاسد ، ولو لم يكن في هذا إلا

بتجارب الأمم قديما وحديثا لكفى به . فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق .

وإذا أصابه شيء من ذلك كان معاملا فيه باللطف والمعونة والتأييد وكانت له فيه العافية الحميدة . فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته ، عليه من الله جنة واقية ، وحصن حصين .

والجملة : فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببا لزوالها . ومن أقوى الأسباب : حسد الحاسد والعائن ، فإنه لا يفترو ولا يني ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود فحينئذ يبرد أنينه ، وتنطفئ ناره ، لا أطفأها الله .

فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها ، ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله ، وهو كفران النعمة . وهو باب إلى كفران المنعم .

فالمحسن المتصدق يستخدم جنداً وعسكرياً يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه . فمن لم يكن له جند ولا عسكري ، وله عدو ، فانه يوشك أن يظفر به عدوه ، وإن تأخرت مدة الظفر ، والله المستعان .

السبب التاسع : وهو من أصعب الأسباب على النفس وشقها عليها ، ولا يوفق لها إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه ، فكلما ازداد أذى وشرا وبغيا وحسدا ، ازدادت إليه إحسانا ، وله نصيحة ، وعليه شفقة .

وما أظنك تصدق بأن هذا يكون ، فضلا عن أن تتعاطاه ، فاسمع الآن قوله عز وجل ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما

يلقاها إلا ذو حظ عظيم ، وإما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله إنه هو السميع العليم ﴿ ١٠٠ ٠

وقال : ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وتأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه . فجعل يسلك الدم عنه ويقول : ﴿ اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ﴾ كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان ، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه .

أحدها : عفوه عنهم ، الثاني : استغفاره لهم ، والثالث : اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون ، والرابع : استعطافه لهم بإضافتهم إليه ، « اغفر لقومي » كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به ، هذا ولدي ، هذا غلامي ، هذا صاحبي ، فهبه لي . واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس ، ويطيبه إليها وينعمها به .

إعلم أن لك ذنوبا بينك وبين الله ، تخاف عواقبها ، وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك ، ومع هذا لا يقتصِر على مجرد العفو والمسامحة ، حتى ينعم عليك ويكرمك ، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله .

فإذا كنت ترجو هذا من ربك ، وتحب أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه ، وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله تلك المعاملة .

فإن الجزاء من حسن العمل فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاقا ، فانتقم بعد ذلك أو أعف ، وأحسن أو أترك ، فكما تدين تدان وكما تفعل معه يفعل معك .

فمن تصور هذا المعنى ، وشغل به فكره ، هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه ، وهذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة ، كما قال النبي ﷺ للذي شكى إليه قرابته ، وأنه يحسن إليهم ، وهم يسيئون إليه فقال : « لا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك » .

هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه ويصيرون كلهم معه على خصمه فإن كل من سمع إنه محسن إلى ذلك الغير ، وهو مسيء إليه وجد قلبه ودعائه وهمته مع المحسن على المسيء وذلك امر فطري ، فطر الله عليه عباده ، فهو بذلك الإحسان قد استخدم عسكرياً لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يريدون منه اقطاعاً ولا خيراً .

هذا مع أنه لا بد له من عدوه وحاسده من احدى حالتين : إما أن يملكه بإحسانه ، فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى الناس إليه . وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره ، إن أقام على إساءته إليه ، فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه .

ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة ، والله الموفق والمعين ، بيده الخير كله ، لا إله غيره ، وهو المسؤول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمنه وكرمه وفي الجملة ففي هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مائة منفعة للعبد عاجلة وآجلة .

السبب العاشر : وهو الجامع لذلك كله ، وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد ، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم ، والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح وهي بيد محركها ، وفاطرها وبارئها ، ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه .

فهو الذي يحسن عبده بها ، وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ يَرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ ﴾ .

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنه « واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك » .

فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيدِهِ ، وإلا فلو جرد توحيدِهِ لكان له فيه شغل شاغل والله يتولى حفظه والدفع عنه ، ولا بد وإن مزج مزج له وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة .

كما قال بعض السلف : من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جُمْلَةً وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ بِكَلِيَّتِهِ أَعْرَضَ عَنْهُ جُمْلَةً وَمَنْ كَانَ مَرَّةً وَمَرَّةً فَاللَّهُ مَرَّةً وَمَرَّةً . فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الأمنين .

قال بعض السلف : من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء .

هذه عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر ، وليس له أنفع من التوجه إلى الله وإقباله عليه ، وتوكله عليه ، وثقته به ، وأن لا يخاف معه غيره ، بل يكون خوفه منه وحده ، ولا يرجو سواه ، بل يرجوه وحده .

فلا يعلق قلبه بغيره ، ولا يستغيث بسواه ، ولا يرجو إلا إياه ، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وكل إليه وخذل من جهته ، فمن خاف شيئاً غير الله سلط عليه ومن رجا شيئاً سوى الله خذل من جهته وحرّم غيره ، وهذه سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

شعرا :

أَرَى الصَّبْرَ مُحْمُوداً وَعَنْهُ مُذَاهِبٌ
فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبٌ
هُنَاكَ يَحِقُّ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ
وَمَا كَانَ مِنْهُ لِلضَّرُورَةِ أُوجِبُ
هُوَ الْمَهْرَبُ الْمُنْجِي لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ
مَكَّارُهُ دَهْرٌ لَيْسَ مِنْهُمْ مَهْرَبُ
أَعْدُ حَلَالاً فِيهِ لَيْسَ لِعَاقِلٍ
مِنَ النَّاسِ إِنْ أَنْصَفْنَ عَنْهُمْ مَرْغَبُ
لَبُوسُ جَمَالٍ جُنَّةٌ مِنْ شَمَاتَةٍ
شِفَاءُ أَسَى يُثْنَى بِهِ وَيُثَوِّبُ
فِيَا عَجَباً لِلشَّيْءِ هَذَا خِلَالُهُ
وَتَارِكُ مَا فِيهِ مِنَ الْحَظِّ أَعْجَبُ

آخر :

اصْبِرْ فِي الصَّبْرِ خَيْرٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ
لَكُنْتَ بَارَكْتَ شُكْرًا صَاحِبَ النِّعَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ لَمْ تَصْطَبِرْ كَرَمًا
صَبَرْتَ قَهْرًا عَلَى مَا خُطَّ فِي الْقَلَمِ

آخر :

صَبَرْتُ عَلَى بَعْضِ الْأَذَى خَوْفَ كُلِّهِ
وَالزَّمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَقَرَّتْ

وَجَرَّعْتُهَا الْمَكْرُوهَ حَتَّى تَدْرَبَتْ
وَلَوْ حُمِلَتْهُ جُمْلَةً لَأَشْمَأَزَتْ
فَيَا رَبِّ عِزِّ جَرٍّ لِلنَّفْسِ ذِلَّةٌ
وَيَا رَبِّ نَفْسٍ بِالتَّذَلُّلِ عَزَّةٌ
وَمَا الْعِزُّ إِلَّا خِيفَةُ اللَّهِ وَخُدَّةُ
وَمَنْ خَافَ مِنْهُ خَافَهُ مَا أَقَلَّتِ
وَمَا صِدْقَ نَفْسِي إِنَّ فِي الصِّدْقِ حَاجَتِي
فَأَرْضَى بِذُنُوبِي وَإِنْ هِيَ قَلَّتِ
وَأُهْجِرُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ فَإِنِّي
أَرَى الْجِرْصَ جَلَابًا لِكُلِّ مَذَلَّةٍ
إِذَا مَا مَدَدْتُ الْكَفَّ التَّمِسُ الْغِنَى
إِلَى غَيْرِ مَنْ قَالَ اسْأَلُونِي فَشُلَّتِ
إِذَا طَرَقْتَنِي الْحَادِثَاتُ بِنَكْبَةٍ
تَذَكَّرْتُ مَا عُرِفْتُ مِنْهُ فَقَلَّتِ
وَمَا نَكْبَةٌ إِلَّا وَلِلَّهِ مِنْهُ
إِذَا قَابَلْتُهَا أُدْبِرْتُ وَاضْمَحَلَّتِ

اللهم باعد بيننا وبين خطايانا كما باعدت بين المشرق والمغرب
ونقنا من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .
واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصل)

وَكَمَا وَرَدَ فِي مَذْحِ الصَّبْرِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ آيَاتٌ ، ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْهَا فَكَذَلِكَ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ نَذْكُرُ إِنْشَاءَ اللَّهِ طَرَفًا مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ أَنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وعن أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ ، رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ متفق عليه . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةُ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وعن مِصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلْبًا أَشَدَّ بَلَاءُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ فِي الْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتي يلقي الله ما عليه خطيئة » وقال أبو هريرة دخل أعرابي على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ أخذتك أم مُلِّدِم قال وما أم مُلِّدِم قال حر يكون بين الجلد واللحم قال ما وجدت هذا قط قال فهل أخذك الصداق قال وما الصداق قال عرق يضرب على الإنسان في رأسه قال ما وجدت هذا قط فلما ولي قال « من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا » رواه أحمد .

وعن جابر قال أَسْتَأْذَنَتِ الْحُمَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مَنْ هَذِهِ قَالَتْ أُمُّ مَلْدَمَ فَأَمَرَهَا إِلَى أَهْلِ قُبَاءَ فَلَقُوا مِنْهَا مَا يَعْلَمُ اللَّهُ فَأَتَوْهُ فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ قَالَ

ما شِئْتُمْ إِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَدْعُو اللَّهَ لَكُمْ فَيَكْشِفُهَا عَنْكُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ طُهْرًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَفْعَلْ قَالَ نَعَمْ قَالُوا فَدَعُوهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

شعرا :

تَطْرُقُ أَهْلَ الْفَضْلِ دُونَ الْوَرَى مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَأَفَاتُهَا
كَالطَّيْرِ لَا يُسْجَنُ مِنْ بَيْنَهَا إِلَّا الَّتِي تُطْرِبُ أَصْوَاتُهَا
ولابن حبان في صحيحه من رواية العلاء بن المسيب عن أبيه عن
سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أشدَّ بلاءً قال
الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الناس على حسب دينهم ، فمن ثخن
دينه اشتدَّ بلاءؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاءؤه ، وإنَّ الرجل ليصيبه
البلاء حتى يمشي في الناس وما عليه خطيئة .

وعن أبي سعيد أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وهو
مَوْعُوكٌ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ فَوَضَعَ يَدَهُ فَوْقَ الْقَطِيفَةِ ، فَقَالَ مَا أَشَدَّ حُمَاكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، قَالَ إِنَّا كَذَلِكَ يُشَدُّ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ وَيُضَاعَفُ لَنَا الْأَجْرُ .

ثم قال يا رسول الله من أشدَّ الناس بلاءً قال الأنبياء ، قال ثم من
قال العلماء ، قال ثم من قال الصالحون كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى
يقتله ويبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها ، ولا أحدهم
كان أشدَّ فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا
والحاكم واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إنَّ الرجلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ فَمَا يَزَالُ
يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ إِيَّاهَا رواه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه من
طريقة وغيرهما .

وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده وكانت له صحبة من رسول

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ، إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنَزِلَةٌ فَلَمْ يَتْلُغْهَا بِعَمَلٍ ابْتِلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ ، أَوْ مَالِهِ ، أَوْ فِي وَلَدِهِ ، ثُمَّ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَتْلُغَهُ الْمَنَزِلَةُ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، رواه أحمد أبو داود وأبو يعلى والطبراني في الكبير والوسط .

وروي فيه أيضاً عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليَجَرِّبَ أَحَدَكُمْ بِالْبَلَاءِ كَمَا يُجَرِّبُ أَحَدُكُمْ ذَهَبَهُ بِالنَّارِ ، فَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ فَذَلِكَ الَّذِي حَمَاهُ اللَّهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ دُونَ ذَلِكَ فَذَلِكَ الَّذِي يَشُكُّ بَعْضُ الشَّكِّ وَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الْأَسْوَدِ فَذَلِكَ الَّذِي افْتَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ كُلُّنَا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ قَدْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ، وَبِالْكُفْبَةِ قِبْلَةً وَبِالْمُؤْمِنِينَ إِخْوَانًا وَتَبَرَأْنَا مِنْ كُلِّ دِينٍ يُخَالِفُ دِينَ الْإِسْلَامِ ، وَآمَنَّا بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ ، وَبِكُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ ، وَبِمَلَائِكَةِ اللَّهِ ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ اللَّهِ ، عَلَى ذَلِكَ نَحْيًا ، وَعَلَيْهِ نَمُوتُ ، وَعَلَيْهِ نُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْآمِنِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ .

ثم اعلموا معاشر الإخوان إنه من رضي بالله رباً لزمه أن يرضى بتدبيره ، واختياره له ، وبمقرضائه ، وأن يقنع بما قسم له من الرزق ، وأن يداوم على طاعته ، ويحافظ على فرائضه ، ويجتنب محارمه ، ويكون صابراً عند بلائه ، موظناً نفسه على ما يصيبه من الشدائد ، بعيداً

كُلُّ الْبُعْدِ عَنْ نَارِ الْجَزَعِ ، الَّتِي تَتَأَجَّجُ فِي قَلْبِ كُلِّ امْرِئٍ يَجْهَلُ بَارِئَهُ وَمَوْلَاهُ .

فَإِنْ رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْأَخُ تُرِيدُ أَنْ تَجْزَعَ عِنْدَ مُلِمَّةٍ ، فَقِفْ أَمَامَهَا مَوْقِفَ النَّاصِحِ الْقَدِيرِ ، أَفْهَمَهَا أَنَّهَا هِيَ السَّبَبُ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ بَلَاءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ .

وَإِنْ لَمْ تُصَدِّقْ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ فَإِنَّهَا إِذَا سَمِعَتْ ذَلِكَ وَجَّهَتْ اللَّوْمَ إِلَى نَفْسِهَا عَلَى مَعَاصِيهَا ، وَهَدَّاتُ مِنْهَا الثُّورَةَ الثَّقِيلَةَ .

وَأَفْهَمَهَا أَنْ لَيْسَ بَيْنَهَا وَلَا بَيْنَ رَبِّهَا عَدَاوَةٌ ، فَإِنَّهُ بِعِبَادِهِ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ ، وَأَفْهَمَهَا أَنَّ الْبَلَايَا قَدْ تَلَزَمَ الْعَبْدَ حَتَّى يُصْبِحَ مَغْفُورَةً ذُنُوبُهُ كُلُّهَا ، صَغِيرُهَا ، وَالْكَبِيرُ ، وَأَفْهَمَهَا أَنْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْبَلَايَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَمْنٍ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبْ مِنْهُ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ الْحَدِيثُ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، أَفْهَمَ نَفْسَكَ كُلَّ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهَا آلامَ الْبَلَايَا ، وَرُبَّمَا جَعَلَهَا مِنَ الْمَحْبُوبَاتِ .

وَأَفْهَمَهَا أَنَّ اللَّهَ وَعَدَ الصَّابِرِينَ أَنَّ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ
وَأَفْهَمَهَا أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ فِي كُلِّ تَصَرُّفَاتِهِ ، وَقُلْ لَهَا إِنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ مَا
نَزَلَ مِنَ الْبَلَاءِ أَبَدًا ، بَلْ مَا دَبَّرَهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ فَلَا فَائِدَةَ
فِي الْجَزَعِ وَالْحُزَنِ ، وَقُلْ إِنَّ عَاقِبَةَ الْجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ النَّارُ ، وَعَاقِبَةُ
الصَّبْرِ وَالرِّضَا بِمَا قَضَاهُ اللَّهُ الْجَنَّةُ .

وَقُلْ إِنْ شَمَاتَ الْأَعْدَاءُ فِي الْجَزَعِ ، وَغَيِظُوهُمْ فِي الصَّبْرِ ، الَّذِي
يَتَأَكَّدُ لَزُومُهُ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ .

وَتَأَكَّدُ وَاطْمَئِنَّ أَنَّهَا إِذَا سَمِعَتْ مِنْكَ كُلَّ ذَلِكَ رَضِيَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ كُلَّ
الرِّضَا ، وَلَزِمَتْ الْأَدَابَ ، فَتَعِيشُ كُلَّ حَيَاتِهَا تَرَوْحُ وَتَغْتَدِي فِي جَنَّةٍ
رِضَاهَا ، مَهْمَا بَرَحَتْ بِهَا الْبَلَايَا وَالْأَوْصَابُ ، وَبِذَلِكَ مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى
تَجْمَعُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهَكَذَا تَكُونُ عَوَاقِبُ الصَّابِرِينَ الْأَبْطَالِ .
شعرا :

وَأَصْبَحْتُ فِيمَا كُنْتُ أَبْغِي مِنَ الْغِنَا
إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا الدُّنْيَا أَحْوَجَا
وَحَبَسْتُ نَفْسِي بَيْنَ بَيْتِي وَمَسْجِدِي
وَقَدْ صِرْتُ مِثْلَ النَّسْرِ أَهْوَى التَّعَرُّجَا
آخر : مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ فِي الدُّنْيَا وَأَجْمَلَهُ
عِنْدَ الْإِلَهِ وَأُنْجَاهُ مِنَ الْجَزَعِ
مَنْ شَدَّ بِالصَّبْرِ كَفَاءً عِنْدَ مُؤَلَّةِ
أَلَوْتُ يَدَاهُ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَطِعِ

اللهم نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَيَسِّرْ أُمُورَنَا وَأَحْسِنْ مَنَاقِبَنَا وَأَيِّدْنَا
بِرَوْحِ مِنْكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ وَثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الآخرة واغفر لنا ذنوبنا واستر عُيُوبَنَا واكْشِفْ كُرُوبَنَا وَأَصْلَحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَأَلِّفْ
فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ بَيْنَ قُلُوبِنَا واغفر لنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

وَيَكْفِي فِي مَدْحِ الصَّبْرِ وَشَرَفِهِ وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ وَأَنَّهُ لَا يَنَالُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ
اللَّهُ ، أَنَّ الصَّبْرَ طَرِيقَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، فَقَدْ قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصْفُوهَ خَلْقِهِ .

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى
أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ أُرْسِلَهُ إِلَى أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ لَأَقَى أَدَى وَأَلْمَا
مِنْ قَوْمِهِ وَتَكْذِيبًا ، وَقَالَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيرًا وَمُسَلِّيًا
﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ الْآيَةُ .

أَلَا وَإِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ فِي تَعْرِيطِ صَفْوَةِ خَلْقِهِ لِهَذِهِ الْمَكَارِهِ
وَالْأَذَايَا ، وَفِي أَمْرِهِمْ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا إِنْهَا مَأْ لِيَخْلِقَهُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ
وَإِخْتِبَارٍ ، لَا دَارُ مَقَامٍ وَلَذَّةٍ ، وَاسْتِقْرَارٍ ، وَأَنَّهَا مَحْدُودَةٌ الْأَجَلِ ، مَقْصُودٌ
مِنْهَا صَالِحُ الْعَمَلِ .

فَانْظُرْ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْأَلَامِ وَالْأَخْزَانِ أَخْرَجَهُ
اللَّهُ بِفِتْنَةِ إِبْلِيسَ مِنْ جَنَّتِهِ ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ لِيَعْمَرَهَا هُوَ وَأَبْنَاؤُهُ ،
وَهِيَ دَارُ الْعَنَاءِ وَالْفَنَاءِ وَذَاقَ تِكْلَ وَلَدِهِ هَابِيلَ بِاعْتِدَاءِ أَخِيهِ عَلَيْهِ قَابِيلَ .

وَانْظُرْ أَوَّلَ رَسُولٍ أُرْسِلَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ نُوحٍ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا

أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَقَدْ مَكَثَ يَدْعُو قَوْمَهُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا
(٩٥٠) وَهُمْ يَهْزَوْنَ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُ يَدْعُوهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا سِرًّا وَجَهَارًا وَلَمْ
يَتَوَانَا وَلَمْ يَضْجَرْ وَلَمْ يَمَلَّ بَلْ وَاصَلَ الْجُحُودَ النَّبِيلَةَ الْخَالِصَةَ الْكَرِيمَةَ بِلَا
مَصْلَحَةٍ لَهُ وَلَا مَنَفَعَةٍ مِنْهُمْ .

وَيَحْتَمِلُ فِي سَبِيلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْاسْتِكْبَارَ وَالْإِعْرَاضَ ، هَذِهِ الْمُدَّةُ
الطَّوِيلَةُ وَالْمُسْتَجِيبُونَ لَا يَزِيدُونَ ، وَالْمُعْرِضُونَ فِي زِيَادَةٍ ، وَلَمَّا أُيسَ مِنْ
إِيمَانِهِمْ أُمِرَ أَنْ يَصْنَعَ الْفُلْكَ فَكَانُوا إِذَا مَرُّوا عَلَيْهِ ضَحِكُوا مِنْهُ وَسَخِرُوا
وَقَالُوا كَانَ بِالْأَمْسِ نَبِيًّا وَالْيَوْمَ نَجَارًا وَلَا يَزِيدُ مِنْ جَوَابِهِ عَلَى أَنْ يَقُولَ
﴿ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ .

وَزَادَ بَلَاؤُهُ أَنْ أُغْرِقَ ابْنُهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ إِنْقَادًا إِذْ قَدْ
غَلَبَ عَلَى الْإِبْنِ الشَّقَاءُ فَتَنَاجَى رَبَّهُ نُوحٌ فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ
أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ .

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى شَيْخِ الْمُرْسَلِينَ وَجَدِّ الْمُسْلِمِينَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَمَا تَجَرَّعَ مِنَ الْغُصَصِ وَالْآلَامِ فَقَدْ جَدَّ فِي دَعْوَةِ أَبِيهِ إِلَى التَّوْحِيدِ
حَتَّى هَدَّدَهُ أَبُوهُ بِالرَّجْمِ وَالتَّعْذِيبِ وَقَوْمُهُ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ثُمَّ مَا جَرَى
عَلَيْهِ حِينَ أُمِرَ بِذَبْحِ ابْنِهِ فَأَقْدَمَ عَلَى ذَلِكَ .

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى مُوسَى وَمَا جَرَى عَلَيْهِ وَمَا لَاقَى فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ وَآخِرِهِ
مَعَ فِرْعَوْنَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَوْمِهِ ثُمَّ انْظُرْ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا لَقِيَهُ مِنْ
قَذْفِ أُمَّهِ وَقَذْفِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَاضْطِهَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمَهُ حَتَّى اتَّمَرُوا
عَلَى صَلْبِهِ .

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ قَوْمِهِ الْمُنْحَرِفِينَ
الشَّاذِينَ الْمُسْتَهْتِرِينَ بِالنُّذُرِ قَالَ تَعَالَى ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
إِئْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ الْآيَةَ فَصَبَرَ إِلَى أَنْ نَصَرَهُ اللَّهُ وَأَرْسَلَ عَلَى قَوْمِهِ حَاصِبًا
وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ
النَّصِيرِ .

شِعْرًا :

إِنَّ الْحَيَاةَ مَنَامٌ وَالْمَالُ بِنَا
إِلَى اتِّبَاهٍ وَآتٍ مِثْلُ مُنْعَدِمٍ
وَنَحْنُ فِي سَفَرٍ تَمْضِي إِلَى حُفَرٍ
فَكُلُّ آتٍ لَنَا قُرْبٌ مِنَ الْعَدَمِ
وَالْمَوْتُ يَشْمَلُنَا وَالْحَشْرُ يَجْمَعُنَا
وَبِالتَّقَى الْفَخْرُ لَا بِالْمَالِ وَالْحَشَمِ
صُنْ بِالتَّعَفُّفِ عِزُّ النَّفْسِ مُجْتَهِدًا
فَالنَّفْسُ أَعْلَى مِنَ الدُّنْيَا لِلَّذِي الْهَمَمِ
وَاعْضُضْ عُيُونَكَ عَنْ عَيْبِ الْأَنَامِ وَكُنْ
بِعَيْبِ نَفْسِكَ مَشْغُولًا عَنْ الْأَمَمِ
فَإِنَّ عَيْبَكَ تَبْدُو فِيكَ وَضَمَّتُهُ
وَأَنْتَ مِنْ غَيْبِهِمْ خَالٍ مِنَ الْوَصَمِ

جَازِي الْمُسِيءِ بِأَحْسَانٍ لِيَتَمْلِكُهُ
 وَكُنْ كَعُودٍ يَفُوحُ الطُّيْبُ فِي الضُّرَمِ
 وَمَنْ تَطَلَّبَ خِلَا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ
 يَكُنْ كَطَالِبٍ مَاءٍ مِنْ لَظَى الْفَحْمِ
 وَقَدْ سَمِعْنَا حِكَايَاتِ الصُّدِيقِ وَلَمْ
 نَخْلُهُ إِلَّا خَيْالًا كَانَ فِي الْحُلْمِ
 إِنَّ الْإِقَامَةَ فِي أَرْضٍ تُظَامُ بِهَا ،
 وَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ ذُلٌّ فَلَا تُقِمُ
 وَلَا كَمَالٌ بِدَارٍ لَا بَقَاءَ لَهَا
 فَيَالَهَا قِسْمَةً مِنْ أَعْظَمِ الْقِسَمِ
 دَارٌ حَلَاوَتُهَا لِلْجَاهِلِينَ بِهَا
 وَمُرَّتُهَا لِذَوِي الْأَلْبَابِ وَالْهِمَمِ
 أَبْغِي الْخَلَاصَ وَمَا أَخْلَصْتُ فِي عَمَلٍ
 أَرْجُو النُّجَاةَ وَمَا نَاجَيْتُ فِي الظُّلَمِ
 لَكِنْ لِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ يُؤْنِسُنِي
 وَحُسْنُ ظَنٍّ بِهِ ذَا الْجُودِ وَالْكَرَمِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا ، اللَّهُمَّ الْهِمَّنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ
 وَارْزُقْنَا مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَهَجْرَانَهُمْ وَالْإِبْتِعَادَ عَنْهُمْ وَاعْفُ رُفْنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى خَطِيبِ الْأَنْبِيَاءِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا لَاقَى مِنْ قَوْمِهِ الْمَثْمُودِينَ عَلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ، قُطَّاعِ الطُّرُقِ ، الظَّالِمَةُ الَّذِينَ يَفْتِنُونَ النَّاسَ عَنْ دِينِهِمْ ، وَيَصُدُّونَهُمْ ، الْمُقَاتِلِينَ لِمَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ بِالْقُسْوَةِ وَالْغِلْظَةِ ، حَيْثُ يَقُولُونَ ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ ﴾ الْآيَةَ .

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حِينَ دَعَا قَوْمَهُ ، وَمَا قَابَلُوهُ بِهِ حِينَ جَاءَ بِالْبَيِّنَةِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِ ، فَيَعْتَدُونَ عَلَيْهَا وَيَتَحَدَّوْنَهُ بِاسْتِعْجَالِ الْعَذَابِ .

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاتِّهَامِ قَوْمِهِ لَهُ بِالسَّفَاهَةِ وَالْكَذِبِ بِمَا تَرَوْنَ مِنْهُمْ وَلَا تَذُبُّ وَلَا دَلِيلَ ، وَأَخِيرًا يَتَحَدَّوْنَهُ بِالْعَذَابِ .

وَانْظُرْ إِلَى يُونُسَ ، وَمَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ ، حَتَّى ضَاقَ صَدْرُهُ بِتَكْذِيبِ قَوْمِهِ ، فَأَنْذَرَهُمْ بِعَذَابٍ قَرِيبٍ ، وَغَادَرَهُمْ مُغْضِبًا أَبْقَا فَقَادَهُ الْغَضَبُ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، حَيْثُ رَكِبَ سَفِينَةً مَشْحُونَةً وَفِي وَسْطِ لُجَّةِ الْبَحْرِ نَاوَأَتْهَا الرِّيَّاحُ وَالْأَمْوَاجُ وَأَشْرَفَتْ عَلَى الْغَرَقِ ، فَسَاهَمُوا عَلَى أَنْ مَنْ تَقَعَ الْقُرْعَةُ عَلَيْهِ يُلْقَى فِي الْبَحْرِ لِتَخِفَّ السَّفِينَةُ فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونُسَ نَبِيِّ اللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُمْ يَبْخُلُونَ بِهِ أَنْ يُلْقَى مِنْ بَيْنِهِمْ .

فَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ لِيُلْقَى نَفْسُهُ وَهُمْ يَأْبُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى حُوتًا مِنَ الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ أَنْ يَشُقَّ الْبَحَارَ وَأَنْ يَلْتَقِمَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَا يَهْشِمَ لَهُ لَحْمًا وَلَا يَكْسِرَ لَهُ عَظْمًا فَجَاءَ ذَلِكَ الْحُوتُ وَالْقَى يُونُسُ نَفْسَهُ ، فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَذَهَبَ بِهِ .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ يُونُسُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ حَسِبَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ حَرَّكَ رَأْسَهُ وَرَجَلَيْهِ ، وَأَطْرَافَهُ ، فَإِذَا هُوَ حَيٌّ فَقَامَ فَصَلَّى فِي بَطْنِ الْحُوتِ ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ دُعَائِهِ يَا رَبِّ اتَّخَذْتُ لَكَ مَسْجِدًا فِي مَوْضِعٍ لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، فَهَذَا مِمَّا لَقِيَهِ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ذَكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

ثُمَّ إِلَى مَا لَقِيَهِ صَفْوَةُ الْخَلْقِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْمِهِ ، مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْأَسْتِهْزَاءِ ، وَالْإِيذَاءِ فِي نَفْسِهِ ، وَفِي مَنْ يَتَّبِعُهُ مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ ، حَتَّى اتَّمَرُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَهَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ تَارِكًا وَطَنَهُ وَعَشِيرَتَهُ ، وَانْظُرْ مَا لَقِيَهِ فِي حُرُوبِهِمْ ، وَقَدْ جَرَحُوهُ ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ حَتَّى سَالَ دَمُهُ .

إِذَا نَظَرْتَ إِلَى ذَلِكَ وَإِلَى غَيْرِهِ عَلِمْتَ أَنَّ الدُّنْيَا مَشْحُونَةٌ بِالْمَصَائِبِ وَالْأَنْكَادِ ، وَأَنَّهَا دَارُ مَمَرٍ لَا دَارُ مَقَرٍّ ، وَلَوْ كَانَتْ دَارَ مَقَرٍّ وَاطْمِئْنَانٍ ، لَكَانَ أَوَّلَى بِذَلِكَ رَسُلُ اللَّهِ ، وَأَنْبِيَائُهُ ، وَأَصْفِيَائُهُ فَالْعَاقِلُ مَنْ يَحْرِصُ عَلَى عَقِيدَتِهِ الدِّينِيَّةِ ، كَمَا يَحْرِصُ عَلَى رُوحِهِ فَيُحَصِّنُهَا مِنَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ ، وَيَقُومُ بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَيَتَجَنَّبُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ صَابِرًا عَلَى مَا قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَآيَاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، أَنَّ لِتَسْهِيلِ الْمَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ أَسْبَابُ إِذَا قَارَنْتَ حَزْمًا وَصَادَفْتَ عَزْمًا هَانَ وَقَعُهَا ، وَقَلَّ تَأْثِيرُهَا ، وَضَرَرُهَا عَلَى الدِّينِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ ، بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

فَأَوَّلًا الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمَةُ الَّتِي فِيهَا مَذْخُ الصَّابِرِينَ
وَبِشَارَتِهِمْ وَوَعْدُهُمْ بِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَرَارَةَ الدُّنْيَا هِيَ
بِعَيْنِهَا حَلَاوَةٌ فِي الْآخِرَةِ وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا هِيَ بِعَيْنِهَا مَرَارَةٌ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَئِنْ
يَنْتَقِلَ مِنْ مَرَارَةٍ مُنْقَطِعَةٍ إِلَى حَلَاوَةٍ دَائِمَةٍ خَيْرٌ مِنْ عَكْسِ ذَلِكَ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ
بِالشَّهَوَاتِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الصَّحِيحِ يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ
الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ
خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبُّ .

وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ فِي
الْجَنَّةِ صَبْغَةً فَيُقَالُ لَهُ يَا بَنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ
فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبُّ الْحَدِيثُ .

وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِشْعَارُ النَّفْسِ بِمَا تَعْلَمُهُ مِنْ نُزُولِ الْفَنَاءِ وَتَقْضِي
الْمَسَارِ ، وَأَنَّ لَهَا أَجَالًا مُنْصَرِمَةً وَمُدَدًا مُنْقَضِيَةً ، اذْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا حَالٌ تَدُومُ
وَلَا لِمَخْلُوقٍ عَلَيْهَا بَقَاءٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وَقَالَ
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .

بَنُو الدَّهْرِ مِنْ فَجَعَاتِهِ فِي تَمَرُّقِ
فَكُلُّهُمْ يَغْدُو بِشِلْوٍ مُقَدَّدٍ
وَإِنِّي رَأَيْتُ الدَّهْرَ جَمًّا خُطُوهُ
وَإِنْ لَمْ يُرَوْعْ حَادِثٌ فَكَأَنَّ قَدِ

وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا
إِلَّا كَمَثَلِ رَاكِبٍ مَالَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا .

وَمِنْهَا أَنْ يَتَصَوَّرَ انْجِلَالُ الشَّدَائِدِ وَانْكِشَافُ الْهُمُومِ وَأَنَّ اللَّهَ قَدَرَهَا
بِأَوْقَاتٍ لَا تَنْصَرِمُ قَبْلَهَا وَلَا تَسْتَدِينُ بَعْدَهَا فَلَا تَقْصُرُ تِلْكَ الْأَوْقَاتُ بِجَزَعٍ
وَلَا تَطُولُ بِصَبْرٍ ، وَأَنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِهَا يَذْهَبُ مِنْهَا بِشَطْرٍ وَيَأْخُذُ مِنْهَا
بِنَصِيبٍ حَتَّى تَنْجَلِيَ وَتَنْفَرِجَ وَيَزُولَ مَا كَانَ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْخُطُوبِ .

وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ قِصَصًا تَتَضَمَّنُ وَقُوعَ الْفَرَجِ بَعْدَ
الْكُرْبِ وَالشَّدَّةِ كَمَا قَصَّ نَجَاةَ نُوحٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ مِنَ الْكُرْبِ
الْعَظِيمِ مَعَ اغْرَاقِ سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ .

وَكَمَا قَصَّ نَجَاةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّارِ حِينَ أَلْقَاهُ الْمُشْرِكُونَ
فِي النَّارِ ، وَأَنَّهُ جَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَكَمَا قَصَّ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ مَعَ وَلَدِهِ الَّذِي أَمَرَ بِذَبْحِهِ ، ثُمَّ فَدَاهُ اللَّهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ .

وَكَمَا قَصَّ قِصَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أُمِّهِ لَمَّا أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ حَتَّى
الْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ، وَقِصَّتُهُ مَعَ فِرْعَوْنَ لَمَّا نَجَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُوسَى وَأَغْرَقَ
عَدُوَّهُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ .

وَكَمَا قَصَّ قِصَّةَ أَيُّوبَ وَيُونُسَ وَيَعْقُوبَ ، وَيُوسُفَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
وَقِصَّةَ قَوْمِ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا ، وَكَمَا قَصَّ قِصَصَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَنَصْرِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ بَانْجَائِهِ مِنْهُمْ فِي عِدَّةِ مَوَاطِنَ ، مِثْلَ قِصَّتِهِ فِي
الْغَارِ ، وَقِصَّةِ يَوْمِ بَدْرٍ ، وَيَوْمِ أُحُدٍ ، وَيَوْمِ حُنَيْنٍ .

وَكَمَا قَصَّ اللَّهُ قِصَّةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا فِي حَدِيثِ
الْأَفْكَ وَبَرَّأَهَا مِمَّا رُمِيَ بِهِ ، وَقِصَّةَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ، وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ

مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا .

وَفِي السُّنَّةِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى شَيْءٌ كَثِيرٌ مِثْلُ قِصَّةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا
الْغَارَ ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ ، فَدَعَا اللَّهُ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ ، فَفَرَّجَ
اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَمِثْلُ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ مَعَ الْجَبَّارِ الَّذِي طَلَبَهَا مِنْ إِبْرَاهِيمَ
وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْفَاجِرِ .

وَإِذَا اشْتَدَّ الْكَرْبُ وَعَظُمَ الْخَطْبُ كَانَ الْفَرَجُ قَرِيباً فِي الْغَالِبِ بِإِذْنِ
اللَّهِ قَالَ تَعَالَى ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ
نَصْرُنَا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرُّسُلُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ
أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ .

وَأَخْبَرَ عَنْ يَعْقُوبَ أَنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ مِنْ لِقَاءِ يُوسُفَ وَقَالَ لِإِخْوَاتِهِ اذْهَبُوا
فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ، وَقَالَ عَسَى اللَّهُ أَنْ
يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً ، وَمِنْ لَطَائِفِ اقْتِرَانِ الْفَرَجِ بِاشْتِدَادِ الْكَرْبِ ، أَنْ
الْكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ ، وَعَظُمَ وَتَنَاهَى ، وَجَدَ الْإِيَّاسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ
الْمَخْلُوقِ ، وَوَقَعَ التَّعَلُّقُ بِالْخَالِقِ .

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا
عَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْهَوَاءِ ، وَقَالَ أَلَيْكَ حَاجَةٌ ، فَقَالَ أَمَّا
إِلَيْكَ فَلَا وَأَمَّا إِلَى اللَّهِ فَبَلَى وَالتَّوَكُّلُ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُطَلَّبُ بِهَا
الْحَوَائِجُ .

فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ وَمِنْهَا أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْكَرْبُ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ جِئِشِدَ إِلَى

مُجَاهِدَةَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ يَأْتِيهِ فَيُقْنِطُهُ وَيُسَخِّطُهُ وَمِنْهَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا اسْتَبْطَأَ
الْفَرَجَ وَأَيْسَ مِنْهُ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ كَثْرَةِ دُعَائِهِ وَتَضَرُّعِهِ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرُ الْإِجَابَةِ
رَجَعَ عَلَى نَفْسِهِ بِاللَّائِمَةِ وَيَقُولُ لَهَا إِنَّمَا أُتِيتُ مِنْ قِبَلِكَ وَلَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ
لَأُجِبْتَ وَهَذَا اللَّوْمُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ أَهـ .

شِعْرًا :

إِذَا اشْتَمَلْتُ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ
وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصُّدْرُ الرَّجِيبُ
وَأَوْطَأْتُ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأْنَنْتُ
وَأَرَسْتُ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لَانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا
وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثُ
يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ
فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ

آخِرُ :

وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ
يَدِيقُ خَفَاءً عَنْ فَهْمِ الذُّكِيِّ
وَكَمْ يُسِرُّ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرِ
وَفَرَجَ لَوَعَةَ الْقَلْبِ الشَّجِيِّ

وَكَمْ هُمْ تُسَاءُ بِهِ صَبَاحاً
فَتَعْقُبُهُ الْمَسْرَةُ بِالْعَشِيِّ
إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ يَوْماً
فَثِقْ بِالْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْعَلِيِّ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَمِنْهَا أَنْ يَتَسَلَّى بِذَوِي الْغَيْرِ ، وَيَتَسَلَّى بِأُولِي الْعَبَرِ ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُمْ
الْأَكْثَرُونَ عَدَدًا وَالْأَسْرَعُونَ مَدَدًا فَيَسْتَجِدُّ مِنْ سَلْوَةِ الْأَسَى وَحُسْنِ الْعَزَاءِ
إِلَى مَا يُخَفِّفُ حُزْنَهُ وَيُقَلِّلُ هَلَعَهُ وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصَّقُوا بِذَوِي
الْغَيْرِ تَتَسَّعَ قُلُوبُكُمْ أَيُّ الَّذِينَ تَتَّقِلُ أَحْوَالُهُمْ إِذْ يَتَسَلَّى مُرْقِعُ الْخُفِّ بِالذِّبْيِ
مُخَرَّقِ خُفِّهِ وَيَتَسَلَّى مُخَرَّقُ الْخُفِّ بِالْحَاسِرِ الَّذِي لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَيَتَسَلَّى
الَّذِي لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ بِالْأَعْرَجِ ، وَالْأَعْرَجُ بِالْأَقْطَعِ ، وَهَكَذَا كُلُّ يَتَسَلَّى
بِمَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ فِي الْمَصِيبَةِ .

وَالدُّنْيَا إِذَا تَأَمَّلَهَا اللَّيْبُ وَجَدَهَا كُلُّهَا مَتَاعِبَ وَبَلَايَا وَمَصَائِبَ وَقَدْ
أَبْحَاطَتْ بِالنَّاسِ مِنْ رُؤُسِهِمْ إِلَى أَقْدَامِهِمْ ، فَتَرَى هَذَا مُصَاباً بِالْعِلَلِ
وَالْأَسْقَامِ كُلِّمَا بَرِيَءٌ مِنْ عِلَّةٍ أَصَابَتْهُ عِلَّةٌ أُخْرَى ، وَكُلِّمَا شَفَاهُ اللَّهُ مِنْ
مَرَضٍ جَاءَهُ مَرَضٌ آخَرٌ ، وَتَجِدُ هَذَا مُصَاباً بِعُقُوقِ الْأَبْنَاءِ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا
عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَسَلَكُوا طَرِيقَ الشَّيْطَانِ ، وَتَجِدُ الْآخَرَ مُصَاباً بِسُوءِ
خُلُقِ زَوْجَتِهِ فَهُوَ مَعَهَا دَائِماً فِي شِقَاقٍ وَعَنَاءٍ وَنَشْوَرٍ وَلِجَاجٍ .

وَتَجِدُ هَذَا مُصَاباً بِالْفَقْرِ الْمُدْقِعِ وَهَذَا تَجِدُهُ مُصَاباً بِالْعُقْمِ ، وَهَذَا
تَجِدُهُ مُصَاباً بِكَسَادِ تِجَارَتِهِ ، وَهَذَا مُصَاباً فِي يَبَوَارِ زِرَاعَتِهِ ، أَوْ صِنَاعَتِهِ ،

وَهَذَا مُصَابًا بِجِيرَانٍ سُوءٍ يُذْيَعُونَ مَا يَسُوءُ وَيَكْتُمُونَ الْخَيْرَ ، وَتَجِدُهُ مَعَهُمْ
دَائِمًا فِي لِحَاجٍ ، وَهَذَا تَجِدُهُ مَعَ أَقْرَبَائِهِ فِي شِقَاقٍ وَقَطِيعَةٍ ، وَشَكَوَى
وَتَرَدَّدَ بَيْنَ الْمَحَاكِمِ وَالْمَنَاطِقِ . وَهَذَا تَجِدُهُ مَعَ شُرَكَائِهِ أَوْ مَعَ أَرْحَامِهِ
كَذَلِكَ فِي نَكَدٍ .

وَتَرَى هَذَا لَا حَظَّ لَهُ فِي الْحَيَاةِ يَجِدُ وَيَجْتَهِدُ وَلَا يَنَالُ مَنَاهُ وَيَشْقَى
وَيَتَعَبُ وَلَا يَحْصُلُ عَلَى مُبْتَغَاهُ وَهَذَا تَجِدُهُ مُسَلِّطِينَ عَلَيْهِ وَالِدِيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا
وَهَذَا تَجِدُهُ مَظْلُومًا وَهَذَا مَسْجُونًا وَهَكَذَا إِلَى نِهَايَةِ سِلْسِلَةِ الْأَلَامِ الَّتِي لَا
تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ وَلَا يُحْصِيهَا عَدٌّ وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ :

كُلُّ مَنْ لَاقَيْتُ يَشْكُو دَهْرَهُ
لَيْتَ شِعْرِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِمَنْ

آخِر:

أَلَحَّ عَلَيَّ السُّقْمُ حَتَّى أَلْفَيْتُهُ
وَمَلَّ طِبِّيْبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ

آخِر:

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَيْتُهُ
وَأُسَلِّمَنِي طُولَ الْبَلَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلْأَذَى كَثْرَةَ الْأَذَى
وَكَانَ قَدِيمًا قَدْ يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلَّمَا
وَقَالَ آخِرُ : تَكْرَهُتُهُ قَدْ طَالَ عُتْبِي عَلَى الدَّهْرِ

رُوِّغَتْ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاغُ لَهُ
وَبِالْمَصَائِبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِ

آخر:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُؤْذِنُ صَرْفُهُ
بَتَفْرِيقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبَائِبِ
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهَا عَلَى
رُكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى سُوءِ فِعْلِهَا
فَأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَصَائِبِ
فَخُذْ خِلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ
وَكُنْ حَذِرًا مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ

وقال آخر :

وَمَا خَيْرُ عَيْشٍ نِصْفُهُ سِنَّةُ الْكَرَى
وَنِصْفُهُ بِهِ نَعْتَلُ أَوْ نَتَوَجَّعُ
مَعَ الْوَقْتِ يَمْضِي بُؤْسُهُ وَنَعِيمُهُ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَالْوَقْتُ عُمْرُكَ أَجْمَعُ

ويقول الآخر :

طُبِعَتْ عَلَى كِدَرٍ وَأَنْتَ تَرُومُهَا
صَفَّوْا مِنْ الْأَقْذَارِ وَالْأَكْذَارِ
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا
مُتَطَلِّبُ فِي النَّارِ جَذْوَةَ نَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا
تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارِ

آخر :

وَمَا اسْتَغْرَبْتَ عَيْنِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ وَلَا أَعْلَمْتَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهُ

آخر:

وَهَبْنِي مَلَكَتُ الْأَرْضَ طُرّاً وَنِلْتُ مَا
أُنِيلَ ابْنُ دَاوُدَ مِنَ الْمَالِ وَالْمُلْكِ
أَلَسْتُ أَخْلَيْتُهُ وَأُمْسِي مُسَلِّماً
بِرَغْمِي إِلَى الْأَهْوَالِ فِي مَنَزِلٍ ضَنْكَ

آخر:

مَتَى تَسْتَزِدُّ فَضْلاً مِنَ الْعُمَرِ تَعْتَرِفُ
بِسِجْلِكَ مِنْ أَرِيِ الْخُطُوبِ وَصَابِهَا
يُسَرُّ بِعُمَرَانِ الدِّيَارِ مُظَلَّلُ
وَعُمَرَانُهَا يَذْنُوهُ بِهَا مِنْ خَرَابِهَا
وَلَمْ أَرْضِ الدُّنْيَا أَوْ أَنْ مَجِيئُهَا
فَكَيْفَ أَرْضَائِيهَا أَوْ أَنْ ذَهَابِهَا

آخر:

لَمْ يَبْقَ فِي الْعَيْشِ غَيْرُ الْبُؤْسِ وَالنَّكَدِ
فَاهْرَبْ إِلَى الْمَوْتِ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ كَمَدٍ
مَلَأَتْ يَا دَهْرُ عَيْنِي مِنْ مَكَارِهِهَا
يَا دَهْرُ حَسْبُكَ قَدْ أَسْرَفْتَ فَاقْتَصِدِ

قال ابن الجوزي ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تَعْتَوِرَ فِيهَا الْأَمْرَاضُ
وَالْأَكْذَارُ وَلَمْ يَضِقْ الْعَيْشُ فِيهَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَخْيَارِ فَادْمُ يُعَانِي الْمِحْنَ إِلَى أَنْ
خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَنُوحٌ بَكَى ثَلَاثِينَ عَاماً ، وَابْرَاهِيمُ يُكَابِدُ النَّارَ وَذَبَحَ
الْوَلَدَ ، وَيَعْقُوبُ بَكَى حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ ، وَمُوسَى يُقَاسِي فِرْعَوْنَ وَيَلْقَى مِنْ
قَوْمِهِ الْمِحْنَ .

وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لَا مَأْوَى لَهُ إِلَّا الْبَرَارِي فِي الْعَيْشِ الضَّنْكَ وَمُحَمَّدٌ
ﷺ يُصَابِرُ الْفَقْرَ وَقَتْلَ عَمِّهِ حَمْزَةَ ، وَهُوَ مِنْ أَحَبِّ أَقَارِبِهِ إِلَيْهِ ، وَنُفُورَ قَوْمِهِ

عنه ، وقد قال ﷺ الدنيا سجنُ المؤمنِ وجَنَّةُ الكافرِ ، فإذا بانَ بِأَنَّهَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَسَجْنٍ وَمَحَنٍ فَلَا يَنْبَغِي انْكَارُ وَقُوعِ الْمَصَائِبِ فِيهَا .

وقال رَأَيْتُ جُمُهورَ الناسِ إِذَا طَرَقَهُمُ المَرَضُ أَوْ غَيْرُهُ مِنَ المَصَائِبِ اشْتَغَلُوا تَارَةً بِالْجَزَعِ والشَّكْوَى ، وَتَارَةً بِالتَّداوِي ، إِلَى أَنْ يَشْتَدَّ عَلَيْهِمُ فَيَسْغَلَهُمُ اشْتِدَادُهُ عَنِ الِاتِّفَاتِ إِلَى المَصَالِحِ ، مِنْ وَصِيَّةٍ ، أَوْ فِعْلٍ خَيْرٍ أَوْ تَأْهِبٍ لِلْمَوْتِ .

فَكَمْ مِمَّنْ لَهُ ذُنُوبٌ لَا يَتُوبُ مِنْهَا أَوْ عِنْدَهُ وَدَائِعٌ لَا يَرُدُّهَا ، أَوْ عَلَيْهِ دَيْنٌ أَوْ زَكَاةٌ ، أَوْ فِي ذِمَّتِهِ ظَلَامَةٌ لَا يَحْطُرُّ لَهُ تَدَارُكُهَا وَأَنَّمَا حَزَنُهُ عَلَى فِرَاقِ الدُّنْيَا إِذْ لَا هَمَّ لَهُ سِوَاهَا وَرُبَّمَا أَفَاقَ وَأَوْصَى بِجَوْرِ انْتَهَى كَلَامُهُ .

لَحَى اللهُ دُنْيَا لَا تَكُونُ مَطِيَّةً

إِلَى دَارِكَ الْآخِرَى تَزُومُ وَتَرْكَبُ

عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْجُو الرِّضَا وَهُوَ مُهْمِلٌ

وَتَسْوِيفُنَا مَعَ ذَلِكَ الْعِلْمِ أَعْجَبُ

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَرَاجِلُ

وَأَجْدَرُ بِهَا تَقْضَى قَرِيباً وَتَنْضِبُ

إِذَا كَانَتْ الْأَنْفَاسُ لِلْعُمُرِ كَالْخَطَا

فَإِنَّ الْمَدَى أَدْنَى مَنَالاً وَأَقْرَبُ

وقال بَعْضُهُمْ إِنْ الْمَرْءَ إِذَا طَرَقَهُ عَمَّا يَتَحَيَّفُ صَبْرُهُ وَيُضَيِّقُ صَدْرُهُ يَعُودُ

إِلَى عِلْمِهِ بِالدُّنْيَا كَيْفَ نُصِبَتْ عَلَى النُّقْلَةِ وَجُنِبَتْ طُولَ الْمُهْلَةِ وَابْتَدَأَتْ لِلنَّفَادِ

وَشُفَعَ كَوْنُهَا لِلْخَرَابِ ، وَأَنَّ الثَّائِي فِيهَا رَاحِلٌ ، وَالْأَيَّامُ فِيهَا مَرَاجِلُ مَوْهُوبُهَا

مَسْلُوبٌ وَإِنْ أُرْخِيَ إِلَى مَهَلٍ ، وَمَمْنُوحُهَا مَحْرُوبٌ وَإِنْ أُرْخِيَ إِلَى أَجَلٍ وَلَوْ

خُلِدَ مَنْ سَبَقَ لَهَا وَسِعَتْ الْأَرْضُ وَلِذَلِكَ جُعِلَتْ الدُّنْيَا دَارَ قَلْعَةٍ وَمَحَلِّ

نَجْعَةٍ .

شعرا :

أَطْلَ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وَدَعَّ عَنْكَ شَأْنَهَا
فَمَا الْغَافِلُ الْمَغْرُورُ فِيهَا بِعَاقِلٍ
وَلَيْسَ الْأَمَانِيُّ لِلْبَقَاءِ وَإِنْ جَرَتْ
بِهَا عَادَةٌ إِلَّا تَعَالِيلُ بَاطِلٍ
يُسَارُ بِنَا نَحْوَ الْمُنُونِ وَإِنَّا
لُنُسَعَفُ فِي الدُّنْيَا بِطَيِّ الْمَرَاحِلِ
غَفَلْنَا عَنِ الْأَيَّامِ أَطْوَلَ غَفْلَةٍ
وَمَا حُوبُهَا الْمَجْنِيُّ مِنْهَا بِغَافِلٍ

آخر :

بِرُوحِي أَنَا سَاءَ قَبْلَنَا قَدْ تَقَدَّمُوا
وَنَادُوا بِنَا لَوْ أَنَّا نَسْمَعُ النَّدَا
وَسَارَتْ بِهِمْ سَيْرَ الْمِطِيِّ نُعَوِّشُهُمْ
وَتَعْضُ أَنْبِيَاءُ الْقَادِمِينَ لَهُمْ حُدَا
وَأَمْسُوا عَلَى الْبَيْدَاءِ يَتَنَظَّرُونَنَا
إِلَى سَفَرٍ يَقْضِي بَأْنَ نَتَزَوَّدَا
فَرِيدُونَ فِي أَجْدَائِهِمْ بِفِعَالِهِمْ
وَكَمْ مِنْهُمْ مَنْ سَاقَ جُنْدًا مُجَنَّدَا
تَسَاوَوْا عِدَى تَحْتَ الشَّرَى وَأَحِبَّةَ
فَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْعِدَى
سَلِ الدَّهْرَ هَلْ أَعْفَى مِنَ الْمَوْتِ شَائِبًا
غَدَاةَ أَدَارَ الْكَاسِ أَمْ رَدَّ أُمْرَدًا

آخر :

قِفْ بِالْمَقَابِرِ وَادْكُرْ إِنْ وَقَفْتَ بِهَا
لِلَّهِ ذِكْرٌ مَآذَا تَسْتُرُ الْحُفَرُ
فَفِيهِمْ لَكَ يَا مَغْرُورٌ مَوْعِظَةٌ
وَفِيهِمْ لَكَ يَا مَغْرُورٌ مُغْتَبَرٌ
كَانُوا مُلُوكًا تُوَارِيهِمْ قُصُورُهُمْ
دَهْرًا فَوَارَتْهُمْ مِنْ بَعْدِهَا الْحُفَرُ

اللهم أيقضنا من سنة الغفلة ووقفنا لإغتنام أيام المهلة وارزقنا
الاستعداد للنقلة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم
والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

(فَضْلٌ)

وَمِمَّا يُسَلِّي وَيُسَهِّلُ الْمَصَائِبَ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَوْلَا مَا قَدَرَهُ
الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ مِحْنِ الدُّنْيَا وَمَصَائِبِهَا لَأَصَابَ الْإِنْسَانَ مِنْ
أَذْوَاءِ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَالْفَرَعْنَةِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ مَا هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِ عَاجِلًا
وَآجِلًا ، فَمِنْ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ أَنْ يَتَفَقَّدهُ فِي الْأَحْيَانِ بِأَنْوَاعٍ مِنْ
أَذْوِيَةِ الْمَصَائِبِ تَكُونُ حُمِيَّةً لَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَذْوَاءِ ، وَتَكُونُ حِفْظًا لِصِحَّةِ
عُبُودِيَّتِهِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ يَرْحَمُ بِبَلَائِهِ وَيَبْتَلِي بِنِعَمَائِهِ كَمَا قِيلَ :

(قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ
وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنُّعْمِ)

آخِر :

اِذَا اشْتَدَّتِ الْبَلَوَى تُخَفَّفُ بِالرِّضَا
عَنِ اللَّهِ قَدْ فَازَ الرِّضَى الْمُرَاقِبُ
وَكَمْ نِعْمَةٍ مَقْرُونَةٍ بِبَلِيَّةٍ
عَلَى النَّاسِ تَخْفَى وَالْبَلَايَا مَوَاهِبُ

فَلَوْلَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُدَاوِي عِبَادَهُ بِأَدْوِيَةِ الْمِحَنِ وَالْإِبْتِلَاءِ لَطَغَوْا وَبَغَوْا
وَعَتَوْا وَتَجَبَّرُوا فِي الْأَرْضِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ
لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ فَإِنَّ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ إِذَا حَصَلَ لَهَا صِحَّةٌ وَفَرَاغٌ وَأَمْرٌ
وَنَهْيٌ وَكَلِمَةٌ نَافِذَةٌ مِنْ غَيْرِ زَاجِرٍ شَرِيعِيٍّ يَزْجُرُهَا تَمَرَّدَتْ وَظَلَمَتْ وَسَعَتْ
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا كَمَا قِيلَ :

(وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّدَ
ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ)

وَمِمَّا يُسَلِّي وَيُسَهِّلُ الْمَصَائِبَ وَيَكُونُ سَبِيًّا لِلصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ أَنْ
يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ الْمُصِيبَةَ ، بَلْ يُضَاعِفُهَا ، فَتَزِيدُ الْمُصِيبَةُ
وَأَنَّ الْجَزَعَ يُشْمِتُ الْعَدُوَّ وَيَسِرُّ الصَّدِيقَ ، وَيُنْهَكَ الْجِسْمَ ، وَيَسُرُّ شَيْطَانَهُ
وَيُضْعِفُ النَّفْسَ ، وَقَدْ يُحِبُّ الْعَمَلَ ، وَإِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ أُجْزَى الشَّيْطَانِ
وَأَرْضَى الرَّبِّ ، وَسِرُّ الصَّدِيقِ ، وَسَاءَ الْعَدُوُّ ، وَهَذَا مِنَ الثَّبَاتِ فِي الْأَمْرِ
الدِّينِيِّ .

وَمِمَّا يُسَلِّي وَيُسَهِّلُ الْمَصَائِبَ أَنْ يُوَظَّنَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ أَنَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ
تَأْتِيهِ هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَّهَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُقَدِّرْهَا عَلَيْهِ
لِيُهْلِكَ بِهَا وَلَا لِيُعَذِّبَهُ وَإِنَّمَا ابْتَلَاهُ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ وَرِضَاهُ وَشُكْرَاهُ إِلَيْهِ
وَابْتِهَالُهُ وَدُعَاؤُهُ .

وَابْتِهَالُهُ وَدُعَاؤُهُ .

فان وَفَّقَ لِلرِّضَاءِ وَالشُّكْرِ فَقَدْ أَفْلَحَ ، وان تَسَخَّطَ وَلَمْ يَرْضَ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ ، قال أَبُو الفَرَجِ بْنُ الجَوْزِيِّ عِلاجُ المَصَائِبِ بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ الأولُ أَنْ يَعْلَمَ بِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَكَرْبٍ لَا يُرْجَى مِنْهُ رَاحَةٌ .

في الدُّنْيَا مَهْمَا طَالَ العُمُرُ وَمَهْمَا اجْتَمَعَ لِلإِنْسَانِ فِيهَا مِنْ أَسْبَابِ الغِنَى والثَّرْوَةِ وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ الصَّعَالِيكِ وَالْمَمَالِيكِ وَالْمُلُوكِ فَلَقَدْ أودَعَ اللهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ مَا شَغَلَهَا .

وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ عَرَفَ قَدْرَ الدُّنْيَا وَمَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ مِنَ الكَدْرِ وَالْأَنْكَادِ وَالْمَصَائِبِ وَالْأَحْزَانِ وَعَرَفَ أَنَّ مَا فِيهَا مَحْضُ خِذَاعٍ وَسَرَابٍ ، بِقِيَعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَاسْتَعَانَ بِمَا وَهَبَهُ اللهُ مِنْ نُورِ الدِّينِ وَقَصَرَ أَمَلُهُ لَمَا آثَرَتْ فِيهِ الْمَصَائِبُ بِإِذْنِ اللهِ لِأَنَّ قُوَّةَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ يُثْمِرَانِ الْهُدَى وَالطَّمَأْنِينَةَ وَالرِّضَى بِمَا قَسَمَ وَقَدَرَ .

الثاني أن يَعْلَمَ أَنَّ الْمُصِيبَةَ ثَابِتَةٌ .

الثالثُ أنْ يُقَدِّرَ وَجُودَ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ .

الرابعُ النَّظَرُ فِي حَالِ مَنْ ابْتُلِيَ بِمِثْلِ هَذَا الْبَلَاءِ فَإِنَّ التَّأْسِي رَاحَةً عَظِيمَةً يُخَفِّفُ الْحُزْنَ أَوْ يَزِيلُهُ بِالْكُلِّيَّةِ .

قَالَتِ الْخُنَسَاءُ :

وَلَوْ لَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ
أَعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي

آخِرُ :

حَاسِبْ زَمَانِكَ فِي حَالِي تَصَرُّفِهِ
تَجِدُهُ أَغْطَاكَ أَضْعَافَ الَّذِي سَلَبَا
نَفْسِي الَّتِي تَمْلِكُ الْأَشْيَاءَ ذَاهِبَةً
فَكَيْفَ أَبْكِي عَلَى شَيْءٍ إِذَا ذَهَبَا

آخِرُ :

لَا تَغْتِيبِ الدُّهْرَ فِي خَطْبِ زَمَاكَ بِهِ
إِذَا اسْتَرَدَّ فَقَدْماً طَالَمَا وَهَبَا
وَرَأْسُ مَالِكَ وَهِيَ الرُّوحُ إِنْ سَلِمَتْ
لَا تَأْسَفَنَّ لِشَيْءٍ بَعْدَهَا ذَهَبَا

آخِرُ :

وَلَوْلَا الْأَسَى مَا عِشْتُ فِي النَّاسِ سَاعَةً
وَلَكِنْ مَتَى نَادَيْتُ جَاوِبِي مِثْلِي

الخَامِسُ مِمَّا يُهَوِّنُ الْمَصَائِبَ وَيُخَفِّفُهَا وَيُبَعِّثُ الْإِنْسَانَ عَلَى حَمْدِ
اللَّهِ وَشُكْرِهِ وَيَنْفِي هُمُومَ الدُّنْيَا وَغُمُومَهَا النَّظْرُ وَالتَّفَكُّرُ وَالْإِعْتِبَارُ فِيمَنْ هُمْ
أَعْظَمُ مُصِيبَةٍ مِنْكَ وَانْظُرْ حَالَتَكَ بَعْدَ زِيَارَتِكَ لِلْمَقْبَرَةِ ، وَنَظْرِكَ فِيمَنْ قُبِرَ
وَمَنْ سَيُقْبَرُ وَحَالَتَكَ بَعْدَ مَا تَمُرُّ بِالسِّجْنِ وَتَرَى الْمُعَذِّبِينَ فِيهِ بِأَنْوَاعِ
الْعَذَابِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ وَاصِفًا لِلْسِّجْنِ بِغَدَادٍ :

مَحَلُّ بِهِ تَهْفُو الْقُلُوبُ مِنَ الْأَسَى
فَإِنْ زُرْتَهُ فَارْبُطْ عَلَى الْقَلْبِ بِالْيَدِ

وَانْظُرْ حَالَتَكَ إِذَا دَخَلْتَ الْمُسْتَشْفِيَّاتَ وَرَأَيْتَ الْبَاكِينَ وَالَّذِي يِثْنُ
وَالَّذِي تَحْتَ الْعَمَلِيَّةِ لِقَطْعِ عُضْوٍ أَوْ نَحْوِهِ ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْبَلَايَا تَجِدُكَ إِنْ
كُنْتَ مِمَّنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ مُكْثَرًا لِحَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ حَيْثُ عَافَاكَ مِمَّا تَرَى
وَتَسْمَعُ .

وَكَمْ مِنْ أَنْسَانٍ أَتَى لِعِلَاجٍ بَسِيطٍ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي الْأَسْعَافِ ، وَمَنْ
تَحْتَ الْعَمَلِيَّاتِ وَمَنْ يِثْنُ وَمَنْ يَجْرُ لِيُغْسَلَ وَمَنْ قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ يُعْمَلُ
لِكُسُورِهِ الْجُبُصُ ، خَرَجَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَرَأَى أَنَّهُ مَا فِيهِ شَيْءٌ يُوجِبُ
الْعِلَاجَ .

السادسُ رَجَاءُ الْخَلْفِ إِنْ كَانَ مَنْ مَضَى يَصِحُّ عَنْهُ الْخَلْفُ كَالْوَلَدِ
وَالزَّوْجَةِ قِيلَ لِلْقَمَانِ مَاتَتْ زَوْجَتُكَ قَالَ تَجَدَّدَ فِرَاشِي وَقَالَ الشَّاعِرُ :

هَلْ وَضَلُ عَزَّةٌ إِلَّا وَضَلُ غَانِيَةٌ
فِي وَضَلٍ غَانِيَةٍ مِنْ وَضَلِهَا خَلْفُ

السَّابِعُ طَلَبُ الْأَجْرِ بِالصَّبْرِ فِي فَضَائِلِهِ وَثَوَابِ الصَّابِرِينَ وَسُرُورُهُمْ
فِي صَبْرِهِمْ فَإِنْ تَرَفَّى إِلَى مَقَامِ الرِّضَا فَهُوَ الْغَايَةُ أَنْتَهَى كَلَامُهُ بِتَصْرِفٍ .

وَمِمَّا يُسَلِّي وَيُسَهِّلُ الْمَصَائِبَ وَيَجْلِبُ الصَّبْرَ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ
تَشْدِيدَ الْبَلَاءِ يَخْصُ الْأَخْيَارَ ، وَلِهَذَا لَمَّا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم ، أيُّ الناسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ يُبتلى الناسُ على قدرِ دينِهِمْ فَمَنْ ثَخَنَ دِينُهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ .

وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلَاؤُهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُهُ الْبَلَاءُ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ، رواه ابنُ جَبَّانَ ، ومنها أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مَمْلُوكٌ لِلَّهِ وَلَيْسَ لِلْمَلُوكِ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ ، ومنها أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْوَاقِعَ وَقَعَ بِرِضَى السَّيِّدِ ، فَيَرْضَى بِمَا رَضِيَ بِهِ سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا رَضِينَا بِهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا .

قال بعضهم :

اَصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرَ مُخَلَّدِ
فَإِذَا ذَكَرْتَ مُصِيبَةً تَسْلُو بِهَا
فَاذْكُرْ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
آخِر : لَا تَيَأَسَنَّ إِذَا مَا الْأَمْرُ ضِيقَتْ بِهِ
ذُرْعًا وَنَمَّ مُسْتَرِيحًا خَالِي الْبَالِ
مَا بَيْنَ رَقْدَةٍ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا
يُقَلِّبُ الدَّهْرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

وَمِنْ فَوَائِدِ الْمَصَائِبِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِمَّا يَكْرَهُهُ
مَا يَعْتَاضُهُ مِنَ الْإِرْتِيَاضِ بِنَوَائِبِ عَصْرِهِ وَيَسْتَفِيدُهُ مِنْ اسْتِحْكَامِ الرَّأْيِ
وَالْعَقْلِ بِالتَّجَارُبِ بِبَلَاءِ دَهْرِهِ فَيَقْوَى عَقْلُهُ وَيَحْصِفُ رَأْيُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَكْمُلُ
بِأَدْنَى شِدَّتِهِ وَرَخَائِهِ وَيَتَعِظُ بِحَالَتِي عَفْوِهِ وَبِلَائِهِ .

وَأَقْلُ مَا يُؤْتَاهُ الْمُؤْمِنُ فِي الْمَصَائِبِ الصَّبْرُ الَّذِي يُخَفِّفُ وَقَعَهَا عَلَى النَّفْسِ
وَأَكْثَرُهُ رَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي بِهَا تَتَحَوَّلُ النِّقْمَةُ إِلَى نِعْمَةٍ بِمَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ الْاِخْتِبَارُ
وَالْتَّمَحِيصُ وَكَمَالُ الْعِبَرَةِ وَالتَّهْذِيبِ .

وَقَدْ يَبْتَلِي اللَّهُ الْمُؤْمِنَ وَيَمْتَحِنُ صَبْرَهُ فَتُعْطِيهِ قُوَّةُ إِيمَانِهِ مِنَ الرَّجَاءِ بِهِ مَا
تُخَالِطُ حَلَاوَتُهُ مَرَارَةَ الْمُصِيبَةِ حَتَّى تَغْلِبَهَا وَقَدْ يَأْنَسُ بِالْمُصِيبَةِ لِعِظَمِ رَجَائِهِ
وَصَبْرِهِ وَذَا وَإِنْ كَانَ نَادِرًا فَهُوَ وَاقِعٌ حَاصِلٌ .

قال بعضهم :

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَتُهُ وَمَلَّ طَبِيبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ
آخِر :

وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلأَذَى كَثْرَةُ الأَذَى وَكَانَ قَدِيمًا قَدْ يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
وَمِنْهَا أَنْ يَخْتَبِرَ أُمُورَ زَمَانِهِ وَيَتَنَبَّهَ عَلَى إِصْلَاحِ شَأْنِهِ فَلَا يَغْتَرَّ بِرَخَاءٍ وَلَا
يَطْمَعُ فِي اسْتِوَاءٍ وَلَا يُؤْمَلُ بَقَاءُ الدُّنْيَا عَلَى حَالَةٍ ، فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَخَبَرَ
أَحْوَالَهَا هَانَ عَلَيْهِ بُؤْسُهَا وَنَعِيمُهَا ، وَلَوْ لَا مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحَوَادِثِ وَالنَّوَائِبِ
لَمْ يُعْرِفْ صَبْرَ الْكِرَامِ وَلَا جَزَعُ اللَّئَامِ .

فَإِذَا ظَفِرَ الْمَصَابُ بِأَحَدٍ هَذِهِ الْأَسْبَابُ تَخَفَّفَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ عَنْهُ أَحْزَانُهُ ،
وَتَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ أَشْجَانُهُ فَصَارَ سَرِيعَ النِّسْيَانِ لِلْمَصَائِبِ ، قَلِيلَ الْجَزَعِ حَسَنَ
الصَّبْرِ وَالتَّجَمُّلِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ .

شعرا :

سَلَامٌ عَلَى دَارِ الْغُرُورِ فَإِنَّهَا
مُنْغَصَّةٌ لَذَاتِهَا بِالْفَجَائِعِ
فَإِنْ جَمَعَتْ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ سَاعَةً
فَعَمَّا قَلِيلٍ أُرْدَفَتْ بِالْمَوَانِعِ

آخر : رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا كَوَفَدَيْنِ كُلَّمَا
تَرَحَّلَ وَفَدَّ حَطًّا فِي إِثْرِهِ وَفَدَّ
وَكُلُّ يَحُثِّ السَّيْرِ عَنْهَا وَنَحْوَهَا
فِيْمُضِي بِذَا نَعَشُ وَيَأْتِي بِذَا مَهْدُ
وَيَقُولُ الْآخَرُ :

وَكُلَّ أَبٍ وَابْنٍ وَإِنْ مُتَّعَا مَعَا
مُقِيمِينَ مَفْقُودَ لِقَوْتٍ وَفَاقِدُ
وَيَقُولُ الْآخَرُ :

فَلَا تَجْزَ عَنْ لَبَّيْنِ كُلِّ جَمَاعَةٍ
وَرَبِّكَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا التَّفَرُّقُ
وَأُخَذَ بِالتَّعْزِي كُلِّ مَا أَنْتَ لَا بِسُ
جَدِيداً عَلَى الْأَيَّامِ يَبْلَى وَيَخْلُقُ
فَصَبْرُ الْفَتَى عَمَّا تَوَلَّى فَفَاتَهُ
مِنْ الْأَمْرِ أَوْلَى بِالسَّدَادِ وَأَوْفَقُ
وَإِنَّكَ بِالْإِشْفَاقِ لَا تَدْفَعُ الرُّدَى
وَلَا الْخَيْرُ مَجْلُوبٌ فَمَا لَكَ تُشْفِقُ
كَأَنَّ لَمْ يَرُغِكَ الدُّهْرُ أَوْ أَنْتَ آمِنُ
لِأَحْدَاثِهِ فِيمَا يُغَادِي وَيَطْرُقُ

إِخْوَانِي أَئِنَّ الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ أَئِنَّ الْقُرُونُ الْخَالِيَةَ أَئِنَّ مَنْ نُصِبَتْ عَلَى
مَفَارِقِهِمُ التَّيْجَانُ ، أَئِنَّ الَّذِينَ قَهَرُوا الْأَبْطَالَ وَالشُّجْعَانَ أَئِنَّ الَّذِينَ دَانَتْ
لَهُمُ الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ ، أَئِنَّ الَّذِينَ تَمَتَّعُوا بِاللَّذَاتِ مِنَ الْمَطَاعِمِ
وَالْمَشَارِبِ ، أَئِنَّ الَّذِينَ اغْتَرَّوْا بِالْأَجْنَادِ وَالسُّلْطَانِ .

أَئِنَّ أَصْحَابَ السُّطُورَةِ وَالْأَعْوَانِ ، أَئِنَّ أَصْحَابَ الْأَسْرِ وَالْوِلَايَاتِ أَئِنَّ

الذين خَفَقَتْ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الْأُلُويَّةُ وَالرَّايَاتِ ، أَيْنَ الَّذِينَ قَادُوا الْعَسَاكِرَ
أَيْنَ الَّذِي عَمَرُوا الْقُصُورَ الشَّامِخَاتِ وَالْقُلُلَ الْفَسِيحَاتِ أَيْنَ الَّذِينَ غَرَسُوا
النَّخِيلَ وَالْأَشْجَارَ الْمُشِيرَاتِ .

أَيْنَ الَّذِينَ مَلَأُوا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ فَخْرًا وَعِزًّا ، أَيْنَ الَّذِينَ فَرَشُوا
الْقُصُورَ خَزَا وَقَزًّا ، أَفْنَاهُمْ وَاللَّهُ مُفْنِي الْأُمَمِ ، وَأَبَادُهُمْ مُبِيدُ الرَّمَمِ ،
وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سَعَةِ الْمَسَاكِينِ ، وَالْقُصُورِ ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي ضَيْقِ اللَّحُودِ
وَالْقُبُورِ تَحْتَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ .

قَدْ خَلَتْ مِنْ كَثَرَتِهِمْ أَمَا كُنْهُمْ وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ مَا جَمَعُوا مِنَ الْحُطَامِ ،
وَلَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ أَسْلَمَهُمُ الْأَجْبَةُ وَالْأَوْلِيَاءُ ،
وَهَجَرَهُمُ الْإِخْوَانُ وَالْأَصْفِيَاءُ وَنَسِيَهُمُ الْأَقْرِبَاءُ وَالْبُعْدَاءُ .

شعراً :

مَنْ ذَا الَّذِي قَدْ نَالَ رَاحَةَ فِكْرِهِ
فِي عُسْرِهِ مِنْ عُسْرِهِ أَوْ يُسْرِهِ
يَلْقَى الْغَنِيَّ لِحَفَظِهِ مَا قَدْ حَوَى
أَضْعَافَ مَا يَلْقَى الْفَقِيرُ لِفَقْرِهِ
فَيَظَلُّ هَذَا سَاخِطاً فِي قَلْبِهِ
وَيَظَلُّ هَذَا تَاعِباً فِي كُثْرِهِ
عَمَّ الْبَلَاءُ لِكُلِّ شَمْلٍ فُرْقَةٌ
يُرْمَى بِهَا فِي يَوْمِهِ أَوْ شَهْرِهِ
وَالْجِنُّ مِثْلُ الْإِنْسِ يَجْرِي فِيهِمُوا
حُكْمُ الْقَضَاءِ بِحُلُوهِ وَيَمُرُّهُ

فَإِذَا الْمَرِيدُ أَتَى لِيَخْطِفَ خَطْفَةً
جَاءَ الشَّهَابُ بِحَرْقِهِ وَبِزَجْرِهِ
وَنَبِيٌّ صِدْقٍ لَا يَزَالُ مُكَذِّباً
يُزْمَى بِبَاطِلٍ قَوْلِهِمْ وَيَسْحَرِهِ
وَمُحَقَّقٌ فِي دِينِهِ لَمْ يَخْلُ مِنْ
ضِدِّ يُوَاجِهُهُ بِتُهْمَةٍ كُفْرِهِ
وَالْعَالِمُ الْمُفْتَى يَظَلُّ مُنَازِعاً
بِالْمُشْكَلَاتِ لَدَى مَجَالِسِ ذِكْرِهِ
وَالْوَيْلُ إِنْ زَلَّ اللِّسَانُ فَلَا يَرَى
أَحَدًا يُسَاعِدُ فِي إِقَامَةِ عُذْرِهِ
وَأَخُو الدِّيَانَةِ دَهْرُهُ مُتَنَفِّصٌ
يَتَّبِعِي التَّخَلُّصَ مِنْ مَخَاوِفِ قَبْرِهِ
أَوْ مَا تَرَى الْمَلِكَ الْعَزِيزَ بِجُنْدِهِ
رَهْنَ الْهُمُومِ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ
فَيْسُرُهُ خَبَرٌ وَفِي أَغْقَابِهِ
هَمٌّ تَضِيقُ بِهِ جَوَانِبُ قَضْرِهِ
وَأَخُو التُّجَارَةِ حَائِرٌ مُتَفَكِّرٌ
مِمَّا يُلَاقِي مِنْ خَسَارَةِ سِعْرِهِ
وَأَبُو الْعِيَالِ أَبُو الْهُمُومِ وَخَسْرَةُ الرَّ
جُلِّ الْعَقِيمِ كَمِينَةٌ فِي صَدْرِهِ
وَتَرَى الْقَرِينَ مُضْمِراً لِقَرِينِهِ
حَسِداً وَحَقِداً فِي غِنَاهُ وَفَقْرِهِ

وَلَرُبَّ طَالِبٍ رَاحَةٍ فِي نَوْمِهِ
جَاءَتْهُ أَحْلَامٌ فَهَامَ بِأَمْرِهِ
وَالطُّفْلُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَخْرُجُ إِلَى
غُصَصِ الْفِطَامِ تَرْوَعُهُ فِي صُغْرِهِ
وَلَقَدْ حَسَدْتُ الطَّيْرَ فِي أَوْكَارِهَا
فَوَجَدْتُ مِنْهَا مَا يُصَادُ بِوَكْرِهِ
وَالْوَحْشُ يَأْتِيهِ الرَّدَى فِي بَرِّهِ
وَالْحُوتُ يَأْتِي حَتْفُهُ فِي بَحْرِهِ
وَلَرُبَّمَا تَأْتِي السَّبَاعُ لِمَيْتٍ
فَاسْتَخْرَجَتْهُ مِنْ قَرَارَةِ قَبْرِهِ
كَيْفَ التِّدَاذُ أَخِي الْحَيَاةِ بِعَيْشِهِ
مَا زَالَ وَهُوَ مُرَوِّعٌ فِي أَمْرِهِ
تَاللَّهِ لَوْ عَاشَ الْفَتَى فِي أَهْلِهِ
أَلْفًا مِنَ الْأَعْوَامِ مَالِكَ أَمْرِهِ
مُتَلَذِّذًا مَعَهُمْ بِكُلِّ لَذِيذَةٍ
مُتَنَعِّمًا بِالْعَيْشِ مُدَّةَ عُمْرِهِ
لَا يَغْتَرِيهِ النُّقْصُ فِي أَحْوَالِهِ
كَأَنَّ وَلَا تَجْرِي الْهُمُومُ بِفِكْرِهِ
مَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِمَّا يَفِي
بِنُزُولِ أَوَّلِ لَيْلَةٍ فِي قَبْرِهِ
كَيْفَ التَّخَلُّصُ يَا أَخِي مِمَّا تَرَى
صَبْرًا عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُزَّهِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في هديه ﷺ في علاج حر المصيبة وحزنها

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ؛ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

وفي المسند عنه ﷺ ، أنه قال : « ما من أحدٍ تصيبه مصيبةٌ فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم : أجرني في مصيبي ، وأخلف لي خيراً منها - إلا آجره الله في مصيبته ، وأخلف له خيراً منها » .

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب ، وأنفعه له في عاجلته وآجلته . فإنها تتضمن أصليين عظيمين - إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته - (أحدهما) : أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة .

وقد جعله عند العبد عاريةً . فإذا أخذه منه ، فهو كالمعير : يأخذ متاعه من المستعير . وأيضاً : فإنه محفوف بعدمين : عدم قبله ، وعدم بعده . وملك العبد له مُتعة مُعارة في زمن يسير . وأيضاً : فإنه ليس هو الذي أوجده عن عدمه ، حتى يكون ملكه حقيقة ؛ ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ، ولا يُبقى عليه وجوده .

فليس له فيه تأثير ولا ملكٌ حقيقي . وأيضاً : فإنه متصرف العبد المأمور المنهى ، لا تصرف الملاك . ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه ، إلا ما وافق أمر مالكة الحقيقي .

وقال ابن سيرين : « ما كان ضحكك قط ، إلا كان من بعده بكاء » .

وقالت هند بنت النعمان : « لقد رأيتنا : ونحن من أعز الناس وأشدّهم مُلكاً ، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا : ونحن أقل الناس . وإنه حق على الله : أن لا يملأ داراً خيرةً ، إلا ملأها عبرة » .

وسألها رجل أن تحدّثه عن أمرها ، فقالت : « أصبحنا ذات صباح : وما في العرب أحدٌ إلا يرجونا ، ثم أمسينا : وما في العرب أحدٌ إلا يرحمنا » .

وبكت أختها حُرقة بنت النعمان يوما - وهي في عزها - فقيل لها : ما يبكيك ؟ لعل أحد آذاك ؟ قالت : لا ؛ ولكن رأيت غضارة في أهلي ، وقلما امتلأت دار سروراً ، إلا امتلأت حزناً » .

قال إسحق بن طلحة : « دخلت عليها يوماً ، فقلت لها : كيف رأيت عبرات الملوك ؟ فقالت : ما نحن فيه اليوم خيرٌ مما كنا فيه بالأمس ؛ إنا نجد في الكتب : أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة ، إلا سيُعقَّبون بعدها عبرةً ؛ وإن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه ، إلا بطن لهم بيوم يكرهونه . ثم قالت :

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ : وَالْأَمْرَ أَمَرْنَا
إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَصَفُّ
فَأَفَّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا :
تَقَلُّبُ تَارَاتِ بِنَا ، وَتَصَرَّفُ »

ومن علاجها : أن يعلم أن الجزع لا يردّها ، بل يضاعفها . وهو في الحقيقة من تزايد المرض .

ومن علاجها : أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم - وهو من الصلاة والرحمة والهداية التي ضَمِنَهَا الله على الصبر والاسترجاع - أعظم من المصيبة في الحقيقة .

ومن علاجها : أن يعلم أن الجزع يُشمت عدوه ، ويُسيء صديقه ، ويُغضب ربه ، ويسر شيطانه ، ويُحبط أجره ، ويُضعف نفسه . وإذا صبر واحتسب : أقصى شيطانه ، ورد خاسئاً ، وأرضى ربه ، وسر صديقه ، وساء عدوه ، وحمل عن إخوانه ، وعزّاهم هو قبل أن يُعزوه . فهذا هو الثبات والكمال الأعظم ؛ لا لطم الخدود ، وشقّ الجيوب والدعاء بالويل والثبور ، والسخط على المقدور .

ومن علاجها : أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب - من اللذة والمسرة - أضعافُ ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به ، لو بقي عليه .
ويكفيه من ذلك بيتُ الحمد الذي يُبنى له في الجنة ، على حمده لربه واسترجاعه . فليُنظر أيُّ المصيبتين أعظم : مصيبةُ العاجلة ؟ أو مصيبةُ فوات بيت الحمد في جنة الخلد ؟ .

وفي الترمذي مرفوعاً : « يودُّ ناس يومَ القيامة أن جلودَهم كانت تُقرضُ بالمقاريض في الدنيا ، لما يرون : من ثواب أهل البلاء » .

وقال بعض السلف : « لولا مصائبُ الدنيا ، لوردنا القيامة مفاليس » .

ومن علاجها : أن يُروِّح قلبه بروح رجاء الخلف من الله . فإنه من كل شيء عوض ، إلا الله فما مته عوضٌ . كما قيل :

مِنْ كُلِّ - شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعَتْهُ - عِوَضٌ
وَمَا مِنَ اللَّهِ - إِنْ ضَيَّعَتْهُ - عِوَضٌ

ومن علاجها : أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له ؛ فمن رضي
فله الرضا ، ومن سخط فله السَّخَطُ . فحظُّك منها ما أحدثته لك . فاختر
إما خيراً الحظوظ ، أو شرّها . فإن أحدثت له سخطاً وكفراً : كتب في ديوان
الهالكين . وإن أحدثت له جزعاً وتفريطاً في ترك واجب ، أو في فعل محرم :
كُتِبَ في ديوان الهالكين . وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر : كُتِبَ في ديوان
المغبونين .

وإن أحدثت له اعتراضاً على الله ، وقدحاً في حكمته : فقد قرع باب
الزندقة أو وجهه . وإن أحدثت له صبراً وثباتاً لله : كُتِبَ في [ديوان
الصابرين] . وإن أحدثت له الرضا : كُتِبَ في [ديوان الراضين] . وإن
أحدثت له الحمد والشكر : كتب في ديوان الشاكرين ، وكان تحت لواء
الحمد مع الحمّادين . وإن أحدثت له محبةً واشتياقاً إلى لقاء ربه : كتب في
ديوان المحبين المخلصين .

وفي مسند الإمام أحمد والترمذي - من حديث محمود بن لبيد
يرفعه - : « إن الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم ؛ فمن رضي فله الرضا ، ومن
سخط فله السَّخَطُ » ؛ زاد أحمد « ومن جزع فله الجزع » .

ومن علاجها : أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته ، فأخّر أمره إلى
صبر الاضطرار . وهو غير محمود ولا مثاب .

قال بعض الحكماء : « العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ، ما يفعله
الجاهل بعد أيام . ومن لم يصبر صبر الكرام ، سَلَوا البهائم » . وفي

الصحيح مرفوعاً : « الصبرُ عند الصَّدمة الأولى » . وقال الأشعث بن قيس : « إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً ؛ وإلا سلوت سلوَّ اليهائم » .

ومن علاجها : أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه فيما أحبه ورضيه له ، وأن خاصية المحبة وسرّها موافقة المحبوب . فمن ادعى محبة محبوب ، ثم سخط ما يُحبه وأحبَّ ما يسخطه : فقد شهد على نفسه بكذبه ، وتمتَّ إلى محبوبه .

وقال أبو الدرداء : « إن الله إذا قضى قضاءً ، أحبَّ أن يُرضى به » . وكان عمران ابن الحصين ، يقول في علته : « أحبه إليَّ : أحبه إليه » . وكذلك قال أبو العالية .

وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين ، ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به .

ومن علاجها : أن يوازن بين أعظم اللذتين والتمتعين وأدومهما : لذة تمتعه بما أصيب به ، ولذة تمتعه بثواب الله له فإن ظهر له الرجحان ، فأثر الراجح : فليحمد الله على توفيقه . وإن أثر المرجوح من كل وجه : فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه ، أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه .

ومن علاجها : أن يعلم أن الذي ابتلاه بها : أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ؛ وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه ، ولا ليعذبه به ، ولا ليَجْتَاحَه ، وإنما افتقده به : ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه ، وليسمع تضرعه وابتهااله ، وليراه طريقاً باباه ، لائذاً بجنابه ، مكسور القلب بين يديه ، رافعاً قصص الشكوى إليه .

قال الشيخ عبدالقادر : « يا بني : إن المصيبة ما جاءت لتهلكك ،

وإنما جاءت لتمتحنَ صبرك وإيمانك ؛ يا بني : القدرُ سبعٌ ، والسبعُ لا يأكل الميتةَ .

والمقصود : أن المصيبةَ كيرُ العبد الذي يُسبكُ به حاصله ، فإما أن يخرجَ ذهباً أحمرَ ، وإما أن يخرجَ خبثاً كله . كما قيل :

سَبَكْنَاهُ : وَنَحْسِبُهُ جُيْنًا ؛
فَأَبْدَى الْكِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

فإن لم ينفعه هذا الكيرُ في الدنيا : فينَ يديه الكيرُ الأعظم . فإذا علم العبد أن إدخاله كيرَ الدنيا ومَسبِكها خيرٌ له من ذلك الكير والمسبك ، وأنه لا بد من أحد الكيرين فليعلم قدرَ نعمة الله عليه في الكير العاجل .

فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء ، لَطَغُوا وَبَغُوا وَعَتُوا . والله سبحانه إذا أراد بعبدًا خيرًا : سقاه دواءً - من الإبتلاء والامتحان - على قدر حاله ، يستفرغ به من الأدوية المهلكة ؛ حتى إذا هذَّبه ووصَّفه : أهَّله لأشرفِ مراتب الدنيا - وهي عبوديته - وأرفعِ ثواب الآخرة ، وهو رؤيته وقربه .

ومن علاجها : أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة ، يَقلِّبُها الله سبحانه كذلك ؛ وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة . ولأنَّ ينتقل من مرارة منقطعة ، إلى حلاوة دائمة - خيرٌ له من عكس ذلك .

فإن خفى عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق : « حُفَّتِ الجنةُ بالمكَّارِ ، وحُفَّتِ النارُ بالشَّهواتِ » .

وفي هذا المقام تفاوتت عقولُ الخلائق ، وظهرت حقائق الرجال .

فأكثرهم أثر الحلاوة المنقطعة ، على الحلاوة الدائمة التي لا تزول ، ولم يحتمل
مرارة ساعة بحلاوة الأبد ، ولا ذل ساعة لعز الأبد ، ولا محنة ساعة لعافية
الأبد . فإن الحاضر عنده شهادة ، والمنتظر غيب ، والإيمان ضعيف ،
وسلطان الشهوة حاكم . فتولد من ذلك إيثار العاجلة ، ورفض الآخرة .

وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها . وأما
النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة ، ويجاوزه إلى العواقب والغايات :
فله شأن آخر .

فادع نفسك إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته : من النعيم المقيم ،
والسعادة الأبدية ، والفوز الأكبر ، وما أعد لأهل البطالة والإضاعة : من
الحزى والعقاب ، والحسرات الدائمة : ثم اختر أي القسمين أليق بك .
(كلَّ يَعمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ) ، وكل أحد يصبو إلى ما يناسبه وما هو الأولى
به . ولا تستطل هذا العلاج : فشدة الحاجة إليه - من الطبيب العليل -
دعت إلى بسطه . وبالله التوفيق .

شعرا :

إصْبِرْ عَلَى حُلِّ الْقَضَاءِ وَمُرَّةِ
وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بِالْغُ أَمْرِهِ
فَالصَّدْرُ مَنْ يَلْقَى الْخُطُوبَ بِصَدْرِهِ
وَبِصْبْرِهِ وَبِحَمْدِهِ وَبِشُكْرِهِ
الْحُرُّ سَيِّفٌ وَالذَّنُوبُ لِيَصْفُوهُ
صَدًا وَصَيْقَلُهُ نَوَائِبُ دَهْرِهِ

لَيْسَ الْحَوَادِثُ غَيْرَ أَعْمَالٍ أَمْرِيءِ
يُجْزَى بِهَا مِنْ خَيْرِهِ أَوْ شَرِّهِ
فَإِذَا أُصِيبَتْ بِمَا أُصِيبَتْ فَلَا تَقُلْ
أَوْذِيْتُ مِنْ زَيْدِ الزَّمَانِ وَعَمْرِهِ
وَأُثِّبْتُ فَكَمْ أَمْرٍ أَمْضَكَ عُمْرُهُ
لَيْلَا فَبَشِّرْكَ الصَّبَّاحُ بِبُشْرِهِ
وَلَكُمْ عَلَى نَاسٍ أَتَى فَرَجُ الْفَتَى
مِنْ سِرٍّ غَيْبٍ لَا يَمُرُّ بِفِكْرِهِ
فَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ وَلَا تَسِلْ
بَشَرًا فَلَيْسَ سِوَاهُ كَاشِفَ ضَرِّهِ
وَاعْجَبْ لِنَظْمِي وَاهْمُومُ شَوَاغِلُ
يُلْهِينَ عَنْ نَظْمِ الْكَلَامِ وَنَثْرِهِ

غيره :

لَا تَخْشَ مِنْ غَمٍّ كَغَيْمٍ عَارِضٍ
فَلَسَوْفَ يُشْفِرُ عَنْ إِضَاءَةِ بَدْرِهِ
إِنْ تُمَسَّ عَنْ عَبَّاسٍ حَالِكَ رَاوِيَا
فَكَأَنِّي بِكَ رَاوِيَا عَنْ بَشْرِهِ
وَلَقَدْ تَمُرُّ الْحَادِثَاتُ عَلَى الْفَتَى
وَتَزُولُ حَتَّى مَا تَمُرُّ بِفِكْرِهِ
هَوْنٌ عَلَيْكَ فَرُبَّ أَمْرٍ هَائِلٍ
دُفِعَتْ قُوَاهُ بِدَافِعٍ لَمْ تَدْرِهِ
وَلَرُبَّ لَيْلٍ بِالْهُمُومِ كَدُمْلٍ
صَابَرْتَهُ حَتَّى ظَفِرَتْ بِفَجْرِهِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ
مَعَ صَاحِبِهِ وَالتَّابِعِينَ لِأَمْرِهِ

اللَّهُمَّ اٰمِنْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ عُيُوْبِنَا وَسْتِرْ زَلَّاتِنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ
الْمُهْتَدِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِيْنَ الْاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِيْنَ
بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
اَجْمَعِيْنَ .

(فَضْلٌ)

فِي الْخَوْفِ

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللّٰهُ وَاَيَّاكَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ اَنَّ الْخَوْفَ عِبَارَةٌ عَنْ تَأَلُّمِ
الْقَلْبِ وَاحْتِرَاقِهِ بِسَبَبِ تَوَقُّعِ مَكْرُوهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَقِيلَ الْخَوْفُ قُوَّةُ الْعِلْمِ
بِمَجَارِي الْاَحْكَامِ وَقِيلَ هَرَبُ الْقَلْبِ مِنْ حُلُولِ الْمَكْرُوهِ عِنْدَ اسْتِشْعَارِهِ .

فَالْخَوْفُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْخَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِيْنَ وَالْهَيْبَةُ لِلْمُجِبِّيْنَ
وَالْاَجْلَالُ لِلْمُقَرَّبِيْنَ ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ بِاللّٰهِ وَمَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِنَفْسِهِ يَكُونُ
الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِنِّي لَا اَعْلَمُكُمْ بِاللّٰهِ
وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً وَفِي رِوَايَةٍ خَوْفًا .

وَإِذَا كَمُلَتْ الْمَعْرِفَةُ أَثَرَتْ الْخَوْفَ فَفَاضَ أَثَرُهُ عَلَى الْقَلْبِ ، ثُمَّ
ظَهَرَ عَلَى الْجَوَارِحِ ، وَالصِّفَاتِ بِالنُّحُولِ وَالْاَصْفِرَارِ وَالْبُكَاءِ وَالْغُشْيِ ،
وَقَدْ يُفْضِي إِلَى الْمَوْتِ .

وَأَمَّا ظُهُورُ أَثَرِهِ عَلَى الْجَوَارِحِ فَبَكَفُّهَا عَنِ الْمَعَاصِي ، وَالزَّامِيهَا
الطَّاعَاتِ تَلَافِيًا ، وَاسْتِدْرَاكًا لِمَا فَرَطَ ، وَاسْتِعْدَادًا لِلْمُسْتَقْبَلِ .

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْخَوْفِ أَنَّهُ يَقْمَعُ الشَّهَوَاتِ ، وَيُكَدِّرُ اللَّذَّاتِ ، فَتَصِيرُ
الْمَعَاصِي الْمَحْبُوبَةَ عِنْدَهُ مَكْرُوهَةً ، كَمَا يَصِيرُ الْعَسَلُ وَاللَّبَنُ مَكْرُوهًا إِذَا
عَلِمَ أَنَّ فِيهِ سُمًّا ، فَتَحْتَرِقُ الشَّهَوَاتُ بِالْخَوْفِ ، وَتَتَأَدَّبُ الْجَوَارِحُ ، وَيَذِلُّ
الْقَلْبُ ، وَيَسْتَكِينُ وَيُفَارِقُهُ الْكِبَرُ وَالْحَسَدُ وَالْحِقْدُ ، وَيَصِيرُ مُسْتَوْعِبًا الْهَمُّ
لِخَوْفِهِ وَالنَّظَرُ فِي خَطَرِ عَاقِبَتِهِ .

فَلَا يَتَفَرَّغُ لِغَيْرِهِ ، وَلَا يَكُونُ لَهُ شُغْلٌ إِلَّا الْمُرَاقَبَةُ ، وَالْمُحَاسَبَةُ
وَالْمُجَاهَدَةُ ، وَالْبُخْلُ فِي الْأَنْفَاسِ ، وَاللَّحْظَاتِ ، أَنْ يَصْرِفَهَا فِيمَا لَا
فَائِدَةَ فِيهِ ، وَمُواخَذَةُ النَّفْسِ فِي الْخَطَرَاتِ ، وَالْخَطَوَاتِ ، وَالْكَلِمَاتِ ،
وَقُوَّةُ الْخَوْفِ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَصِفَاتِهِ وَبِعُيُوبِ
النَّفْسِ وَمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنَ الْأَخْطَارِ وَالْأَهْوَالِ .

وَمُقَدِّمَاتُ الْخَوْفِ ، أَرْبَعٌ ، الْأُولَى ذِكْرُ الذُّنُوبِ الْكَثِيرَةِ الْعَظِيمَةِ
الَّتِي سَلَفَتْ فِيمَا مَضَى وَكَثْرَةِ ذِكْرِ الْخُصُومِ الَّذِينَ مَضَوْا وَأَنْتَ مُرْتَهَنٌ
لَمْ يَتَبَيَّنْ لَكَ الْخَلَاصُ حَتَّى الْآنَ ، وَالثَّانِيَّةُ ذِكْرُ شِدَّةِ الْعُقُوبَةِ ، وَالثَّالِثَةُ
ذِكْرُ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ مَتَى شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ ، وَالرَّابِعَةُ ذِكْرُ ضَعْفِكَ عَنْ
اِحْتِمَالِ الْعُقُوبَةِ .

آخِرُ :

حَقِيقٌ بِالتَّوَاضُعِ مَنْ يَمُوتُ
وَيَكْفِي الْمَرْءَ مِنْ دُنْيَاهُ قَوْتُ
فَمَا لِلْمَرْءِ يُصْبِحُ ذَا هُمُومٍ
وَجِرْصٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ النُّعُوتُ

فِيَا هَذَا سَتَرَحَلْ عَنْ قَرِيبٍ
إِلَى قَوْمٍ كَلَامُهُمُ السُّكُوتُ
آخر :

وَمَا مَنْ يَخَافُ الْمَوْتَ وَالنَّارَ آمِنٌ
وَلَكِنْ حَزِينٌ مُوجِعُ الْقَلْبِ خَائِفٌ
إِذَا عَنَّ ذِكْرُ الْمَوْتِ أَوْجَعَ قَلْبَهُ
وَهَيَّجَ أَحْزَانًا ذُنُوبَ سَوَالِفِ
ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْخَوْفَ يَحْتَ عَلَى الْعِلْمِ ، وَالْعَمَلِ ، قَالَ أَبُو حَفْصٍ
الْخَوْفُ سَوَاطِئُ اللَّهِ ، يُقَوِّمُ بِهِ الشَّارِدِينَ عَنْ بَابِهِ ، وَقَالَ الْخَوْفُ سِرَاجٌ فِي
الْقَلْبِ ، بِهِ يُبْصِرُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِذَا خِفَتْهُ هَرَبَتْ مِنْهُ
إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّكَ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبَتْ إِلَيْهِ فَالْخَائِفُ هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَى
رَبِّهِ .

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرَبَ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
سُفْيَانَ إِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقُلُوبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهَا وَطَرَدَ الدُّنْيَا
عَنْهَا قَالَ فِي مُخْتَصَرٍ مِنْهَا الْقَاصِدِينَ وَالْخَوْفُ لَهُ إِفْرَاطٌ وَلَهُ اعْتِدَالٌ ، وَلَهُ
قُصُورٌ وَالْمَحْمُودُ مِنْ ذَلِكَ الْاعْتِدَالُ .

وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّوْطِ لِلْبَهِيمَةِ ، فَإِنَّ الْأَصْلَحَ لِلْبَهِيمَةِ أَنْ لَا تَخْلُو عَنْ
سَوْطٍ ، وَلَيْسَ الْمَبَالِغَةُ فِي الضَّرْبِ مَحْمُودَةٌ ، وَلَا الْمَتَقَاصِرُ عَنْ الْخَوْفِ
أَيْضًا مَحْمُودًا ، وَهُوَ كَالَّذِي يَخْطُرُ بِالْبَالِ عِنْدَ سَمَاعِ آيَةٍ ، أَوْ سَبَبِ هَائِلٍ
فِيُورِثُ الْبُكَاءَ ، فَإِذَا غَابَ ذَلِكَ السَّبَبُ عَنِ الْحِسِّ رَجَعَ الْقَلْبُ إِلَى
الْغَفْلَةِ ، فَهُوَ خَوْفٌ قَاصِرٌ قَلِيلُ الْجَدْوَى ضَعِيفُ النَّفْعِ ، وَهُوَ كَالْقَضِيبِ

الضَّعِيفُ ، الذي يُضْرَبُ بِهِ دَابَّةٌ قَوِيَّةٌ فَلَا يُؤْلِمُهَا أَلَمًا مُبَرِّحًا ، فَلَا يَسُوقُهَا إِلَى الْمَقْصِدِ وَلَا يَصْلُحُ لِرِيَاضَتِهَا .

وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَّا الْعَارِفِينَ وَالْعُلَمَاءَ أَغْنَى الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ وَبَيَّاتِهِ وَقَدْ عَزَّ وَجُودُهُمْ ، وَأَمَّا الْمُرْتَسِمُونَ بِرُسُومِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْخَوْفِ ، وَهَلِ الْعُلَمَاءُ حَقِيقَةٌ يَأْخُذُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بِقَدْرِ الْبَلَاغِ .

وَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ وَهُوَ الْخَوْفُ الْمُفْرِطُ فَهُوَ كَالَّذِي يَقْوَى وَيُجَاوِزُ حَدَّ الْإِعْتِدَالِ ، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ ، فَهُوَ أَيْضًا مَذْمُومٌ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ مِنَ الْعَمَلِ ، وَقَدْ يَخْرُجُ إِلَى الْمَرَضِ وَالْوَلَهِ وَالْمَوْتِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَحْمُودًا .

وَكُلُّ مَا يُرَادُ لِأَمْرِ فَاَلْمَحْمُودُ مِنْهُ مَا يُقْضَى إِلَى الْمُرَادِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ ، وَمَا يَقْصُرُ عَنْهُ أَوْ يُجَاوِزُهُ فَهُوَ مَذْمُومٌ وَفَائِدَةُ الْخَوْفِ الْحَذَرُ وَالْوَرَعُ وَالتَّقْوَى وَالْمَجَاهِدَةُ وَالْفِكْرُ وَالذِّكْرُ وَالتَّعَبُّدُ وَسَائِرُ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُوصِلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَكُلُّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي الْحَيَاةَ مَعَ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَسَلَامَةِ الْعَقْلِ فَإِذَا قَدَحَ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ كَانَ مَذْمُومًا وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

فَصْلٌ

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالْقَدَرُ الْوَاجِبُ مِنَ الْخَوْفِ مَا حَمَلَ عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ فَإِنْ زَادَ عَلَى ذَلِكَ بِحَيْثُ صَارَ بَاعِثًا لِلنُّفُوسِ عَلَى التَّشْمِيرِ فِي نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ ، وَالْإِنْكِفَافِ عَنْ دَقَائِقِ الْمَكْرُوهَاتِ ، وَالتَّبَسُّطِ فِي فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ ، كَانَ ذَلِكَ فَضْلًا مَحْمُودًا .

فَإِنْ تَزَايَدَ عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ أَوْرَثَ مَرَضًا أَوْ مَوْتًا أَوْ هَمًّا لَازِمًا بِحَيْثُ يَقْطَعُ عَنِ السَّعْيِ فِي اكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ الْمَطْلُوبَةِ الْمَحْبُوبَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَحْمُودًا .

وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ يَخَافُونَ عَلَى عَطَاءِ السَّلَامِيِّ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ الَّذِي أَنْسَاهُ الْقُرْآنَ وَصَارَ صَاحِبَ فِرَاشٍ ، وَهَذَا لِأَنَّ خَوْفَ الْعِقَابِ لَيْسَ مَقْصُودًا لِدَايَتِهِ ، إِنَّمَا هُوَ سَوَاطٍ يُسَاقُ بِهِ الْمُتَوَانِي عَنْ الطَّاعَةِ إِلَيْهَا وَمَنْ هُنَا كَانَتْ النَّارُ مِنْ جُمْلَةِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ خَافُوهُ وَاتَّقَوْهُ .

وَلِهَذَا الْمَعْنَى عَدَّهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ جُمْلَةِ آيَاتِهِ عَلَى الثَّقَلَيْنِ فِي سُورَةِ الرَّحْمَانِ ، وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ رَحْمَةً يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ لِيَسْتَهْوُوا أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ .

وَالْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِعْلُ مَرَاضِيهِ وَمَحْبُوبَاتِهِ وَتَرْكُ مَنَاهِيهِ وَمَكْرُوهَاتِهِ ، وَلَا تُنْكِرُ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ وَهَيْبَتَهُ وَعَظَمَتَهُ فِي الصُّدُورِ وَاجْلَالَهُ مَقْصُودٌ أَيْضًا ، وَلَكِنَّ الْقَدْرَ النَّافِعَ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ غَوْنًا عَلَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ ، بِفِعْلِ مَا يُجِبُّهُ وَتَرْكِ مَا يَكْرَهُهُ .

وَمَتَى صَارَ الْخَوْفُ مَانِعًا مِنْ ذَلِكَ وَقَاطِعًا عَنْهُ فَقَدْ انْعَكَسَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ ، وَلَكِنْ إِذَا حَصَلَ ذَلِكَ عَنْ غَلَبَةِ كَانَ صَاحِبُهُ مَعْدُورًا ، وَقَدْ كَانَ فِي السَّلَفِ مَنْ حَصَلَ لَهُ مِنْ خَوْفِ النَّارِ أَهْوَالُ شَتَّى لِغَلَبَةِ حَالِ شَهَادَةِ قُلُوبِهِمْ لِلنَّارِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُلَازِمُهُ الْقَلَقُ وَالْبُكَاءُ وَرُبَّمَا اضْطَرَبَ أَوْ غُشِيَ عَلَيْهِ إِذَا سَمِعَ ذِكْرَ النَّارِ . مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ .

شِعْرًا :

فَبَادِرْ إِلَى الْخَيْرَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا
وَحَالَفْ مُرَادَ النَّفْسِ قَبْلَ مَمَاتِهَا
سَتَبْكِي نُفُوسٌ فِي الْقِيَامَةِ حَسْرَةً
عَلَى فَوْتِ أَوْقَاتِ زَمَانِ حَيَاتِهَا
فَلَا تَغْتَرِرْ بِالْعِزِّ وَالْمَالِ وَالْمُنَى
فَكَمْ قَدْ بُلِينَا بِانْقِلَابِ صِفَاتِهَا
آخِر :

تَزُوّدُ مِنَ الدُّنْيَا بِسَاعَتِكَ الَّتِي
ظَفِرْتَ بِهَا مَا لَمْ تَعْقُكِ الْعَوَائِقُ
فَلَا يَوْمُكَ الْمَاضِي عَلَيْكَ بِعَائِدٍ
وَلَا يَوْمُكَ الْآتِي بِهِ أَنْتَ وَائِقُ

وَمِمَّا وَرَدَ فِي الْخَوْفِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ مَا يَلِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ
طَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ. إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ
يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ. وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ. يَوْمَ
يَأْتِي لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ
لَهُمْ زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ
ضَلُّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ .
وقال تعالى :

﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى ﴾ وَقَالَ
﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى. وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ

لِمَنْ يَرَى ﴿﴾ الْآيَاتِ وَقَالَ ﴿﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿﴾ .

وَقَالَ ﴿﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿﴾ وَقَالَ ﴿﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَيْنِهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿﴾ وَقَالَ ﴿﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿﴾ .

وَقَالَ ﴿﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴿﴾ الْآيَاتِ وَقَالَ ﴿﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿﴾ وَقَالَ ﴿﴾ وَبَدَّالَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿﴾ وَقَالَ ﴿﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿﴾ .

وَقَالَ ﴿﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿﴾ وَقَالَ ﴿﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ يَعْمَلُ سُوءً يُجْزَىٰ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿﴾ .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿﴾ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ لَكَانَتْ كَافِيَةً لِلتَّخْوِيفِ ، إِذْ شَرَطَ لِلْمُبَالِغَةِ فِي مَغْفِرَتِهِ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ ، يَعْجِزُ الْعَبْدُ عَنِ الْوَاحِدِ مِنْهَا إِنْ لَمْ يُعِنَهُ اللَّهُ فَأَوَّلًا التَّوْبَةُ ، وَالثَّانِي الْإِيمَانُ ، وَالثَّالِثُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، وَالرَّابِعُ سُلُوكُ سَبِيلِ الْمُهْتَدِينَ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ وَقَالَ ﴿وَأَن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ وَقَالَ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ الآية ، وَمِنَ الْمُخَوِّفَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ أَرْبَعَةَ شُرُوطٍ بِهَا يَقَعُ الْخَلَاصُ مِنَ الْخُسْرَانِ .

وَهَذِهِ الْآيَاتُ وَنَحْوُهَا هِيَ الَّتِي أَقْضَتْ مَضَاجِعَ السَّلَفِ ، فَلَمْ يَهْنُتُوا بِنَوْمٍ وَلَمْ يَسْتَلِدُوا طَعَامًا وَأَنْحَلَتْ أَجْسَامُهُمْ ، وَأَضْرَتْ بَعُيُونُهُمْ مِنْ كَثَرَةِ الْبُكَاءِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ . وَقَوْلُهُ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ .

شعراً :

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابِدُوهُ
فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ مُرُكَّوْعُ
أَطَارِ الْخَوْفِ نَوْمُهُمْ وَقَامُوا
وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ
لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودُ
أَنْيَسُ مِنْهُ تَنْفِرُ الضُّلُوعُ
وُخْرِبُ فِي النَّهَارِ لِطُولِ صَمْتِ
عَلَيْهِمْ مِنْ سَكِينَتِهِمْ خُشُوعُ

آخِر :

اجْعَلْ شِعَارَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ التَّقَى
قَدْ فَازَ مَنْ جَعَلَ التَّقَى إِشْعَارَهُ
وَاسْلُكْ طَرِيقَ الْحَقِّ مُصْطَحِباً بِهِ
إِخْلَاصَ قَلْبِكَ حَارِساً إِسْرَارَهُ
وَإِذَا أَرَدْتَ الْقُرْبَ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاتَّبِعْ آثَارَهُ

وَالآيَاتُ فِي بَابِ الْخَوْفِ كَثِيرَةٌ جِدّاً مِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ
الْمَصْدُوقُ (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً ثُمَّ
يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ
فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بَكْتَبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ) .

فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا
يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ
فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا
إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا) مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ .

وَعَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يُؤْتَى يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ
لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا) رَوَاهُ

مُسْلِمٌ وَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُؤْضَعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

شعرا :

أَمَّا سَمِعْتُ بِأَكْبَادٍ لَهُمْ صَعَدَتْ	خَوْفًا مِنَ النَّارِ فَانْحَطَّتْ إِلَى النَّارِ
أَمَّا سَمِعْتُ بِضَيْقٍ فِي مَكَانِهِمُوهَا	وَلَا فِرَارَ لَهُمْ مِنْ صَالِي النَّارِ
أَمَّا سَمِعْتُ بِحَيَاتٍ تَدِبُّ بِهَا	إِلَيْهِمُوهَا خُلِقَتْ مِنْ مَارِجِ النَّارِ
فِي إلهي بِأَحْكَامٍ وَمَا سَبَقَتْ	بِهِ قَدِيمًا مِنَ الْجَنَاتِ وَالنَّارِ
أَدْعُوكَ أَنْ تُحْمِيَ الْعَبْدَ الضَّعِيفَ فَمَا	لِلْعَبْدِ مِنْ جَسَدٍ يَقْوَى عَلَى النَّارِ
وَالشَّمْسُ مَا لِي عَلَيْهَا قَطُّ مِنْ جَلْدٍ	فَكَيْفَ يَصْبِرُ ذُو ضَعْفٍ عَلَى النَّارِ

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ سَيَجِيءُ يَوْمٌ يَتَغَيَّرُ فِيهِ هَذَا الْعَالَمُ تَنْفَطِرُ فِيهِ السَّمَاءُ وَتَنْشُرُ فِيهِ الْكَوَاكِبُ وَتُطَوَّى السَّمَاءُ كَطَيِّ الصَّحِيفَةِ يُزِيلُهَا اللَّهُ وَيَطْوِيهَا جَلَّ وَعَلَا وَتُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءٌ كَمَا كَانُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حُفَاءً عُرَاءً غُرُلًا .

وَحِينَئِذٍ يُخْشَرُ الْكَافِرُ أَعْمَى لَا يَرَى أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ أَخْرَسَ لَا يَتَكَلَّمُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ لِيَعْلَمَ مَنْ أَوَّلَ أَنَّهُ أَهْلٌ لِلْإِهَانَةِ وَيَكُونُ أَسْوَدَ الْوَجْهِ أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ فِي مُنْتَهَى الْعَطَشِ فِي يَوْمٍ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ إِلَّا مِقْدَارُ مِيلٍ إِذْ ذَاكَ يَقِفُ ذَاهِلَ الْعَقْلِ شَاخِصَ الْبَصَرِ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ وَفُؤَادُهُ هَوَاءٌ وَيُعْطَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ فَيَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهُ .

ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ وَيُسَلَّكُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً وَبَعْدَ دُخُولِهَا لَا يَخْرُجُ أَبَداً وَلَا يَزِيدُهُ إِلَّا عَذَاباً إِذَا اسْتَغَاثَ مِنْ الْعَطَشِ يُغَاثُ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ وَيَذِيبُ الْأَمْعَاءَ وَالْجُلُودَ تُحِيطُ بِهِ جَهَنَّمُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَكُلَّمَا نَضِجَ جِلْدُهُ بَدَلُ غَيْرِهِ .

وَلَهُ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلُّ هَذَا الْعَذَابِ يُعَانِيهِ وَلَا يَمُوتُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ﴾ وَسَوَاءٌ صَبَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ فِي هَذَا الْعَذَابِ خُلُوداً لَا نِهَآيَةَ لَهُ هَذَا أَقْصَى عَذَابٍ يُتَصَوَّرُ لِأَنَّهُ جَزَاءُ أَقْصَى جَرِيمَةٍ هِيَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ هَذَا عَذَابٌ مُجَرَّدٌ تَصَوُّرِهِ يُطِيشُ الْعُقُولَ وَيُذْهِلُ النُّفُوسَ وَيُفْتِتُ الْأَكْبَادَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَاسْأَلِ اللَّهَ التَّشْيِيتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَحُسْنِ الْإِعْتِقَادِ .

آخر :

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْماً فَلَا تَقُلْ	خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً	وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ
لَهُوَ نَا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعْتَ	ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ
فَيَأْتِيَتْ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى	وَيَأْذَنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَتُؤْبُ
أَقُولُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي	وَحَلَّ بِقَلْبِي لِلْهُمُومِ نُذُوبٌ
لِطَوَّلِ جِنَايَاتِي وَعُظْمِ خَطِيئَتِي	هَلَكْتُ وَمَالِي فِي الْمَتَابِ نَصِيبٌ
وَيَذْكُرْنِي عَفْوُ الْكَرِيمِ عَنِ الْوَرَى	فَأَحْيَا وَأَرْجُو عَفْوَهُ وَأُنِيبُ

فَاخْضَعُ فِي قَوْلِي وَأَرْغَبْ سَائِلًا
عَسَى كَاشِفُ الْبُلْوَى عَلَيَّ يَتُوبُ

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ
وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ (يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرْقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ
ذِرَاعًا وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَعَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً فَقَالَ (هَلْ تَذَرُونَ مَا هَذَا قُلْنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَهُوَ
يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا فَسَمِعْتُمْ وَجِبَتَهَا) رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاءَةً غُرْلًا قُلْتُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ
أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَهْمَّهُمْ ذَلِكَ) وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ الْخَائِفِينَ مِنْهُ وَاثْنَى عَلَيْهِمْ فِي
كِتَابِهِ فَقَالَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَوَّلَئِكَ
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ .

وَفِي الْمُسْنَدِ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قُلْتُ يَا

رَسُولُ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أَهْوَى الَّذِي يَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُ قَالَ لَا يَا بَنَّةَ الصَّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ قَالَ الْحَسَنُ عَمِلُوا وَاللَّهُ بِالطَّاعَاتِ وَاجْتِهَدُوا فِيهَا وَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً وَالْمَنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي فَضَائِلِ الْخَوْفِ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ﴿سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابُّ نَشَأً فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ﴾

وَمِمَّا وَرَدَ فِي فَضِيلَةِ الْخَوْفِ مَا فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِذَا اقْشَعَرَ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَحَاتُّ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَنْ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَقُهَا وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَلْجُ النَّارَ أَحَدٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرِي مُسْلِمٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَرَوَى ابْنُ جِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالتَّبَهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِيمَا يَرَوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ ، وَلَا أَجْمَعُ

لَهُ أُمْنَيْنِ إِنْ أُمْنِيَّ فِي الدُّنْيَا أَحْفَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أُمْنَتُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَمَقَامَاتُ الْخَوْفِ تَخْتَلِفُ فَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ خَوْفُ الْمَوْتِ
قَبْلَ التَّوْبَةِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْمِظَالِمِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ خَوْفُ
الْاِسْتِدْرَاجِ بِالنَّعْمِ أَوْ خَوْفُ الْمَيْلِ عَنِ الْاِسْتِقَامَةِ عَلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ ،
وَقِسْمٌ يَغْلِبُ عَلَيْهِ خَوْفُ خَاتِمَةِ السُّوءِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَعْلَى مِنْ
هَذَا خَوْفُ السَّابِقَةِ لِأَنَّ الْخَاتِمَةَ فَرْعُ السَّابِقَةِ ، وَقَدْ قَالَ هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ
وَلَا أَبَالِي وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي .

وَمِنْ أَقْسَامِ الْخَائِفِينَ مَنْ يَخَافُ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ ، وَشِدَّتِهِ لَا سِيَّمَا
إِذَا كَانَ قَدْ عَاقَبَ مِنْ يُعَاقِبُ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخَافُ عَذَابَ
الْقَبْرِ ، وَسُؤَالَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخَافُ هَيْبَةَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْخَوْفُ مِنْ مُنَاقَشَةِ الْحِسَابِ ، وَالْعُبُورِ عَلَى الصَّرَاطِ وَالْخَوْفِ
مِنَ النَّارِ وَأَنْكَالِهَا وَأَهْوَالِهَا أَوْ حِرْمَانِ الْجَنَّةِ أَوْ الْحِجَابِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ
خَوْفُ الْعَارِفِينَ .

وَمَا قَبْلَ ذَلِكَ هُوَ خَوْفُ الزَّاهِدِينَ وَالْعَابِدِينَ ، وَخَوْفُ عُمُومِ الْخَلْقِ
يَحْصُلُ بِأَصْلِ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَكَوْنِهِمَا دَارِي جَزَاءٍ عَلَى الطَّاعَةِ
وَالْمَعْصِيَةِ وَضَعْفُ هَذَا الْخَوْفِ بِسَبَبِ الْغَفْلَةِ وَالرُّكُونِ إِلَى الدُّنْيَا ،
وَالْإِنْهَمَاكِ فِيهَا ، وَضَعْفُ الْإِيمَانِ ، وَتَرْوُلُ تِلْكَ الْغَفْلَةِ بِالتَّذَكُّرِ وَالْوَعْظِ
وَالْإِرْشَادِ وَمُلَازِمَةِ الْفِكْرِ فِي أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَشِدَائِدِهَا ، وَالْعَذَابِ
فِي الْآخِرَةِ وَبِالنَّظَرِ إِلَى الْخَائِفِينَ وَمُجَالَسَتِهِمْ وَمُشَاهَدَةِ أَحْوَالِهِمْ فَإِنْ فَاتَتْ
الْمُشَاهَدَةُ فَالنَّظَرُ فِي سِيرَةِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْخَوْفُ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

وَقَالَ ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾
وَقَالَ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ وَأَخْبَرَ عَمَّا يَقُولُونَهُ بَعْدَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾

شعراً :

يا نَفْسُ كُفِي فُطُولُ الْعُمُرِ فِي قِصَرِ
وما أَرَى فِيكَ لِلتَّوْبِ بَيْخٍ مِنْ أَثَرِ
يا نَفْسُ قَضَيْتُ عُمْرِي فِي الذُّنُوبِ وَقَدْ
دَنَا الْمَمَاتُ وَلَمْ أَقْضِ مِنَ الْوَطَرِ
يا نَفْسُ غَرَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ زُخْرُفُهَا
ولم تَكُونِي بِهَوْلِ الْمَوْتِ تَعْتَبِرِي
يا نَفْسُ بِالْغَتِ بِالْعِصْيَانِ غَاوِيَةً
ولم تُبَالِي بِتَحْذِيرِ وَمُرْدَجَرِ
آخر:

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلَمِ
يَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلَوَى مَعَ السَّقَمِ
قَدْ نَامَ وَفَدَكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَانْتَبَهُوا
وَأَنْتَ عَيْنُكَ يَا قِيَوْمَ لَمْ تَنَمْ
هَبْ لِي بِجُودِكَ فَضْلَ الْعَفْوِ عَنْ جُرْمِي
يَا مَنْ إِلَيْهِ أَشَارَ الْخَلْقُ فِي الْحَرَمِ
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يُذِرْكُهُ ذُو سَرَفٍ
فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِيْنَ بِالْكَرَمِ

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا كِتَابَكَ وَارْزُقْنَا الْعَمَلَ بِمَا أَوْدَعْتَهُ فِيهِ وَاجْعَلْهُ لِقُلُوبِنَا
ضِيَاءً وَلَا سَقَامِينَ دَوَاءً وَلَا بُصَارِينَ جَلَاءً وَلِدُنُوبِنَا مُمَحَّصًا وَغَنَ النَّارِ مُخْلَصًا
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَعَلَى الْعَاقِلِ النَّاصِحِ لِنَفْسِهِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ مُجَالَسَةِ الظُّلْمَةِ الْأَطْفِيَاءِ
وَالْجَهْلَةِ مِمَّنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ حَتَّى كَانَتْهُمْ حُوسِبُوا وَفُرِغَ
مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَخْشَوْا بَطْشَ اللَّهِ ، وَسَطَوْتُهُ وَلَا نَارَ الْعَذَابِ وَلَا بُعْدَ
الْحِجَابِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ
أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ
فُرْطًا﴾ فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ كَانَ
أَشَدَّ النَّاسِ خَوْفًا فِي الصَّحِيحِ أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً .

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَّهَا اقْتَسَمُوا
الْمُهَاجِرِينَ أَوَّلَ مَا قَدِمُوا عَلَيْهِمْ بِالْقُرْعَةِ ، قَالَتْ فَطَارَ لَنَا - أَيِ وَقَعَ - فِي
سَهْمِنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ مِنْ أَفْضَلِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَكَابِرِهِمْ ، وَتَعَبَّدِيهِمْ
وَمِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا .

فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى إِذَا تَوَفَّى وَجَعَلْنَاهُ فِي ثِيَابِهِ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ أبا السَّائِبِ ، فَشَهِدَاتِي
عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ فَقُلْتُ لَا أُدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ،
وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، أَيُّ فَلَا نِكَارَ عَلَيْهَا مِنْ حَيْثُ جَزَمَهَا بِتِلْكَ
الشَّهَادَةِ مِنْ غَيْرِ مُسْتَنَدٍ قَطْعِيٍّ ، فَكَانَ اللَّائِقُ بِهَا أَنْ تَأْتِيَ بِهَا فِي صِغَةِ
الرَّجَاءِ لَا الْجَزْمِ كَمَا فَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قُلْتُ وَكَثِيرًا مَا أَسْمَعُ وَأَرَى فِي الْكُتُبِ قَوْلَ بَعْضِ النَّاسِ
« الْمَرْحُومَ » أَوْ « الْمَغْفُورُ لَهُ » وَلَا أَدْرِي مَا هُوَ مُسْتَنَدُهُمْ بِإِرَادِهَا بِصِغَةِ
الْجَزْمِ وَالْأُولَى أَنْ يُقَالَ الْمَرْجُو لَهُ الرَّحْمَةُ وَالْغُفْرَانُ هـ .

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَدْرِي ، وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يَفْعَلُ
بِي قَالَتْ فَوَاللَّهِ لَا أَزْكِي أَحَدًا بَعْدَهُ ، أَيُّ عَلَى جِهَةِ الْجَزْمِ وَأَمَّا عَلَى جِهَةِ
الرَّجَاءِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ فَجَائِزٌ ، قَالَتْ وَأُحْزِنَنِي ذَلِكَ فَنِمْتُ فَرَأَيْتُ
لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي فَبِحُثِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ذَلِكَ
عَمَلُهُ .

وَلَمَّا تُوفِّيَ عُثْمَانُ هَذَا قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَذَهُ ،
وَبَكَى حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُهُ الْكَرِيمَةُ عَلَى خَدِّ عُثْمَانَ ، وَبَكَى الْقَوْمُ فَقَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذْهَبَ عَنْهَا أَيُّ الدُّنْيَا أَبَا السَّائِبِ لَقَدْ خَرَجَتْ
عَنْهَا وَلَمْ تَلْبَسْ بِشَيْءٍ وَسَمَّاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّلَفَ الصَّالِحَ ، وَهُوَ
أَوَّلُ مَنْ قُبِرَ بِالْبَقِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَتَأَمَّلْ زَجْرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْجَزْمِ بِالشَّهَادَةِ عَلَى عُثْمَانَ
هَذَا مَعَ كَوْنِهِ شَهِيدَ بَذْرًا وَقَوْلِهِ وَمَا يُذَرِّيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَذْرِ
فَقَالَ ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ، وَكَوْنِهِ قَبْلَهُ وَبَكَى وَوَصَفِيَهُ لَهُ

بِأَعْظَمِ الْأَوْصَافِ وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يَتَلَبَّسْ مِنَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ وَبَيَّنَّهُ السَّلَفُ
الصَّالِحُ ، تَعَلَّمَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ وَإِنْ عَمِلَ مِنَ الطَّاعَاتِ مَا عَمِلَ أَنْ يَكُونَ
عَلَى حَيْزِ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .
شعراً :

يَا رَبِّ هِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا
وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ الْعُظْمَى لَنَا سَنَدًا
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَذْبِيرِ أَنْفُسِنَا
فَالْعَبْدُ يَعْجَزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا
أَنْتَ الْعَلِيمُ وَقَدْ وَجَّهْتُ يَا أَمَلِي
إِلَى رَجَائِكَ وَجْهًا سَائِلًا أَبَدًا
وَلِلرَّجَاءِ ثَوَابٌ أَنْتَ تَعْلَمُهُ

فاجْعَلْ ثَوَابِي دَوَامَ السَّتْرِ لِي أَبَدًا
وَرَوَى شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ
هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ سَلَّمَ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَقَدْ عَلَتْهُ كَابَةٌ
وَهُوَ يُقَلِّبُ يَدَهُ ، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ
أَرِ شَيْئًا يُشَبِّهُهُمْ الْيَوْمَ ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا صُفْرًا غُبْرًا ، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ
أَمْثَالُ رُكْبِ الْمِعْزَى ، قَدْ بَاتُوا لِلَّهِ سُجْدًا ، وَقِيَامًا يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
يُرَاحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ .

فَإِذَا أَصْبَحُوا ذَكَرُوا اللَّهَ ، فَمَا دُؤَا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ الرِّيحِ

وَهَمَلْتُ أَعْيُنُهُمْ بِالْذُّمُّوعِ حَتَّى تَبُلَّ ثِيَابُهُمْ ، وَاللَّهِ كَأَنِّي بِالْقَوْمِ غَافِلِينَ .
ثم قَامَ فَمَا رُؤْيَى بَعْدَ ذَلِكَ ضَاحِكَا حَتَّى مَاتَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ .
شعرا :

لِلَّهِ دَرٌّ رِجَالٍ وَاصْلُوا السَّهَرَا
وَاسْتَعْذِبُوا الْوَجْدَ وَالتَّبرِيحَ وَالْفِكَرَا
فَهُمْ نُجُومُ الْهُدَى وَاللَّيْلُ يَعْرِفُهُمْ
إِذَا نَظَرْتَهُمْ مَوَا هُمْ سَادَةٌ بُرَا
كُلُّ غَدَا وَقْتُهُ بِالذِّكْرِ مُشْتَغَلَا
عَمَّا سِوَاهِ وَلِلذَّاتِ قَدْ هَجَرَا
يُمَسِّي وَيُصْبِحُ فِي وَجْدٍ فِي قَلْقٍ
مِمَّا جَنَاهُ مِنَ الْعِصْيَانِ مُنْذَعِرَا
يَقُولُ يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَرِفَا
بِالذَّنْبِ فَأَغْفِرْهُ لِي يَا خَيْرَ مَنْ غَفَرَا
حَمَلْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا لَا أَطِيقُ لَهُ
وَلَمْ أَطِيعْ سَيِّدِي فِي كُلِّ مَا أَمَرَا
عَصَيْتُهُ وَهُوَ يُرْخِي سِتْرَهُ كَرَمًا
يَا طَالَمَا قَدْ عَفَا عَنِّي وَقَدْ سَتَرَا
وَطَالَمَا كَانَ لِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
إِذَا اسْتَعَثْتُ بِهِ مِنْ كُرْبَةٍ نَصَرَا
وَإِنِّي تَائِبٌ مِمَّا جَنَيْتُ وَقَدْ
وَافَيْتُ بِأَبْكَ يَا مَوْلَايَ مُعْتَذِرَا
لَعَلَّ تَقَبُّلُ عُذْرِي ثُمَّ تَجْبُرْنِي
يَوْمَ الْحِسَابِ إِذَا قُدِّمْتُ مُنْكَسِرَا

وَقَدْ أَتَيْتُ بِذُلٍ رَاجِيًا كَرَمًا
إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ مُفْتَقِرًا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا
عِدَادَ مَا غَابَ مِنْ نَجْمٍ وَمَا ظَهَرَ
وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِضِرَارِ بْنِ حَمْزَةَ الصُّدَائِي ، صِفْ عَلِيًّا ، قَالَ أَلَا
تُعْفِينِي ، قَالَ بَلْ صِفْهُ ، قَالَ أَلَا تُعْفِينِي ، قَالَ لَا أُغْفِيكَ ، قَالَ أَمَا إِنَّهُ لَا
بُدَّ .

فَإِنَّهُ كَانَ بَعِيدَ الْمَدَى ، وَاسِعَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ ، لَا تُدْرِكُ غَايَتُهُ
فِيهِمَا شَدِيدُ الْقُوَى فِي ذَاتِ اللَّهِ ، وَنُصْرَةُ دِينِهِ ، يَقُولُ فَضْلًا ، وَيَحْكُمُ
عَدْلًا ، يَنْفَجِرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَائِبِهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاجِيهِ ، يَسْتَوْجِشُ
مِنَ الدُّنْيَا ، وَزَهْرَتِهَا ، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلْمَتِهِ .

كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرِ ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ ، تَأْسُفًا وَحَزَنًا ،
إِذَا هَذَا .

فِعْلُ الْمُتَأْسِفِ الْحَزِينِ ، وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ ، بِالْمُزَعِجَاتِ ،
وَالْمَقْلِقَاتِ ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللَّيَاسِ مَا خَشَنَ ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا خَصَرَ .
كَانَ وَاللَّهِ كَأَحَدِنَا ، إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَيَأْتِينَا إِذَا دَعَوْنَاهُ ، وَنَحْنُ وَاللَّهِ مَعَ
تَقَرُّبِهِ لَنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نُكَلِّمُهُ هَيِّئَةً لَهُ ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ
الْمَنْظُومِ ، يُعْظَمُ أَهْلَ الدِّينِ وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ، وَلَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي
بَاطِلِهِ وَلَا يَتَأَسُّ الضَّعِيفُ مِنْ عَذْلِهِ .

وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ ، وَقَدْ أَرَخَى اللَّيْلُ سُتُورَهُ ،
وَغَارَتْ نُجُومُهُ ، وَقَدْ تَمَثَّلَ فِي مِخْرَابِهِ ، قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَلَّمُ

تَمْلُمُ اللَّدِيعِ ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، وَكَأَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا
يَضْرَعُ إِلَيْهِ .

ثم يقول يا دُنْيَا يا دُنْيَا إِلَيَّ تَعَرَّضْتَ أَمْ تَشَوَّقْتِي هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ غُرِّي
غَيْرِي ، وَقَدْ بَسَّتْكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي فِيكَ فَعُمُرُكَ قَصِيرٌ ، وَعَيْشُكَ حَقِيرٌ
وَحَطَرُكَ كَبِيرٌ ، آه مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ ، فَذَرَفَتْ
عَيْنُ مُعَاوِيَةَ عَلَى لِحْيَتِهِ ، فَمَا مَلَكَهَا وَهُوَ يُنْشِفُهَا بِكُمِّهِ ، وَقَدْ اخْتَنَقَ الْقَوْمُ
بِالْبُكَاءِ .

قال مُعَاوِيَةُ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ كَانَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ حَزَنُكَ
عَلَيْهِ يَا ضِرَارُ قال حُزْنُ مَنْ وَاحِدُهَا فِي حَجَرِهَا فَلَا تَرَقَا عَبْرَتُهَا وَلَا يَسْكُنُ
حُزْنُهَا .

وقال أَبُو ذَرٍّ وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ وَكَذَا قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ
اللَّهُ أَحَدُ الْعَشْرَةِ .

وقال عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَاداً تَنْسِفُهُ الرِّيحُ .
وكان عليُّ بْنُ الْحُسَيْنِ إِذَا تَوَضَّأَ اصْفَرَ لَوْنُهُ ، فَيَقُولُ لَهُ أَهْلُهُ مَا هَذَا
الَّذِي يَغْتَادُكَ عِنْدَ الْوُضُوءِ ، فيقول أَتَذَرُون بَيْنَ يَدَيَّ حَنْ أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ ،
وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ الْخَائِفِينَ ، فَقَالَ قُلُوبُهُمْ ،
بِالْخَوْفِ قَرِحَةٌ ، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيةٌ ، يَقُولُونَ كَيْفَ نَفْرَحُ وَالْمَوْتُ مِنْ
وَرَائِنَا . ، وَالْقَبْرُ أَمَامَنَا وَالْقِيَامَةُ مَوْعِدُنَا ، وَعَلَى جَهَنَّمَ طَرِيقُنَا وَبَيْنَ يَدَيَّ
اللَّهُ مَوْقِفُنَا ، وَهَذَا مِنْهُ بَيَانٌ عَنِ الْخَائِفِينَ بِحَسَبِ حَالِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ .
شعراً :

وما مَنْ يَخَافُ الْبَعْثَ وَالنَّارَ آمِنٌ ولكن حَزِينٌ مُوجِعُ الْقَلْبِ خَائِفٌ
إِذَا مَرَّ ذِكْرُ الْمَوْتِ أَوْجَعَ قَلْبُهُ وهَيَّجَ أَحْزَانًا ذُنُوبٌ سَوَالِفٌ

وَمَرَّ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِشَابٍ وَهُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِي ضِحْكِهِ
جَالِسٌ مَعَ قَوْمٍ ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ يَا فَتَى هَلْ مَرَرْتَ بِالصُّرَاطِ ، قَالَ لَا ،
فَقَالَ فَهَلْ تَذَرِي إِلَى الْجَنَّةِ تَصِيرُ أُمٌّ إِلَى النَّارِ ، قَالَ لَا ، قَالَ فَمَا هَذَا
الضَّحِكُ ، قَالَ فَمَا رُؤْيَا ذَلِكَ الْفَتَى بَعْدَهَا ضَاحِكًا .

وَرُوِيَ عَنْ مَيْسَرَةَ ابْنِ أَبِي مَيْسَرَةَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ يَقُولُ يَا
لَيْتَنِي لَمْ تَلِدْنِي أُمِّي ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ حِينَ سَمِعَتْهُ يَا مَيْسَرَةُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ
أَحْسَنَ إِلَيْكَ ، هَذَاكَ لِلْإِسْلَامِ ، قَالَ أَجَلٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدْ بَيَّنَّ لَنَا أَنَا وَارِدُونَ
عَلَى النَّارِ ، وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَا صَادِرُونَ عَنْهَا أَيَّ لَا جَزَمَ عِنْدَهُ أَنَّهُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ النَّاجِينَ فَلِذَا اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنْهَا .

وَكَانَ عَطَاءُ السُّلَمِيِّ مِنَ الْخَائِفِينَ ، وَقِيلَ لَهُ فِي مَرَضِهِ أَلَا تَشْتَهِي
شَيْئًا ، فَقَالَ إِنَّ خَوْفَ جَهَنَّمَ لَمْ يَدَعْ فِي قَلْبِي مَوْضِعًا لِلشَّهْوَةِ .

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ لِمَذَا إِذَا وَعَظَ بَعْضُ النَّاسِ خَوْفَ وَأَبْكَى ،
وَبَعْضُهُمْ يَتَكَلَّمُ وَيَبْكِي وَيُخَوِّفُ وَلَا يَبْكُونَ ، فَقَالَ لَيْسَتْ النَّائِحَةُ الثُّكْلَى
كَالنَّائِحَةِ الْمُسْتَأْجَرَةِ .

وَحَكَى أَنَّ قَوْمًا وَقَفُوا بِعَابِدٍ وَهُوَ يَبْكِي فَقَالُوا مَا الَّذِي يُبْكِيكَ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَالَ قَرَحَةٌ يَجِدُهَا الْخَائِفُونَ فِي قُلُوبِهِمْ قَالُوا وَمَا هِيَ ، قَالَ
رَوْعَةُ النَّدَاءِ بِالْعَرَضِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَسْكُنُ رَوْعُهُ ،
حَتَّى يَتْرَكَ جَسَرَ جَهَنَّمَ وَرَاءَهُ ، هَذِهِ نَمَازِجٌ مِنْ مَخَافِ السَّلَفِ ، وَنَحْنُ
أَجْدَرُ بِالْخَوْفِ مِنْهُمْ ، لَكِنْ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الذُّنُوبِ بَلْ بِصَفَاءِ الْقُلُوبِ وَكَمَالِ
الْمَعْرِفَةِ .

وإِلَّا فَلَيْسَ أَمْنًا وَعَدَمُ خُشُوعِنَا لِقَلَّةِ ذُنُوبِنَا ، وَكَثْرَةِ طَاعَاتِنَا ، بَلْ
قَادَتُنَا شَهَوَاتُنَا وَغَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَإِنَهُمَا كُنَا فِي الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَصَدَّتُنَا
عَنْ مُلَاحَظَةِ أَحْوَالِنَا غَفَلَتُنَا وَقَسَوَتُنَا فَلَا يَقْرُبُ الرَّحِيلَ نَتَبُّهُ ، وَلَا بِكَثْرَةِ
الذُّنُوبِ نَتَحَرَّكَ ، وَلَا بِمُشَاهَدَةِ أَحْوَالِ الْخَائِفِينَ تَخَوُّفُنَا وَلَا بِخَطَرِ الْخَاتِمَةِ
انْرَعَجُنَا ، فَتَسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يَتَذَارَكُنَا بِلُطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ وَأَنْ يَجُودَ عَلَيْنَا بِفَضْلِهِ
وَرَحْمَتِهِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

أَجَلُ ذُنُوبِي عِنْدَ عَفْوِكَ سَيِّدِي
حَقِيرٌ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي عَظَائِمًا
وَمَا زِلْتُ غَفَّارًا وَمَا زِلْتُ رَاجِمًا
وَمَا زِلْتُ سَتَارًا عَلَيَّ الْجَرَائِمَا
لَيْنٌ كُنْتُ قَدْ تَابَعْتُ جَهْلِي فِي الْهَوَى
وَقَضَيْتُ أَوْطَارَ الْبَطَالَةِ هَائِمًا
فَهَا أَنَا قَدْ أَقْرَرْتُ يَا رَبُّ بِالذِّبْيِ
آخِرُ : جَنَيْتُ وَقَدْ أَصْبَحْتُ حَيْرَانَ نَادِمًا

أَتَذْهَلُ بَعْدَ نُذَارِ الْمَنَايَا	وَقَبْلَ السَّرْعِ أَنْبَضْتُ الْحَنَايَا ؟
رُؤْيَاكَ لَا يَغُرُّكَ كَيْدُ دُنْيَا	هِيَ الْمِرْنَانُ مُضْمِيَّةُ الرَّمَايَا
أَتَرْجُو الْخُلْدَ فِي دَارِ التَّفْنَانِي	وَأَمِنْ السَّرْبِ فِي خُطَطِ الْبَلَايَا ؟
وَتُغْلِقُ دُونَ رَبِّبِ الدَّهْرِ بَابًا	كَأَنَّكَ آمِنٌ قَرَعَ الرَّاوَايَا
وَأَنَّ الْمَوْتَ لَازِمَةً قِرَاهُ	لُزُومَ الْعَهْدِ أَغْنَاكَ الْبَرَايَا
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ غَارٌ	لَهُ الْمِرْبَاعُ مِنَّا وَالصَّفَايَا

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« فائدة جليلة من كلام »

« ابن القيم وشيخ الاسلام رحمهما الله »

قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وقوله عز وجل ﴿ وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۖ ﴾

فالأية الأولى في الجهاد الذي هو كمال القوة الغضبية ، والثانية في النكاح الذي هو كمال القوة الشهوانية فالعبد يكره مواجهة عدوه بقوته الغضبية خشية على نفسه منه ، وهذا المكروه خير له في معاشه ومعاذ ، ويحب المودة والمشاركة وهذا المحبوب شر له في معاشه ومعاذ .

وكذا يكره المرأة لوصف من أوصافها وله في إمساكها خير كثير لا يعرفه ويحب المرأة لوصف من أوصافها وله في إمساكها شر كثير لا يعرفه فالإنسان كما وصفه به خالقه ظلوم جهول ، قلت ولقد أجاد القائل:

إذا كان غير الله للمرء عُدَّة

أنته الرزايا من وجوه المكاسب

وقد جرت الحنفاء حثف حذيفة

وكان يراها عُدَّة للشدائد

آخر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأكثر ما يجني عليه إجهاده

فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ الْمِيعَارُ عَلَى مَا يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ مِثْلُهُ وَحُبُّهُ وَنُفْرَتُهُ
وَبُغْضُهُ ، بَلِ الْمِيعَارُ عَلَى ذَلِكَ مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ لَهُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، فَاَنْفَعُ
الْأَشْيَاءِ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ طَاعَةُ رَبِّهِ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ .

وَأَضُرُّ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ مَعْصِيَتُهُ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ فَإِذَا قَامَ
بِطَاعَتِهِ وَعِبُودِيَّتِهِ مُخْلِصًا لَهُ ، فَكُلُّ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ يَكُونُ خَيْرًا
لَهُ وَإِذَا تَخَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ وَعِبُودِيَّتِهِ فَكُلُّ مَا هُوَ فِيهِ مَحْبُوبٌ هُوَ شَرٌّ لَهُ .

فَمَنْ صَحَّحَتْ لَهُ مَعْرِفَةُ رَبِّهِ وَالْفِقْهُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عِلْمٌ يَقِينًا أَنَّ
الْمَكْرُوهَاتِ الَّتِي تُصِيبُهُ وَالْمَحَنَ الَّتِي تَنْزِلُ بِهِ فِيهَا ضُرُوبٌ مِنَ الْمَصَالِحِ
وَالْمَنَافِعِ الَّتِي لَا يُخَصِّصُهَا عِلْمُهُ وَلَا فِكْرَتُهُ بَلْ مَصْلَحَةُ الْعَبْدِ فِيمَا يَكْرَهُ أَكْثَرُ
مِنْهَا فِيمَا يُحِبُّ .

فَعَامَّةُ مَصَالِحِ النُّفُوسِ فِي مَكْرُوهَاتِهَا ، كَمَا أَنَّ عَامَّةَ مَضَارِّهَا
وَأَسْبَابَ هَلَكَتِهَا فِي مَحْبُوبَاتِهَا ، أَنْظِرْ إِلَى غَارِسِ جَنَّةٍ مِنَ الْجَنَّاتِ خَيْرٌ
بِالْفَلَاحَةِ غَرَسَ جَنَّةً وَتَعَاهَدَهَا بِالسَّقْيِ وَالْإِصْلَاحِ حَتَّى أَثْمَرَتْ أَشْجَارُهَا
فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا يُفَصِّلُ أَوْصَالَهَا وَيَقْطَعُ أَغْصَانَهَا لِيَعْلِمَ أَنَّهَا لَوْ خُلِيتْ عَلَى
حَالِهَا لَمْ تَطْبُ ثَمَرَتُهَا ، فَيُطْعِمُهُمَا مِنْ شَجَرَةٍ طَيِّبَةِ الثَّمَرَةِ .

حَتَّى إِذَا التَّحَمَّتْ بِهَا وَاتَّحَدَتْ وَأَعْطَتْ ثَمَرَتَهَا ، أَقْبَلَ يُقْلِمُهَا
وَيَقْطَعُ أَغْصَانَهَا الضَّعِيفَةَ الَّتِي تَذْهَبُ قُوَّتُهَا وَيَذِيْقُهَا أَلَمَ الْقَطْعِ وَالْحَدِيدِ
لِمَصْلَحَتِهَا وَكَمَالِهَا ، لِتَصْلَحَ ثَمَرَتُهَا أَنْ تَكُونَ بِحَضْرَةِ الْمُلُوكِ ، ثُمَّ لَا
يَدْعُهَا وَدَوَاعِي طَبْعِهَا مِنَ الشَّرْبِ كُلِّ وَقْتٍ ، بَلْ يُعْطِشُهَا وَقْتًا وَيَسْقِيهَا
وَقْتًا ، وَلَا يَتْرُكُ عَلَيْهَا دَائِمًا وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ أَنْضَرُ لَوَرَقِهَا وَأَسْرَعُ لِنَبَاتِهَا .

ثُمَّ يَعُدُّ إِلَى تِلْكَ الزَّيْنَةِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَ ثَمَرَتِهَا وَبَيْنَ كَمَالِ نَضِجِهَا
وَاسْتَوَائِهَا ، كَمَا فِي شَجَرِ الْعِنَبِ وَنَحْوِهِ ، فَهُوَ يَقْطَعُ أَعْضَاءَهَا ،
بِالْحَدِيدِ ، وَيُلْقِي عَنْهَا كَثِيرًا مِنْ زِينَتِهَا وَذَلِكَ عَيْنُ مَضْلَحَتِهَا فَلَوْ أَنَّهَا ذَاتَ
تَمْيِيزٍ وَإِدْرَاكِ كَالْحَيَوَانِ لَتَوَهَّمَتْ أَنَّ ذَلِكَ إِفْسَادٌ لَهَا وَاضْرَارٌ بِهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ
عَيْنُ مَضْلَحَتِهَا .

وَكَذَلِكَ الْأَبُ الشَّقِيقُ عَلَى وَلَدِهِ الْعَالِمِ بِمَضْلَحَتِهِ ، إِذَا رَأَى
مَضْلَحَتَهُ فِي أَنَّ يُمْسِكَ عَنْهُ الْعَطَاءَ لَمْ يُعْطِهِ وَلَمْ يُوسِّعْ عَلَيْهِ ، لِعِلْمِهِ أَنَّ
ذَلِكَ أَكْبَرُ الْأَسْبَابِ إِلَى فُسَادِهِ وَهَلَاكِهِ .

وَكَذَلِكَ يَمْنَعُهُ كَثِيرًا مِنْ شَهَوَاتِهِ حُمِيَّةٌ لَهُ وَمَضْلِحَةٌ لَا بُخْلًا عَلَيْهِ ،
فَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاجِمِينَ ، وَأَعْلَمُ الْعَالَمِينَ الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ
بِعِبَادِهِ مِنْهُمْ بَأَنْفُسِهِمْ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ ، إِذَا أُنْزِلَ بِهِمْ مَا يَكْرَهُونَ كَانَ
خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَنْ لَا يُنْزِلَهُ بِهِمْ ، نَظَرًا مِنْهُمْ لَهُمْ وَاحْسَانًا إِلَيْهِمْ وَلُطْفًا بِهِمْ .

وَلَوْ مَكُنُوا مِنَ الْأَخْتِيَارِ لِأَنْفُسِهِمْ لَعَجَزُوا عَنِ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ عِلْمًا
وَارَادَةً وَعَمَلًا ، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ تَوَلَّى تَذْيِيرَ أُمُورِهِمْ بِمُوجِبِ عِلْمِهِ وَحُكْمَتِهِ
وَرَحْمَتِهِ أَحَبُّوا أَمْ كَرَهُوا ، فَعَرَفَ ذَلِكَ الْمُوقِنُونَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَلَمْ
يَتَّهِمُوهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ وَخَفِيَ ذَلِكَ عَلَى الْجُهَالِ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ
وَصِفَاتِهِ ، فَتَنَازَعُوهُ تَذْيِيرُهُ وَقَدْ حُوتَ فِي حُكْمَتِهِ ، وَلَمْ يَنْقَادُوا لِحُكْمِهِ ،
وَعَارَضُوا حُكْمَهُ بِعُقُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَآرَائِهِمُ الْبَاطِلَةِ وَسِيَاسَاتِهِمُ الْجَائِرَةَ فَلَا
لِرَبِّهِمْ عَرَفُوا وَلَا لِمَصَالِحِهِمْ حَصَّلُوا ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وقال الشيخ تقي الدين من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين
أن يُنْزَلَ بِهِمْ مِنَ الضَّرِّ وَالشَّدَّةِ مَا يُلْجِئُهُمْ إِلَى تَوْجِيْدِهِ فَيَدْعُوْنَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدِّينَ وَيَرْجُوْنَهُ وَلَا يَرْجُوْنَ أَحَدًا سِوَاهُ فَتَعَلَّقُوا قُلُوبَهُمْ بِهِ لَا يَغْيِرُهُ فَيَحْضُلُ لَهُمْ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ وَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ طَعْمِهِ .

والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف أو الجذب والضرر وما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله فأعظم من أن يُعَبَّرَ عَنْهُ مَقَالٌ وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ ذَلِكَ نَصِيبٌ بِقَدْرِ إِيْمَانِهِ وَلِهَذَا قِيلَ يَا بَنَ آدَمَ لَقَدْ بُوْرِكَ لَكَ فِي حَاجَةٍ أَكْثَرَتْ فِيهَا مَنْ قَرَعَ بَابَ سَيِّدِكَ .

وطوراً تكون المصائب إتيقاً من الله تعالى لمخالفة العبد أمر ربه كمعصية آدم من أكل الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها فأكله من الشجرة معصية جزاء عصيانه كما أنها تكون لمحور الذنوب وتطهير القلوب من رجس المعاصي .

وقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ أَ هـ .

والحكمة والله أعلم في ذلك أنها مربية للنفس وتُمرِّنها على احتِمَالِ الشَّدَائِدِ وَالصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَلَى الْإِنَاءَاتِ وَالرَّزَانَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ فَتَبْلُغُ بِصَاحِبِهَا إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ وَتُبْلُغُ الْغَايَاتِ لِذَلِكَ تَجِدُ الرِّجَالَ الْأَمْجَادَ الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ مُعَانَةً لِلشَّدَائِدِ فِي حَيَاتِهِمْ وَصَبَرُوا عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْآلَامِ الَّتِي تَنَالُهُمْ عِنْدَ قِيَامِهِمْ بِالْدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ذَكَرَهُمْ بَاقٍ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَأَجْرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَامٌ .

والله سبحانه يَتَبَلَّى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ لِيُبَلِّغَهُ مَا قُدِّرَ لَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ

قال الله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ .

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ مُطْمَئِنَّةٌ لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ تُصِيبُهُمُ الْمَصَائِبُ فِي الدُّنْيَا مِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ تَفِيئُهَا الرِّيحُ مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى حَتَّى تَهْبِجَ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجَذَّبَةِ عَلَى أَصْلِهَا لَا يَفِيئُهَا شَيْءٌ يَكُونُ انْجَعَافُهَا مَرَّةً وَاجِدَةً » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ .

وَعَنْ جَابِرِ مَرْفُوعًا يَوَدُّ نَاسٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ جُلُودَهُمْ كَانَتْ تُقْرَضُ بِالْمَقَارِيطِ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلِأَمْثَلٍ مِنَ النَّاسِ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ ، زِيدَ فِي بَلَائِهِ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ

الأرضِ وليس عليه خطيئة .

وعن أبي هريرة يُتلى المؤمن أو المؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة صححهما الترمذي وروى الثاني مالك وأحمد .

وورد مرفوعاً إن المؤمن إذا أصابه سقم ثم أعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل وإن المنافق إذا مرض ثم أعفي كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم أرسلوه رواه أبو داود .

ثم أعلم أن إبليس لعنه الله قد يعرض للمريض والمختصر فيؤذيه في دينه ودنياه وقد روي عن النبي ﷺ أنه كان يدعو « اللهم إني أعوذ بك من الغرق والحرق والهدم وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت » أخرجه الطبراني .

وفي حديث آخر أن إبليس لا يكون في حالٍ أشد منه على ابن آدم عند الموت يقول لأعوانه دُونَكُمْوه فإنه إن فاتكم اليوم لم تلحقوه .
وقد يستولي على الإنسان حينئذ فيضله في اعتقاده ورُبما حال بينه وبين التوبة وربما منعه من الخروج من مظلمة أو أيسه من رحمة الله .
ويقول له قد أقبلت إليك سكرات الموت التي لا تطيقها الجبال ونزع الموت شديد وربما خوفه وأقلقه وأوقعه في الوسوس والاعتراض على القدر والعياذ بالله .

فينبغي للمؤمن أن يعلم أن هذا الساعة ساعة خروج الروح حين يحمى الوطيس فيتجلد ويتصبر ويستعين بالله الحي القيوم على هذا العدو المرصد ليرجع هذا العدو خائباً .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن المؤمن لينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر » .

ويعلم أن الجزع لا يفيد شيئاً وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال ما أحب أن تَهَوَّنَ عَلَيَّ سَكَرَاتُ الموت إنه آخر ما يكفر به عن المسلم .
وعن إبراهيم قال كانوا يَسْتَحِبُّونَ لِلْمَرِيضِ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ عند الموت وعن ابن عباس أنه قال آخِرُ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا الْمُؤْمِنُ الموت .

وأعلم أن المريض يُذْهِبُ الْخَطَايَا وَكُلَّمَا اشْتَدَّ الْمَرَضُ كَانَ أَذْهَبَ لَهَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَمَسَسْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا .
فَقَالَ أَجَلُ إِنْ أُوعِكَ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ قُلْتُ ذَلِكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ .

قال أَجَلُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقُهَا . رواه البخاري ومسلم .
وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشُّوْكَةُ يَشَاكُهَا » رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ » .

وعن صهيب قال قال رسول الله ﷺ « عَجِبْتُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ فَشَكَرَ كَانَ خَيْرًا وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ فَصَبَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ » أخرجه مسلم .

وعن أبي سعيد الخدري قال دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَوَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّةً بَيْنَ يَدَيَّ (فوق اللحاف) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَشَدَّهَا عَلَيْكَ قَالَ « إِنَّا كَذَلِكَ يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ » .

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ « الْأَنْبِيَاءُ » قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ « الصَّالِحُونَ إِنْ كَانَ لِيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا الْعِبَادَةَ يُحَوِّهَا وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرِّخَاءِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه .

وعن عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع عن أبي حيان عن أبيه قال دَخَلُوا عَلَى سُؤَيْدِ بْنِ شُعْبَةَ الْيَرُبُوعِيِّ وَقَدْ صَارَ عَلَى فَرَّاشِهِ كَأَنَّهُ فَرَحٌ وَامْرَأَتُهُ تُنَادِيهِ مَا نُطْعِمُكَ مَا نَسْقِيكَ .

فَأَجَابَهَا بِصَوْتٍ خَفِيَ ذَبَرَتْ الْحَرْقِفُ وَطَالَتْ الضُّجْعَةُ وَمَا أَحَبُّ أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَقَصَنِي مِنْهُ قُلَامَةً ظُفِرُ وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا رَأَيْتُ الْوَجَعَ عَلَى أَحَدٍ أَشَدَّ مِنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وكان جماعة من السلف يجعلون مكان الأنين والتأوه من شدة المرض ذِكْرَ اللَّهِ سبحانه والاستغفار والتعبد وذلك لأن الأنين ونحوه نوع شكوى فَمَتَّى أَمَكْنَ التَّصَبُّرَ عَنْهُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَصْبِرَ .

وما هي إلا ساعة ثم تَنْقُضِي وَيَذْهَبُ هَذَا كُلُّهُ وَيَزُولُ فَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ عَذَرَ . وقال الامام أحمد لابنه أقرأ عليَّ حديث طاووس أنه كره الأنين في المرض فقرأ عليه فَمَا أَنَّ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَلَمَّا احْتَضَرَ صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ وَحَضَرَهُ أَخُوهُ فَجَعَلَ يَتَقَلَّبُ قَالُوا كَانَ لَهُ حَاجَةٌ قَالَ نَعَمْ .

فَقَالَتْ ابْنَتُهُ مَا لَهُ مِنْ حَاجَةٍ إِلَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ تَقُومُوا عَنْهُ فَيَقُومُ فَيُصَلِّيَ وَمَا ذَاكَ فِيهِ .

فَقَامَ الْقَوْمُ عَنْهُ وَقَامَ إِلَى مَسْجِدِهِ يُصَلِّي فَصَاحَتْ ابْنَتُهُ بِهِمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَحَمَلُوهُ فَمَاتَ .

ودخلوا على أحد السلف وهو يعاني سكرات الموت فجعل يكبر ويهلل ويذكر الله عز وجل وجعل الناس يدخلون عليه أرسالا يسلمون عليه فيرد عليهم ويخرجون .

فلما كثروا عليه أقبل على ولده فقال يا بُنَيَّ أَغْنِي رُدَّ السَّلامِ عَلَى هَولَاءِ
لَا يَشْغَلُونِي عَنْ رَبِّي عِزٌّ وَجَلٌّ .

وقال أبو محمد الحريري حَضَرْتُ عِنْدَ الْجُنَيْدِ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِسَاعَتَيْنِ فَلَمْ
يَزَلْ تَالِيًا وَسَاجِدًا فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى مِنَ الْجُهْدِ فَقَالَ
يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَخَوَجُّ مَا كُنْتُ إِلَيْهِ هَذِهِ السَّاعَةَ فَلَمْ يَزَلْ تَالِيًا وَسَاجِدًا حَتَّى فَارَقَ
الدُّنْيَا وَخَرَجَ مِنْهَا عَارِيًا كَمَا دَخَلَهَا عَارِيًا .

وهكذا كُلُّ بَنِي آدَمَ يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ مُجَرَّدًا مِنَ اللِّبَاسِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا عَارِيًا
إِلَّا مِنْ كَفَنِهِ كَمَا قِيلَ :

نَصِيبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ رِذَاءَ آتٍ تُلَوِّي فِيهِمَا وَحَنُوطُ
آخِرٍ: فَمَا تَزُودُ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سِوَى حَنُوطِ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي خِرْقٍ
وغيرِ نَفْحَةٍ أَغْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ وَقَلٌّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِنُطْلُقِ
أَوْجَدَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِيَتَعَلَّمَ وَيَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَيَتَمَتَّعَ بِخَيْرَاتِ الدُّنْيَا
مُسْتَعِينًا فِيهَا عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ حَتَّى إِذَا انْقَضَى أَجَلُهُ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لِذَارِ الْجَزَاءِ
وَالْمُحَاسَبَةِ عَلَى عَمَلِهِ .

فَإِنْ أَحْسَنَ التَّصَرُّفَ وَأَطَاعَ رَبَّهُ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ لِيَسْعَدَ فِيهَا لِلْأَبَدِ .
وَإِنْ أَسَاءَ التَّصَرُّفَ وَعَصَى رَبَّهُ أَدْخَلَهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَتَعَذَّبُ فِيهَا لِلْأَبَدِ .
وَكُلُّ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَمْتِعَةٍ وَلَذَائِذٍ قَلِيلَةٍ وَضُئِيلَةٍ وَمَحْدُودَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِلذَّائِذِ
الْجَنَّةُ بَلْ مَوْضِعُ السُّوْطِ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ
جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَالْمَكْثُ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ فَهُوَ سِنَوَاتٌ تَمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ لَا يَشْعُرُ
الْإِنْسَانُ إِلَّا وَقَدْ انْتَهَتْ كَأَنَّهَا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارِ حَيَاتِهِ كُلِّهَا .
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ رَأَاهَا دَارَ قَرَارٍ .

وَقَالَ لَا دَارَ لِي سِوَاهَا وَاعْتَنَى بِهَا وَبِزَخَارِيفِهَا وَغَرَّةِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ

وزينها له فانغمس فيها .

وعمل لها ليله ونهاره وتعب فيها مستمتعا بخيراتها الفاتية وملاقى بلاءها
وانكادها واكدارها .

وبعد قليل هجم عليه هادم اللذات وأيقظه من غفلته بعد فوات
الأوان فندم حيث لا ينفع الندم وعرف بعد الفوت أن الدنيا دار من لا دار
له ولها يجمع من لا عقل له .

وقسم من الناس وفقهم الله وهو أعلم بالمهتدين فأسعدهم بالإسلام
ووفقهم للعمل بما يرضيه .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس
نصيبك من الدنيا ﴾ وهؤلاء تمشوا مع الكتاب والسنة أصلحوا دنياهم وجدوا
واجتهدوا وعملوا للآخرة .

فالدنيا نعم المطية للمؤمن يستعملها للخير وينجو عليها من الشر
فاتخذها مطية فعمرها كما أمره خالقها وأخذ منها ما يلزمه باعتدال وتوازن ولم
يعلق قلبه بها .

فأطاع ربه واستعد لآخرته فلما أتاه الموت وجدّه على أتم الاستعداد .
ومن الناس من رأى الدنيا تافهة وأيامها قليلة وعلم ما في الآخرة من
نعيم مقيم وعيش سليم وعلم أن الدنيا والآخرة ملك (الله الواحد القهار)
(الذي له المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) .

فأحب ربه واشتغل بعبادته وبالتقرب إليه بالعلم وفعل الخير وترك
الدنيا وزينتها وزهد فيها .

وهذا القسم نادر كندرة الماس والجوهر الثمين فسعدوا بطاعة الله
والتقرب إليه وصرف الوقت فيما يرضيه .

ومن الناس من جهل الدنيا والآخرة فعاش فيها عيش البهائم يعمل
ليه ونهاره .

ويأكل كما تأكل الأنعام فلم يستفد من الدنيا ولم يستعد للآخرة وهؤلاء هم الأكثرية الساحقة .

وأساء الناس من شغل عمره في خدمة مخلوق وضيع وقته في القيل والقال والجلوس عند الملاهي والمنكرات .

وروي إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عبد أذهب آخرته بدنيا غيره .

وأساء الناس تدبيراً لعاقبة مَنْ أنفق العمر فيما ليس ينفعه أما الاعتدال والتوسط بين الاستمتاع بالدنيا بلا إسراف ولا إضاعة وقت ولا يتعلّق قلبه بها ويكون مُستَعِدّاً للآخرة فهذا سمة العقلاء والسعداء الذين يُحَسِّنُونَ تَصْرِيفَ أَوْقَاتِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ .

وليعلم المؤمن أن الله جلّ وعلاً وتقّدر يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبّه كما يحمي المريض أهله من الطعام والشراب يخافون عليه .

وعلى الإنسان العاقل أن يفهم الدنيا على حقيقتها فينظر أولاً كيف ولد يجد أنه ولد غريباً من كلّ شيء حتى من الثياب ثم رزقه الله الكسوة من الملابس والمتاع والسكن والمال على أنها غاريّة مُرجعة .

فإذا فقد منها شيئاً فلا يحزن لأنّ من أعاره شيئاً استرده وسوف يؤخذ منه كل ما أُعطي ويخرج من الدنيا تاركاً كلّ شيء .

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بُدّ يوماً أن تُردّ الودائع آخر : تجرّد من الدنيا فإنك إنّما خرجت إلى الدنيا وأنت مجرّد

آخر : فما تزود مما كان تجمعه سوى حنوط غداة البين في خرق وغير نفحة أعواد تشبّ له وقلّ ذلك من زادٍ لمنطلق

« حِكْمٌ وَمَوَاعِظٌ وَأَدَابٌ »

قال بعضهم يُوصي ابنه يا بُنيّ لا تدخل في الدنيا دخولاً يضرّ بآخرتك ولا تتركها تركاً تكون به كلاً على الناس .

وقال أترك الدنيا قبل أن تتركك ، واسترض ربك قبل لقاءه ، واعمر

بَيْتِكَ الَّذِي سَوْفَ تَسْكُنُهُ قَبْلَ انْتِقَالِكَ إِلَيْهِ .

قَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ لِمَنْ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيُنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ كَيْفَ يَتْرُكُ الدُّنْيَا مَنْ تَأْمُرُونَهُ بِتَرْكِ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَهُمْ إِنْ الْقُوَاهَا أَخَذْتُمُوهَا أَنْتُمْ .

وَقَالَ آخِرُ الْوَقْتِ آلَةُ الرِّزْقِ إِنْ اسْتُعْمِلَ ، وَآفَةُ الرِّزْقِ إِذَا أَهْمِلَ .

لَا تَسْتَغْرِبُ وَقُوعَ الْأَكْذَارِ ، مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، فَإِنَّمَا مَا أُبْرِزَتْ إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ وَصَفِيهَا وَوَاجِبُ نَعْتِهَا فَاحْذَرَهَا .

طُبِعَتْ عَلَى كَذَرٍ وَأَنْتَ تَرُومُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْذَارِ وَالْأَكْذَارِ مَرَّ بَعْضُهُمْ عَلَى مَزْبَلَةٍ بِجَانِبِ مَقْبَرَةٍ ، فَقَالَ هَذِهِ كَنْزُ الرِّجَالِ ، وَهَذِهِ

كَنْزُ الْأَمْوَالِ . خَلَقَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الدُّنْيَا لِتَكُونَ فِي خِدْمَتِكَ ، فَتَحَوَّلَتْ إِلَى خِدْمَتِهَا ، وَأَرَادَكَ مَلِكًا لَهَا وَأَرَدَتْ أَنْ تَكُونَ مَمْلُوكًا لَهَا .

أَنْتَ الْأَمِيرُ عَلَى الدُّنْيَا بِزُهْدِكَ فِي حُطَامِهَا وَطَرِيقُ الْحَقِّ مَسْلُوكُ وَأَنْتَ عَبْدٌ لَهَا مَا دُمْتَ تَعَشِّقُهَا إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ مَمْلُوكٌ

الدُّنْيَا مَحْبُوبَةٌ لِلْإِنْسَانِ وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَأْخُذَ مِنْهَا شَيْئًا كَرِهَهُ اللَّهُ وَلَا نَمْنَعَ مِنْهَا شَيْئًا أَحَبَّهُ اللَّهُ وَبِذَا لَا يَضُرُّنَا حُبُّهَا لَهَا .

الدُّنْيَا بَحْرٌ وَالْآخِرَةُ سَاحِلٌ وَالْمَرْكَبُ التَّقْوَى وَالنَّاسُ سُفْرٌ .

الذَّنْبُ يَضُرُّ فَاعِلُهُ وَقَدْ يَضُرُّ غَيْرَهُ إِنْ غَيْرُهُ ابْتُلِيَ ، وَإِنْ اغْتَابَهُ أَثِمَ ، وَإِنْ رَضِيَ بِهِ شَارَكَهُ ، قِيلَ إِنْ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ يَا رَبِّ مَنْ أَشْرَفُ لِنَاسٍ .

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَشْرَفُ النَّاسِ مَنْ إِذَا خَلَا عِلْمَ أَنِي ثَانِيهِ فَأَجَلَّ قَدْرِي عَنْ أَنْ يَظْهَرَنِي عَلَى مَعَاصِيهِ .

هَجْرَانِ الْمَعَاصِي أَفْضَلُ الْهَجْرَةِ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ أَفْضَلُ الْجِهَادِ وَلَا يَأْتِي أَحَدٌ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذِكْرِهِ .

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ لَا تَسْتَبِطِءَ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ وَقَدْ سَدَّدَتْ طُرُقَهَا بِالْمَعَاصِي .

التَّهَادِي بِالْمَعَاصِي يُوجِبُ الْإِصْرَارَ عَلَيْهَا وَالْإِصْرَارُ يُوجِبُ الْغَفْلَةَ عَنْ
اللَّهِ وَمَنْ غَفَلَ عَنِ اللَّهِ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ فَهَلَكَ .

أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةً مَنْ بَاعَ الْجَنَّةَ بِهَا فِيهَا بَشَهْوَةُ سَاعَةٍ سُئِلَ بَعْضُهُمْ
هَلْ مِنْ عِلَامَةٍ لِمَنْ قَبْلَهُ اللَّهُ فَقَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ وَلَكِنْ هُنَا قِرَائِنٌ وَدَلَالٌ وَمَرْجِحَاتٌ
مِنْهَا إِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ عَصَمَكَ مِنَ الْمَعَاصِي وَكَرَّهَهَا إِلَيْكَ
وَوَفَّقَكَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الطَّاعَاتِ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا تَرَجَّحَ عِنْدَكَ الْقَبُولُ لَا
تَتَهَاوَنَ بِالذَّنْبِ الصَّغِيرِ وَانْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ عَصَيْتَ رَبًّا عَظِيمًا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ جَمِيعًا قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

أَفَقْ مِنْ غَفْلَةِ الْأَمَالِ تَسْلَمْ وَقُمْ لِلَّهِ أَوَابًا مُطِيعًا
وَحَالَفْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ وَنَفْسِكَ وَالْهَوَى ثُمَّ الرَّقِيعَا
فَنِعَمَ الْعَبْدُ أَنْتَ بَغَيْرِ شَكٍّ إِذَا أَصْبَحْتَ لِلدَّاعِي سَمِيعًا
بَصِيرًا بِالْعَوَاقِبِ فِي أُمُورٍ بِهَا أَحْسَنْتَ مَا عِشْتَ الصَّنِيعَا
تَمَسَّكَ بِالشَّرِيعَةِ وَاحْتَرَمَهَا تَنَلْ مِنْ فَضْلِهَا الشَّرَفَ الرَّفِيعَا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْل)

إِعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ أَنَّ آفَةَ الْكِبَرِ عَظِيمَةٌ وَفِيهِ يَهْلِكُ الْخَوَاصُّ وَقَلَّتْ
يَنْفَكُ عَنْهُ الْعِبَادُ وَالزُّهَادُ وَالْعُلَمَاءُ وَكَيْفَ لَا تَعْظُمُ آفَتُهُ وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ
لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ وَإِنَّمَا صَارَ حِجَابًا دُونَ الْجَنَّةِ
لَأَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ
لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّوَاضُّعِ وَلَا عَلَى تَرْكِ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ
وَالْغَضَبِ وَلَا عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَقَبُولِ النَّصِيحِ وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الْإِزْدِرَاءِ
وَالْإِحْتِقَارِ لِلنَّاسِ وَاغْتِيَابِهِمْ فَمَا مِنْ خُلُقٍ سَيِّئٍ ذَمِيمٍ إِلَّا وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهِ
وَمُضْطَرٌّ إِلَيْهِ وَقَدْ شَرَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِبَرَ فَقَالَ الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ

الناس وأعلم أن العُجبَ يدْعُو إلى الكبرِ تتولَّد الآفاتُ الكثيرةُ وهذا مع الخلقِ فأما مع الخالقِ فإنَّ العُجبَ بالطَّاعاتِ نَتِيجَةُ اسْتِعْظَامِهَا فَكَأَنَّهُ يَمُنُّ على الله تعالى بِفِعْلِهَا وَيُنْسِي فَضْلَ اللَّهِ وَنِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِتَوْفِيقِهِ لَهَا وَيَعْمَى عَنْ آفَاتِهَا الْمُفْسِدَةِ لَهَا .

نَظَرَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ إِلَى وَالٍ ظَلَمَ اسْتِقْبَلَهُ النَّاسُ بِالتَّبَجُّيلِ وَالتَّعْظِيمِ فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ انظروا إلى مَنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ سُرُورِ الدُّنْيَا وَخِزْيِ الْآخِرَةِ .
وَقَالَ آخَرُ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا بِحَبْسِهِمُ الْحَقَّ حَتَّى يَشْتَرِيَ مِنْهُمْ وَيَبْسِطِيهِمُ الظُّلْمَ حَتَّى يَفْتَدِيَ مِنْهُمْ .

كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَجْعَلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَالِهِ دِرْهَمًا فِي طَعَامِ الْمُسْلِمِينَ الْفُقَرَاءِ وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلَا وَإِنِّي نَزَّلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ كَافِلِ الْيَتِيمِ إِنْ اسْتَغْنَيْتُ اسْتَعْفَفْتُ وَإِنْ افْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ .
وَدَخَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ وَالٍ عَلَى الْمَدَائِنِ فَوَجَدَهُ يَعْمَلُ الْخُوصَ بِيَدِهِ يُسَوِّي مِنْهُ قُفْفًا لِيَبِيعَهَا وَيَتَقَوَّتُ بِهَا .

فَقَالَ لَهُ تَعْمَلُ هَذَا وَأَنْتَ أَمِيرٌ عَلَى الْمَدَائِنِ وَيَجْرِي عَلَيْكَ الرِّزْقُ .
فَقَالَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنِّي اشْتَرِي بِدِرْهَمٍ خُوصًا (سَعْفُ النَّخْلِ)
فَأَعْمَلُهُ قُفْفًا فَأَبِيعُهُ بِثَلَاثِ .

أَنْفَقَ دِرْهَمًا عَلَى وَعَلَى عِيَالِي وَأَتَصَدَّقُ بِدِرْهَمٍ وَأَعِيدُ دِرْهَمًا فِيهِ وَاللَّهُ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِي .

وَرَأَى بَعْضُ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ وَظَنَهُ مِنْ جَمَلَةِ الْحَمَامِيلِ الْفُقَرَاءِ فَقَالَ إِحْمِلْ لِي هَذَا الْمَتَاعَ فَحَمَلَ لَهُ أُمْتِعَتَهُ وَمَشَى مَعَهُ فِي السُّوقِ .

وَكُلَّمَا صَادَفَ إِنْسَانًا سَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَالْمُقَاضِي عَلَى رَأْسِهِ فَاسْتَغْرَبَ الرَّجُلَ ذَلِكَ وَخَجَلَ مِنْهُ وَقَالَ لِسَلْمَانَ مَنْ الْأَمِيرُ قَالَ أَنَا فَأَخَذَ يَعْتَذِرُ وَيَطْلُبُهُ السَّمَاحَ وَيَقُولُ أَعْطِنِي مَتَاعِي جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا .

قال لا بُدَّ مِنْ حَمْلِهِ أَنَا خَادِمٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَأَبَى إِلَّا أَنْ يُوصَلَ الْأُمْتَعَةُ إِلَى بَيْتِ صَاحِبِهَا .

قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا فَقَالَ بَلْ جَزَى الْمُسْلِمِينَ عَنِّي خَيْرًا .

وَأَتَى إِلَيْهِ مَظْلُومٌ مِنَ الْيَمَنِ فَكَتَبَ لِعَامِلِهِ بِالْيَمَنِ أَنْ يَأْخُذَ لَهُ حَقَّهُ وَيُنْصِفَهُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ .

ثُمَّ قَالَ لِلْمَظْلُومِ كَمْ نَفَقْتُكَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى هُنَا وَهَلْ بَلَى مِنْ أَثَوَابِكَ شَيْءٌ ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَيْهِ .

وَأَتَى إِلَيْهِ فَقِيرٌ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اشْتَدَّتْ بِي الْحَاجَةُ وَبَلَغَتْ بِي الْفَاقَةُ وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَنْ مَقَامِي هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ .

فَبَكَى عُمَرُ حَتَّى بَلَ الْقَضِيبَ الَّذِي يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ فَقَالَ كَمْ عِيَالُكَ قَالَ خَمْسَةٌ أَنَا وَامْرَأَتِي وَثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ .

فَقَالَ عُمَرُ فَرَضْنَا لَكُمْ عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ فِي الشَّهْرِ وَنَأْمُرُ لَكَ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ مِائَتَيْنِ مِنْ مَالِي وَثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ مَالِ اللَّهِ حَتَّى تَتَبَلَّغَ بِهَا حَتَّى يُخْرِجَ عَطَاؤُكَ .

وَقُدِّمَ لَهُ هَدِيَّةٌ وَقَالُوا لَهُ أَقْبَلُهَا فَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ فَقَالَ كَانَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَدِيَّةٌ وَهِيَ الْآنَ لَنَا رِشْوَةٌ وَرَفَضَهَا .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَصَلَّ : بَعْدَ الصُّلْحِ بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَالرُّومِ قَدَّمَ قَائِدَ رُومَانِي طَعَامًا فَاخِرًا لِأَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَتُطْعِمُونَ الْجُنْدَ مِثْلَ هَذَا قَالَ لَا .

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا يَقْتَصِرُ عَلَيْنَا بَشَرٌ أَبُو عُبَيْدَةَ وَقَدْ صَحِبَهُ جُنْدٌ مِنْ بِلَادِهِمْ لِيُهْرَقُوا دِمَاءَهُمْ أَوْ لَمْ يُهْرَقُوا فَاسْتَأْثَرَ بِنَفْسِهِ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ لَا نَأْكُلُ إِلَّا نَمًّا يَأْكُلُونَ .

رَكِبَ الْوَزِيرُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الظَّالِمُ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ فَقَالَ النَّاسُ مَنْ

هَذَا مَنْ هَذَا فَقَالَتْ إِمْرَأَةٌ لَمْ تَقُولُونَ مَنْ هَذَا .
هَذَا عَبْدُ غَرَّةِ الشَّيْطَانِ فَسَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى فَاِبْتَلاَهُ اللَّهُ بِمَا تَرَوْنَ
فَرَجَعَ الْوَزِيرُ إِلَى مَكَّةَ تَائِبًا مُجَاوِرًا .

كَتَبَ وَالِ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِنْ قَوْمًا اخْتَلَسُوا مَالَ الدَّوْلَةِ فَأَذَنْ لِي فِي
عِقَابِهِمْ فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَيْهِ لَا تَظُنَّ أَنَّ رِضَائِي عَلَيْكَ وَمَشُورَتِي تَنْجِيكَ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ .

لِذَا مِنْ أَقَرَّ مِنْهُمْ فَجَازَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ وَمَنْ أَنْكَرَ فَاسْتَحْلَفَهُ وَخَلَّ سَبِيلَهُ
فَلَعَمْرِي لَأَنْ يَلْقُوا اللَّهَ بِخِيَانَتِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِدِمَائِهِمْ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا بِحَبْسِهِمْ الْحَقَّ حَتَّى يَشْتَرِيَ
مِنْهُمْ وَيَبْسُطَهُمُ الظُّلْمَ حَتَّى يُفْتَدَى مِنْهُمْ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ سُرُورَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَعْبُرُونَ الْقَنَاطِرَ وَيَأْمَنُونَ الْعَوَائِرَ فَذَلِكَ يَوْمُ
عِيدِهِمْ وَمَادَامُوا فِي دَارِ الْغُرُورِ فَلَا غِبْطَةَ وَلَا سُرُورَ .
وَأَيُّ سُرُورٍ لِمَنْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَاصِيَّتِهِ وَالذُّنُوبُ رَاسِخَةٌ فِي آيَاتِهِ وَالنَّفْسُ
تَقُودُهُ إِلَى هَوَاهَا وَالْدُنْيَا تَتَزَيَّنُّ فِي عَيْنِهِ بِمُشْتَهَاهَا .
وَالشَّيْطَانُ مُسْتَبْطِنٌ فَقَارَ ظَهْرِهِ لَا يَفْتَرُ عَنِ الْوَسْوَاسَةِ فِي صَدْرِهِ وَنَفْسِهِ
وَمَالِهِ بَعْرُضِهِ لِلْحَوَادِثِ وَلَا يَذَرِي فِي كُلِّ نَفْسٍ مَا عَلَيْهِ حَادِثٌ .
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ مَا سُلِّطُوا إِلَّا لِأَجْلِ شِقَاوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيسَ وَالْدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
وَمِنْ وَرَائِهِ الْمَغِيرُ وَمَسْأَلُهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ وَيَتَوَسَّدُ التُّرَابَ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ
﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يَوْمٌ لَا يُبْلَغُ وَصْفُ أَهْوَالِهِ وَلَا شَرْحُ أَحْوَالِهِ
مَا لَا يَسَعُ الْمُؤْمِنُ بِهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ لَهُ قَرَارٌ وَلَا يَخْلُدُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ وَلَا يَكُونُ لَهُ هَمٌّ

في هذه الدنيا إلا التَّقَرُّبُ بأنواع القُرْبِ واجْتِنَابُ الفَوَاحِشِ والريْبِ وإقامة الدين الذي في إقامته النجاة وفي تضييعه العطب العظيم .

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ	لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ أَوْطَانٍ
يَوْمُ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُوْلَهُ	وَتَشَيَّبَ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ
يَوْمُ عَبُوسٍ قَمَطِرِيرٍ شَرُّهُ	فِي الْخَلْقِ مُتَشِيرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
يَوْمُ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ	وَقَدْأَا عَلَى نُجُبٍ مِنَ الْعُقَيَاتِ
وَيَجِيءُ فِيهِ الْمَجْرُمُونَ إِلَى لَظَى	يَتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الْعَطْشَانِ
وَالْجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمَ	دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ

« فوائد »

تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ بِمَا تَعَرَّفَ بِهِ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَتَعَرَّفْ مَا فَرَضَ عَلَيْكَ مَعْرِفَتَهُ مِنْ أَحْكَامِ شَرْعِهِ .

ثانياً طاعته في فعل الواجبات وترك المحرمات .

ثالثاً أَنْ تَشْتَاقَ إِلَى مَا شَوَّقَ إِلَيْهِ وَتَخَافَ مَا خَوَّفَ مِنْهُ لِأَنَّ الْعَالِمَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ مِنْ أَعْلَمِ الْعَالَمِينَ .

والعامل بطاعته فيما أمره ونهاه مِنْ أَعْمَلِ الْعَامِلِينَ .

إِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى الْجِدِّ فِي الْعَمَلِ فَاقِفْ عَلَى بَابِ الطَّلَبِ وَتَعَرَّضْ لِنَفْحَةٍ مِنْ نَفَحَاتِ الرَّبِّ فِي حَظَّةٍ أَفْلَحَ السَّحَرَةُ .

إِذَا رُزِقْتَ يَقْظَةً فَصُنْهَا فِي بَيْتِ عَزْلَةٍ فَإِنَّ أَيْدِيَ الْمَعَاشِرَةِ نَهَابَةٌ وَاحْذَرْ مَعَاشِرَةَ الْبَطَّالِينَ فَإِنَّ الطَّبْعَ لِيَصُّ وَلَا تُصَادِقَنَّ فَاسِقًا وَلَا تَتَّقِ إِلَيْهِ فَإِنَّ مَنْ خَانَ أَوَّلَ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ لَا يَفِي لَكَ أَبَدًا .

تَزَيَّنَّتِ الْجَنَّةُ لِلْخُطَّابِ فَجِدُوا وَاجْتَهِدُوا فِي تَحْصِيلِ الْمَهْوَرِ .

تَعَرَّفَ رَبُّ الْعِزَّةِ لِلْمُحِبِّينَ فَعَلِمُوا لِلِقَاءِ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ بِالْجَيْفِ .

مَا يُسَاوِي رُبْعَ دِينَارٍ خَجَلُ الْفُضِيحَةِ فَكَيْفَ بِالْمِ الْقَطْعِ .

لَيْسَ لِلْعَابِدِينَ مُسْتَرَا ح إِلَّا تَحْتَ شَجَرَةٍ طُوبَى .
وَلَا لِلْمُحِبِّينَ قَرَارٌ إِلَّا يَوْمَ الْمَزِيدِ فَمِثْلُ لِقَابِكَ الْاِسْتِرَا حَةٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ
طُوبَى يَهْنُ عَلَيْكَ النِّصَبُ وَالتَّعَبُ .

وَاسْتَحْضِرْ يَوْمَ الْمَزِيدِ يَهْنُ عَلَيْكَ مَا تَتَحَمَّلُ مِنْ أَجْلِهِ .
مَتَى رَأَيْتَ الْعَقْلَ يُؤَثِّرُ الْفَانِي عَلَى الْبَاقِي فَأَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ مُسِخٌ .
وَمَتَى رَأَيْتَ الْقَلْبَ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ حُبُّ اللَّهِ وَالْاِسْتِعْدَادُ لِلِقَائِهِ وَحُلُّ فِيهِ
حُبُّ الْمَخْلُوقِ وَالرِّضَا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالطَّمَأْنِينَةُ بِهَا فَأَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ خُسِفَ بِهِ .
وَمَتَى أَقْحَطْتَ الْعَيْنُ مِنَ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَأَعْلَمْ أَنَّ قُحْطَهَا
مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ .

وَمَتَى رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَهَرَّبُ مِنَ الْاِنْسِ بِاللَّهِ إِلَى الْاِنْسِ بِالْمَخْلُوقِ وَمِنْ
الْخُلُوةِ مَعَ اللَّهِ إِلَى الْخُلُوةِ مَعَ الْمَخْلُوقِ فَأَعْلَمْ أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلَّهِ .
مَنْ رَكِبَ ظَهَرَ التَّفْرِيطِ وَالتَّوَانِي وَالْكَسَلَ نَزَلَ بَدَارُ الْعُسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ .
وَمَنْ أَذْلَجَ فِي غِيَا هِبِ اللَّيْلِ عَلَى نَجَائِبِ الصَّبْرِ صَبَّحَ مَنْزِلَ السُّرُورِ .
وَمَنْ نَامَ عَلَى فِرَاشِ الْكَسَلِ أَصْبَحَ مُلْقًا بِوَادِي الْأَسْفِ .

فائدة نفيسة : ينبغي لطالب العلم أن يتأملها ويأخذ لمستقبله فكرة
قال بعض العلماء لم أزل برهة من عمري أنظر اختلاف الأمة والتمس المنهاج
الواضح والسبيل القاصد وأطلب من العلم والعمل واستدل على طريق
الآخرة بإرشاد العلماء .

وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل بتأويل الفقهاء وتدبرت أحوال
الأمة ونظرت في مذاهبها وأقاييلها فعقلت من ذلك ما قدر لي .
ورأيت اختلافهم بحرًا عميقًا غرق فيه ناس كثير وسلم منه عصابة
قليلة .

ورأيت كل صنف منهم يزعم أن النجاة لمن تبعهم وأن المهالك لمن
خالفهم .

ثُمَّ رَأَيْتُ النَّاسَ أَصْنَافًا فَمِنْهُمْ الْعَالِمُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ لِقَاؤُهُ عَسِيرٌ وَوُجُودُهُ
عَزِيزٌ .

وَهُوَ مَنْ يُعِدُّ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ .

وَمِنْهُمْ الْجَاهِلُ فَالْبُعْدُ مِنْهُ غَنِيمَةٌ .
وَمِنْهُمْ الْمُتَشَبِّهُ بِالْعُلَمَاءِ مَشْغُوفٌ بِدُنْيَاهُ مُؤَثِّرٌ لَهَا .
وَمِنْهُمْ حَامِلٌ عِلْمٍ مَنُسوبٌ إِلَى الدِّينِ مُلْتِمِسٌ بِعِلْمِهِ التَّعْظِيمِ وَالْعُلُوِّ .
يَنَالُ بِالذِّينِ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا .
وَمِنْهُمْ حَامِلٌ عِلْمٍ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ مَا حَمَلَ .
وَمِنْهُمْ الْمُتَشَبِّهُ بِالنِّسَاكِ مُتَحَرِّجٌ لِلْخَيْرِ لَا غِنَاءَ عِنْدَهُ وَلَا نَفَادَ لِعِلْمِهِ وَلَا
مُعْتَمَدَ عَلَى رَأْيِهِ .

وَمِنْهُمْ الْمَنُسوبُ إِلَى الْعَقْلِ وَالذِّهَانِ مَفْقُودُ الْوَرَعِ وَالتَّقَى .
وَمِنْهُمْ مُتَوَادُّونَ عَلَى الْهَوَىٰ وَاقِفُونَ وَلِلدُّنْيَا يَذَلُّونَ وَرِيَّاسَتِهَا يَطْلُبُونَ .
وَمِنْهُمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ عَنِ الْآخِرَةِ يَصُدُّونَ وَعَلَى الدُّنْيَا يَتَكَالَبُونَ وَإِلَى
جَمْعِهَا يُهْرَعُونَ فِي الْأَسْتِكْثَارِ مِنْهَا يَرْغَبُونَ .
فَهُمْ فِي الدُّنْيَا أَحْيَاءُ وَفِي الْعُرْفِ مَوْتَى .
فَتَفَقَّدْتُ فِي الْأَصْنَافِ نَفْسِي وَضِيقْتُ بِذَلِكَ ذُرْعًا فَقَصَدْتُ إِلَى هُدَى
الْمُهْتَدِينَ بِطَلَبِ السَّدَادِ وَالْهُدَى وَاشْتَرَشَدْتُ الْعِلْمَ وَأَعْمَلْتُ الْفِكْرَ وَأَطَلْتُ
النَّظَرَ .

فَتَبَيَّنَ لِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ أَنَّ
اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ يُعْمِي عَنِ الرُّشْدِ وَيُضِلُّ عَنِ الْحَقِّ وَيُطِيلُ الْمَكْثَ فِي الْعَمَى .
فَبَدَأْتُ أَوَّلًا بِإِسْقَاطِ الْهَوَىٰ عَنْ قَلْبِي وَوَقَفْتُ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأُمَّةِ مُرْتَادًّا
لِطَلَبِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ .

حَذَرًا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُرِيدَةِ وَالْفِرْقَةِ الْهَالِكَةِ مُتَحَرِّزًا مِنَ الْاِقْتِحَامِ قَبْلَ

الْبَيَانِ وَالتَّمَسُّ سَبِيلَ النِّجَاةِ لِنَفْسِي .

ثُمَّ وَجَدْتُ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ أَنَّ سَبِيلَ النِّجَاةِ فِي التَّمَسُّكِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ .

وَالْوَرَعَ فِي حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَجَمِيعِ حُدُودِهِ .
وَالِإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ .

وَالْتَّاسِي بِرَسُولِهِ ﷺ فَطَلَبْتُ مَعْرِفَةَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَثَارِ فَرَأَيْتُ اجْتِمَاعًا وَاخْتِلَافًا وَوَجَدْتُ جَمِيعَهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَنَّ عِلْمَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ وَأَمْرِهِ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ اللَّهِ الْعَامِلِينَ بِرِضْوَانِهِ .

الْوَرَعَيْنِ عَنْ مَحَارِمِهِ الْمُتَّاسِينَ بِرَسُولِهِ ﷺ وَالْمُؤَثِّرِينَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا أُولَئِكَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَسُنَنِ الْمُرْسَلِينَ .

فَالْتَمَسْتُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَّةِ هَذَا الصَّنْفَ الْمُجْتَمِعَ عَلَيْهِمُ وَالْمُوصُوفِينَ بِآثَارِهِمْ وَاقْتَبَسْتُ مِنْ عِلْمِهِمْ فَرَائِضَهُمْ أَقْلَ مِنْ الْقَلِيلِ .

وَرَأَيْتُ عِلْمَهُمْ مُنْدَرِسًا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ وَهُمْ الْمُتَفَرِّدُونَ بِدِينِهِمْ .

فَعَظُمَتْ مُصِيبَتِي لِفَقْدِ الْأَوْلِيَاءِ الْأَتْقِيَاءِ الْأَبْرَارِ وَخَشِيتُ بَغْتَةَ الْمَوْتِ أَنْ يَفْجَأَنِي عَلَى اضْطِرَابٍ مِنْ عُمْرِي لِاخْتِلَافِ الْأُمَّةِ .

فَانْكَمَشْتُ فِي طَالِبِ عِلْمٍ لَمْ أَجِدْ لِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ بُدًّا وَلَمْ أَقْصِرْ فِي

الِإِحْتِيَاظِ .

فَقَيَّضَ لِي الرَّءُوفُ بِعِبَادِهِ قَوْمًا وَجَدْتُ فِيهِمْ دَلَائِلَ التَّقْوَى وَأَعْلَامَ الْوَرَعِ وَإِثَارَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا .

وَوَجَدْتُ إِرْشَادَهُمْ وَوَصَايَاهُمْ مُوَافِقَةً لِأَفَاعِيلِ أَيْمَةِ الْهُدَى .

وَوَجَدْتُهُمْ مُجْتَمِعِينَ عَلَى نَصْحِ الْأُمَّةِ لَا يُرْجُونَ أَبَدًا فِي مَعْصِيَتِهِ وَلَا يُقْنَطُونَ أَبَدًا مِنْ رَحْمَتِهِ .

يَرْضَوْنَ أَبَدًا بِالصَّبْرِ عَلَى الْبُاسَاءِ وَالضَّرَآءِ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَاءِ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى الْعَبْدِ بِذِكْرِهِمْ أَيْادِيهِ وَإِحْسَانِهِ وَيَحْتُونُ الْعِبَادَةَ عَلَى الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عُلَمَاءُ بِعَظَمَتِهِ تَعَالَى عُلَمَاءُ بِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَعُلَمَاءُ بِكِتَابِهِ وَسُنَّتِهِ فُقَهَاءُ فِي دِينِهِ عُلَمَاءُ بِمَا يُحِبُّ وَيَكْرَهُ وَرِعِينَ عَنِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ تَارِكِينَ لِلتَّعَمُّقِ وَالْإِغْلَاءِ مُبْغِضِينَ لِلْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ مُتَوَرِّعِينَ عَنِ الْاِغْتِيَابِ وَالظُّلْمِ مُخَالِفِينَ لِأَهْوَائِهِمْ مُحَاسِبِينَ لَأَنْفُسِهِمْ مَالَكِينَ لِحَوَارِحِهِمْ وَرِعِينَ فِي مَطَاعِمِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ وَجَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مُجَانِبِينَ لِلشُّبُهَاتِ تَارِكِينَ لِلشَّهَوَاتِ مُجْتَزِّئِينَ بِالْبُلُغَةِ مِنَ الْأَقْوَاتِ مُتَقَلِّلِينَ مِنَ الْمُبَاحِ مُشْفِقِينَ مِنَ الْحِسَابِ وَجَلِيلِينَ مِنَ الْمَعَادِ عُلَمَاءُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَأَقَاوِيلُ الْقِيَامَةِ رَاجِينَ مِنَ الْكَرِيمِ الْمَنَانَ جَزِيلِ الثَّوَابِ وَخَائِفِينَ مِنَ أَلِيمِ الْعِقَابِ وَذَلِكَ أَوْرَثَهُمُ الْخَوْفَ الدَّائِمَ وَالْهَمَّ الْمُقِيمَ فَشَغِلُوا عَنْ سُرُورِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا فَتَيَّنَ لِي فَضْلُهُمْ وَاتَّضَحَ لِي نَصْحُهُمْ وَأَيَقَنْتُ أَنَّهُمُ الْعَامِلُونَ بِطَرِيقِ الْآخِرَةِ وَالْمَتَأَسُّونَ بِالْمُرْسَلِينَ وَالْمَصَابِيحِ لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِمْ وَالْهَادُونَ لِمَنْ اسْتَرْشَدَ أ . ه . قُلْتُ فَبِمِثْلِ هَؤُلَاءِ إِنْ وَجَدُوا فَلْيَقْتَدِ الْمُقْتَدُونَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : قال ابن القيم رحمه الله لا يكون العبد متحققًا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إِلَّا بِأَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ أَحَدُهُمَا الْإِخْلَاصُ لِلْمَعْبُودِ وَالثَّانِي الْمَتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ .

وَالنَّاسُ مَنْقَسِمُونَ بِحَسَبِ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ أَحَدُهَا أَهْلُ الْإِخْلَاصِ لِلْمَعْبُودِ وَالْمَتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَهُمْ أَهْلُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ حَقِيقَةً . فَأَعْمَاهُمْ كُلُّهَا لِلَّهِ ، وَأَقْوَاهُمْ لِلَّهِ ، وَحُبُّهُمْ لِلَّهِ ، وَبُغْضُهُمْ لِلَّهِ . فَمُعَامَلَتُهُمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لَوَجْهِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ مِنَ النَّاسِ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا .

ولا ابتغاء الجاهِ عندهم ولا طلب المحمّدة والمنزلة في قلوبهم ولا هرباً
من ذمّهم .

بل قد عدّوا أنفسهم من أصحاب القبور لا يملكون لهم ضرراً ولا نفعاً
ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً .

فالعامل لأجل الناسِ وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجائهم للضر
والنفع منهم لا يكون من عارف بهم البتة .

بل من جاهل بشأنهم وجاهل بربه فمن عَرَفَ الناس أنزلهم منازلهم .
ومن عَرَفَ الله أَخْلَصَ لَهُ أَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ .

ولا يعامل أحدُ الخلقِ دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق .
وإلا فإذا عَرَفَ الله وعَرَفَ الناسَ آثَرُ مُعَامَلَةِ الله على مُعَامَلَتِهِمْ .
القسم الثاني من لا إخلاصَ لَهُ وَلَا مُتَابَعَةَ فَلَيْسَ عَمَلُهُ مُوَافِقاً

لِلشَّرْعِ .

وَلَيْسَ هُوَ خَالِصاً لِلْمَعْبُودِ كَأَعْمَالِ الْمُتَزَيِّنِينَ لِلنَّاسِ الْمُرَائِينَ لَهُمْ بِمَا لَمْ
يَشْرَعُهُ اللهُ وَرَسُولُهُ .

وهولاء شرار الخلق وأمقتهم إلى الله عز وجل .
وَلَهُمْ أَوْفَرُ نَصِيبٍ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا
وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِهَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَاحُ تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
الِيمٌ ﴾ .

يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا مِنَ الْبِدْعَةِ ، والضلالة ، والشرك ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا
بَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْإِخْلَاصِ .

وهذا القسم يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة
عن الصراط المستقيم .

فإنهم يَرْتَكِبُونَ الْبِدْعَ وَالضَّلَالَاتِ وَالرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا

بما لم يفعلوه من الإتياع والإخلاص والعلم فهم أهل الغضب والضلال .
القسم الثالث من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر
كجهال العباد والمنتسبين إلى طريق الفقر والزهد .
وكل من عبد الله بغير أمره واعتقد عبادته هذه قرينة إلى الله فهذا حاله .

كمن يظن أن سماع المكاء والتسدية قرينة وأن الخلوة التي يترك فيها
الجمعة والجماعة قرينة .
وأن مواصلة صوم النهار بالليل قرينة وأن صيام يوم فطر الناس كلهم
قرينة وأمثال ذلك .

القسم الرابع من أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله كطاعة المرائين
وكالرجل يقاتل رياء وحمية وشجاعة ويحج ليقال ، ويقرأ القرآن ليقال .
فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها لكنها غير صالحة فلا
تقبل قال الله جل وعلا ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ فكل
أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر انتهى كلامه رحمه الله .

اللهم ثبت محبتك في قلوبنا وقوّها وألهمنا ذكرك وشكرك ويسرنا
لليسرى وجنبنا العسرى واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا
أرحم الراحمين وصلي الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل) : قال بعضهم أعز الأشياء في الدنيا الإخلاص قيل لما صار أعز
قال لأنه ليس للنفس فيه نصيب .

وقال آخر أعز شيء في الدنيا الإخلاص وكم أجتهد في إسقاط الرياء
عن قلبي فكأنه يثبت فيه على لون آخر .

فالإخلاص في غاية الصعوبة فلذلك تجد كثيراً من الناس يشرح أعماله

للناس يَذْكُرُ صَدَقَاتِهِ وَصِيَامَهُ صِيَامَ التَّطَوُّعِ وَكَمْ حَجٌّ مِنْ سَنَةٍ وَكَمْ عُمْرَةٌ
اعْتَمَرَ وَهُوَ مَا سُئِلَ وَأَنَّهُ يُجِيبُ اللَّيْلَ بِالصَّلَاةِ وَالتَّلَاوَةِ .

ويذكر الذين يُسَاعِدُهُمْ بِجَاهِهِ وَمَالِهِ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمَنْزِلَةَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ
وَأَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهَذَا غَلَطٌ وَضُرٌّ عَلَيْكَ فَمَا دُمْتَ تَعْمَلُ لِلَّهِ فَمَا الدَّاعِي إِلَى
ذِكْرِهِ لِمَنْ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتَ وَلَا حَيَاةً وَلَا
نُشُورًا .

فَالْعَاقِلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ خَالِصًا لِلَّهِ لَا لِأَجْلِ الْخَلْقِ وَلَا لِأَجْلِ النَّفْسِ
وَالْأَدْنَى دَخَلَ عَلَيْهِ مُطَالِبَةُ الْعَوَظِ أَوْ تَشَوُّقٌ إِلَى حَظٍّ مِنَ حِظْوِ الدُّنْيَا .
وَالْمُهْمُ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى إِخْفَاءِ أَعْمَالِهِ لِأَنَّ الْجَزَاءَ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ السِّرَّ
وَأُخْفَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

إِلَّا إِنْ تَرَجَّحَتْ مَصْلَحَةُ الْإِظْهَارِ عَلَى الْإِخْفَاءِ كَأَن يُقْتَدَ بِهِ فِي الصَّدَقَةِ
أَوْ الزَّكَاةِ لِإِزَالَةِ التُّهْمَةِ عَنْهُ بَعْدَ إِخْرَاجِهَا .
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ إِن تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا
وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى
الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ فَارَقَهَا وَاللَّهُ عَنْهُ
رَاضٍ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَالْحَاكِمُ ، وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرَطِ الْبُخَارِيِّ
وَمُسْلِمٍ .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ حِينَ بُعِثَ إِلَى الْيَمَنِ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ « أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِيكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ » رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ
صَحِيحُ الْأَسْنَادِ .

وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ طُوتِي
لِلْمُخْلِصِينَ أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى تَنْجِلِي عَنْهُمْ كُلَّ فِتْنَةٍ ظَلَمَاءَ .

وعن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ
« نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ غَيْرَهُ قُرْبَ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ
مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِه .

ثَلَاثٌ لَا يَغُلُّ عَلَيْهِمْ قَلْبُ مُسْلِمٍ إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَمُنَاصَحَةُ وُلاَةِ
الْأَمْرِ وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ .

وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا نِيَّتَهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ
مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ .

وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا
وَهِيَ رَاغِمَةٌ » رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

وعن الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ
أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ شَرِيكًا فَهُوَ لِشَرِيكِي .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ
إِلَّا مَا خَلَصَ لَهُ » أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ لَا بِأَسَ بِهِ .

وورد عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ
خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ .

وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ
مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ » خَرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ لَا بِأَسَ بِهِ .

سُئِلَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ مَا أَخْلَصَ الْعَمَلُ وَمَا أَصَوَّبُهُ قَالَ إِنْ الْعَمَلُ
إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يَقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يَقْبَلْ
حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ .

مَوَاهِبُ ذِي الْجَلَالِ عَلَيْكَ تَتَرَى بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ بِهَا كَنُودُ
يَزِيدُكَ مِنْهُ فَضْلًا كُلَّ يَوْمٍ وَأَنْتَ بِضِدِّهِ أَبَدًا تَزِيدُ
تُفْرِكَ أَمْ دَفِرَ بِالْأَمَانِي عَنِ الْعُقْبَى لِتَغْفُلَ يَا بَعِيدُ
أَلَا فَانْهَضْ إِلَى الْوَهَّابِ وَاشْكُرْ لَهُ نِعْمًا غِرَارًا لَا تَبِيدُ

اللهم أَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارِ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً . وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيُتِّينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ تَبَاعَدَ عَنْ أَهْلِ السُّوءِ وَبَاعَدَ أَوْلَادَكَ عَنْهُمْ لَا يَعَادُوكَ بِأَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ وَلَا يَزَالُ يَقْسُو قَلْبُكَ حَتَّى يَسْتَأْنِسَ بِهِمْ فَهُنَاكَ الْهَلَاكُ .

وَالسُّوءُ يَتَفَاوَتْ فَمِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ الْفَوَاحِشِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ اللَّهْوِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْمَلَاهِي وَآلَاتِ الطَّرِبِ .
فَإِنَّهُمْ يَسُبُّونَ أَهْلَ الْعُقُولِ عُقُوبَهُمْ حَتَّى يَنْحَلُّوا عَنْ دِينِهِمْ وَمُرُوءَتِهِمْ فَيَعْسُرُ عَلَيْهِمُ الْخِلَاصُ لَمَّا يَجِدُونَهُ مِنْ لَذَّةِ النَّغْمَاتِ وَالْأَصْوَاتِ .

حَتَّى يَكُونَ عَادَةً وَطَبْعًا فَرُبَّمَا يَجْلِسُ الرَّجُلُ إِلَيْهِمْ وَهُوَ كَارِهٌ لِسَمَاعِ لَغْوِهِمْ مُسْتَوْحِشٌ مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ لَا يَزَالُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَرَاهُ حَسَنًا .
مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ أَنْ يُورِدَ ابْنَ آدَمَ الْمَوَارِدَ الَّتِي يَخِيلُ إِلَيْهِ أَنْ فِيهَا مَنْفَعَتُهُ ثُمَّ يَصْدُرُ الْمَصَادِرُ الَّتِي فِيهَا عَطْبُهُ وَيَتَخَلَّى عَنْهُ وَيُسْلِمُهُ لِلْهَلَاكِ وَيَقْفُ يَتَشَمَّتُ بِهِ وَيَضْحَكُ مِنْهُ .

فَيَأْمُرُهُ بِالسَّرْقَةِ وَالْقَتْلِ وَاللُّوَاطِ وَالزَّانَا وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَيَفْضَحُهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ كَمِثْلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ أَكْفَرُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ .
وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ الْأَسْبَابَ الَّتِي يُعْتَصَمُ بِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الْأَوَّلِ إِلَّا سَتِيعَاذُهُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَغُنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

والمراد بالسمع هُنا سَمِعَ الاجابة لا السمع العام .
 الثاني قراءة المعوذتين فإنَّ لهما تأثيراً عجيباً في الاستِعاذَةِ بالله مِن شر
 الشيطان ودَفْعِهِ .
 ولهذا قال النبي ﷺ ما تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهَا وكان ﷺ يَتَعَوَّذُ بِهَا كُلَّ
 ليلة عند النوم .
 وأمر عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِهَا دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ وَذَكَرَ ﷺ أَنْ مَنْ قَرَأَهُمَا
 مَعَ سُورَةِ الْاِخْلَاصِ ثَلَاثًا حِينَ يُمَسِّي وَثَلَاثًا حِينَ يُصْبِحُ كَفَتَاهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ .
 الثالثُ قراءةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ .
 الرابع قراءة سورة البقرة ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « إِنْ
 الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ » .
 الخامسُ خاتِمَةُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ مَنْ
 قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ .
 السادس أول سورة حم المؤمن إلى قوله ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ ففي الترمذي
 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مَنْ قَرَأَ حَمَّ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 قَوْلِهِ ﴿ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ .
 وآيَةُ الْكُرْسِيِّ حِينَ يَصْبِحُ حُفِظَ بِهَا حَتَّى يُمَسِّي ، وَمَنْ قَرَأَهَا حِينَ
 يُمَسِّي حَفِظَ بِهَا حَتَّى يَصْبِحَ .
 السابع لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
 كل شيء قدير في يوم مائة مرة .
 ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
 لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ .
 كانت عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان
 حرزاً له من الشيطان .

يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِنْهُ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

الثَّامِنُ وَهُوَ أَنْفَعُ الْحِرَوزِ مِنَ الشَّيْطَانِ كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهَذَا بَعَيْنُهُ هُوَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ سُورَةُ النَّاسِ .
فَإِنَّهُ وَصَفَ الشَّيْطَانَ فِيهَا بِأَنَّهُ الْخَنَّاسَ الَّذِي إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ انْخَنَسَ فَإِذَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ التَّقَمَ الْقَلْبَ وَأَلْقَى إِلَيْهِ الْوَسَاوِسَ .
فَمَا أَحْرَزَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
الْحِرْزُ التَّاسِعُ الْوُضُوءُ وَالصَّلَاةُ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَحْتَرِزُ الْعَبْدُ بِهِ وَلَا سِوَاهَا عِنْدَ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ فَإِنَّمَا نَارُ تَصَلَّى فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ .
كَمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ أَلَا وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَمَا أَطْفَأَ الْعَبْدُ جَمْرَةَ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ بِمِثْلِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ .
فَإِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا وَقَعَتْ بِخُشُوعِهَا وَالْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ فِيهَا أَذْهَبَتْ أَثَرَ ذَلِكَ جُمْلَةً وَهَذَا أَمْرٌ تَجَرَّبَتْهُ تُغْنِي عَنْ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ .
الْحِرْزُ الْعَاشِرُ إِمْسَاكُ فُضُولِ الْكَلَامِ فَإِنَّمَا تَفْتَحُ أَبْوَابًا مِنَ الشَّرِّ كُلِّهَا مَدَاخِلَ لِلشَّيْطَانِ فِيمَا سَاكَ فُضُولِ الْكَلَامِ يَسُدُّ عَنْكَ تِلْكَ الْأَبْوَابَ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَوَائِدُ وَنَصَائِحُ وَمَوَاعِظُ وَحُكْمٌ وَأَدَابٌ وَوَصَايَا

مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ حُسْنُ الْحَدِيثِ ، وَحُسْنُ الْاسْتِمَاعِ إِذَا حَدَّثَ ،
وَحُسْنُ الْبِشْرِ إِذَا لَقِيَ ، وَوَفَاءٌ بِالْوَعْدِ إِذَا وَعَدَ وَمِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ .

سُوءُ الْخُلُقِ سَبَبُ النِّكَدِ فِي الْحَيَاةِ وَالشُّرُورِ وَالْآثَامِ ، فَعَلَى الْعَاقِلِ اللَّيِّبِ أَنْ يَعْرِفَ الْأَخْلَاقَ السَّيِّئَةَ لِيَجْتَنِبَهَا ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ وَلَا يَحْضُرُ أَحَدٌ مِنْهَا

فَتَفَقَّدَ نَفْسَكَ وَأَزَلَّ مَا فِيهَا .

فَمِنْ ذَلِكَ الْمَكْرُ ، وَالْخَدِيعَةُ وَالْخِيَانَةُ وَالْغِشُّ ، وَالْكَذِبُ ، وَالْغِيْبَةُ ،
وَالنَّمِيمَةُ ، وَالسَّعَايَةُ ، وَالظُّلْمُ وَالرِّيَاءُ وَالْعُقُوقُ ، وَالْقَطِيعَةُ ، وَالْكِبَرُ ،
وَالْعُجْبُ ، وَالزَّهْوُ ، وَالْأَنَفَةُ مِنَ الْمُسْكَنَةِ .

وَالنَّفَاقُ ، وَالْخِيَانَةُ ، وَالْغَدْرُ ، وَالْحَسَدُ ، وَالْغِلُّ ، وَالْحِقْدُ ،
وَالشَّهَاتَةُ ، وَالْبَغْضَاءُ ، وَسُوءُ الظَّنِّ ، وَالتَّجَسُّسُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .
وَإِضْمَارُ السُّوءِ ، وَالتَّرِيصُ بِالذَّوَائِرِ وَمُسَاعَدَةُ الْهَوَى ، وَمُخَالَفَةُ الْحَقِّ
وَالرِّضَى بِالْهَوَى وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ بِالْهَوَى ، وَالْجَفَاءُ .

وَالْقَسْوَةُ ، وَقِلَّةُ الرَّحْمَةِ ، وَالْحِرْصُ ، وَالشَّرُّ وَالطَّمَعُ وَالطَّيْرَةُ ،
وَالطُّغْيَانُ بِالْمَالِ ، وَالْفَرَحُ بِإِقْبَالِ الدُّنْيَا ، وَاسْتِقْلَالُ الرِّزْقِ .
وَاحْتِقَارُ النِّعَمِ ، وَالاحتِقَارُ بِمَصَائِبِ الدِّينِ ، وَاسْتِعْظَامُ الدُّنْيَا ،
وَالْحُزْنُ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا .

وَالِاسْتِهَانَةُ بِعِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ فِعْلِكَ لِلذَّنْبِ وَالِاسْتِهَانَةُ بِسَمَاعِهِ مَا
يَصْدُرُ مِنْكَ مِنَ الْمَعَاصِي قَوْلًا وَفِعْلًا .

وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ إِطْلَاعِ اللَّهِ عَلَيْكَ وَمِنْ إِطْلَاعِ مَنْ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ
الشَّمَالِ قَعِيدٌ .

وَأَنْتَ لَوْ أَطَّلَعَ عَلَيْكَ مَخْلُوقٌ ضَعِيفٌ وَأَنْتَ تَعْمَلُ مَعْصِيَةَ اللَّهِ لَا
نَزَعَجْتَ .

فَتَنَبَّهُ لِدَلِيلِكَ وَرَاقِبِ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسْ وَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ .

تَوَارَى بِجُذْرَانِ الْبُيُوتِ عَنِ الْوَرَى وَأَنْتَ بِعَيْنِ اللَّهِ لَا شَكَّ تُنْظَرُ
وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَهُوَ الْحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ بَعْقُوبِيَّةً لِيُثَوِّبَ مِنْ عِصْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ
وَهُوَ الْعَفْوُ فَعَفُوهُ وَسِعَ الْوَرَى لَوْلَاهُ غَابَ الْأَرْضُ بِالسُّكَّانِ

وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أَدَى أَعْدَائِهِ شَتْمُوهُ بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ
قَالُوا لَهُ وَلَدٌ وَلَيْسَ يُعِيدُنَا شَتًّا وَتَكْذِيبًا مِنَ الْإِنْسَانِ
هَذَا وَذَاكَ بِسَمْعِهِ وَبِعِلْمِهِ لَوْ شَاءَ عَاجَلَهُمْ بِكُلِّ هَوَانٍ
لَكِنْ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَهُمْ يُؤْذُونَهُ بِالشِّرْكِ وَالْكُفْرَانِ
قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِخْوَانِي إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْوَاعِ الْبِرِّ
الظَاهِرَةِ مِثْلَ الْجِهَادِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ .

فَنَافِسُوهُمْ فِيهَا وَاجْعَلُوا أَعْظَمَ الرَّغْبَةِ فِي طَاعَةِ الْقُلُوبِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ
عَلَيْهَا الْإِنْسُ وَلَا الْمَلَائِكَةُ وَلَا الْجِنُّ ، وَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا عَلَامُ الْغُيُوبِ .
فَإِنَّ الْقَلِيلَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ كَثِيرٌ لِسَلَامَتِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَجَمِيعِ الْمَكْدَرَاتِ .
أَلَا فَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِطَاعَةِ الْقُلُوبِ فَإِنَّ فِيهَا الْمَعْرِفَةَ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَكِبَرِيَّائِهِ
وَجَلَالِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرِهِ سُبْحَانَهُ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِمَحَابِهِ ، وَبُغْضِ مَكَارِهِهِ وَالرِّضَا وَالْغَضَبِ لَهُ وَفِيهِ ،
وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِشِدَّةِ الْحُبِّ لَهُ .
وَالْحُبِّ فِيهِ وَالْبُغْضِ مِنْ أَجْلِهِ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْمَعْرِفَةِ بِأَيَادِيهِ الْحَسَنَةِ
وَنَعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ، وَأَفْعَالِهِ الْجَمِيلَةِ .
وَمِنْهُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَلَى تَوَاتُرِ الْإِسَاءَةِ مِنَّا ، وَهُوَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ يَعُودُ
بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ عَلَيْنَا .
أَلَا فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْخَوْفِ مِنْ زَوَالِ النِّعَمِ ، وَشِدَّةِ الْحَيَاءِ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي
الشُّكْرِ .

وَتَقَرَّبُوا بِالْوَجَلِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِشْفَاقِ عَلَى إِيمَانِكُمْ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِشِدَّةِ الْخَوْفِ مِنْهُ .
وَحَقِيقَةُ الرَّجَاءِ فِيهِ ، وَالسُّرُورِ بِذِكْرِهِ ، وَمُنَاجَاتِهِ ، وَالشُّوقِ إِلَيْهِ ،
وَالرَّغْبَةِ فِي جَوَارِهِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِصِدْقِ الْيَقِينِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالثِّقَةِ بِهِ وَالتَّطْمَئِنَةِ إِلَيْهِ
وَالْأُنْسِ بِهِ وَالانْقِطَاعِ إِلَيْهِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْوَفَاءِ وَلَيْنِ الْجَانِبِ وَالْجَنَاحِ وَالتَّوَاضُّعِ وَالْخُشُوعِ
وَالْخُضُوعِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْحِلْمِ وَالِاحْتِمَالِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَتَجَرُّعِ الْمَرَارَةِ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ وَإِرَادَةِ الْخَيْرِ لِلأُمَّةِ وَكَرَاهَةِ الشَّرِّ لَهُمْ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالْحَوَاطَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالتَّفَضُّلِ وَالِاحْسَانِ وَصِدْقِ الْوَفَاءِ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْقَنَاعَةِ وَالْعَفَافِ وَالْكَفَافِ وَالرِّضَى بِالْبُلْغَةِ وَالْيَأْسِ مِنْ
نَائِلِ النَّاسِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالتَّدْبِيرِ لِكِتَابِهِ وَتَفْهِيمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَالِاخْلَاصِ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِمُجَاهَدَةِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ
بِالسُّوءِ وَالتَّفَقُّدِ لِأَحْوَالِكُمْ وَالتَّقْوَى فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِأَدَاءِ
الْأَمَانَاتِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالِاحْسَانِ إِلَى الْمُسِيءِ وَالِإِثَارِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَإِنْ كَانَ بِكُمْ
خَصَاصَةٌ .

وَارْغَبُوا فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ .

وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَاضُّعِ وَالِابْتِعَادِ عَنِ التَّرَفُّعِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَحِ بِمَصَائِبِ الدُّنْيَا ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ .
وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِالاستعدادِ لِلْمَوْتِ وَالبعثِ وَالنَّشُورِ وَالحِسَابِ
دَعِ التَّغْلِيلَ وَالتَّسْوِيفَ وَاقْبَلِ عَلَى مَوْلَاكَ تَغْنَمَ نَيْلِ حَظِّ
أَدَمَ بِالْحَزْمِ إِقْبَالاً عَلَيْهِ عَسَى تَحْظِيَ بِتَوْفِيقٍ وَحِفْظِ
وَتَقِ الْقَلْبَ مِنْ شُبُهَاتِ زَيْغِ تَرَاهُ مَعْنَوِيًّا ثُمَّ لَفْظِيًّا

وَرِدَ حَوْضَ الشَّرِيعَةِ مَعَ صَفَاءٍ وَجَانِبَ كُلِّ ذِي حَسَدٍ وَغَيْظٍ
وَرَقَّ النَّفْسَ بِالْعِرْفَانِ تَزَكُّو وَتَظْفَرُ بِالْمُنَى مِنْ كُلِّ وَغْظٍ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فِصْل)

مِنْ أَنْفَعِ الْحَيَاءِ أَنْ تَسْتَحِي مِنْ اللَّهِ أَنْ تَسْأَلَهُ مَا تُحِبُّ وَتَأْتِي مَا يَكْرَهُ .
قَالَ بَعْضُهُمْ رَبِّمَا أَصْلَى لِلَّهِ رَكَعَتَيْنِ فَانصَرَفَ وَأَنَا مِنَ الْخَجَلِ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ
يَنْصَرِفُ عَنِ السَّرِقَةِ حَيَاءً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنِّي لَمْ أُؤَفِّهَا حَقَّهَا .
قَالَ بَنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « الدُّنْيَا كُلُّهَا غُمُومٌ فَمَا كَانَ مِنْهَا مِنْ سُورٍ

فَهُوَ رَيْحٌ » .

وَقَالَ الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَسْتُ أَسْتَبْشِعُ مَا يَرُدُّ عَلَيَّ لِأَنِّي قَدْ أَصَلْتُ
أَصْلًا وَهُوَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ هَمٍّ وَغَمٍّ وَبِلَاءٍ وَفِتْنَةٍ وَإِنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ شَرٌّ .
وَمِنْ حُكْمِهِ أَنْ يَتَلَقَّانِي بِكُلِّ مَا أَكْرَهُ فَإِنْ تَلَقَّانِي بِمَا أُحِبُّ فَهُوَ فَضْلٌ وَإِلَّا
فَالْأَصْلُ هُوَ الْأَوَّلُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ تُحِبُّونَ الرُّوحَ وَالرُّوحُ لِلَّهِ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ
وَالْمَالُ لِلْوَرِثَةِ وَتَطْلُبُونَ اثْنَيْنِ وَلَا تَجِدُونَهُمَا الرَّاحَةَ وَالْفَرَحَ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ .
فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ لَا يُوطِنَ نَفْسَهُ عَلَى الرَّاحَةِ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَرْكُنَ
فِيهَا إِلَى مَا يَقْتَضِي فَرَحًا وَأُنْسًا وَأَنْ يَعْمَلَ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْهُ أَبُو
هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ » .

فَتَوَطِّينُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ عَلَى الْمَحَنِ يُهَوَّنُ عَلَيْهِ مَا يَلْقَاهُ وَيَجِدُ السُّلْوَانَ عِنْدَ
مَا يَهْوَاهُ .

شِعْرًا : يُمَثِّلُ ذُو اللَّبِّ فِي لَبِّهِ شَدَائِدُهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ
فَإِنْ نَزَلَتْ بَغْتَةً لَمْ تَرُعْهُ لِمَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَلًا

رَأَى الْأَمْرَ يُفْضِي إِلَى آخِرٍ فَصِيرَ آخِرَهُ أَوَّلًا
وَذُو الْجَهْلِ يَأْمَنُ أَيَّامَهُ وَيُنْسَى مَصَارِعَ مَنْ قَدْ خَلَا
فَإِنْ دَهَمَتْهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ بِنَعْضِ مَصَائِبِهِ أَعْوَلًا
وَلَوْ قَدَّمَ الْحَزَمَ فِي نَفْسِهِ لَعَلَّمَهُ الصَّبْرَ عِنْدَ الْبَلَاءِ
فَعَلَى الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يَتَلَقَّى مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْهُمُومِ
وَالْغُمُومِ وَالْإِنْكَادِ بِالصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالِاسْتِسْلَامِ عِنْدَ جَرَيَانِ الْقَضَاءِ .
فَعَنْ قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى يَنْجَلِي الْأَمْرُ وَيَسْتَوْجِبُ مِنَ اللَّهِ جَلًّا
وَعَلَّا جَزِيلَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

وَقَالَ أَحَدُ الزُّهَّادِ جُوعٌ قَلِيلٌ ، وَعُرْيٌ قَلِيلٌ وَذِلٌّ قَلِيلٌ ، وَصَبْرٌ قَلِيلٌ ،
وَقَدْ انْقَضَتْ عَنْكَ أَيَّامُ الدُّنْيَا .
وَقَالَ آخِرُ الصَّبْرِ جَمَاعُ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَمِلَاكُ كُلِّ فَائِدَةٍ جَزِيلَةٍ وَمَكْرَمَةٌ نَبِيلَةٍ .
قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي
إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ .
وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
مَنْ أَنْزَلَ حَوَائِجَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالتَّجَاؤَ إِلَيْهِ وَتَوَكَّلَ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ عَلَيْهِ كَفَاهُ
كُلَّ مُؤْنَةٍ ، وَقَرَّبَ عَلَيْهِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَسَرَّ عَلَيْهِ كُلَّ غَسِيرٍ .
وَمَنْ سَكَنَ إِلَى عِلْمِ نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ ، وَاعْتَمَدَ عَلَى قُوَّتِهِ وَحَوْلِهِ وَكَلَهُ اللَّهُ
إِلَى نَفْسِهِ وَخُذِلَ وَحُرِمَ التَّوْفِيقَ فَلَمْ تَنْجَحْ مَطَالِبُهُ وَلَمْ تَتَيَسَّرْ مَأْرَبُهُ .
شعراً :

أَقَرُّ عَلَى حُكْمِ الرَّدَى الْمُتَخَمِّطُ وَقَرُّ كَأَنْ لَمْ يُصْرَعَ الْمُتَخَبِّطُ
عَلَيْكَ سَبِيلُ الْخَيْرِ وَانْظُرْ إِلَى الَّذِي تَأْبِطُ شَرًّا هَلْ نَجَا الْمُتَأْبِطُ

وإِيَّاكَ وَالتَّفْرِيطَ فِي الْبِرِّ وَالتَّقَى
وَحَاوِلْ مِنَ الدُّنْيَا الدِّنْيَةَ مَخْلَصاً
لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرَ مَا عَزَّ قَاسِطُ
تَبَرَّأْ غَالٍ مِنْ مَسَاعِيهِ مُسْرِفُ
سَيُخَفِّضُ الطَّمَّاحُ إِثْمًا وَعِزَّةً
آخِرَ :

سَهَوْنَا عَنْ مُسَاوَرَةِ الْمَنَآيَا
وَعَرَّتْنَا مُسَاعِدَةَ الْأَمَانِي
وَكَمْ نَادَتْ فَاسْمَعْتِ اللَّيَالِي
مُجَاهِرَةً بَنُكْرٍ دُونَ عُرْفٍ
يَطُولُ تَعْجُبي مِنَّا حَلَلْنَا
وَلَمْ أَرْ مِثْلَنَا سَفَرًا تَبَارَوْا
فِيَا لِلَّهِ مِنْ سَهْوِ الْعِبَادِ
فَلَمْ نَحْزَنْ عَلَى الْعُمَرِ الْمُبَادِ
وَلَكِنْ لَا مُصِيخَ إِلَى مُنَادٍ
وَتَنَدِيدُ يُعَادُ بِكُلِّ نَادٍ
وَلَمْ نَخَفِ السُّيُولَ بِبَطْنِ وَادٍ
إِلَى الْغَايَاتِ سَيْرًا دُونَ زَادٍ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرْشِدْنَا إِلَى السَّعْيِ فِيهَا
يُرْضِيكَ وَأَجْرُنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ
وَأَحْبَابِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
(فصل) فائدة - قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

لِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ
وَإِحْبَاطِهَا لِأَنَّهَا شَهَادَةٌ مِنْ عَبْدٍ مُوقِنٍ بِهَا عَارِفٍ بِمَضْمُونِهَا قَدْ مَاتَتْ مِنْهُ
الشَّهَوَاتُ وَلَآنَتْ نَفْسُهُ الْمُتَمَرِّدَةَ وَانْقَادَتْ بَعْدَ إِبَائِهَا ، وَأَقْبَلَتْ بَعْدَ
اغْرَاضِهَا .

وَذَلَّتْ بَعْدَ عِزِّهَا وَخَرَجَ مِنْهَا جِرْصُهَا عَلَى الدُّنْيَا وَفُضُولُهَا وَاسْتَحْذَتْ
بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهَا وَفَاطِرِهَا وَمَوْلَاهَا الْحَقُّ أَذَلَّ مَا كَانَتْ لَهُ وَأَرْجَى مَا كَانَتْ

لِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَتَجَرَّدَ مِنْهَا التَّوْحِيدُ بِانْقِطَاعِ اسْبَابِ الشُّرْكِ
وَتَحَقُّقِ بُطْلَانِهِ .

فَزَالَتْ مِنْهَا تِلْكَ الْمُنَازَعَاتُ الَّتِي كَانَتْ مَشْغُولَةً بِهَا ، وَاجْتَمَعَ هَمُّهَا
عَلَى مَنْ أُتِقِنَتْ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ وَالْمَصِيرِ إِلَيْهِ ، فَوَجَّهَ الْعَبْدُ وَجْهَهُ بِكُلِّيَّتِهِ
إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ بِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَهَمَّهُ عَلَيْهِ ، فَاسْتَسَلَّمَ لِلَّهِ وَخَذَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا
وَاسْتَوَى سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ .

فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ ، وَقَدْ تَخَلَّصَ مِنَ التَّعَلُّقِ بغيرِهِ
وَالْاِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ ، قَدْ خَرَجَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا مِنْ قَلْبِهِ وَشَارَفَ الْقُدُومَ
عَلَى رَبِّهِ ، وَخَمَدَتْ نِيرَانُ شَهْوَتِهِ ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَصَارَتْ
نُصْبَ عَيْنِيهِ ، وَصَارَتْ الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ .

فَكَانَتْ تِلْكَ الشَّهَادَةُ الْخَالِصَةُ خَاتِمَةَ عَمَلِهِ فَطَهَّرَتْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ
وَأَدْخَلَتْهُ عَلَى رَبِّهِ لِأَنَّهُ لَقِيَ رَبَّهُ بِشَهَادَةٍ صَادِقَةٍ خَالِصَةٍ وَافَقَ ظَاهِرُهَا بَاطِنُهَا
وَسِرُّهَا عِلَانِيَتُهَا فَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ عَلَى هَذَا التَّوَجُّهِ فِي أَيَّامِ الصُّحَّةِ
لَا اسْتَوْحَشَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَهْلِيهَا وَفَرَّ إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّاسِ وَأَنَسَ بِهِ دُونَ مَنْ
سِوَاهُ . لَكِنَّهُ شَهِدَ بِهَا بِقَلْبٍ مَشْحُونٍ بِالشَّهَوَاتِ وَحُبِّ الْحَيَاةِ وَأَنَسَ بِهَا
وَنَفْسٍ مَمْلُوءَةٍ بِطَلَبِ الْحُظُوظِ وَالْاِلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فَلَوْ تَجَرَّدَتْ
كَتَجَرُّدِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ لَكَانَ لَهَا نَبَأٌ آخَرُ وَعَيْشٌ آخَرُ سِوَى عَيْشِهَا الْبَهِيمِيِّ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .
شِئْرًا :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرَأَ يُحْسِنُ مَالَهُ
وَوَارِثُهُ فِيهِ غَدَاً يَتَمَتَّعُ
كَأَنَّ الْحُمَاةَ الْمُشْفِقِينَ عَلَيْكَ قَدْ

غَدُوا بِكَ أَوْ رَاحُوا رَوَاحاً فَأَسْرِعُوا
 وَمَا هُوَ إِلَّا النَّعْشُ لَوْ قَدْ أَتَوْا بِهِ
 تُقَلُّ فَتَلْقَى فَوْقَهُ ثُمَّ تَرْفَعُ
 وَمَا هُوَ إِلَّا حَادِثٌ بَعْدَ حَادِثٍ
 عَلَيْكَ فَمِنْ أَيِّ الْحَوَادِثِ تَجْزَعُ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ يَأْتِي لِوَقْتِهِ
 فَمَا لَكَ فِي تَأْخِيرِهِ عَنْكَ مَدْفَعُ
 أَلَا وَإِذَا وُدِّعْتَ تُودِّعُ هَالِكٍ
 فَتَأْخِرُ يَوْمَ مِنْكَ يَوْمٌ تُودِّعُ
 أَلَا وَكَمَا شِيعَتْ يَوْمًا جَنَائِزًا
 فَأَنْتَ كَمَا شِيعْتَهُمْ سَتُشِيعُ
 رَأَيْتَكَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ بِهَا
 وَإِنَّكَ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَ الْمُرْوَعُ
 وَصَفْتَ التَّقَى وَصِفًا كَأَنَّكَ ذُو ثَقَى
 وَرِيحُ الْخَطَايَا مِنْ ثِيَابِكَ تَسْطَعُ
 وَلَمْ تُعْنِ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ وَاقِعُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يَعْنِي بِمَا يَتَوَقَّعُ
 وَإِنَّكَ لِلْمَنْقُوصِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
 وَكُلُّ بَنِي الدُّنْيَا عَلَى النُّقْصِ يُطْبَعُ
 وَمَا زِلْتُ أُرْمِي كُلَّ يَوْمٍ بِعِبرَةٍ
 تَكَادُ لَهَا صُمُ الْجِبَالِ تَصْدَعُ
 فَمَا بَالُ عَيْنِي لَا تَجُودُ بِمَائِهَا
 وَمَا بَالُ قَلْبِي لَا يَرِقُّ وَيَخْشَعُ
 تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمُلْكُ غَيْرُهُ

مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَقْنَعُ
وَأَيُّ امْرِءٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ
إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلُعُ
وَيَعُضُ بَنِي الدُّنْيَا لِبَعْضِ ذَرِيعَةٍ
وَكُلُّ بِكُلِّ قَلَمًا يَتَمَتُّعُ
يُحِبُّ السَّعِيدُ الْعَدْلَ عِنْدَ احْتِجَاجِهِ
وَيَبْغِي الشَّقِيُّ الْبَغْيَ وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ وَأَعِزَّنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ
وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقْلَ الْأَوْزَارِ ، وَارْزُقْنَا عَيْشَةَ الْإِبْرَارِ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ كُلُّنَا نَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتِنَا مَهْمَا امْتَدَّتْ وَصَفَتْ لِلزُّوَالِ ،
وَكَذَلِكَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا يَعْلَمُ أَنَّهُ أَتَى لِلدُّنْيَا لِلَاخْتِيَارِ بِمَا كُفَّلْنَا بِهِ مِنْ
الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ ، وَسَيُصْبِحُ الْوَاحِدُ مِنَّا عَمَّا قَرِيبٍ فِي حُفْرَةٍ وَحِيداً
لَيْسَ مَعَهُ أَوْلَادٌ وَلَا أَمْوَالٌ ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ أَيُّهَا الْأَخُ كَأَنَّكَ مَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا
وَلَا هِيَ رَأَتْكَ لَحْظَةً مِنَ اللَّحْظَاتِ .

وَيَا لَيْتَكَ إِذَا زَالَتِ الْحَيَاةُ تَزُولُ دُونَ أَنْ يَتَرْتَّبَ عَلَيْهَا آثَارُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ
لَاَحِبُّ بَعْضُنَا الْمَوْتَ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ بَشِيرًا بَانْتِهَاءِ الْأَمْرَاضِ وَالْمَصَائِبِ
وَالْآلَامِ ، لِكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَعْقُبُ ذَلِكَ الْمَوْتُ أَهْوَالٌ ، وَأُمُورٌ مُزْعِجَاتٌ ،
تُلَاقِي جَزَاءَ مَا كَانَ مِنْكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي الْاِخْتِيَارِ .

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ ، رَأَيْتَ قَبْرَكَ رَوْضَةً نَعِيمٍ ، وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئًا
رَأَيْتَهُ نِيرَانًا مُحْرِقَاتٍ .

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ كُنَّا فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَنَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمْ يُلَحَدْ ، وَوُضِعَتْ
الْجَنَازَةُ ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا
اِحْتَضَرَ ، أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، وَأَطْيَبِ رِيحًا ، فَجَلَسَ
عِنْدَهُ ، لِقَبْضِ رُوحِهِ ، وَأَتَاهُ مَلَكَانِ بِحَنُوطٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَانَا مِنْهُ عَلَى بَعِيدٍ
فَاسْتَخْرَجَ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ مِنْ جَسَدِهِ رَشْحًا .

فَإِذَا صَارَتْ إِلَى مَلَكِ الْمَوْتِ ابْتَدَرَهَا الْمَلَكَانِ فَأَخَذَا مِنْهُ فَحَنَطَاهَا
بِحَنُوطٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَكَفَّنَاهَا بِكَفْنٍ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ عَرَجَا بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ ، فَتُفْتَحُ
لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِهَا وَيَقُولُونَ لِمَنْ هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ
الَّتِي فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ .

وَيُسَمَّى بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، فَيُقَالُ هَذِهِ
رُوحُ فُلَانٍ فَإِذَا صَعَدَا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ شَبَّعَهَا مُقَرَّبُوا كُلِّ سَمَاءٍ ، حَتَّى
تُوضَعَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عِنْدَ الْعَرْشِ ، فَيُخْرَجُ عَمَلُهَا مِنْ عِلْيَيْنَ فَيَقُولُ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُقَرَّبِينَ اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَصَاحِبِ هَذَا الْعَمَلِ ، وَيُخْتَمُ
كِتَابُهُ فَيُرَدُّ فِي عِلْيَيْنَ .

فَيَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوا رُوحَ عَبْدِي إِلَى الْأَرْضِ ، فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ
أَنِّي أُرُدُّهُمْ فِيهَا .

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » فَإِذَا وُضِعَ الْمُؤْمِنُ فِي لَحْدِهِ تَقُولُ لَهُ

الْأَرْضُ إِنْ كُنْتَ لَحِيًّا إِلَى وَأَنْتَ عَلَى ظَهْرِي ، فَكَيْفَ إِذْ صِرْتَ الْيَوْمَ فِي
بَطْنِي سَأْرِيكَ مَا أَصْنَعُ بِكَ ، فَيَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةً بَصَرِهِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وُضِعَ الْكَافِرُ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ
مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ ، فَيَقُولُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ
لَا دَرِيَّتَ ، فَيَضْرِبَانِهِ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ رَمَادًا ، ثُمَّ يُعَادُ فَيُجْلَسُ فَيَقَالُ لَهُ مَا
قَوْلُكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ ، فَيَقُولُ أَيُّ رَجُلٍ فَيَقُولَانِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَيَقُولُ قَالَ النَّاسُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضْرِبَانِهِ
ضَرْبَةً فَيَصِيرُ رَمَادًا .

وَيَا لَيْتَ الْأَمْرُ يَنْتَهِي ، وَيَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ ، فَتَبْقَى فِي قَبْرِكَ
عَلَى الدَّوَامِ ، فَإِنَّهُ أَخَفُّ مِمَّا بَعْدَهُ ، فَتَكُونُ آلَمُكَ فِيهِ أَخَفُّ إِنْ كُنْتَ مِنْ
أَهْلِ الشَّقَاءِ وَالْآثَامِ ، وَلَكِنْ تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللَّهُ سَيَقَعُ ، وَهُوَ الْقِيَامُ
مِنَ الْقُبُورِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وَحِينَئِذٍ تَسُوقُكَ نَتِيجَةُ اخْتِبَارِكَ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى السَّعِيرِ ، مَنْ كَانَ
مَكْذَبًا بِهَذَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُ ، لِإِنَّ مَالَهُ إِلَى جَهَنَّمَ وَبُشْسَ الْمِهَادِ
لَأَنَّهُ مِنَ الْكَافِرِينَ ، وَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ الَّذِي
تُفِيدُ فِيهِ الْمَوَاعِظُ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَيُقَالُ لِمَاذَا نَرَاكَ مُتَّصِفًا بِمَا يُخَالِفُ قَوْلَكَ :
شعراً :

فَأَكْثَرُ مَنْ تَلَقَّى يَسْرُكَ قَوْلُهُ وَلَكِنْ قَلِيلٌ مَنْ يَسْرُكَ فِعْلُهُ

آخِر : وَحَتَّامَ لَا تَصْحُوقَدَ قَرُبَ الْمَدَى

وَحَتَّامَ لَا يَنْجَابُ عَنْ قَلْبِكَ السُّكْرُ

بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
وَتَذْكُرُ قَوْلِي حِينَ لَا يَنْفَعُ الذِّكْرُ

آخِرُ :

وَمُنْتَظِرٍ لِلْمَوْتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
يَشِيدُ وَيَبْنِي دَائِمًا وَيُحْصِنُ
لَهُ حِينَ تَبْلُوهُ حَقِيقَةُ مُوقِنٍ
وَأَفْعَالُهُ أَفْعَالُ مَنْ لَيْسَ يُوقِنُ
عَيَانُ كَانِكَارٍ وَكَالْجَهْلِ عِلْمُهُ
بِمَذْهَبِهِ فِي كُلِّ مَا يَتَيَقَّنُ

نَرَاكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي مَا يُغْضِبُ مَوْلَاكَ فَلِسَانُكَ فِي مِيدَانِ
الْفُحْشِ ، وَمُنْكَرِ الْقَوْلِ جَوَادٍ عَظِيمٍ وَعَيْنُكَ فِي أَوْدِيَةِ النُّظَرَاتِ الْخَائِنَةِ
دَائِمًا تَجُولُ وَتَهَيِّمُ ، وَفَرْجُكَ لَا يَتَهَيَّبُ أَنْ يَتَجَاوَزَ أَرْضَهُ الطَّيِّبَةَ إِلَى
الْأَرْضِ الْوَبِيثَةِ الْخَبِيثَةِ وَأَمَّا بَطْنُكَ فَلَا يَعِفُّ عَنْ أُخْبَثِ الْمَاكُولَاتِ ، وَأَمَّا
أُذُنُكَ فَمُصْغِيَةٌ وَسَامِعَةٌ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ مِنَ الْكَلَامِ .

وَأَمَّا رِجْلُكَ فَسَاعِيَةٌ إِلَى الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ ، وَأَمَّا يَدُكَ فَبَاطِشَةٌ
بِالضَّعِيفِ دُونَ تَوَقُّعٍ ، فَيَا مُسْكِينُ إِنَّ الْمَعَاصِي عَدُوٌّ مُبِينٌ ، يَعْلَمُ ذَلِكَ
كُلُّ مُؤْمِنٍ عَاقِلٍ لَبِيبٍ ، وَإِنَّ مَالَ الْمُصِرِّ عَلَيْهَا أَنْ لَمْ يَتَجَاوَزْ عَنْهُ مَوْلَاهُ
النَّارُ فَهَلْ الْعَاقِلُ فَضْلًا عَنْ الْمُؤْمِنِ يُلْقَى نَفْسُهُ فِيهَا ، فَاتَّعِظْ وَتَنَبَّهُ أَيُّهَا
الْأَخُ وَبَرِّهِنَّ عَلَى أَنَّكَ تُمَيِّزُ بَيْنَ النَّافِعِ وَالضَّارِ .

شِعْرًا :

يَا طَالِباً رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عَبَثاً
أَقْصِرْ فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا بِالْهُمُومِ مُلِي
كَمْ مَنْظَرٍ رَائِقٍ أَفْنَتْ جَمَالَتَهُ
يَدُ الْمُنُونِ وَأَعْيَتْهُ عَنِ الْحِيلِ
وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَلِكٍ
تَحْتَ التَّرَابِ وَكَمْ شَهْمٍ وَكَمْ بَطْلٍ
وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَسِيهِ دَوْلٌ
قَدْ صَارَ بِالْمَوْتِ مَعْرُولاً عَنِ الدُّوَلِ
وَكَمْ عَزِيزٍ أَذَلَّتْهُ الْمُنُونُ وَمَا
أَنْ صَدَّهَا عَنْهُ مِنْ مَالٍ وَلَا خَوْلٍ
يَا عَارِفاً دَهْرَهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةٌ
وَأِنْ جَهِلْتَ تَصَارِيفَ الزَّمَانِ سَلِ
هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مَنْ قَبْلَهُ سَمِعْتُ
أُذْنَاكَ أَنْ ابْنَ ابْنِي غَيْرُ مُتَّقِلٍ
وَهَلْ رَأَيْتَ أَنْاساً قَدْ عَلَوْا وَغَلَوْا
فِي الْفَضْلِ زَادُوا بِمَا نَالُوا عَنِ الْأَجَلِ
أَوْ هَلْ نَسِيتَ «لِدُّوا لِلْمَوْتِ» أَوْ عَمِيتَ
عَيْنَاكَ عَنْ وَاضِعِ نَعْشٍ وَمُحْتَمِلٍ
وَهَلْ رَعَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
أَوْ هَلْ خَلَا أَحَدٌ دَهْرًا بِلاَ خَلَلِ
الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
لَكِنَّ ذَا الْفَضْلِ مَحْمُولٌ عَلَى عَجَلِ

وَلَيْسَ فَقْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عِلْمٌ
كَفَقْدِ مَنْ لَيْسَ ذَا عِلْمٍ وَلَا عَمَلٍ
وَلَيْسَ مَوْتُ الَّذِي مَاتَتْ لَهُ أُمَّةٌ
كَمَوْتِ شَخْصٍ مِنْ الْأَوْعَادِ وَالسُّفْلِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْوِي وَإِيمَانَنَا بِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَكُتُبَكَ وَرُسُلَكَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَالْقَدِيرَ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ الْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لَامْتِثَالِ
أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ) فِي الرَّجَاءِ

الرَّجَاءُ قِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ هُوَ ارْتِيَاخٌ لِانْتِظَارِ مَا هُوَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ الْإِنْسَانِ
وَلَكِنَّ ذَلِكَ الْمَتَوَقَّعَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ حَاصِلٍ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ السَّبَبُ
مَعْلُومَ الْوُجُودِ وَلَا مَعْلُومَ الْإِنْتِفَاءِ سُمِّيَ تَمَنِّيًّا لِأَنَّهُ انْتِظَارٌ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ وَلَا
يُطْلَقُ اسْمُ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ إِلَّا عَلَى مَا يُتَرَدَّدُ فِيهِ .

فَأَمَّا مَا لَا يُتَرَدَّدُ فِيهِ وَيُقْطَعُ بِهِ فَلَا إِذْ لَا يُقَالُ أَرْجُو طُلُوعَ الشَّمْسِ
وَلَكِنْ يُقَالُ أَرْجُو نُزُولَ الْمَطَرِ ، وَأَخَافُ انْقِطَاعَهُ وَضِدُّ الرَّجَاءِ الْيَأْسُ وَهُوَ
تَذَكُّرُ قُوْتِ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَقَطْعُ الْقَلْبِ عَنْ ذَلِكَ ، وَالْيَأْسُ مَعْصِيَةٌ قَالَ
تَعَالَى إِنْخَبَارًا عَمَّا قَالَهُ يَعْقُوبُ ﴿ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ
مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

وَمُقَدَّمَاتُ الرَّجَاءِ أَرْبَعٌ ، الْأُولَى ذِكْرُ سَوَابِقِ فَضْلِ اللَّهِ إِلَى الْعَبْدِ
وَالثَّانِيَةِ ذِكْرُ مَا وَعَدَ اللَّهُ مِنْ جَزَائِلِ ثَوَابِهِ وَعَظِيمِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ دُونَ
اسْتِحْقَاقٍ أَوْ سُؤَالٍ ، الثَّالِثَةُ : ذِكْرُ كَثْرَةِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي أَمْرِ دِينِكَ
وَبَدْنِكَ وَدُنْيَاكَ فِي الْحَالِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَمْزَادِ وَالْأَلْطَافِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ
أَوْ سُؤَالٍ ، وَالرَّابِعَةُ ذِكْرُ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَبْقِهَا غَضَبُهُ وَأَنَّهُ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْغَنِيُّ الْكَرِيمُ الرَّؤُوفُ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقُوَّةُ الرَّجَاءِ عَلَى
حَسَبِ قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَغَلَبَةِ رَحْمَتِهِ غَضَبِهِ
قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَالرَّجَاءُ ضَرُورِيٌّ لِلْمُرِيدِ السَّالِكِ وَالْعَارِفِ
لَوْ فَارَقَهُ لَحُظَةً لَتَلَفَ أَوْ كَادَ فَإِنَّهُ دَائِرٌ بَيْنَ ذَنْبٍ يَرْجُو غُفْرَانَهُ وَعَيْبٍ يَرْجُو
إِصْلَاحَهُ وَعَمَلٍ صَالِحٍ يَرْجُو قَبُولَهُ وَاسْتِقَامَةٍ يَرْجُو حُصُولَهَا وَدَوَامَهَا .

وَقُرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَهُ يَرْجُو وَصُولَهُ إِلَيْهَا وَالرَّجَاءُ مِنَ الْأَسْبَابِ
الَّتِي يَنَالُ بِهَا الْعَبْدُ مَا يَرْجُوهُ مِنْ رَبِّهِ بَلْ هُوَ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ أَهـ .
وَقَالَ فِي مُخْتَصَرٍ مِنْهَا جِ الْقَاصِدِينَ : وَقَدْ عَلِمَ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ أَنَّ
الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ الْآخِرَةُ وَالْقَلْبُ كَالْأَرْضِ وَالْإِيمَانُ كَالْبَذْرِ فِيهَا وَالطَّاعَاتُ
جَارِيَةٌ مَجْرَى تَنْقِيَةِ الْأَرْضِ وَتَطْهِيرِهَا ، وَمَجْرَى حَفْرِ الْأَنْهَارِ وَسِيَاقَةِ الْمَاءِ
إِلَيْهَا .

وَأَنَّ الْقَلْبَ الْمُسْتَغْرِقَ بِالدُّنْيَا كَالْأَرْضِ السَّيِّخَةِ الَّتِي لَا يَنْمُو فِيهَا
الْبَذَرُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ يَوْمُ الْحَصَادِ ، وَلَا يَحْصُدُ أَحَدٌ إِلَّا مَا زَرَعَ وَلَا يَنْمُو
زَرْعٌ إِلَّا مَنْ بَذَرَ الْإِيمَانَ ، وَقُلَّ أَنْ يَنْفَعَ إِيْمَانٌ مَعَ خُبْثِ الْقَلْبِ وَسُوءِ
أَخْلَاقِهِ ، كَمَا لَا يَنْمُو الْبَذَرُ فِي الْأَرْضِ السَّيِّخَةِ .

فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَاسَ رَجَاءُ الْعَبْدِ الْمَغْفِرَةَ بِرَجَاءِ صَاحِبِ الزَّرْعِ ، فَكُلُّ مَنْ طَلَبَ أَرْضاً طَيِّبَةً وَأَلْقَى فِيهَا بُرّاً جَيِّداً غَيْرَ مُسَوِّسٍ وَ عَفِينٍ ، ثُمَّ سَاقَ إِلَيْهَا الْمَاءَ فِي أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ وَنَقَى الْأَرْضَ مِنَ الشُّوكِ وَالْحَشِيشِ وَمَا يُفْسِدُ الزَّرْعَ .

ثُمَّ جَلَسَ يَنْتَظِرُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى دَفْعَ الصَّوَاعِقِ وَالْآفَاتِ الْمُفْسِدَةِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ الزَّرْعُ وَيَبْلُغَ غَايَتَهُ ، فَهَذَا يُسَمَّى انْتِظَارُهُ رَجَاءً فَأَمَّا إِنْ بَذَرَ فِي أَرْضٍ سَبِيحَةٍ صَلْبَةٍ مُرْتَفِعَةٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْمَاءُ وَلَمْ يَتَعَاهَدْهَا أَصْلاً ثُمَّ انْتَظَرَ الْحَصَادَ فَهَذَا يُسَمَّى انْتِظَارُهُ حُمَقاً وَغُرُوراً لَا رَجَاءَ .

وَإِنْ بَثَّ الْبَذَرَ فِي أَرْضٍ طَيِّبَةٍ ، وَلَكِنْ لَا مَاءَ لَهَا وَأَخَذَ يَنْتَظِرُ مِيَاهَ الْأَمْطَارِ سُمِّيَ انْتِظَارُهُ تَمَنِّيًّا لَا رَجَاءَ ، فَإِنَّ اسْمَ الرَّجَاءِ إِنَّمَا يَصْدُقُ عَلَى انْتِظَارِ مَحْبُوبٍ ، تَمَهَّدَتْ أَسْبَابُهُ الدَّاخِلَةُ تَحْتَ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ ، وَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا مَا لَيْسَ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، وَهُوَ فَضْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِصَرْفِ الْمَوَاقِعِ الْمُفْسِدَاتِ .

فَالْعَبْدُ إِذَا بَثَّ بَذَرَ الْإِيمَانِ وَسَقَاهُ مَاءَ الطَّاعَاتِ ، وَطَهَّرَ الْقُلُوبَ مِنَ شُوكِ الْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ وَانْتَظَرَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى ثَبَاتَهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْمَوْتِ ، وَحُسْنَ الْخَاتِمَةِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى الْمَغْفِرَةِ كَانَ انْتِظَارُهُ لِذَلِكَ رَجَاءً مَحْمُوداً بَاعِثاً عَلَى الْمُواظَبَةِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْقِيَامِ بِمُقْتَضَى الْإِيمَانِ إِلَى الْمَوْتِ .

شعرا :

تَرَى الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، فَتَضْبُو	وَمَا يَحُلُّو مِنْ الشَّهَوَاتِ قَلْبُ
فُضُولُ الْعَيْشِ أَكْثَرُهَا هُمُومٌ	وَأَكْثَرُ مَا يَضُرُّكَ مَا تُحِبُّ
فَلَا يَغُرُّكَ زُخْرُفُ مَا تَرَاهُ ،	وَعَيْشُ لَيْنٍ الْأَعْطَافِ رَطْبُ

وَأِنْ قَطَعَ يَذَرَ الْإِيمَانَ عَنْ تَعَهُدِهِ بِمَاءِ الطَّاعَاتِ أَوْ بَرَكَ الْقَلْبِ
مَشْحُونًا بِرَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَأَنْهَمَكَ فِي طَلَبِ لَذَاتِ الدُّنْيَا .

ثُمَّ انْتَظَرَ الْمَغْفِرَةَ كَانَ ذَلِكَ حُmqًا وَغُرُورًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «فَخَلَفَ مِنْ
بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ
لَنَا ، وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ» وَذَمَّ الْقَائِلُ ۞ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۞ .

شِعْرًا :
أَفِي السَّبَخَاتِ يَا مَعْبُودُ تَبْنِي وَمَا أَبْقَى السَّبَاحُ عَلَى الْأَسَاسِ
ذُنُوبُكَ جَمَّةٌ تَتَرَى عِظَامًا وَدَمْعُكَ جَامِدٌ وَالْقَلْبُ قَاسِي
وَأَيَّامًا عَصِيَّتَ اللَّهُ فِيهَا وَقَدْ حَفِظْتَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ نَاسِي
فَكَيْفَ تُطِيقُ يَوْمَ الدِّينِ حَمْلًا لِأَوْزَارِ الْكِبَائِرِ كَالرُّوَاسِي
هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا وُدَّ فِيهِ وَلَا نَسَبٌ وَلَا أَحَدٌ مُوَاسِي

اللهم يا عالم الخفيات ، ويا رفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول لا إله إِنْتَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ .

نَسْأَلُكَ أَنْ تُذَيِّقَنَا بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحِلَاوَةَ رَحْمَتِكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : عِبَادَ اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ۞ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ وَأَعْظَمُ
أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ ، وَهِيَ قُرَّةُ عَيْنِ الْمُؤْمِنِ وَطُمَأْنِينَةُ قَلْبِهِ تَبْدُو
وَاضِحَةً فِي وَقُوفِهِ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ ، وَخُشُوعِهِ وَانكِسَارِهِ ، عِنْدَمَا يَتَّجِهَ إِلَيْهِ
فِي عِبَادَتِهِ ، وَيَقِفُ خَاضِعًا ذَلِيلًا بَيْنَ يَدَيِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .

عِبَادَ اللَّهِ مَنْ حَافِظٌ عَلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ السَّعِيدُ الرَّابِعُ ، وَمَنْ أَضَاعَهَا
فَهُوَ الشَّقِيُّ الْخَاسِرُ ، وَإِنَّ اللَّيِّبَ الْعَاقِلَ مَنْ إِذَا حَضَرَ لِلصَّلَاةِ أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ
وَقَالَ بِهِ ، طَرَحَ الدُّنْيَا وَشُؤْنَهَا وَمُتَعَلِّقَاتِهَا جَانِبًا وَتَدَبَّرَ مَا يَتْلُوهُ إِنْ كَانَ وَحْدَهُ
أَوْ إِمَامًا . وَأَنْصَتَ وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ إِنْ كَانَ مَأْمُومًا وَتَفَهَّمْ مَا يَسْمَعُ وَابْتَهِلْ
وَتَضَرَّعْ إِلَى مَوْلَاهُ .

مَوْعِظَةٌ: عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ هُوَ رُوحُهَا ، وَالْمَحَوْرَ الَّذِي تَدُورُ
عَلَيْهِ سَائِرُ أَفْعَالِهَا ، وَالْخُشُوعُ فِيهَا مَعَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ آيَةُ الْإِيمَانِ وَسَبَبُ
الْفَلَاحِ وَأَمَانٌ مِنَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ . أَلَا وَإِنَّ الصَّلَاةَ بِلا خُشُوعٍ كَجَسَدٍ
بِلا رُوحٍ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا « لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا
مَا عَقَلْتَ مِنْهَا » .

وَفِي الْمُسْنَدِ مَرْفُوعًا إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلَّا
نِصْفُهَا أَوْ ثُلُثُهَا أَوْ رُبُعُهَا ، حَتَّى بَلَغَ عَشْرَهَا ، وَقَدْ عَلَّقَ اللَّهُ فَلَاحَ
الْمُصَلِّينَ بِالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِمْ ، فَذَلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْشَعْ فَلَيْسَ مِنْ
أَهْلِ الْفَلَاحِ وَلَوْ اِعْتَدُّ لَهُ بِهَا ثَوَابًا لَكَانَ مِنَ الْمَفْلِحِينَ هَكَذَا قَالَ بَعْضُ
الْعُلَمَاءِ .

قَالُوا وَأَمَّا الْاِعْتِدَادُ بِهَا فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَسُقُوطِ الْقَضَاءِ فَإِنْ غَلَبَ
الْخُشُوعُ وَتَعَقَّلُهَا اِعْتَدَّ بِهَا أَجْمَاعًا ، وَكَانَتْ السُّنَنُ وَالْأَذْكَارُ عَقِبَهَا جَوَابِرَ
وَمُكَمَّلَاتٍ لِنَقْصِهَا ، وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ عَدَمُ الْخُشُوعِ فِيهَا وَعُدِمَ تَعَقُّلُهَا .

فَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي وَجُوبِ اعَادَتِهَا وَاحْتِجَاجِهَا بِأَنَّهَا صَلَاةٌ لَا يُثَابُ
عَلَيْهَا ، وَلَمْ يُضْمَنْ لَهُ فِيهَا الْفَلَاحُ فَلَمْ تَبْرَأْ ذِمَّتُهُ مِنْهَا ، وَيَسْقُطُ الْقَضَاءُ

عنه كصلاة المرآئي قالوا ولأن الخشوع والعقل روح الصلاة ، ومقصودها ولبها ، فكيف يعتد بصلاة فقدت روحها ، ولبها وبقيت صورتها وظاهرها .

قالوا ولو ترك العبد واجباً من واجباتها عمداً لأبطلها تركه وغايته أن يكون بعضاً من أبعاضها بمنزلة فوات عضو من أعضاء العبد المعتق . في الكفارة ، فكيف إذا عُدِمَتْ روحها ومقصودها ، وصارت بمنزلة العبد الميت فإذا لم يعتد بالعبد المقطوع اليد يعتقه تقريباً إلى الله تعالى في كفارة واجبة فكيف يعتد بالعبد الميت .

وقال بعض السلف الصلاة كجارية تُهدى إلى ملك من الملوك فما الظن بمن يُهدى إليه جارية سلاء أو عوراء أو عمياء أو مقطوعة اليد أو الرجل أو مريضة أو دميمة أو قبيحة حتى يُهدى إليه جارية ميتة بلا روح وجارية قبيحة فكيف بالصلاة التي يُهدىها العبد ويتقرب بها إلى ربه تعالى والله طيب لا يقبل إلا طيباً وليس من العمل الطيب صلاة لا روح فيها كما أنه ليس من العتي الطيب عتي عبداً بلا روح .

قالوا وتعطيل القلب عن عبودية الحضور والخشوع تعطيل لملك الأعضاء عن عبوديته وعزل له عنها فمآذا تُغني طاعة الرعية وعبوديتها وقد عزل ملكها وتعطل .

قالوا والأعضاء تابعة للقلب تصلح بصلاحيه وتفسد بفساده فإذا لم يكن قائماً بعبوديته فالأعضاء أولى أن لا يعتد بعبوديتها وإذا فسدت عبوديته بالغفلة والوسواس فأنى تصح عبودية رعيته وجنده ومآدئهم منه

وَعَنْ أَمْرِهِ يَصْدُرُونَ وَيَبِهِ يَأْتِمِرُونَ .

قَالُوا وَلَآنَ عُبودِيَّةَ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ وَالسَّهْوُ فِي الْغَالِبِ لَا تَكُونُ مُصَاحِبَةً لِلْإِخْلَاصِ فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ قَصْدُ الْمَعْبُودِ وَخَذَهُ بِالتَّعَبُّدِ وَالْغَافِلُ لَا قَصْدَ لَهُ فَلَا عُبودِيَّةَ لَهُ .

قَالُوا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ وَلَيْسَ السَّهْوُ عَنْهَا تَرْكُهَا وَإِلَّا لَمْ يَكُونُوا مُصَلِّينَ وَإِنَّمَا السَّهْوُ عَنْ وَاجِبِهَا إِمَّا عَنْ الْحُضُورِ أَوْ الْخُشُوعِ .

وَالصَّوَابُ أَنَّهُ يَعُمُّ النَّوعَيْنِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَثْبَتَ لَهُمْ صَلَاةً وَوَصَفَهَا بِالسَّهْوِ عَنْهَا ، فَهُوَ السَّهْوُ عَنْ وَقْتِهَا الْوَاجِبِ أَوْ عَنْ إِخْلَاصِهَا وَحُضُورِهَا الْوَاجِبِ ، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُم بِالرِّيَاءِ ، وَلَوْ كَانَ السَّهْوُ سَهْوَ تَرْكِ لَمَا كَانَ هُنَاكَ رِيَاءٌ أَه .

وَبِالتَّالِي فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَرَّنَ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ عَلَى التَّفَهُّمِ وَالتَّذَكُّرِ وَالْخُشُوعِ وَالْحُضُوعِ فِي الصَّلَاةِ انْغَرَسَتْ فِي قَلْبِهِ خَشْيَةُ اللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ وَالرَّغْبَةُ فِيْمَا لَدَيْهِ ، وَحَضَرَتْهُ هَيْبَةُ خَالِقِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَفِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ .

فَإِذَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَمْرًا أَوْ زَيْنَ الشَّيْطَانُ سُوءًا تَبَرَّأَ مِنْهُمَا قَائِلًا إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكُنْ فِي صَلَاتِكَ خَاشِعًا خَاضِعًا مُخْبِتًا .

فَإِذَا قُلْتَ اللَّهُ أَكْبَرُ فَاسْتَخْضِرْ عَظَمَةَ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَكْبَرَ مِنْهُ وَلَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْهُ وَأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لَّأَنْ يُعْظَمَ وَيُجَلَّ وَيُقَدَّرَ وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُسَاوِيهِ أَوْ يُدَانِيهِ فِي عَظَمَتِهِ .

وَإِذَا قُلْتَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاسْتَحْضِرْ أَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلثَّنَاءِ
وَأَنَّهُ الْمَرْبِيُّ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ التَّربِيَّةَ الْعَامَّةَ وَالْمَرْبِيُّ لِخَوَاصِّ خَلْقِهِ التَّربِيَّةَ
الْخَاصَّةَ ، وَهِيَ تَرْبِيَّةُ الْقُلُوبِ عَلَى الْعَقَائِدِ النَّافِعَةِ ، وَالْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ .

وَإِذَا قُلْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ اسْتَحْضِرْتَ لِرَحْمَتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ
رَاجِئاً مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ كَتَبَهَا لَهُمْ فَإِذَا قُلْتَ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ مَجْدَّتُهُ
وَاسْتَحْضِرْتَ لِقُوفِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ .

فَإِذَا قُلْتَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اسْتَحْضِرْتَ أَنَّكَ تَخْصُهُ وَحْدَهُ
بِالْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ ، الْمَعْنَى نَعْبُدُكَ وَلَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ وَنَسْتَعِينُ بِكَ وَلَا
نَسْتَعِينُ بِغَيْرِكَ .

فَإِذَا قُلْتَ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ اسْتَحْضِرْتَ أَنَّكَ تَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ
وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَدُلَّكَ وَيُرْشِدَكَ وَيُوفِّقَكَ إِلَى سُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَأَنْ
يُثَبِّتَكَ عَلَيْهِ فَهَذَا الدُّعَاءُ مِنْ أَجْمَعِ الْأَدْعِيَةِ وَأَنْفَعِهَا لِلْعَبْدِ وَلِهَذَا وَجَبَ عَلَى
الْعَبْدِ أَنْ يَدْعُو بِهِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِ لِضُرُورَتِهِ إِلَى ذَلِكَ وَهَذَا
الصِّرَاطُ هُوَ صِرَاطُ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ .

وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ، وَافْعَلْ فِي
بَاقِي صَلَاتِكَ كَمَا فَعَلْتَ فِي أَوَّلِهَا مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّفْهِيمِ مُحْضِرًا قَلْبَكَ
لِمَعَانِي مَا تَقُولُهُ وَمَا تَسْمَعُهُ حَتَّى تُكْتَبَ لَكَ كَامِلَةً .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مَنْ حَافِظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا وَوَاضَبَ عَلَى
الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ وَأَدَّاهَا تَأْدِيَةً تَامَةً بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ ، اسْتَنَارَ قَلْبُهُ

وَقَوِيَتْ الصَّلَاةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، وَتَهَذَّبَتْ نَفْسُهُ وَحَسُنَتْ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مُعَامَلَتُهُ ، وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَكَانَ عَلَى الْبُؤْسَاءِ عَطُوفًا وَبِالضُّعَفَاءِ رَحِيمًا ، وَأَفْلَحَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَكَانَ مِنَ الْمُحِبُّوبِينَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ .

عِبَادَ اللَّهِ النَّفْسُ أَمِيرَةٌ بِالسُّوءِ ، وَالشَّيْطَانُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالسَّيْفُ الْقَاطِعُ وَالِدُّوَاءُ النَّافِعُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ وَقَايَةً لِلْإِنْسَانِ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ، إِنَّمَا هُوَ الصَّلَاةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ احْذَرُوا أَنْ تَسْتَهِينُوا بِالصَّلَاةِ وَأَنْ لَا تَهْتَمُّوا لَهَا ، فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةُ الَّذِينَ خَلَتْ صَلَاتُهُمْ مِنَ التَّذَلُّلِ وَالْخُشُوعِ كَمَا تَرَوْنَهُمْ يُسْرِعُونَ فِي أَدَائِهَا وَهُمْ عَنْهَا غَافِلُونَ لَا يَعْرِفُونَ لَهَا مَعْنَى وَلَا يَعْقِلُونَ لَهَا سِرًّا وَلَمْ تَشْعُرْ قُلُوبُهُمْ بِخَلَاوَتِهَا وَلَا بِلَذَّةِ الْمَنَاجَاتِ قَدْ مَلَكَتْهُمْ الْوَسَاوِسُ ، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِشَوَاطِلِ الدُّنْيَا وَلَذَائِهَا ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ عَمِيَتْ بَصَائِرُهُمْ ، وَتَحَجَّرَتْ ضَمَائِرُهُمْ ، فَأَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، وَأَهْمَلُوا أَوَامِرَ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَغَفَلُوا عَنْ وَاجِبِ شُكْرِهِ وَلَمْ يَخَافُوا سَطْوَةَ جَبْرُوتِهِ وَبَطْشِهِ ، وَلَا سُوءَ الْحِسَابِ ، وَلَا نَارَ الْعَذَابِ ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَحَافِظُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ وَقُومُوا لِلَّهِ خَاضِعِينَ خَاشِعِينَ لَتَفُوزُوا بِرِضْوَانِهِ وَتَكُونُوا مِنَ الْمَفْلِحِينَ .

لِلَّهِ دُرُّ السَّادَةِ الْعُبَادِ
 أَلْوَانُهُمْ تُنْبِئُكَ عَنْ أَحْوَالِهِمْ
 كَتَمُوا الضُّعْفَ حِفْظًا لَهُمْ وَتَحَمَّلُوا
 هَجَرُوا الْمَرَاقِدَ فِي الظُّلَامِ لِرَبِّهِمْ
 لَا يَفْتُرُونَ إِذَا الدُّجَى وَافَاهُمُوهَا
 وَرَأَوْا عِلَامَاتِ الرَّحِيلِ فَبَادَرُوا
 فَإِذَا اسْتَمَالَ قُلُوبَهُمْ دَاعِي الْهَوَى
 نَظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا تَغَرُّ بِأَهْلِهَا
 فَتَجَنَّبُوهَا عِفَّةً وَتَزَهَّدًا
 وَمَضَوْا عَلَى مِنْهَاجِ صَحْبِ نَبِيِّهِمْ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ) : رَوَى شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ
 نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ
 أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
 إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
 وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ
 حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الْآيَةُ .

وَقَالَ ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
 عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ وَقَالَ ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ
 الرَّحْمَةَ ﴾ .

شِعْرًا :

وَإِنِّي لَأَتِي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ وَيَغْفِرُ
لِإِنَّ عَظَّمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصَغُرُ
وَقَالَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ وَقَالَ
﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ .

وَقَالَ ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ
مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وَوَجْهُ
الدَّلَالَةِ مِنْهَا حَيْثُ أَوْصَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْقَاضِي .

وَمِنْ جَانِبِ الرَّجَاءِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ السَّحَرَةِ الْمُبَارِزِينَ لِمُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ رَأَوْا آيَةَ مُوسَى فَعَرَفُوا الْحَقَّ وَوَقَعُوا سُجَّدًا ﴿ وَقَالُوا
آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ أَصْبَحُوا سَحَرَةً وَأَمْسَوْا شُهَدَاءَ
بَرَّةً ، فَهَذَا حَالُ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَوَحَّدَهُ بَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ السَّحَرِ وَالْكُفْرِ
وَالضَّلَالِ وَالْفَسَادِ فَكَيْفَ حَالُ مَنْ أَفْنَى عُمُرَهُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ .

وَكَذَا قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ إِذْ آمَنُوا بِاللَّهِ كَيْفَ لَطَفَ بِهِمْ ،
وَأَكْرَمَهُمْ وَأَلْبَسَهُمُ الْمَهَابَةَ حَتَّى إِنَّ بَرَكَتَهُمْ شَمَلَتْ كُلَّهُمْ فَأَصَابَهُ مَا
أَصَابَهُمْ مِنَ النَّوْمِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ وَصَارَ لَهُ ذِكْرٌ وَشَأْنٌ وَخَبْرٌ يُتْلَى وَهَذِهِ
فَائِدَةُ صُحْبَةِ الْإِخْيَارِ فَمَا ظَنُّكَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي عَبْدَ اللَّهَ وَوَحَّدَهُ وَلَهَجَ بِذِكْرِهِ
آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَغَادَى فِيهِ وَوَالَى فِيهِ سِنِينَ عَدِيدَةً وَبُوْدَهُ لَوْ عُمَرَ
زِيَادَةً تَابَعَ فِيهَا خِدْمَةَ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ جَلَّ وَعَلَا .

وَمِنْ جَانِبِ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ
يُتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ .

شِعْرًا :

تَفِيضُ عُيُونِي بِالدُّمُوعِ السَّوَائِبِ
وَمَالِي لَا أَبِكِي عَلَى خَيْرِ ذَاهِبِ
عَلَى الْعُمْرِ إِذْ وَلَّى وَحَانَ انْقِضَاؤُهُ
بِأَمَالٍ مَغْرُورٍ وَأَعْمَالٍ نَاكِبِ
عَلَى غُرْرِ الْأَيَّامِ لَمَّا تَصَرَّمْتُ
وَأَصْبَحْتُ مِنْهَا رَهْنَ سُؤْمِ الْمَكَايِبِ
عَلَى زَهْرَاتِ الْعَيْشِ لَمَّا تَسَاقَطْتُ
بِرِيحِ الْأَمَانِي وَالظُّنُونِ الْكَوَاذِبِ
عَلَى أَشْرَفِ الْأَوْقَاتِ لَمَّا غُبَّتْهَا
بِأَسْوَاقِ غُبْنٍ بَيْنَ لَاءٍ وَلَا عِبِ
عَلَى أَنْفَسِ السَّاعَاتِ لَمَّا أَضَعْتُهَا
وَقَضَّيْتُهَا فِي غَفْلَةٍ وَمَعَاطِبِ
عَلَى صَرَفِي الْأَيَّامِ فِي غَيْرِ طَائِلِ
وَلَا نَافِعٍ مِنْ فِعْلٍ فَضْلٍ وَوَاجِبِ
عَلَى مَا تَوَلَّى مِنْ زَمَانٍ قَضَيْتُهُ
وَرَجَّيْتُهِ فِي غَيْرِ حَقٍّ وَصَائِبِ
عَلَى فُرْصٍ كَانَتْ لَوْ أَنِّي انْتَهَرْتُهَا
لَقَدْ نِلْتُ فِيهَا مِنْ شَرِيفِ الْمَطَالِبِ
وَأَحْيَانًا آنَاءٍ مِنَ الدَّهْرِ قَدْ مَضَتْ
ضِيَاعًا وَكَانَتْ مَوْسِمًا لِلرَّغَائِبِ

عَلَى صُحُفٍ مَشْحُونَةٍ بِمَآثِمِ
 وَجُرْمٍ وَأَوْزَارٍ وَكَمٍّ مِنْ مَثَالِبِ
 عَلَى كَمٍّ ذُنُوبٍ كَمٍّ عُيُوبٍ وَزَلَّةٍ
 وَسَيِّئَةٍ مَخْشِيَةٍ فِي الْعَوَاقِبِ
 عَلَى شَهَوَاتٍ كَانَتْ النَّفْسُ أَقْدَمَتْ
 عَلَيْهَا بِطَبْعٍ مُسْتَحْتٍ وَغَالِبِ
 عَلَى أَنَّنِي آثَرْتُ دُنْيَا دَنِيَّةً
 مُنْغَصَّةً مَشْحُونَةً بِالْمَعَائِبِ
 عَلَى عَمَلٍ لِلْعِلْمِ غَيْرِ مُوَافِقِ
 وَمَا فَضْلُ عِلْمٍ دُونَ فِعْلٍ مُنَاسِبِ
 عَلَى فِعْلٍ طَاعَاتٍ بِسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ
 وَمِنْ غَيْرِ إِحْضَارٍ وَقَلْبٍ مُرَاقِبِ
 أَصْلَى الصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَالْقَلْبُ جَائِلٌ
 بِأَوْدِيَةِ الْأَفْكَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 عَلَى أَنَّنِي أَتْلُو الْقُرْآنَ كِتَابَهُ
 تَعَالَى بِقَلْبٍ ذَاهِلٍ غَيْرِ رَاهِبِ
 عَلَى طُولِ آمَالٍ كَثِيرٍ غُرُورُهَا
 وَنِسْيَانِ مَوْتٍ وَهُوَ أَقْرَبُ غَائِبِ
 عَلَى أَنَّنِي قَدْ أَذْكُرُ اللَّهَ خَالِقِي
 بِغَيْرِ حُضُورٍ لَازِمٍ وَمُصَاحِبِ
 عَلَى أَنَّنِي لَا أَذْكُرُ الْقَبْرَ وَالْبَلَى
 كَثِيرًا وَسَفَرًا ذَاهِبًا غَيْرَ آيِبِ

عَلَى أَنِّي عَنْ يَوْمِ بَغْيِي وَمَحْشَرِي
وَعَرَضِي وَمِيزَانِي وَتِلْكَ الْمَصَاعِبِ
مَوَاقِفُ مِنْ أَهْوَالِهَا وَخُطُوبِهَا
يَشِيبُ مِنَ الْوِلْدَانِ شَعْرُ الذُّوَائِبِ
تَغَافَلْتُ حَتَّى صِرْتُ مِنْ فَرَطِ غَفْلَتِي
كَأَنِّي لَا أَدْرِي بِتِلْكَ الْمَرَاهِبِ
عَلَى النَّارِ أَنِّي مَا هَجَرْتُ سَبِيلَهَا
وَلَا خِفْتُ مِنْ حَيَاتِهَا وَالْعَقَارِبِ
عَلَى السَّعْيِ لِلْجَنَاتِ دَارِ النِّعَمِ وَالْ
كَرَامَةِ وَالزُّلْفَى وَنَيْلِ الْمَارِبِ
مِنْ الْعِزِّ وَالْمُلْكِ الْمُخَلَّدِ وَالْبَقَا
وَمَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ مِنْ كُلِّ طَالِبِ
وَأَكْبَرُ مِنْ هَذَا رِضَا الرَّبِّ عَنْهُمْ
وَرَوْيَتُهُمْ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ حَاجِبِ
فَأَهَاءَ عَلَى عَيْشِ الْأَجْبَةِ نَاعِمًا
هَنِئْنَا مُصَفَّى مِنْ جَمِيعِ الشَّوَائِبِ
وَأَهَاءَ عَلَيْنَا فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ
عَنْ الْمَلَاءِ الْأَعْلَى وَقُرْبِ الْحَبَائِبِ
وَأَهَاءَ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ هَذِي سَادَةٍ
وَمِنْ سِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ وَمَذَاهِبِ
عَلَى مَالِهِمْ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ
وَجِدِّ وَتَشْمِيرٍ لِنَيْلِ الْمَرَاتِبِ

عَلَى مَالِهِمْ مِنْ عِفَّةٍ وَفُتُوَّةٍ
وَزُهْدٍ وَتَجَرُّيدٍ وَقَطْعِ الْجَوَادِبِ
عَلَى مَالِهِمْ مِنْ صَوْمٍ كُلِّ هَجِيرَةٍ
وَمِنْ خُلُوعٍ بِاللَّهِ تَحْتَ الْغِيَاهِبِ
عَلَى الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ اللَّذَيْنِ تَحَقُّقًا
وَصِدْقٍ وَاخْلَاصٍ وَكَمٍّ مِنْ مَنَاقِبِ
عَلَى مَا صَفَا مِنْ قُرْبِهِمْ وَشُهُودِهِمْ
وَمَا طَابَ مِنْ أَذْوَاقِهِمْ وَالْمَشَارِبِ
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ جَلَالَهُ
وَقُدْرَتَهُ فِي شَرْقِهَا وَالْمَغَارِبِ
إِلَيْهِ مَا بَيَّ وَهُوَ حَسْبِي وَمَلَجَتِي
وَلِيَّ أَمَلٍ فِي عَظَمِهِ غَيْرُ خَائِبٍ
وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ فِيمَا بَقِيَ لِمَا
يُحِبُّ وَيَرْضَى فَهُوَ أَسْنَى الْمَطَالِبِ
وَأَنْ يَتَغَشَّانَا بِعَفْوٍ وَرَحْمَةٍ
وَفَضْلٍ وَاحْسَانٍ وَسَتْرِ الْمَعَائِبِ
وَأَنْ يَتَوَلَّانَا بِلُطْفٍ وَرَأْفَةٍ
وَحِفْظٍ يَقِينَا شِرًّا كُلِّ الْمَعَاطِبِ
وَأَنْ يَتَوَفَّانَا عَلَى خَيْرِ مِلَّةٍ
عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ خَيْرِ الْمَوَاهِبِ
مُقِيمِينَ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ
أَتَانَا بِهَا عَالِي الدُّرَى وَالْمَرَاتِبِ

مُحَمَّدُ الْهَادِي الْبَشِيرُ نَبِينَا
وَسَيِّدُنَا بَحْرُ الْهُدَى وَالْمَنَاقِبِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
وَالِ وَأَصْحَابُ لَهُ كَالْكَوَاكِبِ

مَوْعِظَةٌ: عِبَادَ اللَّهِ لَا شَيْءَ أَفْسَدَ لِلْقَلْبِ مِنْ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا فَإِنَّ
مَتَاعَهَا قَلِيلٌ وَلَا تَطْمَعُوا بِالْإِقَامَةِ فِيهَا فَإِنَّ الْبَقَاءَ فِيهَا مُسْتَحِيلٌ كَيْفَ لَا
وَالْمُنَادِي يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ يَا عِبَادَ اللَّهِ الرَّجِيلُ ، هُوَ الْمَوْتُ مَا مِنْهُ قُوَّةٌ وَلَا
تَعْجِيلٌ وَلَا يَقْبَلُ الْفِدَاءَ فَاسْتَعِدُّوا لَهُ فَانْهَ سَيِّئَاتِكُمْ عَنْ قَرِيبٍ .

عِبَادَ اللَّهِ لَا شَيْءَ أَفْسَدَ لِلْقَلْبِ مِنْ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا
وَإِثَارِهَا عَلَى الْآخِرَةِ فَإِنَّ هَذَا الْفَسَادُ يَقْعُدُ بِالْمَسْلَمِ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى الْآخِرَةِ
وَالْعَمَلِ لَهَا وَاتِّعَابِ الْجَسَدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَهَيْهَاتَ لِقَلْبٍ
فَاسِدٍ مَرِيضٍ أَنْ يَقْوَى عَلَى مَهَامِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، إِنَّ الدُّنْيَا فِيهَا قَابِلِيَّةٌ
الْأَغْرَاءِ لِلتَّعَلُّقِ بِهَا وَحُبِّهَا .

وَلِهَذَا وَصَفَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ
خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا
النَّسَاءَ » وَقَدْ حَذَّرَنَا رَبُّنَا مِنَ الْوُقُوعِ فِي شِبَاكِهَا وَالتَّعَلُّقِ بِهَا فَقَالَ عَزَّ مِنْ
قَائِلٍ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا
يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ .

وَوَجْهُ الْأَغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا أَنَّ فِيهَا مَبَاهِجَ وَمَنَاظِرَ وَمَلَذَّاتٍ لِلْأَنْفُسِ
وَالْأَعْيُنِ وَالْأَسْمَاعِ تَهْوَاهَا نَفْسُهُ بِطَبِيعَتِهَا وَتُؤَثِّرُهَا عَلَى مَا سِوَاهَا قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ
﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ .

فَإِذَا تُرِكَتِ النَّفْسُ وَشَانَهَا زَادَ تَعَلُّقُهَا بِالدُّنْيَا وَزَادَ التِّصَاقُهَا بِهَا حَتَّى
تُصْبِحَ هِيَ كُلُّ غَايَتِهَا وَمُنْتَهَى أَمَلِهَا وَمَبْلَغَ عِلْمِهَا ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا
﴿ فَأَعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ
الْعِلْمِ ﴾ .

وَإِذَا مَا وَصَلَتْ النَّفْسُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَقَدَتْ حَاسَةَ الْقَبُولِ وَالْإِعْتِبَارِ
وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يُجِدِي مَعَهَا وَعُظٌّ وَلَا تَذَكِيرٌ مَهْمًا بَالِغَتْ فِيهِ .

فَمَا هُوَ الْعِلَاجُ لِمَنْ وَصَلَ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ الْعِلَاجُ بِإِذْنِ اللَّهِ هُوَ
تَخْلِيصُ الْقَلْبِ مِنْ أَسْرَارِهَا وَتَعَلُّقِهَا بِهَا وَذَلِكَ بِأَنْ يَجْعَلَ زَوَالَ الدُّنْيَا نُصَبَ
عَيْنِيهِ وَيَتَيَقَّنَ لِقَاءَ الْآخِرَةِ وَبِقَاءَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ .

وَيَتَدَبَّرُ الْآيَاتِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا
لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا وَمَنْ
أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ .

وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ وَقَوْلِهِ
﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ مَنْ كَانَ
يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا
وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ .

وَقَوْلِهِ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ ﴾ الْآيَةُ ، وَيَتَدَبَّرُ

الْأَحَادِيثُ مِثْلَ قَوْلِهِ ﷺ لِابْنِ عُمَرَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ
الْحَدِيثُ ، وَقَوْلُهُ مَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي مَرَّتْ
سَابِقًا حَوْلَ أُمُثَلَةِ الدُّنْيَا .

وَيُقَارَنُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَإِنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ رَاجِحَ آثَرَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا
وَأَيْضًا لَا بُدَّ مِنْ قَطْعِ التَّسْوِيفِ وَطُولِ الْأَمَلِ حَتَّى يُحَسَّ أَنَّهُ فِي غُرْبَةٍ وَأَنَّهُ
مُسَافِرٌ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ وَأَنَّهُ سَيَرْحَلُ عَنْهَا فِي آيَةٍ سَاعَةٍ رَغَمَ أَنْفِهِ شَاءَ أُمُّ أَبِي .
وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَذْبَاءَ مَحْمُولٍ
آخِر :

وَكُلُّ حَيٍّ وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
يَوْمًا لَهُ مِنْ دَوَاعِي الْمَوْتِ تَثْوِبُ
وَإِنْ وَسَّوسَ لَهُ الشَّيْطَانُ وَالْقَى فِي رَوْعِهِ أَنَّكَ شَابٌّ قَوِيٌّ مَوْفُورُ الصِّحَّةِ
مَشْدُودٌ أُسْرُكٌ وَفِي إِمْكَانِكَ الرَّجُوعُ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِقْبَالِ إِلَى الْآخِرَةِ فَلْيُطْرِدْ
وَسَاوِسَهُ بِاسْتِحْضَارِ الَّذِينَ رَحَلُوا شُبَّانًا وَكُهُولًا وَهُمْ الْآنَ تَحْتَ الثَّرَى .
يَعْمُرُ وَاحِدٌ فَيَغُرُّ أَلْفًا وَيُنْسَى مَنْ يَمُوتُ مِنَ الشُّبَابِ
آخِر :

لَا تَعْتَزِرْ بِشُبَابٍ نَاعِمٍ خَضِلٍ
فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ
وَيَخْرُجُ إِلَى الْمَقَابِرِ وَيَتَفَكَّرُ فِيمَنْ جَمَعُوا الْأَمْوَالَ وَقَتَّلُوا أَوْقَاتَهُمْ فِي طَلَبِهَا
وَاتَعَبُوا أَبْدَانَهُمْ وَأَنَّهُمْ سَيَحَاسِبُونَ عَلَيْهَا ، وَيَتَفَكَّرُ فِيمَنْ تَعَوَّدَ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ رَبُّهَا
أَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَهُ بِخَيْرٍ وَيَتَمَنُّونَ مَوْتَهُ فَلِمَ إِذَا يُحْرِقُ نَفْسَهُ فِي جَمْعِهَا لَهُمْ .

وَقَدْ يُورِثُ الْمَالُ الْبَعِيدَ مُظَلَّلٌ
مِنَ النَّاسِ يَأْبَى وَضَعَهُ فِي الْقَرَائِبِ

آخر :

شَقِيتُ بِمَا جَمَعْتُ فَلَيْتَ شِعْرِي
أَعَايُنُ حَسْرَةً ؛ أَهْلِي وَمَالِي
أَعِدُّ الزَّادَ مِنْ تَقْوَى فَإِنِّي
تَبَدَّلُ صَاحِبِي فِي اللَّحْدِ مِنِّي
فَلَوْ أَبْصَرْتَنِي مِنْ بَعْدِ عَشْرِ
وَحِيداً مُفْرِداً يَا رَبِّ [لُطْفاً]
وَرَأَيْتُ مَنْ يَكُونُ بِهِ سَعِيداً ؟
إِذَا مَا النَّفْسُ جَاوَزَتْ الْوَرِيداً
رَأَيْتُ مَنِّي السَّفَرَ الْبَعِيداً
وَهَالَ عَلَى مَنَاكِبِي الصَّعِيداً
رَأَيْتُ مُحَاسِنِي قَدْ صِرْنَ دُوداً
بَعْدَكَ حِينَ تَتْرُكُهُ وَحِيداً

فَإِذَا قَصَرَ أَمَلُهُ فِي الْحَيَاةِ انْبَعَثَ إِلَى التَّجَهُّزِ لِلْآخِرَةِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ
أَذْ لَا يَذَرِي مَتَى يُنَادَى عَلَيْهِ بِالرَّجِيلِ فَإِذَا تَخَلَّصَ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَأَفْرَغَ
مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ سُؤْمُومِهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ أَحْسَنَ بَغْرَةً شَدِيدَةً فِي الدُّنْيَا
وَلَكِنْ مَعَ خِفَّةٍ فِي رُوحِهِ وَأَقْبَالَ شَدِيدٍ عَلَى مَرَاضِي اللَّهِ وَعَلَى رَأْسِهَا
الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ وَهِدَايَةُ الْحَيَارَى مِنْ عِبَادِ اللَّهِ .

لَا يَعْوْهُ عَنْ ذَلِكَ عَائِقٌ مِنْ تَعَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَفَرٍ وَلَا سَهَرٍ وَلَا
بَذْلٍ وَلَا تَضْجِيَةٍ لِأَنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ الزَّادِ الْمُؤَكَّدِ نَفْعُهُ وَفَائِدَتُهُ فِي سَفَرِهِ
الطَّوِيلِ الْبَعِيدِ إِلَى الْآخِرَةِ بَلْ إِنَّهُ سَيَعْقُبُ تَعَبَهُ رَاحَةً وَأَلَمَهُ لَذَّةٌ وَفِي بَذْلِهِ
رِبْحاً وَفِي تَضْجِيَّتِهِ عَوْضاً مَضْمُوناً .

وَفِي وَصِيَّةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِابْنِهِ الْحَسَنِ أَخِي
قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَأَمَّتُهُ بِالزَّهَادَةِ وَقُوَّةً بِالْيَقِينِ وَنُورَهُ بِالْحِكْمَةِ وَذَلِيلَهُ بِذِكْرِ
الْمَوْتِ وَقَرَّرَهُ بِالْفَنَاءِ وَبَصَّرَهُ بِفُجَائِعِ الدُّنْيَا وَخَذَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ
تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِيْنَ وَذَكَّرَهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ
كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ وَأَنْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا
انْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا فَانْكَ تَجِدُهُمْ قَدْ انْتَقَلُوا عَنْ الْأَجْبَةِ وَحَلُّوا فِي دَارِ

غُرْبَةٍ وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَلَا تَبِعْ آخِرَتِكَ
 بِدُنْيَاكَ إِلَى أَنْ قَالَ - يَا بُنَيَّ، أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذِكْرُ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ
 وَتُقْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذْتَ حِذْرَكَ وَشَدَدْتَ لَهُ أَرْكَ
 وَلَا يَأْتِيكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا
 وَتَكَاَلِبَهُمْ عَلَيْهَا فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا وَنَعَتْكَ لَكَ نَفْسُهَا وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ
 مَسَاوِيئِهَا فَإِنْ أَهْلَهَا كِلَابٌ عَاوِيَّةٌ وَسِبَاعٌ ضَارِيَّةٌ يُهَرُّ بَعْضُهَا بَعْضًا أَيْ يَنْبَحُ
 بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلُهَا وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرُهَا نَعَمْ مُعْقَلَةٌ
 وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولُهَا وَرَكِبَتْ مَجْهُولُهَا سُرُوحٌ غَاهِيَةٌ لَيْسَ رَاعٌ
 يُقِيمُهَا وَلَا مُقِيمٌ يَسِيْسُهَا سَلَكَتْ بِهِم الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى وَأَخَذَتْ
 بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَادِ الْهُدَى فَتَاهُوا فِي خَيْرَاتِهَا وَغَرِقُوا فِي نِعَمَتِهَا وَاتَّخَذُوهَا
 رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَ مَطِئَتُهُ
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا وَتَقَطَّعَ الْمَسَافَةُ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا .

شعرا :

يَا جَامِعَ الْمَالِ إِنْ الْعُمَرُ مُنْصَرِمٌ
 فَابْخُلْ بِمَالِكَ مَهْمَا شِئْتَ أَوْ فَجُدِ
 وَيَا عَزِيزًا يَخِيطُ الْعُجْبُ نَاضِرَهُ
 أَذْكَرُ هَوَانِكَ تَحْتَ التُّرْبِ وَاتِّدِ
 قَالُوا تَرَقَّى فُلَانٌ الْيَوْمَ مَنَزَلَةً
 فَقُلْتُ يُنْزَلُهُ عَنْهَا لِقَاءُ غَدِ
 كَمْ وَائِقٍ بِاللَّيَالِي مَدًّا رَاحَتَهُ
 إِلَى الْمَرَامِ فَنَادَاهُ الْحِمَامُ قَدِ

وبَاسِطِ يَدِهِ حُكْمًا وَمَقْدِرَةً
 وَوَارِدُ الْمَوْتِ أَذْنَى مِنْ فَمٍ لِيَدِ
 كَمْ غَيْرَ الدَّهْرِ مِنْ دَارٍ وَسَاكِنِهَا
 لَا عَنْ عَمِيدٍ ثَنِيَ بِطُشًا وَلَا عُمْدِ
 زَالَ الَّذِي كَانَ لِلْعَلْيَا بِهِ سَنَدُ
 وَزَالَتِ الدَّارُ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ
 تَبَارَكَ اللَّهُ كَمْ تَلْقَى مَصَائِدَهَا
 هَذِي النُّجُومُ عَلَى الدَّانِينَ وَالْبُعْدِ
 تَجْرِي النُّجُومُ بِتَقَرُّيبِ الْحِمَامِ لَنَا
 وَهَنْ مِنْ قُرْبِهِ مِنْهَا عَلَى أَمَدِ
 لَا بُدَّ أَنْ يَغْمِسَ الْمِقْدَارُ مُذِيَّتَهُ
 فِي لَبَّةِ الْجَذِي مِنْهَا أَوْ حَشَى الْأَسَدِ
 عَجِبْتُ مِنْ آمِلٍ طُولَ الْبَقَاءِ وَقَدْ
 أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ
 يُجْرُ خَيْطُ الدُّجَى وَالْفَجْرُ أَنْفُسَنَا
 لِلتَّرَبِّ مَا لَا يُجْرُ الْحَبْلُ مِنْ مَسَدِ
 هَذِي عَجَائِبُ تُثْنِي النَّفْسَ حَائِرَةً
 وَتُقْعِدُ الْعَقْلَ مِنْ عِيٍّ عَلَى ضَمَدِ
 مَالِي أَسْرُ بِيَوْمٍ نِلْتُ لَذَّتَهُ
 وَقَدْ ذَوَى مَعَهُ جُزْءٌ مِنَ الْجَسَدِ
 لِأُتْرَكَنَّ فَرِيدًا فِي التُّرَابِ غَدًا
 وَلَوْ تَكَثَّرَ مَا بَيْنَ الْوَرَى عَدَدِي

ما نفعي سعة في العيش أخرج
إن لم تسعني رُحْمى الواحد الصمد

اللَّهُمَّ قَنِّعْنَا مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَفِّقْنَا لِمَا
تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَسْكِنَا دَارَ كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ
مَلَجُؤُنَا وَمَلَاذُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ
مَخْرَجًا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ اخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

وَمِمَّا وَرَدَ فِي فَضِيلَةِ الرَّجَاءِ مِنَ الْإِحَادِيثِ مَا فِي الصُّحُوحَيْنِ عَنْ
أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا
قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، ثُمَّ نَدِمَ وَسَأَلَ عَابِدًا مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ هَلْ
لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ وَأَكْمَلَ بِهِ مِائَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَالِمًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ هَلْ
لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ .

ثُمَّ أَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى قَرْيَةٍ يَعْبُدُ اللَّهُ فِيهَا فَقَصَدَهَا فَأَتَاهُ الْمَوْتُ فِي
أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، فَأَمَرَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْيُسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ ، فَأَبَى أَيُّهُمَا كَانَ أَقْرَبَ فَهُوَ مِنْهَا
فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا بِشِيرِ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ،

وَذَكَرَ أَنَّهُ نَأَى بِصَدْرِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ الْبَلَدَةَ
الْخَيْرَةَ أَنْ تَقْتَرِبَ وَأَمَرَ تِلْكَ الْبَلَدَ أَنْ تَتَبَاعَدَ ، هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ .

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى
مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَالنَّارَ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا
كَانَ مِنَ الْعَمَلِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ، أَوْ أُزِيدُ
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أُغْفِرُ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ
مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ
هَرَوَلَةً ، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةٌ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا
مَغْفِرَةً رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ قَالَ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ
بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ ، رَوَاهُ
مُسْلِمٌ

وَفِي حَدِيثٍ مُعَاذٍ مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يُلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍ فَيُحْجَبُ عَنِ الْجَنَّةِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ عَتَبَانَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعُنِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَالزَّقَتْهُ بِبَطْنِهَا فَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لَا وَاللَّهِ فَقَالَ لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي وَاللَّهُ لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاحِ وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ، قَالَ اللَّهُ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي ، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ .

يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا

تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لَا تَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةٌ ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أَطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ .

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشُّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هَبَّ فَمَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ رَبِّي أَعْرِفُ قَالَ فَانِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أُغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

وَيَنْبَغِي لِمَنْ قُرِبَتْ مُفَارَقَتُهُ الدُّنْيَا أَنْ يَكُونَ عَلَى بَالِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ آيَاتِ الرَّجَاءِ وَأَحَادِيثِ الرَّجَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

شعرا :

نَادَتْ بِوَشْكَ رَحِيلِكَ الْأَيَّامُ
أَفَلَسْتَ تَسْمَعُ أَمْ بِكَ اسْتِصْهَامُ
وَمَضَى أَمَامَكَ مَنْ رَأَيْتَ وَأَنْتَ لَدَى
بَاقِينَ حَتَّى يَلْحَقُوكَ إِمَامُ
مَا لِي أَرَاكَ كَأَنَّ عَيْنَكَ لَا تَرَى
عِبراً تُرَى كَأَنَّهُنَّ سِهَامُ
تَأْتِي الْخُطُوبُ وَأَنْتَ مُتَّيِّبٌ لَهَا
فَإِذَا مَضَتْ فَكَأَنَّهَا أَحْلَامُ
قَدْ وَدَّعْتُكَ مِنَ الصَّبَا نَزَوَاتُهُ
فَاجْهَدْ فَمَالِكَ بَعْدَهُنَّ مَقَامُ
وَأَرْضَ الْمَشِيبِ مِنَ الشُّبَابِ خَلِيفَةُ
فَكِلَاهُمَا لَكَ خِلْفَةٌ وَنِظَامُ

وَكِلَاهُمَا حُجَجٌ عَلَيْكَ قَوِيَّةٌ
 وَكِلَاهُمَا نِعَمٌ عَلَيْكَ جِسَامٌ
 وَلَقَدْ غَنَّتْ مِنَ الشَّبَابِ بِغِبْطَةٍ
 وَلَقَدْ كَسَاكَ وَقَارُهُ الْإِسْلَامُ
 أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْمَشِيبِ مُؤَدِّبًا
 وَعَلَى الشَّبَابِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ
 مَا زُخِرُفَ الدُّنْيَا وَزُيْرَجَ أَهْلُهَا
 إِلَّا غُرُورٌ كُلُّهُ وَحُطَامٌ
 وَلَرُبَّ ذِي فُرْشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ
 أَمْسَى عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ رُكَامٌ
 وَلَكُمْ رَأَيْتُ مَحَلَّةً أَقْوَتْ وَكَمْ
 جَدَتْ رَأَيْتُ تَلُوحُ فِيهِ عِظَامٌ
 وَالْمَوْتُ يَعْمَلُ وَالْعُيُونُ قَرِيرَةٌ
 تَلْهُو وَتَغْبِثُ بِالْمُنَى وَتَنَامُ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ
 أَبَدًا وَلَيْسَ لِمَا سِوَاهُ دَوَامٌ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لِجَلَالِهِ
 وَلِجِلْمِهِ تَتَصَاغَرُ الْأَحْلَامُ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ لَمْ يَزَلْ
 لَا تَسْتَقِلُّ بِعِلْمِهِ الْأَوْهَامُ
 سُبْحَانَهُ مَلِكٌ تَعَالَى جَدُّهُ
 وَلِوَجْهِهِ الْإِجْلَالُ وَالْإِكْرَامُ

(فَضْل)

إِذَا فَهَمْتَ مَا تَقَدَّمَ ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ لَا بُدَّ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الرَّجَاءِ
وَالْخَوْفِ ، وَهَذَا الطَّرِيقُ هُوَ طَرِيقُ الْإِعْتِدَالِ ، لِأَنَّهُ إِنْ غَلَبَ عَلَيْكَ الرَّجَاءُ
حَتَّى فَقَدْتَ الْخَوْفَ الْبَتَّةَ وَقَعْتَ فِي طَرِيقِ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ ، وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ
اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ .

وَأَنْ غَلَبَ عَلَيْكَ الْخَوْفُ حَتَّى فَقَدْتَ رَجَاءَ اللَّهِ وَقَعْتَ فِي طَرِيقِ
الْيَأْسِ ، وَلَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ، وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ
رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ، وَإِنْ جَمَعْتَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ طَرِيقُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ
وَأَصْفِيَائِهِ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : وَجْهَةٌ الْأَمْرِ أَنَّكَ إِذَا تَذَكَّرْتَ سَعَةَ رَحْمَةِ اللَّهِ
تَعَالَى الَّتِي سَبَقَتْ غَضَبَهُ وَوَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ثُمَّ أَنَّ كُنْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ
الْمَرْحُومَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ غَايَةَ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ وَكَمَالَ جُودِهِ الْكَرِيمِ
وَجَعَلَ عُنْوَانَ كِتَابِهِ إِلَيْكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثُمَّ كَثَرَتْ أَيْادِيهِ إِلَيْكَ
وَنِعْمَتُهُ عَلَيْكَ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ مِنْ غَيْرِ شَفِيعٍ أَوْ قَدَمٍ سَابِقَةٍ لَكَ .

شعرا :

يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي قَدْ أَحْطَتْ بِهَا عِلْمًا وَبِي وَيَاعِلَانِي وَإِسْرَارِي
أَنَا الْمَوْحِدُ لَكِنِّي الْمُقِرُّ بِهَا فَهَبْ ذُنُوبِي لِتَوْحِيدِي وَإِقْرَارِي

آخر : أَيَا رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْدًا وَبَدَأَةً

إِلَيَّ فَلَمْ يَنْهَضْ بِإِحْسَانِكَ الشُّكْرُ

فَمَنْ كَانَ ذَا عُذْرِ لَدَيْكَ وَحُجَّةٍ

فَعُذْرِي إِقْرَارِي بِأَنْ لَيْسَ لِي عُذْرٌ

وَتَذَكَّرْتَ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ كَمَالَ جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَعِظَمَ سُلْطَانِهِ وَهَيْبَتِهِ
ثُمَّ شِدَّةَ غَضَبِهِ الَّذِي لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ، ثُمَّ غَايَةَ غَفْلَتِكَ
وَكَثْرَةَ ذُنُوبِكَ وَجَفَوَتِكَ مَعَ دِقَّةِ أَمْرِهِ ، وَخَطَرَ مُعَامَلَتِهِ فِي إِحَاطَةِ عِلْمِهِ
وَبَصَرِهِ بِالْعُيُوبِ وَالْغُيُوبِ ، ثُمَّ حُسْنَ وَعْدِهِ وَثَوَابِهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ كُنْهَهُ
الْأَوْهَامُ وَشِدَّةَ وَعِيدِهِ وَالْإِيمَ عِقَابِهِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ ذِكْرُهُ الْقُلُوبُ .

تَارَةً تَنْظُرُ إِلَى عَذَابِهِ وَتَارَةً تَنْظُرُ إِلَى رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَتَارَةً تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ فِي جَفَوَاتِهَا وَجَنَائِيَاتِهَا فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَدَّى
بِكَ جَمِيعُ ذَلِكَ إِلَى الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَكُنْتَ قَدْ سَلَكَتَ سَبِيلَ الشَّارِعِ
الْقَصْدَ وَعَدَلْتَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ الْمُهْلِكَيْنِ ، الْأَمْنُ وَالْيَأْسُ وَلَا تَتَّبِعْ فِيهِمَا مَعَ
التَّائِبِينَ ، وَلَا تَهْلِكْ مَعَ الْهَالِكِينَ وَشَرِبْتَ الشَّرَابَ الْمَمْرُوجَ الْعَدْلَ فَلَا
تَهْلِكُ بِرُودَةِ الرَّجَاءِ الصَّرْفِ ، وَلَا بِحَرَارَةِ الْخَوْفِ الصَّرْفِ .

وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ وَصَلْتَ إِلَى الْمَقْصُودِ غَايِمًا وَشَفِيتَ مِنَ الْعِلَّتَيْنِ سَالِمًا
وَوَجَدْتَ النَّفْسَ قَدْ انْبَعَثَتْ لِلطَّاعَةِ وَدَانَتْ فِي الْخِدْمَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْ غَيْرِ
فَتْرَةٍ وَلَا غَفْلَةٍ ، وَاجْتَنَبْتَ الْمُعَاصِي وَالْمَخَازِي وَهَجَرْتَهَا وَصِرْتَ حِينَئِذٍ مِنَ
الْأَصْفِيَاءِ الْخَوَاصِّ الْعَابِدِينَ ، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ ﴿ إِنَّهُمْ
كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُمِدَّكَ وَآيَانَا بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ إِنَّهُ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ الْقَلْبُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيْرَانِ وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ وَمَتَى فَقَدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ .

وَقِيلَ أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ الْاِعْتِدَالُ أ هـ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَقِيلَ إِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى الْقَلْبِ الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ فَالْخَوْفُ أَفْضَلُ وَكَذَا إِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْمَعْصِيَّةُ ، وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ فَالرَّجَاءُ أَفْضَلُ .

وَالَّذِي تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ النَّفْسُ سُلُوكُ الْاِعْتِدَالِ إِلَّا عِنْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا فَيَغْلِبُ جَانِبُ الرَّجَاءِ .

لِمَا وَرَدَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي

وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ ذَكَرَنِي الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِ فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ فَاَنْشَدَ :

نَقَلْتُ إِلَى رِمْسِ الْقُبُورِ وَضِيقِهَا
وَخَوْفِي ذُنُوبِي أَنَّهَا بِي تَعْشُرُ
فَصَادَفْتُ رَحْمَاناً رَوْفاً وَأَنْعَمَ
حَبَانِي بِهَا سَقِيّاً لِمَا كُنْتُ أُحْذَرُ
وَمَنْ كَانَ حُسْنُ الظَّنِّ فِي حَالِ مَوْتِهِ
جَمِيراً بِعَفْوِ اللَّهِ فَالْعَفْوُ أَجْدَرُ

آخِرُ

يَا مَنْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ يَبْتَهِلُوا
وَكُلُّ حَيٍّ عَلَى رُحْمَاهُ يَتَكَلَّمُ
يَا مَنْ نَأَى فَرَأَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَمَا
تَحْتَ الثَّرَى وَحِجَابُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ
يَا مَنْ دَنَا فَنَأَى عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ أَلْ
أَفْكَارُ طُرّاً أَوْ الْأَوْهَامُ وَالْعِلَلُ
أَنْتَ الْمَلَاذُ إِذَا مَا أُرْمَتْ شَمِلَتْ
وَأَنْتَ مَلْجَأُ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ الْحِيلُ
أَنْتَ الْمُنَادَى بِهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ
أَنْتَ الْإِلَهِ وَأَنْتَ الذُّخْرُ وَالْأَمَلُ
أَنْتَ الْغِيَاثُ لِمَنْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ
أَنْتَ الدَّلِيلُ لِمَنْ ضَلَّتْ بِهِ السُّبُلُ

إِنَّا قَصَدْنَاكَ وَالْأَمَالَ وَاقِعَةً
عَلَيْكَ وَالْكُلَّ مَلْهُوفٌ وَمُبْتَهِلٌ
فَإِنْ غَفَرْتَ فَعَنْ طَوْلٍ وَعَنْ كَرَمٍ
وَأَنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ الْحَاكِمُ الْعَدِلُ

وَأُخْرِجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ حَيَّانِ
أَبِي النَّضْرِ قَالَ خَرَجْتُ عَائِدًا لِيَزِيدَ بْنِ الْأَسْوَدِ ، فَلَقِيتُ وَائِلَةَ بِنَ الْأَسْقَعِ
وَهُوَ يُرِيدُ عِيَادَتَهُ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى وَائِلَةَ بَسَطَ يَدَهُ وَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهِ ،
فَأَقْبَلَ وَائِلَةَ حَتَّى جَلَسَ فَأَخَذَ يَزِيدُ بِكَفِّي وَائِلَةَ فَجَعَلَهُمَا عَلَى وَجْهِهِ ،
فَقَالَ لَهُ وَائِلَةُ كَيْفَ ظَنُّكَ بِاللَّهِ قَالَ ظَنِّي بِاللَّهِ حَسَنٌ قَالَ فَأَبَشِّرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ
عَبْدِي بِي ، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ .

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ وَالَّذِي لَا إِلَهَ
غَيْرُهُ لَا يُحَسِّنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ ظَنَّهُ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ بِعَبْدٍ إِلَى النَّارِ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى شَفَتِهَا التَفَتَ فَقَالَ أَمَّا وَاللَّهِ يَا رَبِّ إِنْ
كَانَ ظَنِّي بِكَ لِحَسَنٍ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوهُ أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي
بِي .

وَلَمَّا حَضَرَتْ الْإِمَامَ أَحْمَدَ الْوَفَاةُ قَالَ لِوَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ أَذْكُرُ لِي
أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ ، وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ يُوبِّخُ نَفْسَهُ :

أَرَانِي إِذَا حَدَّثْتُ نَفْسِي بِتَوْبَةٍ
تَعَرَّضَ لِي مِنْ دُونِ ذَلِكَ عَائِقُ
تَقَضَّتْ حَيَاتِي فِي اسْتِغَالٍ وَغَفْلَةٍ
وَأَعْمَالٍ سُوءٍ كُلُّهَا لَا تُوَافِقُ
طَرِدْتُ وَغَيْرِي بِالصَّلَاحِ مُقَرَّبُ
وَدُونِ بُلُوغِي مَسْلَكُ مُتَضَائِقُ
وَكَيْفَ وَزَلَّاتُ الْمُسِيءِ كَثِيرَةٌ
أَيَقْرُبُ عَبْدٌ عَنْ مَوَالِيهِ آبِقُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو قَلْبَ سُوءٍ قَدْ اِحتَوَى
عَلَيْهِ الْهَوَى وَاسْتَأْصَلَتْهُ الْعَلَائِقُ
وَلِي حَزَنٌ يَزْدَادُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
وَدَمْعٌ جُفُونِي لِلْبُكَاءِ يُسَابِقُ
فَإِنْ يَغْفِرُ الْمَوْلَى الَّذِي قَدْ أَتَيْتُهُ
فَذَاكَ الرَّجَا وَالظَّنُّ حِينَئِذَا يُوَافِقُ
« عَلَامَةٌ مَا يُؤَلِّي مِنَ الْفَضْلِ إِنْ أَنَا
هَجَرْتُ الدُّنَا أَوْ قُلْتُ إِنَّكَ طَالِقُ »
« وَأَقْبَلْتُ فِي تَصْلِيحِ أَخْرَائِي مُدْلِجاً
أَحَاسِبُ نَفْسِي كُلَّ مَا ذَرَّ شَارِقُ »
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

(فَضْلُ)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَا رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ إِنَّمَا يَكُونُ
مَعَ الْإِحْسَانِ فَإِنَّ الْمُحْسِنَ حَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ أَنَّهُ يُجَازِيهِ عَلَى إِحْسَانِهِ وَلَا
يُخْلِفُ وَعْدَهُ وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُ وَأَمَّا الْمُسِيءُ الْمَصِيرُ عَلَى الْكِبَائِرِ وَالظُّلْمِ

وَالْمُخَالَفَاتِ فَإِنَّ وَحْشَةَ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ وَالْحَرَامِ تَمْنَعُهُ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِرَبِّهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الشَّاهِدِ فَإِنَّ الْعَبْدَ الْآبِقَ الْمُسِيءَ الْخَارِجَ عَنْ طَاعَةِ سَيِّدِهِ لَا يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِهِ ، وَلَا يُجَامِعُ وَحْشَةَ الْإِسَاءَةِ إِحْسَانُ الظَّنِّ أَبَدًا ، فَإِنَّ الْمُسِيءَ مُسْتَوْحِشٌ بِقَدْرِ إِسَاءَتِهِ ، وَأَحْسَنُ النَّاسِ ظَنًّا بِرَبِّهِ أَطْوَعُهُمْ لَهُ . كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَحْسَنَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلِ ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ أَسَاءَ الظَّنِّ بِرَبِّهِ فَأَسَاءَ الْعَمَلِ .

وَكَيْفَ يَكُونُ مُحْسِنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ مَنْ هُوَ شَارِدٌ عَنْهُ ، حَالٌ مُرْتَحِلٌ فِي مَسَاخِطِهِ وَمَا يُغْضِبُهُ ، مُتَعَرِّضٌ لِلْعَنْتَةِ ، قَدْ هَانَ حَقُّهُ وَأَمْرُهُ عَلَيْهِ فَأَضَاعَهُ ، وَهَانَ نَهْيُهُ عَلَيْهِ فَارْتَكَبَهُ وَأَصْرٌ عَلَيْهِ وَكَيْفَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ مَنْ بَارَزَهُ بِالْمُحَارَبَةِ ، وَعَادَى أَوْلِيَاءَهُ ، وَوَالَى أَعْدَاءَهُ ، وَجَحَدَ صِفَاتٍ لَهُ وَأَسَاءَ الظَّنَّ بِمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَظَنَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ ظَاهِرَ ذَلِكَ ضَلَالٌ وَكُفْرٌ .

وَكَيْفَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِمَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى وَلَا يَرْضَى وَلَا يَغْضِبُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ شَكَّ فِي تَعَلُّقِ سَمْعِهِ بِبَعْضِ الْجُزْئِيَّاتِ ، وَهُوَ السِّرُّ مِنَ الْقَوْلِ ﴿ ٤١ : ٢٣ ﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ ٤٢ ﴾ .

فَهَؤُلَاءِ لِمَا ظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا يَعْمَلُونَ كَانَ هَذَا إِسَاءَةً لِظَنِّهِمْ بِرَبِّهِمْ ، فَأَرْدَاهُمْ ذَلِكَ الظَّنُّ . وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مَنْ جَحَدَ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوتَ جَلَالِهِ ، وَوَصَفَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ ، فَإِذَا ظَنَّ هَذَا أَنَّهُ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ كَانَ هَذَا غُرُورًا وَخِدَاعًا مِنْ نَفْسِهِ ، وَتَسْوِيلًا مِنَ الشَّيْطَانِ ، لَا إِحْسَانَ ظَنٍّ بِرَبِّهِ .

فَتَأْمَلْ هَذَا الْمَوْضِعَ ، وَتَأْمَلْ شِدَّةَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ تَيَقُّنُهُ بِأَنَّهُ مُلَاقٍ لِلَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كَلَامَهُ وَيَرَى مَكَانَهُ ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَمْرِهِ ، وَأَنَّهُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَسْتَوِلٌ عَنْ كُلِّ مَا عَمِلَ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَسَاحِطِهِ مُضَيِّعٌ لِأَوَامِرِهِ ، مُعْطَلٌ لِحُقُوقِهِ ، وَهُوَ مَعَ هَذَا يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِهِ .

وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ خُدَعِ النُّفُوسِ وَغُرُورِ الْأَمَانِيِّ . وَقَدْ قَالَ أَبُو سَهْلٍ ابْنُ حُنَيْفٍ « دَخَلْتُ أَنَا وَغُرُورَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ : لَوْ رَأَيْتُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضٍ لَهُ ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ سِتَّةُ دَنَانِيرَ ، أَوْ سَبْعَةُ دَنَانِيرَ .

فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُفَرِّقَهَا ، فَشَغَلَنِي وَجَعُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى عَافَاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْهَا فَقَالَ مَا فَعَلْتَ أَكُنْتُ فَرَّقْتُ السِّتَّةَ الدَّنَانِيرَ ، فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ شَغَلَنِي وَجَعُكَ ، قَالَتْ : فَدَعَا بِهَا فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ ، فَقَالَ : مَا ظَنُّ نَبِيِّ اللَّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ ، وَفِي لَفْظٍ « مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ » .

فَيَالِلَهُ مَا ظَنُّ أَصْحَابِ الْكِبَائِرِ وَالظُّلَمَةِ بِاللَّهِ إِذَا لَقُوهُ وَمَظَالِمُ الْعِبَادِ عِنْدَهُمْ ، فَإِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ قَوْلُهُمْ : حَسَنًا ظَنُّونَا بِكَ إِنَّكَ لَمْ تُعَذِّبْ ظَالِمًا وَلَا فَاسِقًا ، فَلْيُصْنَعْ الْعَبْدُ مَا شَاءَ ، وَلْيُرْتَكَبْ كُلُّ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلْيُحَسِّنْ ظَنَّهُ بِاللَّهِ ، فَإِنَّ النَّارَ لَا تَمْسُهُ ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا يَبْلُغُ الْغُرُورُ بِالْعَبْدِ ، وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ ﴿ ٣٧ : ٨٦ ﴾ أَفَكَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ

فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ أَيُّ مَا ظَنُّكُمْ بِهِ أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ إِذَا لَقِيْتُمُوهُ وَقَدْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ حَقَّ التَّأَمُّلِ عَلِمَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ هُوَ حُسْنُ الْعَمَلِ نَفْسُهُ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَى حُسْنِ الْعَمَلِ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ أَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ وَيُشَبِّهَهُ عَلَيْهَا وَيَتَقَبَّلَهَا مِنْهُ ، فَالَّذِي حَمَلَهُ عَلَى حُسْنِ الْعَمَلِ حُسْنُ الظَّنِّ ، فَكُلَّمَا حَسَّنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ حَسَّنَ عَمَلَهُ .

وَالْإِلا فَحُسْنُ الظَّنِّ مَعَ اتِّبَاعِ الْهَوَى عَجْزٌ ، كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ وَالْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ شَدَّادِ ابْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ » .

وَبِالْجُمْلَةِ فَحُسْنُ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ انْعِقَادِ أَسْبَابِ النُّجَاةِ وَأَمَّا مَعَ انْعِقَادِ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ فَلَا يَتَأْتَى إِحْسَانُ الظَّنِّ .

فَإِنْ قِيلَ : بَلْ يَتَأْتَى ذَلِكَ ، وَيَكُونُ مُسْتَنَدُ حُسْنِ الظَّنِّ عَلَى سَعَةِ مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَعَفْوِهِ ، وَجُودِهِ ، وَأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ ، وَأَنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ الْعُقُوبَةُ ، وَلَا يَضُرُّهُ الْعَفْوُ .

قِيلَ : الْأَمْرُ هَكَذَا ، وَاللَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ وَأَجَلٌ وَأَكْرَمُ وَأَجُودُ وَأَرْحَمُ ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَضَعُ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ اللَّائِقِ بِهِ ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِالْحِكْمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْإِنْتِقَامِ وَشِدَّةِ الْبَطْشِ ، وَعُقُوبَةُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ ، فَلَوْ كَانَ مُعَوَّلُ حُسْنِ الظَّنِّ عَلَى مُجَرَّدِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ لَاشْتَرَكَ فِي ذَلِكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ ، وَوَلِيُّهُ وَعَدُوُّهُ .

فَمَا يَنْفَعُ الْمُجْرِمَ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ وَقَدْ بَاءَ بِسَخَطِهِ وَغَضَبِهِ وَتَعَرَّضَ
لِلْعَنِيَةِ ، وَوَقَعَ فِي مَحَارِمِهِ وَأَنْتَهَكَ حُرْمَاتِهِ ، بَلْ حُسْنُ الظَّنِّ يَنْفَعُ مَنْ تَابَ
وَنَدِمَ وَأَقْلَعَ ، وَبَدَّلَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ ، وَاسْتَقْبَلَ بَقِيَّةَ عُمُرِهِ بِالْخَيْرِ
وَالطَّاعَةِ . ثُمَّ أَحْسَنَ الظَّنَّ بَعْدَهَا فَهَذَا هُوَ حُسْنُ ظَنٍّ ، وَالْأَوَّلُ غُرُورٌ وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ .

يُفَرِّقُ بَيْنَ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَبَيْنَ الْغُرُورِ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ ٢١٨ : ١٦ ﴾ :
انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَةَ اللَّهِ ﴿ ١٦ ﴾ فَجَعَلَ هَؤُلَاءِ أَهْلَ الرَّجَاءِ ، لَا الْبَطَّالِينَ وَالْفَاسِقِينَ ، وَقَالَ
تَعَالَى ﴿ ١٦ : ١١٩ ﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ
جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ ١١٩ ﴾ فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ
بَعْدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ فَعَلَهَا ، فَالْعَالِمُ يَضَعُ الرَّجَاءَ مَوَاضِعَهُ ،
وَالْجَاهِلُ الْمَغْتَرُّ يَضَعُهُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِ .

اللهم أحيينا في الدنيا مؤمنين طائعين وتوفنا مسلمين تائبين واغفر لنا
ولوآلِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي نَمَازِجَ مِنْ أَخْلَاقِ
السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

مِنْ ذَلِكَ تَوْصِيَّةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَقَبُولُهُمْ لَهَا وَشُكْرُهُمْ لِلْوَاعِظِ
لَهُمْ ، وَمِنْ وَصِيَّةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِابْنِهِ الْحَسَنِ قَالَ فِيهَا :

أَيُّ بَنِيَّ . . . إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا ، وَرَأَيْتُنِي أَرْدَادُ وَهْنًا ،
بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَأُورِدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يُعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ
أَنْ أَفْضِي إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي ، وَأَنْ أُنْقِصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقِصْتُ فِي

جِسْمِي ، أَوْ يَسْبِقْنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا ، فَتَكُونُ
كَالصَّعْبِ النَّفُورِ .

وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ ،
فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ ، لِتَسْتَقْبَلَ بِجَدِّ رَأْيِكَ
مِنْ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجَرِبَتَهُ ، فَتَكُونُ قَدْ كُفِّتَ
مَوْوَنَةُ الطَّلَبِ ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجَرُّبَةِ ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا
نَأْتِيهِ ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ .

أَيُّ بَنِي ... إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي ، فَقَدْ
نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى
عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا أَنْتَهِيَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ
أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ .

فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَجِيلَهُ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ ، وَصَرَفْتُ
عَنْكَ مَجْهُولَهُ ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدُ الشَّفِيقُ ،
وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ ،
ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ .

وَأَنْ أَبْتَدِيكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ
وَأَحْكَامِهِ ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ
أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلُ الَّذِي
التَّبَسَ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ أَحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ بِهِ الْهَلَكَةَ ،
وَرَجَوْتُ أَنْ يَوْفَّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ ، وَأَنْ يَهْدِيكَ لِقَصْدِكَ ، فَعَهْدْتُ إِلَيْكَ

وَصِيَّتِي هَذِهِ .

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ
وَالِاقْتِصَارَ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالْأَخْذَ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ
آبَائِكَ ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لِنَفْسِهِمْ
كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ .

وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ ، ثُمَّ رَدَّاهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا ،
وَالِامْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلِّفُوا ، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ
كَمَا عَلِمُوا ، فَلْيَكُنْ طَلِبُكَ ذَلِكَ بِتَفْهَمٍ وَتَعْلَمٍ ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وَعُلُوِّ
الْخُصُومَاتِ .

وَأَبْدَأُ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالْهَكَ ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي
تَوْفِيقِكَ ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ ،
فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ ، وَكَانَ هَمُّكَ
فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا ، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ .

وَأَنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ
وَفِكْرِكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشَوَاءَ وَتَتَوَرَّطُ الظُّلُمَاءَ ، وَلَيْسَ طَالِبُ
الدِّينِ مَنْ خَبِطَ أَوْ خَلَطَ ، وَالِامْسَاكِ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ .

فَتَفْهَمُ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ ،
وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ ، وَأَنَّ الْمُفْنِي هُوَ الْمُعِيدُ ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ
الْمُعَافِي ، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ
النُّعْمَاءِ وَالِابْتِلَاءِ ، وَالْجَزَاءُ فِي الْمَعَادِ أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ .

فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ ، فَإِنَّكَ
أَوَّلُ مَا خِلِقْتَ جَاهِلًا ثُمَّ عَلِمْتَ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ ، وَيَتَحَيَّرُ
فِيهِ رَأْيُكَ ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي
خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ ، وَمِنْهُ
شَفَقَتُكَ .

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَنْبِئْ عَنْ اللَّهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَرْضَ بِهِ رَائِدًا ، وَالْيَ النَّجَاةَ قَائِدًا ، فَإِنِّي لَمْ
أَلِكْ نَصِيحَةً وَأَنْتَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وَأَنْ اجْتَهِدْتَ - مَبْلَغَ نَظَرِي
لَكَ .

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ
مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتَهُ ، وَلَكِنَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ
نَفْسَهُ ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا ، وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلَ قَبْلِ
الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ ، وَآخِرُ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ
بِأَحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ ، فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ
فِي صِغَرِ خَطَرِهِ ، وَقِلَّةِ مَقْدَرَتِهِ ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ ،
فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سَخَطِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ
يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحُسْنٍ ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ .

يَا بُنَيَّ ... إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنْ الدُّنْيَا وَحَالِهَا وَزَوَالِهَا وَأَنْتَقَالِهَا ،
وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدُّ لَاهْلِهَا فِيهَا ، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ
لِتَعْتَبَرَ بِهَا وَتَحْذَرُ عَلَيْهَا .

إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا نَبَا بِهِمْ مَنَزِلٌ جَدِيدٌ فَأَمُّوا
مَنَزِلًا خَصِيبًا وَجَنَابًا مُرِيعًا فَاحْتَمَلُوا وَعَثَاءَ الطَّرِيقِ وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ ،
وَحُشُونَةَ السَّفَرِ ، وَجُشُونَةَ الْمَطْعَمِ ، لِيَأْتُوا سَعَةً دَارِهِمْ ، وَمَنَزِلَ
قَرَارِهِمْ ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَمًا ، وَلَا يَرَوْنَ فِي نَفَقَةٍ مَغْرَمًا ،
وَلَا شَيْءَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنَزِلِهِمْ ، وَأَذْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ .

وَمَثَلُ مَنْ أَغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنَزِلٍ خَصِيبٍ ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى
مَنَزِلٍ جَدِيدٍ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا
كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ .

يَا بُنَيَّ . . اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ ، فَأُحِبِّ
لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا ، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ
تَظْلَمَ ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ ، وَاسْتَقْبَحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا
تَسْتَقْبَحُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَا
تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَأَنْ قُلْ مَا تَعْلَمُ ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأَعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ ، فَاسْعَ فِي كَذْحِكَ
وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ ، وَإِذَا أَنْتَ هَدَيْتَ لِقَصْدِكَ ، فَكُنْ أَحْشَعَ مَا تَكُونُ
لِرَبِّكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَأَنَّهُ لَا غِنَى
لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْارْتِيَادِ ، قَدَرِ بَلَائِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهِرِ ، فَلَا
تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونُ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ .

وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،

فَيُؤَاثِقُكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاعْتَنِمَهُ وَحَمِّلْهُ آيَاهُ ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ
وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ ، وَاعْتَنِمِ مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي
حَالِ غِنَاكَ ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَوُودًا ، الْمُخِيفُ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ
الْمُثْقَلِ ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ ، وَأَنْ مَهَبْطَكَ بِهَا لَا
مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ ، فَارْتَدِّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نَزُولِكَ ، وَوُطِئِ الْمَنْزِلَ
قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي
الدُّعَاءِ ، وَتَكْفُلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَزِيلَهُ
لِيَرْحَمَكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ ، وَلَمْ يُلْجِئَكَ إِلَى مَنْ
يُشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ أَنْ تُسْأَلَ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَمْ يَعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ ،
وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى ، وَلَمْ يُشَدِّدْ
عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ ، وَلَمْ يُؤَيِّسْكَ مِنْ
الرَّحْمَةِ .

بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنْ الذَّنْبِ حَسَنَةً ، وَحَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً ،
وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا ، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ
نِدَاءَكَ ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ ، وَأَبْشَتْهُ ذَاتَ
نَفْسِكَ ، وَشَكَّوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ ، وَاسْتَعْنَتْهُ عَلَى
أُمُورِكَ ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ
الْأَعْمَارِ ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ .

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ ، فَمَتَى
شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالذَّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآئِبَ رَحْمَتِهِ فَلَا
يُقْنِطُكَ إِبطَاءُ اجَابَتِهِ ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ
الاجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ .

وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا ، أَوْ
صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ
أُوتِيتَهُ ، فَلَتَكُنْ مَسْأَلُكَ فِيَمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ .
فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا ، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ ،
وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قَلْعَةٍ وَدَارِ بُلْغَةٍ ، وَطَرِيقِ إِلَى
الْآخِرَةِ .

وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ ،
فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُذَرِّكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ
نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ ، فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، فَاذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ
نَفْسَكَ .

يَا بُنَيَّ ، أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ ، وَتُفْضِي بَعْدَ
الْمَوْتِ إِلَيْهِ ، حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ جَذْرَكَ ، وَشَدَّدَتْ لَهُ أَرْكَ ،
وَلَا يَأْتِيكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ اخْتِلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا
إِلَيْهَا ، وَتَكَاَلِبَهُمْ عَلَيْهَا .

فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا ، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ

مَسَاوِيهَا ، فَإِنَّ أَهْلَهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ ، يَهْرُ بَعْضُهَا بَعْضًا ،
وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا ، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا .

نَعَمْ مُعَقَّلَةٌ ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا ، وَرَكِبَتْ
مَجْهُولَهَا ، سُرُوحٌ عَاهِيَةٌ بَوَادٍ وَعُثٍ . لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُقِيمُهَا ، وَلَا مُقِيمٌ
يَسِيُمُهَا ، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى ، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ
الْهُدَى ، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا ، وَغَرَقُوا فِي نَعْمَتِهَا ، وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا ، فَلَعِبَتْ
بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا ، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا .

رُؤَيْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامُ ، كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتْ الْأَظْعَانُ ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ
أَنْ يَلْحَقَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِئَتُهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ
كَانَ وَاقِفًا ، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا .

وَاعْلَمْ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ ، وَأَنَّكَ فِي
سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، فَخَفِضْ فِي الطَّلَبِ ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ فَإِنَّهُ
رُبَّ طَلِبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ ، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ ، وَلَا كُلُّ
مُجْمِلٍ بِمُخْرُومٍ ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ ، وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى
الرَّغَائِبِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ
غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا ، وَمَا خَيْرٌ ، لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ ، وَيُسْرِ لَا يُنَالُ إِلَّا
بِعُسْرِ .

وَأَيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ ، وَإِنْ
اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ ، فَإِنَّكَ مُدْرِكُ قَسَمِكَ ،
وَآخِذُ سَهْمِكَ ، وَأَنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ
وَأَنْ كَانَ كُلُّ مَنْهُ .

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى
 فإن كنت لا تدري فتلك ديّارهم
 وهل أبصرت عيناك حياً بمنزل
 وأهل الثرى نحو المقابر شرع
 على ذاك مروا أجمعون وهكذا
 فلا تحسبن الوفر مالا جمعته
 وليس الذي يبقى الذي أنت جامع
 قضى جامعوا الأموال لم يتزودوا
 بلى سوف تصحوا حين ينكشف الغطا
 وما بين ميلاد الفتى ووفاته
 لأن الذي يأتي كمثله الذي مضى
 فصبراً على الأوقات حتى تحوزها
 ولم تر في الباقيين ما يصنع الدهر
 عليها مجال الرياح بعدك والقطر
 على الأرض إلا بالفناء له قبر
 وليس لهم إلا إلى ربهم نشر
 يمرون حتى يستردهم الحشر
 ولكن ما قدمت من صالح وفر
 ولكن ما أوليت منه هو الذخر
 سوى الفقرياً بؤساً لمن زاده الفقر
 وتذكر قولي حين لا ينفع الذكر
 إذا نصح الأقوام أنفسهم عمر
 وما هو إلا وقتك الضيق النزر
 فعمّا قليل بعدها ينفع الصبر

اللهم اليك بدعائنا وتوجهنا وبفنائك أنحن وإياك أملنا ولما عندك من
 الكرم والجود والاحسان طلبنا ومن عذابك أشفقنا ولغفرانك تعرضنا
 فاغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى
 الله على محمد وآله وسلم .

وصية أبي حازم الأعرج للزهرى

عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن ، ورحمك من النار ، فقد
 أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها ، أصبحت شيخاً
 كبيراً قد أثقلتك نعم الله عليك ، بما أصح من بدئك ، وأطال من
 عمرك ، وعلمت حجب الله تعالى مما حملك من كتابه ، وفقهك فيه من

دِينَهُ ، وَفَهَّمَكَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّكَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَمَى بِكَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا عَلَيْكَ وَكُلِّ حُجَّةٍ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ .

انْظُرْ . . . أَيُّ رَجُلٍ تَكُونُ إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَأَلَكَ عَنْ نِعَمِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ رَعَيْتَهَا ، وَعَنْ حُجَجِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ قَضَيْتَهَا ، وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ رَاضِيًا مِنْكَ بِالتَّغْرِيرِ ، وَلَا قَابِلًا مِنْكَ التَّقْصِيرِ ، هَيْهَاتَ لَيْسَ كَذَلِكَ .

أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ : ﴿ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ . . . الآية .

إِنَّكَ تَقُولُ إِنَّكَ جَدَلٌ ، مَا هِرُّ عَالِمٍ ، قَدْ جَادَلْتَ النَّاسَ فَجَدَلْتَهُمْ ، وَخَاصَمْتَهُمْ فَخَصَمْتَهُمْ ، إِذْلَالًا مِنْكَ بِفَهْمِكَ ، وَاقْتِدَارًا مِنْكَ بِرَأْيِكَ ، فَأَيْنَ تَذْهَبُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . . . الآية .

إِعْلَمْ أَنَّ أَدْنَى مَا ارْتَكَبْتَ ، وَأَعْظَمَ مَا احْتَقَيْتَ ، أَنَّ آنَسْتَ الظَّالِمَ ، وَسَهَّلْتَ لَهُ طَرِيقَ الْغِيِّ بِدُنُوكَ حِينَ أُذِنْتَ ، وَأَجَابْتَكَ حِينَ دُعِيتَ ، فَمَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَبُوءَ بِأَثْمِكَ غَدًا مَعَ الْجَمْعَةِ ، وَأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أَرَدْتَ بَاغِضَاتِكَ عَنْ ظُلْمِ الظَّالِمَةِ .

إِنَّكَ أَخَذْتَ مَا لَيْسَ لِمَنْ أَعْطَاكَ ، وَدَنَوْتَ مِمَّنْ لَا يَرُدُّ عَلَى أَحَدٍ حَقًّا ، وَلَا تَرَكَ بَاطِلًا حِينَ أَذْنَاكَ ، وَأَجَبْتَ مَنْ أَرَادَ التَّدْلِيْسَ بِدُعَائِهِ إِيَّاكَ حِينَ دَعَاكَ .

جَعَلُوكَ قُطْبًا تَدُورُ رَحَى بَاطِلِهِمْ عَلَيْكَ ، وَجَسْرًا يَعْبرُونَ بِكَ إِلَى بِلَائِهِمْ ، وَسَلَّمًا إِلَى ضَلَالَتِهِمْ ، وَدَاعِيًا إِلَى غِيِّهِمْ ، سَالِكًا سَبِيلَهُمْ ، يُدْخِلُونَ بِكَ الشُّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، وَيَقْتَادُونَ بِكَ قُلُوبَ الْجُهَّالِ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ تَبْلُغْ أَحْصَ وَزَرَائِهِمْ ، وَلَا أَقْوَى أَعْوَانِهِمْ لَهُمْ إِلَّا دُونَ مَا بَلَغْتَ مِنْ

إِصْلَاحَ فَسَادِهِمْ ، وَاخْتِلَافِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَيْهِمْ ، فَمَا أَيْسَرَ مَا عَمَّرُوا
لَكَ فِي جَنْبِ مَا خَرَّبُوا عَلَيْكَ وَمَا أَقَلَّ مَا أَعْطَوْكَ فِي كَثِيرِ مَا أَخَذُوا مِنْكَ ،
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْظُرُ لَهَا غَيْرُكَ ، وَحَاسِبْهَا حِسَابَ رَجُلٍ مَسْئُولٍ .
وَانْظُرْ كَيْفَ شُكْرُكَ لِمَنْ غَذَاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا ، وَانْظُرْ كَيْفَ
إِعْظَامُكَ أَمْرَ مَنْ جَعَلَكَ بَدِينِهِ فِي النَّاسِ بَخِيلًا ، وَكَيْفَ صِيَانَتِكَ لِكِسْوَةِ
مَنْ جَعَلَكَ لِكِسْوَتِهِ سَتِيرًا ، وَكَيْفَ قُرْبِكَ وَبُعْدِكَ مِمَّنْ أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ
قَرِيبًا .

مَا لَكَ لَا تَتَّبِعَهُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَتَسْتَقِيلَ مِنْ عَشْرَتِكَ ، فَتَقُولُ : . وَاللَّهِ مَا
قُمْتُ لِلَّهِ مَقَامًا وَاحِدًا أَحْيَى لَهُ فِيهِ دِينًا ، وَلَا أُمِيتُ لَهُ فِيهِ بَاطِلًا ، إِنَّمَا
شُكْرُكَ لِمَنْ اسْتَحْمَلَكَ كِتَابَهُ ، وَاسْتَوْدَعَكَ عِلْمَهُ .
مَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ :
﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا
الْأَذْنَى . . ﴾ الآية .

إِنَّكَ لَسْتَ فِي دَارِ مُقَامٍ ، قَدْ آذَنْتَ بِالرَّحِيلِ ، مَا بَقَاءُ الْمَرْءِ بَعْدَ
أَقْرَانِهِ ، طُوبَى لِمَنْ كَانَ مَعَ الدُّنْيَا عَلَى وَجَلٍ ، وَيَا بُئْسَ مَنْ يَمُوتُ
وَتَبَقَى ذُنُوبُهُ مِنْ بَعْدِهِ .

إِنَّكَ لَمْ تُؤْمَرْ بِالنَّظَرِ لِوَارِثِكَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَهْلًا أَنْ
تُرْدِفَهُ عَلَى ظَهْرِكَ . ذَهَبَتِ اللَّذَّةُ وَبَقِيَتِ التَّبَعَةُ ، مَا أَشَقَى مَنْ سَعَدَ بِكَسْبِهِ
غَيْرُهُ ، إِحْذَرُ فَقْدَ أُتِيَتْ ، وَتَخَلَّصَ فَقَدْ أُدْهِيتَ إِنَّكَ تُعَامِلُ مَنْ لَا يَجْهَلُ ،
وَالَّذِي يَحْفَظُ عَلَيْكَ لَا يَغْفُلُ .

تَجَهَّزْ ، فَقَدْ دَنَا مِنْكَ سَفَرٌ ، وَدَاوِ دَيْنَكَ فَقَدْ دَخَلَهُ سَقَمٌ شَدِيدٌ ، وَلَا
تَحْسَبَنَّ أَنِّي أَرَدْتُ تَوْبِيخَكَ أَوْ تَعْيِيرَكَ وَتَعْنِيفَكَ ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ تَنْبُشَ مَا
فَاتَ مِنْ رَأْيِكَ ، وَتَرُدَّ عَلَيْكَ مَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ حِلْمِكَ ، وَذَكَرْتُ قَوْلَهُ
تَعَالَى :

﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

أَغْفَلْتَ ذِكْرَ مَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِكَ وَأَقْرَانِكَ ، وَبَقِيتَ بَعْدَهُمْ كَقَرْنٍ
أَعْضَبٍ ، فَانْظُرْ هَلْ ابْتُلُوا بِمِثْلِ مَا ابْتُلِيتَ بِهِ ، أَوْ دَخَلُوا فِي مِثْلِ مَا
دَخَلْتَ فِيهِ ، وَهَلْ تَرَاهُ إِدْخَرَ لَكَ خَيْرًا مُنْعُوهُ أَوْ عَلَّمَكَ عِلْمًا جَهْلُوهُ ، بَلْ
جَهَلْتَ مَا ابْتُلِيتَ بِهِ مِنْ حَالِكَ فِي صُدُورِ الْعَامَّةِ ، وَكَلَّفَهُمْ بِكَ أَنْ صَارُوا
يَقْتَدُونَ بِرَأْيِكَ وَيَعْمَلُونَ بِأَمْرِكَ ، إِنْ أَحَلَلْتَ أَحَلُّوا ، وَإِنْ حَرَّمْتَ حَرَّمُوا ،
وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَكَ ، وَلَكِنْ إِكْبَابُهُمْ عَلَيْكَ ، وَرَغْبَتُهُمْ فِيَمَا فِي يَدَيْكَ ،
ذَهَابُ عَمَلِهِمْ ، وَغَلَبَةُ الْجَهْلِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ ، وَطَلَبُ حُبِّ الرِّيَاسَةِ وَطَلَبُ
الدُّنْيَا مِنْكَ وَمِنْهُمْ .

أَمَّا تَرَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْغَرَّةِ ، وَمَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ
وَالْفِتْنَةِ ، وَابْتَلَيْتَهُمْ بِالشُّغْلِ عَنْ مَكَاسِبِهِمْ وَفَتَنَتَهُمْ ، بِمَا رَأَوْا مِنْ أَثَرِ الْعِلْمِ
عَلَيْكَ ، وَتَأَقَّتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَى أَنْ يُدْرِكُوا بِالْعِلْمِ مَا أَدْرَكْتَ ، وَيَبْلُغُوا مِنْهُ
مِثْلَ الَّذِي بَلَغْتَ ، فَوَقَعُوا بِكَ فِي بَحْرٍ لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ ، وَفِي بَلَاءٍ لَا يُقَدَّرُ
قَدْرُهُ ، فَاللَّهُ لَنَا وَلَكَ وَلَهُمُ الْمُسْتَعَانُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَاءَ جَاهَانِ : جَاءَ يُجْرِيهِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيِ أَوْلِيَائِهِ
لِأَوْلِيَائِهِ ، الْخَامِلِ ذِكْرَهُمْ ، الْخَافِيَةِ سُخُوصُهُمْ ، وَلَقَدْ جَاءَ نَعْتُهُمْ عَلَى
لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ
يُنْفَقُوا ، وَإِذَا شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى ، يَخْرُجُونَ مِنْ
كُلِّ فِتْنَةٍ سَوْدَاءَ مُظْلَمَةٍ » .

فَهَؤُلَاءِ أَوْلِيَائِ اللَّهِ الَّذِينَ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ،

ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴿

وَجَاهُ يُجْرِيهِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيِّ أَعْدَائِهِ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَمِقَّةٌ يَقْدِفُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ لَهُمْ ، فَيُعْظِمُهُم النَّاسُ بِتَعْظِيمِ أَوْلِيَاكَ لَهُمْ وَيَرْغَبُ النَّاسُ فِيهَا فِي أَيْدِيهِمْ لِرَغْبَةِ أَوْلِيَاكَ فِيهِ إِلَيْهِمْ ﴿ أَوْلِيَاكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿

وَمَا أَخَوْفَنِي أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَنْظُرُ لِمَنْ عَاشَ مَسْتُوراً عَلَيْهِ فِي دِينِهِ ، مَقْتُوراً عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ ، مَعْزُولةً عَنْهُ الْبَلَايَا ، مَصْرُوفَةً عَنْهُ الْفِتْنُ فِي عُفُوفَانِ شَبَابِهِ وَظُهُورِ جَلْدِهِ ، وَكَمَالِ شَهْوَتِهِ .

فَعُنِيَ بِذَلِكَ دَهْرُهُ ، حَتَّى إِذَا كَبُرَ سِنُّهُ ، وَرَقَّ عَظْمُهُ ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ ، وَانْقَطَعَتْ شَهْوَتُهُ وَلَذَّتُّهُ ، فَتَحَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا شَرَّ فُتُوحٍ فَلَزِمَتْهُ تَبِعَتُهَا وَعَلِقَتْهُ فِتْنَتُهَا ، وَأَعَشَتْ عَيْنِيهِ زَهْرَتُهَا ، وَصَفَتْ لِغَيْرِهِ مَنَفَعَتُهَا .

فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَبَيَّنَ هَذَا الْغَيْبَ ، وَأَخَسَرَ هَذَا الْأَمْرَ ، فَهَلَّا إِذَا عَرَضَتْ لَكَ فِتْنَتُهَا ذَكَرْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي كِتَابِهِ إِلَى سَعْدٍ . . حِينَ خَافَ عَلَيْهِ مِثْلَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ عِنْدَمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى سَعْدٍ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَأَعْرِضْ عَنْ زَهْرَةِ مَا أَنْتَ فِيهِ حَتَّى تَلْقَى الْمَاضِينَ الَّذِينَ دُفِنُوا فِي أَسْمَائِهِمْ ، لَا صِقَّةَ بَطُونِهِمْ بِظُهُورِهِمْ ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ ، لَمْ تَفْتِنَهُمُ الدُّنْيَا وَلَمْ يُفْتِنُوا بِهَا ، رَغِبُوا فَطَلَبُوا فَمَا لَبِثُوا أَنْ لَحِقُوا .

فَإِذَا كَانَتْ الدُّنْيَا تَبْلُغُ مِنْ مِثْلِكَ هَذَا فِي كِبَرِ سِنِّكَ ، وَرُسُوخِ عِلْمِكَ ، وَحُضُورِ أَجَلِكَ ، فَمَنْ يَلُومُ الْحَدَثَ فِي سِنِّهِ ، وَالْجَاهِلَ فِي عِلْمِهِ ، وَالْمَافُوفَ فِي رَأْيِهِ الْمَذْخُولَ فِي عَقْلِهِ « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » ، عَلَى مَنْ الْمُعُولُ ، وَعِنْدَ مَنْ الْمُسْتَعْتَبُ .

نَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ مُصِيبَتَنَا . . وَمَا نَرَى مِنْكَ ، وَنَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي
عَافَانَا بِمَا ابْتَلَاكَ بِهِ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . . .

شِعْرًا :

يَمْشُونَ نَحْوَ بُيُوتِ اللَّهِ إِذْ سَمِعُوا
اللَّهُ أَكْبَرُ فِي شَوْقٍ وَفِي جَذَلٍ
أَرْوَاحُهُمْ خَشَعَتْ لِلَّهِ فِي أَدَبٍ
قُلُوبُهُمْ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ فِي وَجَلٍ
نَجَوَاهُمْ رَبَّنَا حِثْنَاكَ طَائِعَةً
نُفُوسُنَا وَعَصَيْنَا خَادِعَ الْأَمَلِ
إِذَا سَجَى اللَّيْلَ قَامُوهُ وَأَعْيْنُهُمْ
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ مِثْلَ الْجَائِدِ الْهَاطِلِ
هُمْ الرِّجَالُ فَلَا يُلْهِيُهُمْ لَعِبٌ
عَنِ الصَّلَاةِ وَلَا أُكْذِبُهُ الْكَسَلِ

آخر :

لَا فِي النَّهَارِ وَلَا فِي اللَّيْلِ لِي فَرْحٌ
فَمَا أَبَالِي أَطَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَصُرَا
لَأَنِّي طُولَ لَيْلِي هَائِمٌ دَنِفٌ
وَبِالنَّهَارِ أَقَاسِي الْهَمُّ وَالْفِكْرَا
آخر :

لَعَمْرِي لَقَدْ نُودِيتَ لَوْ كُنْتَ تَسْمَعُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ مَا لَيْسَ يُدْفَعُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ فِي غَفْلَاتِهِمْ
وَأَنَّ الْمَنَآيَا بَيْنَهُمْ تَتَقَعَّقُ

أَلَمْ تَرَ لَذَاتِ الْجَدِيدِ إِلَى الْبَلَى
 أَلَمْ تَرَ أَسْبَابَ الْأُمُورِ تَقْطَعُ
 إَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ يَهْتَزُّ سَيْفُهُ
 وَأَنَّ رِمَاحَ الْمَوْتِ نَحْوَكَ شُرْعُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
 لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ
 أَيَا بَنِي الدُّنْيَا لِعَيْرِكَ تَبْتَنِي
 وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِعَيْرِكَ تَجْمَعُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ رَجُلٌ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَوْصِيْنِي فَقَالَ أَتْرُكُ فُضُولَ
 النَّظَرِ تَوْفَّقُ لِلْخُشُوعِ ، وَاتْرُكُ فُضُولَ الْكَلَامِ تَوْفَّقُ لِلْحِكْمَةِ ، وَاتْرُكُ فُضُولَ
 الطَّعَامِ تَوْفَّقُ لِلْعِبَادَةِ ، وَاتْرُكِ التَّجَسُّسَ عَلَى عُيُوبِ النَّاسِ تَوْفَّقُ لِلْإِطْلَاعِ
 عَلَى عُيُوبِ نَفْسِكَ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ سَيْرِينَ أَوْصِيْنِي فَقَالَ لَا تَحْسُدُ أَحَدًا ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ
 مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَكَيْفَ تَحْسُدُهُ عَلَى دُنْيَا فَانِيَةٍ مَصِيرُهُ بَعْدَهَا إِلَى النَّارِ وَإِنْ كَانَ
 مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَاتَّبِعْهُ فِي أَعْمَالِهَا وَاغْبِطْهُ عَلَيْهَا فَإِنَّ ذَلِكَ أَوْلَى مِنْ حَسَدِكَ لَهُ
 عَلَى الدُّنْيَا .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَوْصِيْنِي فَقَالَ لَا تُذْنِبْ فَتُلْقِي نَفْسَكَ فِي
 النَّارِ مَعَ أَنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَحَدًا يُلْقِي بُرْغُوثًا فِي النَّارِ لَأَنْكَرْتَ عَلَيْهِ ، وَأَنْتَ تُلْقِي
 نَفْسَكَ فِي النَّارِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ ، وَلَا تُنْكِرُ عَلَيْهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ حُسْنُ أَدَبِهِمْ
 مَعَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَمَعَ الْبَعِيدِ فَضْلًا عَنِ الْقَرِيبِ .

وَالْأَصْلُ فِي الْأَدَبِ شُهُودُ النَّقْصِ فِي النَّفْسِ وَالْكَمَالِ فِي الْغَيْرِ عَكْسُ
 مَنْ كَانَ قَلِيلَ أَدَبٍ مُتَكَبِّرًا ، وَكَانَ مَيِّمُونَ بَنُ مِهْرَانَ إِذَا دُعِيَ إِلَى وَلِيمَةٍ جَلَسَ
 مَعَ الصُّبْيَانِ وَالْمَسَاكِينِ مِنَ الرِّجَالِ وَتَرَكَ الْإِغْنِيَاءَ ، وَكَانَ بَكْرُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 الْمَزْنِي يَقُولُ إِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ فَعِظْمُهُ وَقُلْ أَنَّهُ سَبَقَنِي إِلَى الْإِسْلَامِ
 وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنْكَ فَعِظْمُهُ وَقُلْ فِي نَفْسِكَ إِنِّي
 سَبَقْتُهُ إِلَى الذُّنُوبِ ، وَإِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ فَقُلْ هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيَّ لَا
 أَسْتَحِقُّهُ وَإِذَا أَهَانُوكَ فَقُلْ هَذَا بِذَنْبٍ أَحْدَثْتُهُ .

وَمِنْ أَخْلَاقِهِمْ إِنْخِلَاعُ قُلُوبِهِمْ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَ أَنَّهُ
 لَمَّا حَضَرَتْ الْوَفَاةُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ بَكَى ، وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَهَدَ إِلَيْنَا وَقَالَ لِيَكُنْ بُلْغَةُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّائِبِ ،
 وَهَذَا أَنَا قَدْ جَمَعْتُ هَذِهِ الْأُمْتِعَةَ وَأَشَارَ إِلَيْهَا وَهِيَ إِجَانَةٌ وَجَفْنَةٌ وَمِطْهَرَةٌ فَلَمَّا
 مَاتَ قَوْمُهَا بِخَمْسَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا .

شِعْرًا : مَا ضَرَّ مَنْ كَانَتْ الْفِرْدَوْسُ مَسْكَنَهُ
 مَاذَا تَحْمَلُ مِنْ بُؤْسٍ وَإِقْتَارِ
 تَرَاهُ يَمْشِي كَثِيبًا خَائِفًا وَجَلًّا
 إِلَى الْمَسَاجِدِ يَسْعَى بَيْنَ أَطْمَارِ

وَمَا يُنْسَبُ إِلَى الشَّافِعِيِّ :
 يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى شَيْئَيْنِ لَوْ جُمِعَا
 عِنْدِي لَكُنْتَ إِذَا مِنْ أَسْعَدِ الْبَشَرِ
 كَفَافِ عَيْشٍ يَقِينِي شَرَّ مَسْأَلَةٍ
 وَخِدْمَةِ الْعِلْمِ حَتَّى يَنْتَهِيَ عُمْرِي

آخر:

نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَظِلَامٌ لَيْلٍ
أَلْحَا بِالْبَيَاضِ وَبِالسَّوَادِ
هُمَا هَدَمَا دَعَائِمَ عُمْرِ نُوحٍ
وَلُقْمَانِ وَشَدَادِ وَعَادِ
فِيَا بَكْرَ بْنَ حَمَادٍ تَعَجَّبْ
لِقَوْمٍ سَافَرُوا مِنْ غَيْرِ زَادٍ
تَبَيَّنَتْ عَلَى فِرَاشِكَ مُطْمَئِنًّا
كَأَنَّكَ قَدْ أَمِنْتَ مِنَ الْمَعَادِ
فِيَا سُبْحَانَ مَنْ أَرْسَى الرُّوَاسِيَّ
وَأَوْفَدَهَا عَلَى السَّبْعِ الشِّدَادِ

آخر:

إِذَا أُمْسَيْتَ فَابْتَدِرِ الصَّبَاحَا
وَلَا تُثْمِلُهُ تَنْتَظِرِ الصَّيَاحَا
وَتُبَّ مِمَّا جَنَيْتَ فَكَمْ أَنْاسٍ
قَضَوْا نَحْبًا وَقَدْ نَامُوا صِحَاحَا

آخر:

وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الصَّالِحَاتِ إِلَى غَدٍ
لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ

احتضر بعضُ العبادِ فقال ما تأسفي على دار الهموم والأحزان والأنكاد
والخطايا والذنوب ، وإنما تأسفي على ليلةٍ نِمْتُهَا ويومٍ أفطرتَه وساعةٍ غفلتُ
فيها عن ذكر الله ، وقال إبراهيم بن أدهم فرَّغ قلبك من ذكر الدنيا يُفرَّغْ

عليك الرضاء إفراغا ، خطب الحجاج فقال إن الله أمرنا نطلب الآخرة وكفانا مؤنة الدنيا فليته كفانا مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا فقال الحسن البصري ضالة المؤمن عند فاسق فليأخذها .

وقال أنس رضي الله عنه إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عُقْبَى فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي .

وقال بعضهم إن إمرأاً ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لحري أن يطول عليها حزنه .

وقال آخر : ما ابتلى أحد بشيء أشد من الغفلة والقسوة إنما كره المؤمن الموت لانقطاع الأعمال الصالحة وخوف الذنوب ، من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما بهما جميعا .

من نظر في سيرة السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الكمال ، تعرف نفسك في ثلاثة مواضع ، إذا عملت فانظر نظر الله إليك وإذا تكلمت فاذا سمع الله إليك وإذا سكت فاذا علم الله فيك ، تهاون بالدنيا حتى لا يعظم بعينك أهلها ومن يملكها .

قال بعض العلماء كان الرجل في أهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للدنيا وتركها لها واليوم يزداد الرجل بعلمه حبا للدنيا وطلباً لها وكان الرجل ينفق ماله على علمه واليوم يكسب الرجل بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد في الظاهر والباطن .
شعر :

يا عامر الدنيا على شيبته
فيك أعاجيب لمن يعجب

مَا عُذِرَ مَنْ يَعْمُرُ بُنْيَانَهُ
وَعُمُرُهُ مُسْتَهْدَمٌ يَخْرُبُ

آخر :

عَجِبْتُ لِتَغْرِيسِي نَوَى النَّخْلِ بَعْدَمَا
طَلَعْتُ عَلَى السِّتِينَ أَوْ كَذْتُ أَفْعُلُ
وَأَذْرَكْتُ مِلَأَ الْأَرْضِ نَاسًا فَأُصْبَحُوا
كَأَهْلِ دِيَارٍ أَدْجُوا فَتَحَمَّلُوا
وَمَا النَّاسُ إِلَّا رُفْقَةٌ قَدْ تَحَمَّلَتْ
وَأُخْرَى تُقْضِي حَاجَهَا ثُمَّ تَرْحَلُ

وَلَمَّا حَضَرَتْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِي الْوَفَاةَ بَكَى فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ :
إِنِّي أَنْتَظِرُ رَسُولًا يَأْتِينِي مِنْ رَبِّي لَا أَذْرِي هَلْ يُبَشِّرُنِي بِالْجَنَّةِ أَوْ بِالنَّارِ ، وَلَمَّا
حَضَرَتْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْوَفَاةَ ، قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَذْنَبْتُ فَإِنْ غَفَرْتَ لِي فَقَدْ
مَنْنْتَ وَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَقَدْ عَدَلْتَ ، وَمَا ظَلَمْتُ لَكِنْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ .

وَكَانَ يَتِمَثَّلُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

تَرَاهُ مَكِينًا وَهُوَ لِلَّهِ وَمَاقِيتُ
بِهِ عَنْ حَدِيثِ الْقَوْمِ مَا هُوَ شَاغِلُهُ
وَأَزْعَجُهُ عِلْمٌ عَنِ الْجَهْلِ كُلِّهِ
وَمَا عَالِمٌ شَيْئًا كَمَنْ هُوَ جَاهِلُهُ
عَبُوسٌ عَنِ الْجُهَالِ حِينَ يَرَاهُمُوا
فَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ خَدِيزٌ يُهَازِلُهُ
تَذَكَّرَ مَا يَلْقَى مِنَ الْعَيْشِ آجِلًا
فَاشْغَلَهُ عَنْ عَاجِلِ الْعَيْشِ آجِلُهُ

وَلَمَّا حَضَرَتْ عَامِرَ بْنَ قَيْسٍ الْوَفَاةُ بَكَى وَقَالَ إِنِّي لَمْ أَبْكُ جَزَعًا مِنْ
الْمَوْتِ وَلَا حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا .

وَلَكِنْ عَلَى عَدَمِ قَضَاءِ وَطَرِيٍّ مِنْ طَاعَةِ رَبِّي وَقِيَامِ اللَّيْلِ فِي أَيَّامِ
الشَّتَاءِ .

وكانوا يكون إذا فاتتهم تكبيرة الاحرام مع الجماعة ، وكان المحدث
الثقة بشر بن الحسن يُقال له الصُّفِّي لأنه كان يلزم الصف الأول في مسجده
البصرة خمسين سنة .

مثله إبراهيم بن ميمون المروزي أحد الدعاة المحدثين الثقة من
أصحاب عطاء بن أبي رباح وكانت مهنته الصياغة وطرق الذهب والفضة
قالوا كان فقيهاً فاضلاً من الأمايين بالمعروف وقال ابن معين كان إذا رفع
المطرقة فسمع النداء لم يردّها .

وقيل لكثير بن عبيد الحمصي عن سبب عدم سهوه في الصلاة وقد أم
أهل حمص ستين سنة كاملة فقال ما دخلت من باب المسجد قط وفي نفسي
غير الله .

وقال سليمان بن حمزة المقدسي وهو من ذرية بن قدامة صاحب كتاب
المغني « لم أصل الفريضة قط منفرداً إلا مرتين ، وكأني لم أصلهما قط مع أنه
قارب التسعين » .

وذكر عن الأعمش أنه قال لم تفتني صلاة الجماعة ما يقرب من أربعين
سنة إلا مرة واحدة حين ماتت والدته اشتغل بتجهيزها .

وذكر عن بعضهم أنه لم تفته تكبيرة الاحرام أربعين سنة وكان بعضهم
يُصيبه مرض إذا فاتته صلاة الجماعة .

وَنَحْنُ بِالْعَكْسِ رَبِّمَا يُصِيبُنَا مَرَضٌ أَوْ جُنُونٌ إِذَا فَاتَنَا شَيْءٌ مِّنْ حُطَامِ
الدُّنْيَا وَالسَّبَبُ الْوَحِيدُ أَنَّ الدُّنْيَا مَا تَهْمُهُمْ وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَهِيَ نَصَبٌ أَعْيَنَهُمْ فِي
كُلِّ سَاعَةٍ يَسْتَعِدُّونَ لَهَا وَالْدُّنْيَا جَعَلُوهَا مَطِيَّةً إِلَى الْآخِرَةِ .

نَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ أَنْ يُوقِضَ قُلُوبَنَا مِنْ
هَذِهِ الرَّقْدَةِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ .

شِعْرًا :

أَفَلَسْتَ تَذَرِي أَنَّ يَوْمَكَ قَدْ دَنَا أَوَلَسْتَ تَذَرِي أَنَّ عُمْرَكَ يَنْفَدُ
فَعَلَامَ تَضْحَكُ وَالْمَنِيَّةُ قَدْ دَنَتْ وَعَلَامَ تَرْقُدُ وَالثَّرَى لَكَ مَرْقَدُ

شِعْرًا :

وَمَا فَرَشُهُمْ إِلَّا أَيَّامُنُ أَزْرِهِمْ
وَمَا وَسَدُّهُمْ إِلَّا مِلَاءٌ وَأَذْرُعُ
وَمَا لَيْلُهُمْ فِيْهِنَّ إِلَّا تَخَوُّفُ
وَمَا نَوْمُهُمْ إِلَّا عِشَاشُ مُرَوِّعُ
وَأَلْوَانُهُمْ صَفَرٌ كَأَنَّ وُجُوْهَهُمْ
عَلَيْهَا جَسَامًا مَا بِهِ الْوَرَسُ مُشْبَعُ
نَوَاحِلُ قَدْ أُرْزِي بِهَا الْجُهْدُ وَالسُّرَى
إِلَى اللَّهِ فِي الظُّلُمَاءِ وَالنَّاسُ هُجَّعُ
وَيَبْكَوْنَ أَحْيَانًا كَأَنَّ عَجِيْجَهُمْ
إِذَا نَوْمَ النَّاسُ الْحَنِينُ الْمُرْجَعُ
وَمَجْلِسِ ذِكْرِ فِيْهِمْ قَدْ شَهِدَتْهُ
وَأَعْبُتُهُمْ مِنْ رَهْبَةِ اللَّهِ تَدْمَعُ

آخِرُ:

وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلُونَ وَبَيْنَهُمْ
رَجَالٌ ثَوَتْ آثَارُهُمْ كَالْمَعَالِمِ
بِعِزَّةِ بَأْسٍ وَاطِّلَاعِ بَصِيرَةٍ
وَهَزَّةِ نَفْسٍ وَاتِّسَاعِ مَرَاجِمِ
حُظُوظُ كَمَالٍ أَظْهَرَتْ مِنْ عَجَائِبِ
بِمِرَاةِ شَخْصٍ مَا اخْتَفَى فِي الْعَوَالِمِ
وَمَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ يَخْتَصُّ نَفْسَهُ
أَلَا إِنَّمَا التَّخْصِصُ قِسْمَةٌ رَاحِمِ
وَقَدْ يُفْسِدُ الْحَرَّ الْكَرِيمَ جَلِيسُهُ
وَتَضْعُفُ بِالْإِيْهَامِ قُوَّةُ حَازِمِ
وَلَيْسَ بِحَيٍّ سَالِكٌ فِي خَسَائِسِ
وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ هَالِكٌ فِي مَكَارِمِ
إِذَا لَجَّ لَوْمٌ مِنْ سَفِيهِ لِرَاشِدِ
تَوَهَّمْ رَشْدًا فِي سَفَاهِهِ لَائِمِ
عَجِبْتُ مِنَ الْإِنْسَانِ يَعْجَبُ وَهُوَ فِي
نَقَائِصِ أَحْوَالٍ قَسِيمِ السَّوَائِمِ
يَرَى جَوْهَرَ النَّفْسِ الطَّلِيْقَ فَيَزِدُّهُيْ
وَيَذْهَلُ عَنْ أَغْرَاضِ جِسْمٍ لَوَازِمِ
دُيُونُ اظْطِرَارٍ تُقْتَضَى كُلُّ سَاعَةٍ
فَتُقْتَرَضُ الْأَعْمَارُ بَيْنَ الْمَغَارِمِ
وَكُلُّ فَمَغْرُورٍ بِحُبِّ حَيَاتِهِ
يُغْفَرِيهِ بِالْأَذْنَى خَفَاءُ الْخَوَاتِمِ

وَجَمَاعُ مَالٍ لَا انْتِفَاعَ لَهُ بِهِ
كَمَا مَصَّ مَشْرُوطاً زُجَاجَ الْمَحَاجِمِ
وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا تَيَقَّنَ أَنَّهَا
مَطِيَّةٌ يَقْظَانِ وَطِيفَةٌ حَالِمِ
فَلِلَّهِ سَاعٌ فِي مَنَهِجِ طَاعَةٍ
لِإِيْلَافٍ عَذْلٍ أَوْ لِإِتْلَافٍ ظَالِمِ

وَلَمَّا حَضَرَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ الْوَفَاةُ قَالَ لِغُلَامِهِ اجْعَلْ رَأْسِي
عَلَى الْأَرْضِ فَبَكَى غُلَامُهُ قَالَ مَا يُبْكِيكَ قَالَ ذَكَرْتُ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ
النَّعِيمِ وَأَنْتَ هُوَ ذَا تَمُوتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ
أَمُوتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ .

ثُمَّ قَالَ لِقَنِي يَا أَخِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا الْحَالُ تَغَيَّرَ ، وَلَا تُعِذْ عَلَيَّ
إِلَّا إِنْ تَكَلَّمْتُ بَعْدُ بِكَلَامٍ ، وَدَخَلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ فِي
سِيَّاقِ الْمَوْتِ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ إِنَّ أَمْرًا هَذَا آخِرُهُ لِحَقِيقٍ أَنْ يَزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ
وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا ذَرٍّ الْوَفَاةُ قَالَ : يَا مَوْتُ اخْنُقْ وَعَجِّلْ فَإِنِّي أُحِبُّ لِقَاءَ
اللَّهِ .

وَدَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَجُلٍ مُحْتَضِرٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ
فَوَجَدَهُ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ فَقَالَ لَهُ أَصَبْتَ يَا أَخِي إِنَّ اللَّهَ إِذَا قَضَى أَمْرًا
أَحَبُّ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهِ وَدَخَلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَلَى وَلَدٍ يَجُودُ بِنَفْسِهِ
وَأَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ عَنْدَهُ فَقَالَ لَهُمَا لَا تَبْكِيَا فَإِنِّي قَادِمٌ عَلَى مَنْ هُوَ أَرْحَمُ بِي
مِنْكُمَا .

وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا هُرَيْرَةَ الْوَفَاةُ بَكَى قَالُوا مَا يُبْكِيكَ قَالَ بَعْدُ السَّفَرِ
وَقِلَّةُ الزَّادِ وَضَعْفُ الْيَقِينِ وَخَوْفُ الْوُقُوعِ مِنَ الصَّرَاطِ فِي النَّارِ ، وَرُوي أَنَّ
مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لَيْلَةٍ
صَبَاحُهَا إِلَى النَّارِ .

ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ زَائِرٌ مُغِيبٌ وَحَبِيبٌ جَاءَ عَلَى فَاقَةِ اللَّهِمْ إِنِّي
كُنْتُ أَخَافُكَ وَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحِبُّ الدُّنْيَا
وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِكُرِّيِ الْأَنْهَارِ وَلَا لِعُرسِ الْأَشْجَارِ وَلَكِنْ لِبُطُولِ ظَنِّ
الْهَوَاجِرِ وَقِيَامِ لَيْلِ الشِّتَاءِ وَمُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ وَمُزَاحِمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ
حَلْقِ الذِّكْرِ .

وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا الدَّرْدَاءِ الْوَفَاةَ وَجَعَلَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَيَقُولُ أَلَا رَجُلٌ
يَعْمَلُ لِمِثْلِ مَضْرَعِي هَذَا أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ لِمِثْلِ يَوْمِي هَذَا أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ
لِمِثْلِ سَاعَتِي هَذِهِ ثُمَّ قُبِضَ رَجِمَهُ اللَّهُ .

فِيهَا أَيُّهَا الْغَافِلُ الْمُهْمِلُ وَكُلُّنَا كَذَلِكَ انْتَبِهْ وَاعْتَنِمْ أَوْقَاتَ الصُّحَّةِ
وَالسَّلَامَةِ وَأَمْلَأْ أَوْقَاتَكَ بِالْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكَ هَازِمُ اللَّذَاتِ
وَيُحَالِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَتَنْدَمَ وَلَا تَسَاعَةَ مَنْدَمٍ .
شِعْرًا :

تَغْنَمُ سُكُونَ الْحَادِثَاتِ فَإِنَّهَا
وَإِنْ سَكَنْتَ عَمَّا قَلِيلٌ تَحَرَّكَ
وَنَادِرُ بِأَيَّامِ السَّلَامَةِ إِنَّهَا
رِهَانٌ وَهْلٌ لِلرَّهْنِ عِنْدَكَ مَتَرَكٌ
شِعْرًا :

نَهَارُكَ بَطَّالٌ وَلَيْلُكَ نَائِمٌ
وَعَيْشُكَ يَا مِسْكِينُ عَيْشُ الْبَهَائِمِ
آخِر :

وَعَظَّتْكَ أَجْدَاثُ وَهْنٍ صُمُوتُ
وَسُكَّانِهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتُ
أَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا لَغَيْرِ بَلَإِهِ
لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تُمُوتُ

وَرَوَى الْمُزَنِّي قَالَ دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ
فَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ فَقَالَ أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاجِلًا وَلِلْإِخْوَانِ مُفَارِقًا
وَلِسُوءِ عَمَلِي مُلَاقِيًا وَلِلْكَأْسِ الْمِئْتَةِ شَارِبًا وَعَلَى اللَّهِ وَارِدًا فَلَا أَذْرِي
أُرْوَجِي تَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ فَأَهْنُوْهَا أَوْ إِلَى النَّارِ فَأَعَزِّيْهَا ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

وَلَمَّا قَسَى قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
وَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ
تَجُودُ وَتَعْفُو مِنِّي وَتَكْرُمَا
آخِرُ :

أَجَاعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَخَافُوا وَلَمْ يَزَلْ
كَذَلِكَ ذُو التَّقْوَى عَنِ الْعِشْرِ مُلْجَمًا
أَخْرَطِيَّةٌ دَاوُدُ مِنْهُمْ وَمِسْعَرُ
وَمِنْهُمْ وَهَيْبٌ وَالْعَرِيبُ بْنُ أَدْهَمَا
وَفِي ابْنِ سَعِيدٍ قُدْوَةُ الْبِرِّ وَالنُّهَى
وَفِي الْوَارِثِ الْفَارُوقِ صِدْقًا مُقَدَّمًا
وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ بِالْفَضِيلِ مَعَ ابْنِهِ
وَيُوسُفُفَ إِنَّ لَمْ يَأَلْ أَنْ يَتَسَلَّمَ
أَوْلِيَّكَ أَصْحَابِي وَأَهْلُ مَوَدَّتِي
فَصَلَّى عَلَيْهِمْ ذُو الْجَلَالِ وَسَلَّمَا
فَمَا ضَرَّ ذَا التَّقْوَى نِصَالُ أَسِنَّةٍ
وَمَا زَالَ ذُو التَّقْوَى أَعَزُّ وَأَكْرَمَا

وَمَا زَالَتْ التَّقْوَى تُرِيكَ عَلَى الْفَتَى
إِذَا مَحَضَ التَّقْوَى مِنَ الْعِزِّ مِيسَمًا

آخِرُ :

امْنَعْ جُفُونِكَ طُولَ اللَّيْلِ رَقَدَتَهَا
وَامْنَعْ حَشَاكَ لَذِيذَ الرِّيِّ وَالشَّبْعَا
وَاسْتَشْعِرِ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَدُمَّ بِهِمَا
حَتَّى تَنَالَ بِهِنَّ الْفَوْزَ وَالرَّفْعَا

آخِرُ :

وَرَبِّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ يَوْمًا تَتَابَعْتَ
عَزَائِهِمْ حَتَّى لَقَدْ بَلَّغُوا الْجَهْدَا
لَأَبْصَرْتَ قَوْمًا جَانَبُوا النَّوْمَ وَارْتَدَّوْا
بِإِرْدِيَةِ التَّسْهَادِ وَاسْتَقَرُّوْا الْبُعْدَا
وَصَامُوا نَهَارًا دَائِمًا ثُمَّ أَفْطَرُوا
عَلَى بُلْغِ الْأَقْوَاتِ وَاسْتَعْمَلُوا الْكَدَا
أُولَئِكَ قَوْمٌ حَسَنَ اللَّهُ فِعْلَهُمْ
وَأَوْرَثَهُمْ مِنْ حُسْنِ فِعْلِهِمْ الْخُلْدَا

اللهم إنا نسألك الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لا نعلم
ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونسألك الجنة
وما قرب إليها من قول أو عمل ونعوذ لك من النار وما قرب إليها من قول أو
عمل ونسألك أن تغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين وترحمنا وإياهم برحمتك يا
أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

شعرا :

اعتزل ذكر الغواني والغزل
ودع الذكرى لأيام الصبا
إن أهنأ عيشة قضيتها
واترك الغداة لا تحفل بها
وافتكروا في منتهى حُسن الذي
واهجر الخمرة إن كنت فتى
واتق الله فتقوى الله ما
ليس من يقطع طرقاً بطلاً
صدق الشرع ولا تركز إلى
حارت الأفكار في قدرة من
أين ثمروا وكنعان ومن
أين عاد أين فرعون ومن
أين من سادوا وشادوا وبنوا
أين أرباب الحجى أهل النهى
سيعيد الله كلاً منهم
يا بني اسمع وصايا جمعت
اطلب العلم ولا تكسل فما
واحتفل ليلفقه في الدين ولا
واهجر النوم وحصله فمن
لا تقل قد ذهبت أربابه
في ازدياد العلم إرغام العدى

وقل الفصل وجانب من هزل
فلأيام الصبا نجم أفل
ذهبت لذاتها والإثم حل
تمس في عز رفيع وتجل
أنت تهواه تجد أمراً جل
كيف يسعى في جنون من عقل
باشرت قلب امرئ إلا وصل
إنما من يتقي الله بطل
رجل يرضد في الليل زحل
قد هدانا سبلنا عز وجل
ملك الأرض وولى وعزل
رفع الأهرام من يسمع يخل
هلك الكل فلم تغن القل
أين أهل العلم والقوم الأول
وسيجزي فاعلاً ما قد فعل
حكماً خصت بها خير المثل
أبعد الخير على أهل الكسل
تشتغل عنه بمال وخول
يعرف المطلوب يحقر ما بذل
كل من سار على الدرب وصل
وجمال العلم إصلاح العمل

جَمَّلِ المنطِقَ بالنَّحوِ فَمَنْ
أَنْظَمِ الشَّعْرَ ولازِمَ مَذْهَبِي
فَهُوَ عُنْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
مَاتَ أَهْلُ الْجُودِ لَمْ يَبْقَ سِوَى
أَنَا لَا أَخْتَارُ تَقْبِيلَ يَدٍ
إِنْ جَزَيْتَنِي عَنْ مَدِيحِي صِرْتُ فِي
مُلْكٍ كَسَرْتُ عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةً
أَعَذُّبُ الْأَلْفَاظِ قَوْلِي لَكَ : خُذْ
لَيْسَ مَا يَحْوِي الْفَتَى مِنْ عَزْمِهِ
اطْرَحِ الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا
عَيْشَةُ الرَّاغِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
كَمْ جَهْلٍ وَهُوَ مُثَرِّمٌ كَثِيرٌ
كَمْ شَجَاعٍ لَمْ يَنْلُ مِنْهَا الْمُنَى
فَاتْرِكِ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّيِدْ
أَيُّ كَفٍّ لَمْ تَنْلُ مِمَّا تُفِدْ
لَا تُقِلْ أَصْلِي وَفَضْلِي أَبَدًا
قَدْ يَسْوُدُ الْمَرْءُ مِنْ غَيْرِ أَبِي
وَكَذَا الْوَرْدُ مِنَ الشُّوكِ وَمَا
مَعَ أَنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى
قِيَمَةِ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ
أَكْتُمُ الْأُمْرَيْنِ فَقْرًا وَغِنَى

حُرِّمَ الْإِعْرَابَ بِالنُّطْقِ اخْتَبَلْ
فِي اطِّرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ النَّحْلَ
أَحْسَنَ الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يُبْتَذَلْ
مُقْرِفٌ أَوْ مَنْ عَلَى الْأَصْلِ اتَّكَلْ
قَطْعُهَا أَجْمَلُ مِنْ تِلْكَ الْقُبْلِ
رَقِّهَا أَوْ لَا ، فَيَكْفِينِي الْخَجَلُ
وَعَنِ الْبَحْرِ اكْتِفَاءً بِالْوَشَلِ
وَأَمْرُ اللَّفْظِ نُطْقِي بِلَعَلْ
لَا وَلَا مَا فَاتَ يَوْمًا بِالْكَسَلِ
تَخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مِنْ سَفَلْ
عَيْشَةُ الزَّاهِدِ فِيهَا أَوْ أَقَلْ
وَعَلِيمٌ مَاتَ مِنْهَا بِالْعِلَلِ
وَجَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ
إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحَيْلِ
فَرَمَاهَا اللَّهُ مِنْهُ بِالشَّلَلِ
إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ
وَبِحُسْنِ السُّبُكِ قَدْ يُنْفَى الزَّغَلُ
يَطْلُعُ النَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلِ
نَسَبِي إِذْ بِأَبِي بَكْرٍ اتَّصَلَ
أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَوْ أَقَلْ
وَكَسَبِ الْفِلَسِ وَحَاسِبِ مَنْ مَظَلْ

وَادَّرْغُ جَدًّا وَكَدًّا وَاجْتَنِيبْ
بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَيُخْلٍ رُتْبَةً
لَا تَخْضُ فِي حَقِّ سَادَاتٍ مَضُوءَا
وَتَغَافِلُ عَنْ أُمُورٍ إِنَّهُ
لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ
مِلَّ عَنْ النَّمَامِ وَأَزْجُرَهُ فَمَا
دَارَ جَارَ السُّوءِ بِالصَّبْرِ فَإِنْ
جَانِبَ السُّلْطَانَ وَاحْذَرْ بَطْشَهُ
لَا تَلِي الْحُكْمَ وَإِنْ هُمْ سَأَلُوا
إِنَّ نَصَفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ
فَهُوَ كَالْمَحْبُوسِ عَنْ لَذَاتِهِ
إِنْ لِلنَّقْصِ وَالِاسْتِثْقَالِ فِي
لَا تَوَازَى لَذَةُ الْحُكْمِ بِمَا
فَالْوِلَايَاتُ وَإِنْ طَابَتْ لِمَنْ
نَصَبُ الْمَنْصِبِ أَوْهَى جَلْدِي
قَصْرِ الْأَمَالِ فِي الدُّنْيَا تَفْزُ
إِنَّ مَنْ يَطْلُبُهُ الْمَوْتُ عَلَى
غَيْبٍ وَزُرَّ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا فَمَنْ
خَذَ بِنَصْلِ السِّيفِ وَاتْرَكَ غِمْدَهُ
لَا يَضُرُّ الْفَضْلَ إِقْلَالُ كَمَا
حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزُ ظَاهِرٍ
فَبِمُكْثِ الْمَاءِ يَبْقَى آسِنًا

صُحْبَةَ الْحَقِيقِ وَأَرْبَابَ الدُّوَلِ
وَكِلَا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتْلُ
إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ لِلزَّلَلِ
لَمْ يَفْزُ بِالْحَمْدِ إِلَّا مَنْ غَفَلَ
حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ
بَلَغَ الْمَكْرُوهَ إِلَّا مَنْ نَقَلَ
لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلِ
لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ
رَغْبَةً فِيكَ وَخَالَفَ مَنْ عَدَلَ
وَلِي الْأَحْكَامِ هَذَا إِنْ عَدَلَ
وَكِلَا كَفَيْهِ فِي الْحَشْرِ تُغَلِّ
لَفُظَةُ الْقَاضِي لَوْعَظًا وَمَثَلُ
ذَاقَهُ الشَّخْصُ إِذَا الشَّخْصُ انْعَزَلَ
ذَاقَهَا فَالسُّمُّ فِي ذَاكَ الْعَسَلِ
وَعَنَائِي مِنْ مُدَارَاةِ السَّفَلِ
فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
غِرَّةٌ مِنْهُ جَدِيرٌ بِالْوَجَلِ
أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَقْصَاهُ الْمَلَلِ
واعتبر فضل الفتى دون الحُلِّ
لَا يَضُرُّ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الطُّفْلِ
فَاعْتَرَبْ تَلَقَّ عَنِ الْأَهْلِ بَدَلُ
وَسُرِّي الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلُ

أَيُّهَا الْعَائِبُ قَوْلِي عَبَثاً
عَدُّ عَنْ أَصْهُمِ قَوْلِي وَاسْتَشِرْ
لَا يَغُرُّنَّكَ لَيْسَ مِنْ فَتَى
أَنَا مِثْلُ الْمَاءِ سَهْلٌ سَائِغٌ
أَنَا كَالْخَيْزُورِ صَعْبٌ كَشْرُهُ
غَيْرَ أَنِّي فِي زَمَانٍ مَنْ يَكُنْ
وَاجِبٌ عِنْدَ الْوَرَى إِكْرَامُهُ
كُلُّ أَهْلِ الْعَصْرِ غَمْرٌ وَأَنَا
وَصَلَاةٌ وَسَلَامٌ أَبَدًا
وَعَلَى آلِ الْكِرَامِ السُّعْدَا
مَا تَوَى الرُّكْبُ بِعُشَّاقٍ إِلَى

إِنَّ طَيْبَ الْوَرْدِ مُؤَذِّ لِلْجَعَلِ
لَا يُصِيبُنَّكَ سَهْمٌ مِنْ تُعَلِّ
إِنَّ لِلْحَيَّاتِ لِينًا يُعْتَزَلُ
وَمَتَى سُخْنٌ آذَى وَقَتْلُ
وَهَوْلُ لَذْنٍ كَيْفَ مَا شَتَّ انْفَتَلُ
فِيهِ ذَا مَالٍ هُوَ الْمَوْلَى الْأَجَلُ
وَقَلِيلُ الْمَالِ فِيهِمْ يُسْتَقَلُّ
مِنْهُمْ فَاتْرَكَ تَفَاصِيلَ الْجَمَلِ
لِلنَّبِيِّ الْمَصْطَفَى خَيْرِ الدُّوَلِ
وَعَلَى الْأَصْحَابِ وَالْقَوْمِ الْأَوَّلِ
أَيْمَنِ الْحَيِّ وَمَا غَنَّى رَمَلُ

فصل ختام

إعلم يَا أَخِي أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ سُؤَالِ اللَّهِ وَيَتَحَرَّى أَوْقَاتَ
الإِجَابَةِ لَعَلَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ
الْقَائِلِينَ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا
دَعَانِ ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ أَوْفَى الْوَاعِدِينَ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ وَادْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ
فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ وَأَنْ يَفْتَحَ الدُّعَاءَ بِالشَّاءِ عَلَى اللَّهِ وَالصَّلَاةَ عَلَى
رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ ؛ وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ ، فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ عِبَادَ اللَّهِ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتُّبْرَانِيُّ عَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صُفْرًا خَائِبَتَيْنِ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ وَالحَاكِمُ عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ ؛ فَإِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِمَّا أَنْ يُؤَخَّرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يُكْفَرَ عَنْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ بِقَدَرٍ مَادَعَا ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَجِمَ ، أَوْ يَسْتَعْجِلُ يَقُولُ : دَعَوْتُ رَبِّي فَمَا اسْتَجَابَ لِي » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرُّخَاءِ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَلَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ كَيْفَ تَدْعُو فَقَالَ ﷺ : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ لِيَدْعُ بِمَا تَسَاءُ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حَبَّانَ وَالحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ عَنْ فُضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُؤْمِنْ عَلَى دُعَائِهِ نَفْسِهِ » . رَوَاهُ
ابْنُ عَدِيٍّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا يَجْتَمِعُ مَلَأٌ فَيَدْعُوا بَعْضُهُمْ وَيُؤْمِنُ بَعْضُهُمْ إِلَّا
أَجَابَهُمُ اللَّهُ » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ سَلَمَةَ
الْفَهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سَلُوا اللَّهَ بِيُطُونِ أَكْفُكُمْ وَلَا تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِهَا فَإِذَا
فَرَعْتُمْ فَاَمْسَحُوا بِهَا وَجُوهَكُمْ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ
يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ
وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تَوَافِقُ مِنَ اللَّهِ سَاعَةً
نِيلَ فِيهَا عَطَاءٌ فَيُسْتَجَابُ لَكُمْ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ فِي أَرْبَعَةِ
مَوَاطِنَ : عِنْدَ التَّقَاءِ الصُّفُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ ،
وَعِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ فَلْيَدْعُ بِهَا دُبْرَ كُلِّ
صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ » . رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ

حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَعَزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « دُعَاءُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ مُسْتَجَابٌ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهِ ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ : آمِينَ وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سَلُوا اللَّهَ حَوَائِجَكُمْ حَتَّى الْمَلَحَ » . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُرْسَلًا .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالحَاكِمُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَدْعُو اللَّهُ بِالْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَيَقُولُ : عَبْدِي ، إِنِّي أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُونِي وَوَعَدْتُكَ أَنْ أُسْتَجِيبَ لَكَ ، فَهَلْ كُنْتَ تَدْعُونِي ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : أَمَا إِنَّكَ لَمْ تَدْعُنِي بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَكَ ؛ أَلَيْسَ دَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ نَزَلَ

بِكَ أَنْ أُفَرِّجَ عَنْكَ فَفَرَّجْتُ عَنْكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبُّ . فَيَقُولُ : إِنِّي عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا . وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ نَزَلَ بِكَ أَنْ أُفَرِّجَ عَنْكَ فَلَمْ تَرَ فَرَجًا ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا رَبُّ . فَيَقُولُ : إِنِّي ادَّخَرْتُ لَكَ بِهَا فِي الْجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا . وَدَعَوْتَنِي فِي حَاجَةٍ أَقْضِيهَا لَكَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا فَقَضَيْتُهَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبُّ . فَيَقُولُ : إِنِّي عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا . وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فِي حَاجَةٍ أَقْضِيهَا لَكَ فَلَمْ تَرَ قَضَاءَهَا . فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبُّ . فَيَقُولُ : ادَّخَرْتُهَا لَكَ فِي الْجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَلَا يَدْعُ اللَّهُ دَعْوَةً دَعَا بِهَا عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا بَيَّنَّ لَهُ ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَجَلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ادَّخَرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ . قَالَ : فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ : يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَجَلَ لَهُ شَيْئًا مِنْ دُعَائِهِ » . رَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا . وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ . ثُمَّ ذَكَرَ : الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبُّ يَا رَبُّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِّي بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

إِنْتَهَى

(خَاتَمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيحَةٌ)

إِعْلَمِ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا يَجِبُ
الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وَعَمَلًا كَلَامَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ .
وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحْتَّ أَوْلَادَهُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَمَا تَيَسَّرَ
مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُتَّفَقِ عَلَى صَحِّحَتِهَا عَنْهُ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
وَمِنْ الْفَقْهِ الْمُخْتَصَرِ الْمُنْعِ لِتَيَسُّرِ لَهُ اسْتِخْرَاجُ الْمَسَائِلِ وَيَجْعَلُ لِأَوْلَادِهِ مَا
يُحِبُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى صُدْرِهِ حِفْظًا صَحِيحًا عَشْرَةَ آلَافٍ أَوْ
أَزِيدَ أَوْ أَقَلَّ حَسَبَ حَالِهِ فِي الْغِنَى .

وَمِنْ الْأَحَادِيثِ عُقُودَ اللُّوْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ فِيهَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلَافٍ .

فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ حِفْظِهَا فَالْعُمْدَةُ فِي الْحَدِيثِ يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظَهَا ثَلَاثَةَ
آلَافٍ أَوْ الْأَرْبَعِينَ النَّوَاوِيَّةَ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُهَا أَلْفًا .

وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ الْمُخْتَصَرَ الْمُنْعِ فِي الْفَقْهِ أَلْفَيْنِ مِنَ الرِّيَالَاتِ فَالْغَيْبُ
سَبَبٌ لِحِفْظِ الْمَسَائِلِ وَسَبَبٌ بِسُرْعَةٍ اسْتِخْرَاجِ مَا أُريدَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَشْكَلَ
مَعْنَاهُ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي مَدَارِسِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ فَمَدَارِسُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ
مَدَارِسُ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِ الْمُمْتَازِ الْبَاقِي النَّافِعِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وَعَمِلَ أَوْلَادُهُ بِذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْأَجْرِ مِنَ
اللَّهِ وَسَبَبًا لِبِرِّهِمْ بِهِ وَدُعَائِهِمْ لَهُ إِذَا ذَكَرُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُبَارَكًا
يَعْمَلُ بِهِ أَوْلَادُهُ مَعَ أَوْلَادِهِمْ فَيَزِيدُ الْأَجْرَ لَهُ وَلَهُمْ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ
لِحُسْنِ النِّيَّةِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

تَمَّ هَذَا الْجُزْءُ الثَّانِي بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ
ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَخْذُلَ الْكُفْرَةَ وَالْمُشْرِكِينَ
وَأُغْوَانَهُمْ وَأَنْ يُصْلِحَ مِنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَيُهْلِكَ مَنْ فِي
هَلَاقِهِ عِزَّ وَصَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَلُمَّ شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ
شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ
وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وَإِيَّاهُمْ
مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظْنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

والله المسئول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً
عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد
خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

عبد العزيز محمد السلطان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض
سابقاً

فهرس الجزء الثاني من موارد الظمآن

الموضوع	الصفحة
في الوعظ والارشاد	٢
موعظة	١٩
نماذج من صبره ﷺ	٢٢
موعظة تتضمن الثناء على الصحابة	
نموذج من صبر خليفة رسول الله ﷺ	٣٣
أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر وعثمان وعلي	٣٦
وبعض الصحابة رضوان الله عليهم	٣٧
اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٣٨
اسلام عثمان وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما	٤٣
الزبير بن العوام رضي الله عنه	٤٥
بلال بن أبي رباح رضي الله عنه	٤٦
آل ياسر ، عمارة وأبوه وأمه رضي الله عنهم	٤٧
من كلام عيسى عليه السلام	٥٠
أبو ذر رضي الله عنه	٥١
موعظة في الحث على التأهب للرحيل	٥٤
سعيد بن زيد وزوجته رضي الله عنهما وقصة اسلام عمر	٥٥
عثمان بن مظعون رضي الله عنه	٥٨
مصعب بن عمير رضي الله عنه	٥٩
عبدالله بن حذافة رضي الله عنه مع ملك الفرس	٦١/٦٠
عبدالله بن حذافة مع ملك الروم	٦٥
قصيدة وعظية زهدية تضرع إلى رب العزة	٦٧/٦٦
سعيد بن عامر الجمحي ونخيب	٧٣/٦٩
البراء بن مالك الانصاري	٧٤
أم سلمة رضي الله عنها	٨٣/٧٩
قصيدة وعظية	٨٤
نماذج من سيرة بعض العلماء المخلصين	١٠٢/٨٧
نصيحة أبي حازم لسليمان بن عبد الملك	١٠٣
نصيحة سفيان الثوري لهارون الرشيد	١١٠

.....	صدع الحسن البصري بالحق
.....	صدع ابن أبي ذئب بالحق أمام أبي جعفر
١١٦	صدع رجل بالحق أمام الحجاج ..
١١٧	نماذج من اخلاص بعض العلماء ..
١٣٨	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..
١٦٨	الرد على منكري الجن ..
١٨٥	موعظة في التحذير من الإنهاك في الدنيا ..
١٨٦	الناس حول الدنيا قسمان وما حول ذلك ..
١٩٣	قصيدة للشافعي في التحذير من الدنيا ..
١٩٥	حب الدنيا رأس الشرور والمعاصي كلها ..
١٩٨	حب الدنيا فنون متنوعة كل فن يشغل قسما من الناس ..
٢٠١	قصيدة لبعضهم يكبت نفسه ويؤنبها ..
٢٠٢	أمثلة للدنيا متعددة ..
٢٠٨	قصيدة في ذم الدنيا والتحذير من الاغترار بها ..
٢١١	فصل في الحث على الالفة وحسن الخلق ..
٢١٣	الجلس الصالح والجلس السوء والتحذير من مصاحبة الأشرار ..
٢١٤	توصية حول الجلوس الصالحين وأمثلة والحث على اختبارهم ..
٢٢٤	المؤاخاة في الناس على وجهين ..
٢٢٦	المؤمن يلتجئ إلى الله ثم المؤمن والمنافق يلتجئ للمنافق ..
٢٢٨	ميل الانسان إلى الأخيار أو الأشرار دليل على حاله ..
٢٢٩	التحذير من صحبة الأحمق ..
٢٣٠	الأصدقاء ثلاثة ويلي ذلك موعظة وقصيدة ..
٢٣٨	كلام حول الفكر النافع والفكر الضار ..
٢٤١	الحب في الله والبغض في الله والتحذير من موالاة أعداء الله ..
.....	والأدلة على ذلك ..
٢٤٤	التحذير من مُشَابَهَةِ أعداء الله وتوليهم وقربهم ومسكتهم ..
٢٥٧	موعظة في أن الناس قسمان ..
٢٦٢	قصة أبي عبيدة بن الجراح ..
.....	مع أبيه ..

الموضوع	الصفحة
مَا أَصَابَ الْيَوْمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَوَالَاةٍ	٢٦٣
أَعْدَاءُ اللَّهِ بِلَاءٌ شَدِيدٌ	٢٦٤
الْحَثُّ عَلَى صَحْبَةِ أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ	٢٦٦
كَلَامُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَتِيقٍ	٢٦٩
حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ السَّابِقِ	
كَلَامُ بَنِي رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حَوْلَ الْمَوْضِعِ السَّابِقِ مِنْ تَمَامِ مَحَبَّةِ اللَّهِ	٢٧٢
مَوْعِظَةٌ فِي فَضَائِلِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ	٢٨٣
قَصِيدَةٌ تَحْرِيزًا عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ	٢٩٥
نَبْذَةُ مَنْ زَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ	٣٠٥
السَّلَامُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ وَلَهُ فَوَائِدٌ عَدِيدَةٌ وَالْأَدْلَةُ عَلَى ذَلِكَ	٣١٨
الْمَوَاضِعُ الَّتِي يَكْرَهُ فِيهَا السَّلَامُ وَحُكْمُ رَدِّ السَّلَامِ	٣٢٢/٣٢٠
قَصِيدَةٌ زَهْدِيَّةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى التَّأَهُبِ لِلْمَوْتِ	٣٢٥
الْأَحَقُّ بِالْبَدَاءَةِ بِالسَّلَامِ وَالْحَثِّ عَلَى إِفْشَائِهِ	٣٢٦
فِي السَّلَامِ فَوَائِدٌ عَدِيدَةٌ نَذَرْتُهَا مِنْهَا	٣٢٩/٣٢٨
حُكْمُ إِبْتِدَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ	٣٣٤/٣٣٣
هَجْرَانُ الْكُفَرِ وَالْفَسَاقِ بِالْبَدْعِ وَمَظْهَرُ الْمَعَاصِي	٣٣٥
مَوْعِظَةٌ فِي مَكَانَةِ الصَّلَاةِ وَالْحَثِّ عَلَيْهَا وَالتَّرَكُّدِ فِيهَا	٣٣٦
فَصْلٌ فِي الْأَخْوَةِ لِلَّهِ وَالْأَلْفَةِ لِلَّهِ وَالصَّدَاقَةِ فِي اللَّهِ وَالْحُبِّ فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ	٣٣٩
مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَأَنَّهُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ	٣٤٤
الْحَثُّ عَلَى الْحُبِّ فِي اللَّهِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ	٣٤٦
حُكْمُ الْمَصَافِحَةِ وَفَوَائِدُهَا وَبَعْدُهَا مَوْعِظَةٌ وَقَصِيدَةٌ فِي مَدْحِ رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ	٣٥٠/٣٤٨
لَذَّةُ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى حَسَبِ قُدْرِهِ وَهَمَّتْهُ وَشَرَفَ نَفْسُهُ	٣٥٢
قَصِيدَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالتَّزَوُّدِ لِلْآخِرَةِ	٣٥٧
الصَّبْرُ مَا يُسَمَّى بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ ، آيَاتٌ فِي مَدْحِ الصَّبْرِ	٣٥٨
الْحَثُّ عَلَى الصَّبْرِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ وَالْكَلَامُ عَلَى الشُّكُوفِ	٣٦٣
الصَّبْرُ فِيهِ فَوَائِدٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا وَهِيَ أَعْلَاهَا مَعِيَةُ اللَّهِ	٣٦٨/٣٦٧
مِنْ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ ، الصَّبْرُ عَنِ الْمَعَاصِي	٣٦٩
كَلَامُ الشَّيْخِ عَلَى صَبْرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُليهِ آيَاتٌ فِي الصَّبْرِ	٣٧٠

٣٧٥	فصل أحاديث واردة في الصبر وذكر الثواب العظيم عليه
٣٨٥/٣٧٦	يندفع شر الحاسد عن الحسود بعشرة أسباب
٣٩٥/٣٧٨	الصبر طريقة الرسل وإليك ما جرى لبعضهم وبليته موعظة
٣٩٦	قصيدة تحتوي على الحث على بعض الأخلاق الفاضلة
٣٩٨	من صبر الرسل شعيب وهود وصالح ويونس ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
٣٩٩	فصل في تسهيل المصائب وما ورد فيها من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء والحكماء فيها يهون وينسى المصائب بإذن الله
٤٠٣/٤٠٠	مما يسلي ما وعد الله به عباده في الجنة وأن المصائب لها آجال تنتهي بها وأن مع العسر يسرا وأن الفرج عند الكرب
٤٠٤	آيات مسلية ومما يسلي التسلي بذوي الغير ممن أعظم منه في المصائب وأن النعم والنقم كلها زائلة
٤٠٩/٤٠٧	موعظة لابن الجوزي تسلي بإذن الله عن المصائب .. الخ
٤١٢/٤١٠	ومما يسلي عن المصائب أن في المصائب مصالح للمؤمن
٤١٣	مما يسلي أن يعلم أن كل المصائب بقضاء الله وقدره الخ
٤١٤	مما يسلي تقدير ما هو أعظم منها وأشياء أخر مبسوطة
٤١٨	مما يسلي أن يعلم أن تشديد البلا يخص الاخيار ... الخ
٤٢١	قصيدة زهدية وعظمية مسلية لأهل المصائب
٤٣٠	علاج حر المصيبة
٤٣١	فصل في الخوف تعريفه وأنواعه ونفعه
٤٣٣	من ثمرات الخوف ، مقدمات الخوف
٤٣٨/٤٣٥	القدر الواجب من الخوف والقدر النافع والمذموم
٤٣٩	آيات وأحاديث في الخوف
٤٤١	موعظة بليغة مشهد من مشاهد القيامة
٤٤٢	هياة الناس في المحشر وما يبلغ عرقهم ومسافة قعر جهنم
٤٤٧/٤٤٦/٤٤٥	ما ورد في فصل الخوف وذكر مقامات الخوف وأقسام الخائفين
٤٤٨	فصل في الحث على التيقض وترك الغفلة والرجاء للمحسن لا الجزم له بالجنة إلا من شهد له الرسول ﷺ

الصفحة	الموضوع
٣٥٠/٤٤٩	طلب معاوية من ضرار بن حمزة أن يصف له علي بن أبي طالب .
٤٥٧/٤٥٣	ذكر بعض أحوال الخائفين
٤٥٨	فائدة جلية من كلام شيخ الاسلام وابن القيم
٤٦٣	ما ينبغي عند المصائب والإبتلى
٤٦٥	حكم ومواعظ وآداب
٤٦٨	آفة الكبر
٤٧٣	موعظة وفوائد
٤٧٨	فصل في الاخلاص
٤٨٠	التحذير من كيد الشيطان
٤٨٦	فوائد ونصائح ومواعظ وآداب ووصايا
٤٨٧	لشهادة أن لا إله إلا الله تأثير عظيم عند الموت
٤٨٩	قصيدة زهدية تحث على الاستعداد للموت
٤٩٣	موعظة بليغة تحث على الاستعداد للآخرة
٤٩٤	قصيدة وعظية زهدية
٤٩٦	فصل في الرجاء وتعريفه ومقدماته
٤٩٧	الدنيا مزرعة الآخرة فمن زرع خيراً وحده وتوضيح ان الرجاء الصحيح
٥٠٣	ما كان مقروناً بالأسباب
٥٠٥	موعظة بليغة في الحث على الصلاة
٥٠٨	أحاديث وردت في الرجاء وآيات ألتى لها سمعك
٥٠٩	قصيدة بليغة وعظية زهدية تنعى على من ضيع وقته
٥١٥	وتحفز لهم إلى الجد والاجتهاد فيما يوصل إلى مرضاة الله
٥١٩	موعظة ويليها وصية الإمام علي لابنه الحسن
٥٢٢/٥٢١	مما ورد في الحث على الرجاء
٥٢٤/٥٢٣	قصيدة وعظية زهدية
٥٢٥	للانسان نظران نظر من جانب الرجاء ونظر من جانب الخوف
	القلب في سيرة إلى الله بمنزلة الطائفة ، أبيات زهدية تضرع إلى رب العزة والجلال
	يجب على العبد عند الاحتضار أن يحسن الظن بالله عز وجل
	قصيدة في توبيخ النفس

الصفحة

الموضوع

٥٢٩/٥٢٦	كلام ابن القيم خول حسن الظن بالله كلام نفيس نماذج من أخلاق
٥٣٠	السلف رحمهم الله
٥٣٧/٥٣١	من أخلاق السلف التواضع وانخلاع قلوبهم من خوف الله وتوصية بعضهم ..
٥٣٩/٥٣٨	بعضاً ومن ذلك توصية الامام علي لابنه الحسن وبعدها وصية
٥٤٠	أبي حازم للأعرج
٥٤٤	من وصايا السلف لمن سألهم ذلك
٥٤٦	آيات حول حالة السلف وقصيدة وعظية
٥٥٥/٥٤٨	أحوال بعض السلف عند الموت مصحوبة بآيات رائقة
٥٦٤/٥٦١/٥٦٠	الحث على الإكثار من سؤال الله والأدلة على ذلك

